

سوانح طبیب



د. سلمان بن محمد بن سعید



سوانح طيب

د. سلمان بن محمد بن سعيد

سوانح طیب

د. سلمان بن محمد بن سعید



للحصول على كتبنا الورقية



للحصول على كتبنا الصوتية



للحصول على كتبنا الإلكترونية



٢ سلمان بن محمد سعيد، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن سعيد، سلمان بن محمد

سوانح طبيب. / سلمان بن محمد بن سعيد.

الرياض، ١٤٤٠هـ

٩٦ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٩٥٤٧-٠

١- القصص العربية - السعودية

أ. العنوان

ديوي: ٠٣٩٥٣١، ٨١٣ ١٤٤٠/٥١١٣

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٩هـ/١٤٤٠م

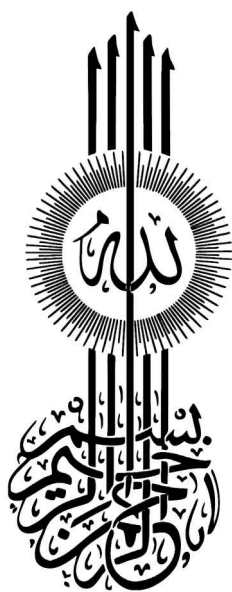
نشر وتوزيع
العبيكان
Obekon

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٨٦٥٤ ٨٠٨٠٩٥، فاكس: ٨٠٨٠٩٥ ٩٦٦٦

ص.ب: ٦٧٢٢ الرياض ١١٥١٧





.. حتى في

لعيب الكهابة

بعد ان ثبت سرعة السيارة على سرعة ١٠٠ كم/ في الساعة، اخذ نفساً وشبهها عميقين من هواء ياداري وياداري خلف هذا النفس وهذا الشهييق الكثير من الحسرة والمسارة، وكأنه لم يتنفس منذ ايام إلا زفيراً.. والتفت لحظتها من خلف الجاس في السيارة إلى صديقه الجاس في القعد الجالوس. انقضاء تحولهما في إحدى الطرق المسجحة والمسريفة بصيفته الرياض. التفت إلى صديقه قللاً: يا أخي لا ادري متى تصبح في اصر من امور حياتي من المرة الأولى، أو بعد المحاولة الأولى؟.. فقد سلمت من شيء اسمه المحاولة الثانية أو بلازمي من ايام الطالع هذا بالتحديد، وبالتحديد الدراسة الابتدائية، فقد من ايام مدة الجفراليسا، فقد كنت اكره هذه المدة الدراسية.. واما بعد معي سوء الطالع هذا إلى ما بعد المرحلة الجامعية، وبالأخص الحياة العملية.. وبالأخص الحريب تكررت معي خباياة المحاولة الثانية... رد صديقه ضاحكاً: يا أخي لا تضيق صدرك، وانظر إلى بعض عظماء العالم وما واجهوه من أخفاق وقشيل متكرر توج في النهاية بنجاح بياهم.. فاديسون - مخترع الكهرباء كان مغروراً من الهندسة وعمل قبل اختراعه للكهرباء ثلثاً متجولاً للجرائد ووينستون تشرشل - رئيس وزراء بريطانيا وبقيها أثناء الحرب العالمية الثانية - أعاد في الصف الرابع الابتدائي أربع مرات، وغيره من كثير.. رد قللاً

- بعد ان زاد في سرعة السيارة متجاوز الحد الأعلى للسرعة وعلمياً طبت السرعة في سيارته الاسريفة الفضة.. فطريق واسع وصنع يفري بزيادة السرعة والسيارات الأخرى لا تلتزم البتة بتحديد السرعة القصوى ولا يوجد مرور سيار وانظمة لا يحدد كيف من عا في يخشى منه، فلماذا ينجح من عا في سيارته من قوة وجذوخ مما نفسه من حاجة للتفريخ مما فيها من احباط وفرف.. رد قللاً وعداد السرعة في السيارة يزداد ارتفاعاً: دعني اكمل لك ما حصل لي يوم امس، فالتجارب من المرة الأولى هو الفجاء وفرحته هي المرة الحقيقية.. وبالأخص عندما نجحت بعد اخفاقات متكررة احسست كأنهم - يفلونتي - رد صديقه - وهو يتنسم - قللاً: يا أخي من سار على الدرب وصل - وكله محصل بعض - والتجارب بعد المحاولة الثانية أو بتقدير ممتاز أو مقبول أسسه في النهاية نجاح.. رد قللاً ومحتجاً على مالهكي للمرة الثانية: خل عنك مالهكي - وكلام هذا لا احده بنطيق على ألا في زواجي فقط.. حديث لم اعش حياة زوجية سعيدة إلا في الزواج الثاني ومع الزوجة الثانية وهذا بالطبع لا يتقاضى او يتخالف ما قلته عن سوء الطالع المصاحب لي من - ايام الجفراليسا - بل يؤكده.. ارباب قللاً ومنهيا الحوان لقد قيل قديماً ان الفوز طيباً من المرة الأولى أو بعد المحاولة المرة قبل لديها ان الفوز له فرحة حتى في لعب الكعبة.

د. سلطان بن محمد بن سعيد

سوانح طبیب

ما یقول الشاعری ابو تمام:

نقل من لکھنؤ کجھت من لکھنؤ

ما الحب إلا للحبيب الأول

کم منزل فی الارضین یلغله الفتی

وحسنہ افسانہ

اولیٰ حلیفہ (شعریہ) وہی ان آیات ابی تمام اعلامہ فی الجمل واسبق ما قبل من الحب حلیفہ لا تنسی علیہا تلح اول مریدین انسان وشر: وین انسان وعلیٰ او منزل: لکھنؤ ہند لکھ شہر ہائی اول: ولہ علاقہ صلیبہ بالانسان: شکر: کان او انشی: حبیبہ او حبیبہ: زوجا او زوجہ: او ای مکان بلکہ الفتی: ونحس (ویوفہ) نکریات حی المعقبہ فی نفسی وخطری دالما: الحی الطینی الذی ولدت فیہ: وعتت آؤورہ کثیرا ایام طلواتی الٹی قسملہا بین الطیورہ (الفراریہ) والخطایف والقمیسی: والعامہ تقول ان یحب شیئا (سرمہ مقلوع فیہ)

ما الحب إلا للحبيب الأول



د سلیمان بن محمد بن سہید

شہر پھرلہا الجمیع لکھنؤ امراء قتل زوجہا الفارس: فلتزوجت آخاء الذی تشبہہ کثیرا علیا تجد النوح فی الاغ: لا انہا لم تثن زوجہا الاول: بسبب

ما قلہ ابو تمام من ان الحب

لحبیب الاول: فقلت من فقلت

حبیبہ الاول: وتزوجت بآخیہ

الذی یحبہ فی الشغلہ ومسات الجسد: فقلت

مبارکہ بین الاثنين:

الزوارزہ والحلیا حلیایہ

واللعل ساموہ فعل والی الخصال

والی سوانح قائمہ باتن للہ:

* مستطاب سابق فی للخدمات الطبیہ: وزیرہ الدخلیہ

قادیانہ او القادیانہ الٹی ساعدت الوالدہ حلیفہا للہ: قامت بکلمہ سری فی المعقبہ بکل تاکید: واستمرت زیاراتی للمعقبہ الی بدایہ سن الشیاب: بل حتی اکتمال سن الرجولہ: لدا لا یزال حب المعقبہ فی القلب مترجما ویزارتہ تجول فی خاطری: بعد ان تعذرت زیارتہ ومشاهدتہ علی أرض الواقع منذ انزلتہ قبل عظیم من الزمان او یزید: ولا غرو فی ذلك فهو اول منزل احن الیہ دالما: کنت امر والنجل فی حی المعقبہ: مبدئیا من الجہۃ الجنوبیہ: حیث سوق الربابین (امن یریدون الدال والارانی التمامیہ) یجانب سوق الصدام والطرائیح: ومنزل شاب معوق او مخلف علیا اذناک ندعی (الرکب) لا یرج عتہ منزلہ: لا لبری هل الناس یفرجون علیہ ام هو یفارج علی الناس (تکنت عنہ منذ سنین طویلہ) کان منزل المعقبہ یقل علی جہانن او شارعین (زاویہ) احدهما تعلو مدخلہ (الطرزہ) فی سکہ سد: حیث فعالیتات العباب المطلولہ: واختم سوانح بانبات



This is to Certify

that
son/daughter of
of the
has obtained the Degree of
Bachelor of Medicine and Bachelor of Surgery

in this University at the Examination held
in September, 1984 and that he/she is authorized
to practise Medicine, Obstetrics and Surgery.
Marks obtained.

تقديم

ثمة رغبة كانت تراودني منذ سنين. على إثر إعجاب قديم بكتاب الأدبية مي زيادة (سوانح فتاة) العنوان بالذات، وهي الكتابة تحت عنوان (سوانح طبيب). فتحقق الجزء الأول (سوانح) على صفحات جريدة الرياض، زاوية شبه يومية (يوم ورا يوم) منذ عقدين من الزمان أو يزيد لسنة تقريباً. كنت أكتب قبلها مقالة أسبوعية. وفي زاوية غرابيل لعقد من الزمان أيضاً. ومرت ظروف تطويرية في جريدة الرياض. اختفت فيها زوايا وكتاب. وماتت الفتاة وبقيت سوانحها. ومنّ الله على الطبيب بعد إصابته بالتصلب اللويحي (إم إس) بأن يعاود الكتابة (سوانح طبيب) كاملة هذه المرة. وقبل الخوض في موضوعات الكتاب أقول: إن لكل من اسمه نصيباً، كما يقال قلّ أو كثر، وأرجو ألا يكون نصيبي من اسمي سلمان الخطأ في نطقه أو كتابته. حيث يدعوني البعض سليمان وليس سلمان، كما سماني أبي. وأذكر زميلاً مصرياً طبيباً قدمني لطبيب خواجه، قائلاً: د. سليمان بكسر السين. فصافحني الخواجه وهو يبتسم بخبث. فأسرعت مصححاً للخواجه: أن اسمي ليس SILYMAN بل SALMAN ، أما الخطأ في كتابة اسمي فحدث ولا حرج. فكم عانيت من زيادة حرف الياء بعد الحرف الثاني من اسمي. في شهادة أو سند يقع فيه الكاتب لاسم شخصي الضعيف. ما يضطرني أحياناً للحلف بأن اسمي سلمان. وأنا أبرز الهوية الوطنية. وقد أذهب للمحكمة ومعني شهود عدول لإثبات أن اسمي سلمان وليس سليمان. وعندما بدأت في الكتابة في الصحف والمجلات منذ سنين

طويلة كانت البداية في كتابة اسمي خالية من إضافة حرف الياء بعد حرف اللام. وتوالت المقالات من غير أي خطأ في الاسم. وقد سعدت كثيرًا بذلك. وظننت أن المشرفين على صف الحروف في الجريدة والمجلة أدق في كتابة اسمي من غيرهم. إلى أن تكرر تذييل مقالتي في المطبوعة نفسها بـ سليمان. فعرفت حينئذ أن مصفف الحروف في الجريدة والمجلة وكاتب الصكوك والشهادات والصادر والوارد (في الهوى سوى). وأعود إلى صلب الموضوع. فأبدأ الحديث عن سوانح الطبيب. وتحديدًا سنة الامتياز أو طبيب الامتياز (انتيرن)، الذي كنته قبل ثلاثة عقود، بل تزيد. أمد بعيد، وكأنه البارحة، حيث يكون فيها هذا الطبيب حديث التخرج قد حان قطاف ما يحمله من علم. طبيب شاب يملك من النشاط والحماس ما يجعله لا يكل أو يتذمر. أليس له راتب شهري مجزٍ، يستلمه آخر كل شهر. وهذا يكفي بحد ذاته، فالسنوات السبع العجاف قد ولت ولله الحمد. سنوات سبع وقد تزيد عند البعض سنة أو أكثر، في التحصيل النظري والعملي في أبواب الطب وفروعه من باطنية وجراحة وغيرهما. وكانت تعلق على طبيب الامتياز كل هموم وشجون القسم، منذ دخول المريض للمستشفى، وفي أثناء إقامته، إلى أن يخرج من المستشفى موفور الصحة أو مأخوذها. وطبيب الامتياز يعد المتحدث أو الناطق الرسمي للقسم. والأطباء عامة يعرفون ذلك. خاصة في أثناء قراءة التقرير اليومي للقسم في الساعة والنصف صباحًا، وهو أيضًا أي طبيب الامتياز (ملطشة القسم)، خاصة إذا ابتلي بطبيب مقيم أو طبيب، ينظرون لطبيب الامتياز بازدراء وفوقية. وأذكر في هذا الخصوص طببية مقيمة، أقدم مني بسنة واحدة فقط، تعمل معي في قسم الجراحة. قادني حظي العاثر للعمل معها. وفي إحدى المناوبات وهي تتكلم

بالحاتف، مجيبة لنداء البيجر (بليب)، قالت وهي تشير إليّ:

I will send you my intern

ولا داعي لترجمة ما قالت. فقط قلت آنذاك محدثاً نفسي، وأنا أتمثل
قول المتنبّي، بعد الحذف والإضافة:

ومن نكد الدنيا على (الانتيرن) أن يرى

طبيبة مقيمة ما من زمانتها بُدُّ

ولم تهدأ غضبتي المضرية إلا بعد تدخل رئيس القسم، لفض ما حصل
بيني وبينها من اشتباك بالعيون. ولولا الحياء لكان بالأيدي. وأترككم مع
بقية السوانح التي حدثت لطبيب أو كتبها طبيب (سوانح طبيب).



الحجيبا وأيام زمان

ثمة حقيقة عن أمهات وجدات أيام زمان. وهي أن صدور الأمهات والجدات كانت تقوم مكان الجيب بالنسبة للرجل. فتضع فيه المرأة مفتاح البيت (الساقط) الخشبي المسنن، والشبيه بالمشط، وبجانب المفتاح تذكرت أشياء ذات علاقة موهلة في القدم، لم يعد لها وجود: كالخوخة والحصّة. ولعل أهم ما تضعه المرأة في صدرها هي أداة التزين القديمة (الديرمة) قبل أو بعد (دقها)، حيث كانت سوانح ماضية. ومبلغ مئة ريال ملفوفة بعناية بمنديل أو قطعة قماش، لتكون (رفاعة) أي نقوطاً لقريبة نفساء (في النفاس)، أو (مرة الجيران) التي ولدت قريباً. بجانب مشبك للضرورة JUST IN CASE ليس هذا فحسب، فقد تُخرج المرأة بعض (القريض) من صدرها، لتعطيه لأطفالها أو أحفادها، أو لبعض الأطفال الذين يفرحون به كثيراً. وأنقل صورة عشتها في سن الخامسة من منزلنا الطيني في المعيقلة قبل أربعة عقود. أو تزيد كثيراً. ففي صحن الدار (بطن الحوي) كانت النسوة يتحلقن (في ليلة زفاف) حول الطقاقة (حجيبا) أو الحجيبا والطقاقة. الحجيبا الأشهر آنذاك. وقد كان غناء الطقاقة وأصوات الطبول وأصوات النساء المدعوات. يُسمع خلالها من يقمن برمي النقود الورقية والمعدنية على الطقاقة، وهن يقلن: (طقي في شوط آل فلان). وبعضهن يحملن أطفالاً رضعاً، مستغرقين في نوم عميق. برغم أصوات الدفوف والطيران والمغنية. في أثناء حفل الزفاف هذا وقف

طفل لم يتجاوز السنوات الخمس من عمره، يرقب هذا الحفل بانبهار واستغراب، بين مجموعة من الأطفال الصغار، يركضون جيئةً وذهاباً، حيث مكان الطفاقة وبقية النساء. ويلعبون فرحين بملابسهم الجديدة، وما يحملونه من حلوى. بما فيهم الطفل ذو السنوات الخمس. وفي ليلة الزفاف هذه يصل غناء الطفاقة إلى الخارج، ويتخلله بين حين وآخر نداء بعض النسوة على بعض الأطفال (فهد. عبادي)، الذين يستجيبون لنداءات أمهاتهم. فيقومون بالجري والدخول. إلا الطفل ذو السنوات الخمس لا أحد ينادي عليه!



الجرح (١)

منذ سنين طويلة وفي ليلة زفاف، كان غناء الطفاقة (حجيبا) الأشهر أيام زمان، يتصاعد إلى أعلى، ويصل إلى الدور العلوي للمنزل الطيني (الكلاسيكي) أيام زمان. الذي يتكون من (مصاييح)، وبعض الغرف (إحداها مهجورة)، يقوم الطفل ذو السنوات الخمس، (حيث توقفنا في السوانح الماضية)، وبصحبة طفل آخر بالدخول إلى تلك الغرفة المهجورة والمظلمة، وأخذ بعض العملات المعدنية، التي لم يعد يُداول بها (ما تعبر)، والوقوف بمحاذاة الشُرْفة (الحجا)، أو الجدار المطل على صحن الدار (بطن الحوي)، والطفاقة في وسطه. ومحاولة (التشعبط) على الجدار، وهو ممسك بالنقود المعدنية بإحدى يديه. وعندما لم يستطع الوصول إلى أعلى الجدار استعان بالصعود على قارورة (فازلين) كبيرة وفارغة، وجدها في السطح وفي مكان غير بعيد منه. وبدافع تقليد النساء المحيطات بالطفاقة والشقاوة الطفولية. نجح في رمي بعض النقود المعدنية على الطفاقة في المحاولة الأولى. إلا أن القارورة انكسرت في المحاولة الثانية، وأصاب إحدى قدميه ببعض الجروح. فأخذ يبكي ويصرخ بقوة منادياً على أمه (يمه). أبي أمي. فيصل صوته إلى مكان الطفاقة، ومن حولها من نساء. فتقوم خالة الطفل الجريح بعد سماع بكائه ومناداته على أمه بترك الحفل، والصعود بسرعة إلى السطح، حيث مصدر الصوت والاقتراب من الطفل الجريح، وحمله بين يديها،OLF مكان الجرح بقطعة قماش، وإنزاله

إلى حيث توجد الطقاقة والمدعوات وغيرهن من نساء البيت. وإعطاه بعض النقود والحلوى لتسكيته ومداراته. إلى أن غلبه النوم فنام. وفي أثناء ذلك تتلاقى أعين بعض المدعوات في حيرة واستغراب. أين والدة هذا الطفل الجريح. يحدث هرج ومرج بين النساء المدعوات والداعيات. يستيقظ الطفل الجريح في أثناء ذلك. ليعاود البكاء، والسؤال عن أمه مرة أخرى. فتجد الخالة حرجًا وصعوبة في إفهام الطفل الجريح. فلم يفهم الطفل الجريح كلام خالته بأن أمه ستأتي إليه لتأخذه بعد قليل. ومع ذلك (أو بالأحرى بسبب ذلك) يواصل الطفل الجريح التساؤل، وهو يجهد بالبكاء. (يمه). أبي أمي. غير مدرك بأن الحفل المقام ليس إلا زواجها.



الجرح (٢)

انتهت بنا السوانح السابقة عندما عرف الطفل ذو السنوات الخمس في ليلة زواج كان يجري ويلعب فيها مسرورًا قبل إصابته بجرح في قدمه. عندما عرف أن الحفل المقام كان زواج أمه. والآن أنقل لكم أحداث الليلة الثانية، أو ما يسمى آنذاك (التحوال)، حيث تتحول المرأة لمنزل الزوجية الجديد. وفي نهار (التحوال) كان يقام في المنزل نفسه آنذاك (الضيافة)، حيث يولم للرجال ظهرًا. ويُرى رجال (بما فيهم العريس) في أعمار مختلفة. يأتون من كل حذب وصوب لحضور الضيافة. والضيافة وكل مأدبة أيام زمان كانت تتم على النحو التالي، وعلى دفعات (قلطات): الأولى للضيوف من الرجال فقط، وبعد أن ينتهوا من الأكل، يأتي دور رجال أهل البيت (المستضيفون) يليهم الأطفال. وفي الأخير تأتي النساء (في القلطة الرابعة)، وأذكر في هذا الخصوص أن أحد الرجال تأخر الضيوف لديه في الأكل. فقال لهم مداعبًا: (بسرعة انجزوا، ترى وراكم ندوتين وحريم). وكما تلاحظون يأتي دور النساء أو الحريم في الأكل، ليأكلن ما تبقى من (مطاريس) بعد أن ينتهي الرجال والأطفال من أكل كل شيء. والمتأمل هذه الأيام للموائد النسائية، يرى البون الشاسع في المآدب والحفلات (بين الماضي والحاضر)، وما وصلت إليه المرأة من احترام (تستحقه) من الرجل، ووعي وتقدير من المرأة للمرأة نفسها. فله الحمد والمنة. وأعود لصلب الموضوع. ففي المنزل نفسه (الضيافة النهارية) تجمعت النساء،

وبينهن العروس المحتفى بها، وهي تحمل ابنها الجريح. يتجهزن لليلة (التحوال)، ويرى الطفل الجريح وأمه تحتضنه، وهو يشير إلى قدمه المجروحة والملفوفة منذ ليلة أمس. موجهاً كلامه لأمه، ومستدراً عطفها قائلاً: (وينك يا يمه) (وين رحتي. ووين أبوي ليش ماجا في العرس؟). تقوم أمه بضمه وتقبله، وتقول له (شف وش جيت لك)، وتعطيه لعبة، يأخذها فرحاً، ويذهب للعب بتلك اللعبة بعيداً وهو يعرج. يخيم الظلام والليل، وتزداد الحركة داخل المنزل. وبعد صلاة العشاء يكتمل عدد المدعوات إلى المنزل نفسه، الذي أقيم فيه الزواج ليلة البارحة. وبعد ذلك تخرج العروس وتختلط بالمدعوات وهي بكامل زينتها. ونساء أخريات (بما فيهن خالة الطفل الجريح)، يطلبن منها الإسراع بالخروج، وابنها (الطفل الجريح) يحاول الإمساك بها. تُسمع أصوات الدفوف (الزفة)، وأحاديث جانبية نسائية. تخرج في أنثائها الزوجة لمنزل زوجها الجديد. ويبقى الطفل الجريح في منزل (جده لأمه) يلعب تارة لوحده باللعبة التي أعطته إياها أمه. أو يجري مع بقية الأطفال تارة أخرى. وهو يشير لقدمه المجروحة في ليلة زفاف البارحة، ليرىها لكل من يراه.



الجرح (٣)

توقفنا في السوانح الماضية عندما ذهبت أم الطفل الجريح لمنزل الزوجية الجديد (في ليلة التحوال)، وتركت ابنها في منزل والدها (جده)، حيث بقي الطفل ذو السنوات الخمس وحيداً دون أم أو أب. فأبوه قام هو الآخر بالزواج بأخرى. فينطبق عليه (على الطفل ذي السنوات الخمس) قول أمير الشعراء أحمد شوقي في وصف اليتيم الحقيقي. عندما قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه
من ذل الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً

وبعد عودة الأب (مع عروسه الجديدة) إلى منزله في (الغراوية)، قام بإرسال أخيه الأصغر إلى منزل جد الطفل الجريح لأمه (في المعقلية) لإحضاره بعد زواج أمه. وبعد بضعة أيام اجتمعت الجدتان لمناقشة وضع الطفل الجديد. كان الاجتماع أسئلة وتوصيات من جدة الطفل لأمه عن وضع الطفل الجديد وحاله. وأجوبة (مطمئنة) من جدته لأبيه؟! يومان في الشهر كان الطفل الجريح يشعر فيهما بالسعادة والسرور، وهما يوما خميس من كل شهر. حيث يذهب إلى أمه وينام عندها. ليعود عصر يوم الجمعة التالي وقبل الغروب. حتى ولو كانت هناك إجازة من المدرسة لا

يُسمح له بالذهاب إلى أمه إلا مرة واحدة كل أسبوعين؛ لذلك لازمه ضيق واكتئاب عصر كل جمعة منذ الطفولة امتد معه إلى أن كبر وكره الغروب وما بعد الغروب لسنين طويلة، وتستمر هذه الحال إلى أن انتقل الطفل الجريح إلى المرحلة المتوسطة في دراسته. حيث يقوم بزيارة أمه من آن لآخر خلصة، (غير يومي الخميس)، ومخترقاً الحظر بزيارة أمه.



الجُرح (٤) الأخيرة

ثمة حقيقة لا يعرفها إلا من امتهن حرفة الكتابة وحب القراءة قبل الكتابة وفي أنشائها. وهي أن الحديث والكتابة عن النفس والذات من أصعب الأمور. ففي هذه الحالة يبث الكاتب ويبوح بأحاسيس ولواعج خفية، قد يُقَحِّم القارئ بها، حيث لا تعنيه البتة. فلا تؤثر فيه. أو أن القارئ ببساطة لا يتفاعل مع ما يذكره الكاتب. وقد يُرجع ذلك إلى نرجسية الكاتب أو جلدًا للذات مقيت. أو كما علق قارئ عزيز على سوانح ماضية بأنها: (جابت له الهم)، لذا يلجأ الكاتب لاستعمال الرمز أو الترميز، وضمير الغائب والمبني للمجهول. للتغلب على إشكالية الكتابة الذاتية تلك. ويعلم الله أنني عندما أكتب في كل سانحة من السوانح وقبلها في غرايل منذ عقدين من الزمان أو يزيد. وغيرهما. كنت أريد ولا أزال رسم ابتسامة على شفتي من يقرأ لي أو تذكر وتأمل بعفوية وبوح ماضٍ مضى، يحمل عبق المكان والزمان (اللي راح) وشجونه وتدايعياته. أخطأها بإيحاء من عفو خاطر، بيراع أثقله المداد. ما علينا. وأبدأ الحلقة الأخيرة من الجُرح بـ (فلاش باك)، كما يقال لربط ما مضى بما سيُروى أو سيأتي. حيث توقفنا في السوانح الماضية عندما ذهب أم الطفل الجريح لمنزل الزوجية الجديد، وتركت ابنها وحيداً. لينتقل في اليوم التالي لمنزل أبيه بعد أن أتى عمه الكبير لأخذه في عصر يوم لن ينساه الطفل الجريح أبداً. لتمر عليه السنون ثقلاً بعيداً عن أمه. حيث لا يتمكن من زيارة أمه ورؤيتها إلا مرة واحدة كل أسبوعين. وذات عصر يوم آخر، غير يوم خميس استدعت الطفل الجريح

جدته لأبيه، وطلبت منه أن يذهب لبيت جده لأمه، ويبقى عندهم أسبوعاً كاملاً. وعندما سألها باستغراب وابتهاج عن السبب. قالت له عندما تصل هناك ستعرف السبب. وعلى غير العادة استقبلته أمه في منزل جده. فهو في معظم الحالات يصل لبيت جده قبل أن تصل أمه بصحبة زوجها، أو أنهما قد أتيا للتو من منزلهما. استقبلته أمه واحتضنته، وهي تبكي بحرقة. وعندما سألها الطفل الجريح عن السبب؟ قالت: إن جده انتقل إلى رحمة الله. كانت ردة الفعل لديه غريبة. فلم يستوعب أو يعرف ماذا تعني أمه بقولها: انتقل أبي إلى رحمة الله (أبوي مات) أو ما هو الموت؟! كان شعوره آنذاك تساؤلاً واستغراباً، انتهى بابتهاج وفرح. فمنذ وعي الحياة. منذ زواج أمه. سيمكث بالقرب من أمه أسبوعاً كاملاً. وكبر الطفل، وأصبح أباً. وبالأحرى أصبحت أنا جدّاً لأطفال. إلا أن الجرح لم ولن يندمل أبداً. وتحية لكل من قرأ الجرح وتفاعل معه. وبالأخص من عرف منذ الحلقة الأولى من الجرح: أن الطفل ذا السنوات الخمس المعني في الحكاية. هو من روى الحكاية.



ويعجبني الفأل

ثمة اختلاف شاسع في العمليات الجراحية التي تُجرى الآن عندما تُقارن بالماضي (العمليات الجراحية)، ففيما مضى كانت الطرق والوسائل الجراحية من الأسباب الرئيسة لانتقال العدوى. وهناك نقلة نوعية تعلمناها من أساتذتنا قبل ثلاثة عقود من الزمان أو تزيد. عن كيفية تحول العمليات الجراحية من (أنتي سيبتك بروسيجر) إلى (إيسيبتك بروسيجر)، وتعني ببساطة أن العمليات كان يسمح في أثنائها بوجود بعض التلوث كأدوات الجراحة مثلاً، تكافح بمواد مطهرة ومضادات حيوية ونحوه. تغيرت إلى (إيسبتك)، أي استعمال أدوات معقمة ١٠٠٪، فلا حاجة لمواد لقتل الجراثيم من بكتيريا وغيرها. وفي أثناء إجراء العملية. وهناك أطباء غير مسلمين قد يتطهرون. وأذكر بالمناسبة. كيف كان طبيب غربي عندما نمر على المرضى (المرور الصباحي) في المستشفى المركزي. وكان بين المرضى مريض مصاب بالتهاب في رئتيه. ويشته بإصابته بمرض متلازمة عدوى الشرق الأوسط التنفسية (كورونا)، كان لا يقترب من المريض خوفاً من انتقال العدوى إليه. والعنوان أعلاه (ويعجبني الفأل) جزء من حديث نبوي شريف. رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة»^(١). متفق عليه. ومن الكلمة الطيبة (الفأل) ينطلق الطبيب المسلم،

(١) أخرجه البخاري (١٣٩/٧) رقم ٥٧٧٦، ومسلم (١٧٤٦/٤) رقم ٢٢٢٤ واللفظ له.

وهو يعالج مرضاه متوخياً الحرص على سلامة المريض، وسلامته هو بأخذ كل الأسباب والحيطة لذلك. وعلى النقيض من أخذ الحيطة. وليس التطير والتشاؤم فقط. تجد أطباء وهم قلة ولله الحمد لا يتوخون الحيطة اللازمة لمنع انتقال العدوى إليهم أو لغيرهم من الأصحاء من مريض يعالجونه. مع أن مستشفياتنا الرائدة تحرص كل الحرص على منع انتقال العدوى. في العيادات وأقسام التنويم وغرف العمليات الجراحية. في المستشفيات الحكومية والخاصة. فتجد الجهد والحث لا يتوقفان للأطباء، ومن يعمل في تلك المستشفيات عليه الأخذ بكل الأسباب التي تمنع انتقال العدوى. ومنها الاستعانة بوسائل حديثة برسومات في مطويات وملصقات. على وجوب الإكثار من غسل اليدين مثلاً. بعد فحص كل مريض. وأذكر رسمة عن سلسلة البكتيريا أو الجراثيم. كانت معلقة في غرف وممرات مستشفى قوى الأمن. وقد كتب في وسطها بالإنجليزي:

Break The Infection By Frequent Hand Washing

أي امنع انتقال العدوى بتكرار غسل اليدين. وأذكر قبل أكثر من ثلاثين سنة وفي مستشفى الشميسي كان مجموعة من الأطباء وأنا منهم، كنا نمر على المرضى، ومن ضمنهم مريضة بالإيدز. وكان من ضمننا طبيب آسيوي لا يدخل معنا على المريض. ليس بسبب خوفه من انتقال العدوى. ولكن بسبب طبيعة ذلك الطبيب المتشائمة والمتطيرة. وفي الختام أقول: إن الطبيب المسلم قادر بإذن الله على الجمع بين الحيطة والأخذ بالأسباب وعدم التطير. بالاتكال على الله فهو حسبه.



طَبْلَةُ مَثْقُوبَةٍ وَرِكَابٌ مَتَاكُلٌ

ثمة أعواد رفيعة وقصيرة في نهايتها قطنة صغيرة. يعرفها الناس ويستعملونها لتنشيف آذانهم بعد الاستحمام، وتنظيفها، ويكرهها أطباء الأذن. ويعدونها اختراعاً سيئاً. لما قد تسببه في أثناء الاستعمال من خرق لطبلة الأذن، ونقل بكتيريا وفطريات للأذن الوسطى. وتباع تلك الأعواد في الصيدليات والسوبرماركات. تحت اسم (كوتون بَدَز)، وذكرى للكلمة الأجنبية المقوسة له سبب. فعندما قلت للصيدلي: أعطني أعواداً قطنية. رد عليّ: تقصد حضرتك (كوتون بَدَز). فقلت له: (آه. أما لإيه). ما علينا. ومن يستعمل تلك الأعواد القطنية قد يبالغ في إدخالها للأذن، ولا يكفي كما يجب بتنظيف الأذن الخارجية وصوان الأذن فقط. والكثير من الناس لا يعرفون أهمية وفائدة شمع الأذن. فيبالغون في تنظيف الأذنين من الشمع بعد الاستحمام وبدونه. وتحضرني مقولة لدكتور وأستاذ في أمراض الأذن. عندما قال:

wax is a sign of healthy ear

أي أن وجود الشمع في الأذن دليل على صحة الأذن وعافيتها. ويجب عدم المبالغة في تنظيف الأذن. فوجود أذن يملؤها الشمع وطبلة سليمة أفضل من أذن نظيفة وطبالتها مثقوبة. والملاحظ: أن هناك ظاهرة في مجتمعنا لو قام أحد بدراستها لنال عليها الماستر أو البي إتش دي. لا بد أن الكثير من الناس قد لاحظوها مثلي. إن لم يكن البعض يقومون بها.

وهي ظاهرة (حك الأذن) من قبل الجنسين. فالرجال وسيلتهم المفضلة
مفتاح السيارة. أما النساء فتوكات الشعر. وإصدار صوت غريب باستمتاع
(مماطق أو يماطق) في أثناء الحك. وأذكر أحدهم راجعني في العيادة
يشتكى من حكة مزمنة في أذنيه، لا تهدأ إلا بحكها بمفتاح السيارة.
وهي عادة قديمة لديه منذ كان يمتلك ونيت دتسون غمارتين موديل ٧٨.
ويستعمل مفتاحها لتهدة حكة أذنيه. خاصة في أذنه اليمنى، التي عندما
كشفت عليها بمنظار الأذن. وجدت بقايا غشاء طبلة مثقوبة وممزعة
(داير ما دار) الأذن الوسطى. وسندان ورنكاب قد تآكلا. ومطرقة تسبح
في فطريات (مايكوسز) تنابط. وتريد الدخول للأذن الداخلية ومتاهاتها
الملاصقة للمخ. فقلت له: الله يهديك فحكك المزمّن لأذنك بمفتاح السيارة،
أفقدك حاسة السمع في تلك الأذن. فرد عليّ قائلاً: وش تقول يا دكتور؟
فكررت كلامي وأنا أنتقل إلى جهة الأذن التي لا يزال فيها بقية من حاسة
السمع. فمفتاح الدتسون لعب وعبث بها بشكل أقل. وبالإمكان تداركها
وعلاجها وتلافي ثقب الطبلة وتآكل الرّكاب.



أفواه وضبان

الضب جزء من ثقافتنا عبر التاريخ. إلا أن هذا الحيوان الزاحف مظلوم عندما يكون الحديث والجهد والاهتمام بالحياة الفطرية وإنمائها. فلا تحديد لوقت صيده أو وقت منع الصيد، كما في غيره من الحيوانات البرية. وعندما تم التخلص من الدجاج والطيور في سوق الحمام بالرياض كان الدافع والسبب وقائيًا بالدرجة الأولى. من خطر إنفلونزا الطيور. وتم إعدام كل ضب موجود في سوق الحمام العتيد. ولا عزاء (للضبان)، وهو إجراء بالنسبة للضب ذكرني بالمقولة الشهيرة: (الخير يخص والشر يعم). فكان الخير بالنسبة للضب جلبه من البراري الموحشة، وإسكانه في سوق في المدينة مع حيوانات أليفة وطيور جميلة، يأكل ويشرب معها. بعد أن كان في البر لا يأكل و(يشرب هوا)، وتخنقه عوادم (شكمانات) السيارات في أثناء صيده لذبحه والتلذذ بأكل عكرته. وعن نفسي أقول: إنني في طفولتي أكلت لحم ضب في إحدى المرات. ولا أذكر هل كان ما أكلته من العكرة أم جزء آخر من الضب. وقد كان لذيذًا على أي حال. شأنه شأن ما كنا نأكله ونتلذذ به من جراد وقفر أيام زمان. أما الآن فلا أعتقد أنني سأكل (عكرة) ضب مهما ذكر لي من لذتها وفوائدها الأخرى، التي قد لا يعرفها الرجال أمثالي. شأنه كشأن حليب الخلفات الذي يُعجبني رؤيته، وهو يُحلب من ضرع الناقة. لكنني لم ولن أشربه ما دام لا يخضع (للبيسترة) فقد ارتبط في الوعي واللاوعي لدي بالحمى المالطية. ولحم

الضب غني بالكليستروال والدهون. فلا أنصح بأكل الضب أو عكرته. وثمة نقطة مهمة فيما يخص صيد الضب وأكله، وهي اختلافه عن الأرنب الذي يجتمع معه في كونه متوفرًا في البر ومطلبًا للصيادين. والأرنب (مع أنه من أجمل الحيوانات عندما يولد)، إلا أنني لا أحب أكله. مع أنه منتشر أكله في عالمنا العربي. ولعل أشهرها ما يأكل الأخوة المصريون (ملوخية بالأرانب)، وبعد أن انقشعت غمة خطر إنفلونزا الطيور. كم أتمنى أن أقوم بزيارة لسوق الحمام، لأرى هل استعاد السوق نشاطه. وأحضرت (ضبان) من البر بديلاً عما أعدم أم لا. وفي الختام أقول: إن العنوان أعلاه (أفواه وضبان) جاء عفو الخاطر. مقتبس من اسم فيلم قديم وجميل. لعلمكم شاهدتموه اسمه (أفواه وأرانب) بطولة فاتن حمامة ومحمود ياسين. على ما أذكر.



do not smile to a dentist

العنوان أعلاه مقولة أو حكمة إنجليزية. وترجمتها الحرفية تقول: لا تبتسم لطبيب أسنان. فالابتسامة قد تُبدي لطبيب الأسنان أمورًا كانت خفية عن أسنانك، لا تريد أن يعرف عنها أحد. وبالأخص إن كان طبيب أسنان هو من ينظر إليك وأنت تبتسم. ابتسامة قد تكلف جيبك الكثير، لجعلها (أي ابتسامتك) ابتسامة جميلة. والحديث عن زملائنا أطباء الأسنان ومهنتهم ليس بجديد على سوانح، ومن قبلها غراييل. ولكنه حب قديم لزملاء المهنة. قد يكون من أسبابه مجاورة سابقة بين عيادات الأسنان وعيادات الأنف والأذن والحنجرة. حيث كنت أعمل قبل ربع قرن من الزمان أو يزيد في مستشفى قوى الأمن. فلا بد آنذاك من رؤية الزملاء الأعزاء قدمًا للعمل في الصباح الباكر أو انصرافًا منه عند المساء أو بينهما في أثناء (الكوفي بريك) عند العاشرة صباحًا. ويكون في أثناء ذلك توزيع وتبادل للابتسامات (بالكوم)، وهناك سبب آخر دعاني لمعاودة الحديث عن الأسنان وطب الأسنان، هو زيارة لطبيب الأسنان قبل يومين لإصلاح ما أفسد من أسناني. مع أنني أخاف مراجعة طبيب الأسنان، وأحاول قدر الإمكان عدم الجلوس على كرسيه لفحص أو علاج. لا أزال أسمع (أزيز) الدرايلات وأدوات الحفر. وصداها يتردد في رأسي وفكاي اللذين لم يفيقا تمامًا إلى الآن من أثر إبرة البنج الرفيعة والقوية المفعول. ما علينا. فلا بأس من ذكر قصة من أيام زمان عمن ذهب لطبيب الأسنان (خلع الضروس)

بآلة تُشبه (الزردية). حيث قال الراوي: إن أحدهم اشتكى من ألم في سنه. فذهب بصحبة صديق له لطبيب الأسنان الشعبي في المقبرة. الذي لا يعرف لعلاج مشكلات الأسنان إلا الخلع فقط. وهو بالمناسبة يقوم بمهن أخرى لا تقل أهمية وصعوبة عن علاج الأسنان. وهي الحجامة وتطهير الأطفال. ومن نافلة القول: إن من يقوم بتلك المهن الثلاث يمتهن الحلاقة أيضًا. ولا أنسى أبو عصام في باب الحارة، وهو يقوم بالحلاقة في دكانه. ويذهب لمن رُزق بمولود ذكر لتطهيره. وهو يقول: (يا الله يا الله) مخبرًا نساء البيت الشامي الجميل بقدومه، لتطهير المولود تحت زغاريد النساء. وموائد يبدؤونها صباحًا بـ (كسر السفرة)، وأعود مكملًا قصة من أيام زمان عمن ألمه سنه، فذهب برفقة صديق له إلى طبيب الأسنان الشعبي (خلع الضروس) متألمًا وبعد أن (تيته) جيدًا بمساعدة صديقه. قام بفتح فمه، وتعرف على السن المعطوب، فأطبق عليه بآلة الخلع. وبدأ يجره إليه بقوة. والمريض يصيح ويصرخ من الألم. وصاحبه الذي أحضره يقول: لا يهملك تراه هوال (شف شغلك يا دكتور)، وعندما تأخر خروج السن المخلوع على الرغم من الجر القوي والمتواصل تحت صراخ المريض. أوقف الدكتور السحب، وفتح فم المريض بحثًا عن السن أين استقرت؟ ولماذا يصرخ المريض أكثر مما كان يفعل غيره من مرضى سابقين؟ تبين أنه كان ممسكًا بلسان المريض من (لغاليغه) وليس السن. وقد تغير لون اللسان للأزرق، وكاد أن ينقطع. وهو يظن أنه يصرخ ويرفع يديه لأنه (هوال)، كما قال مرافقه. وفي الأخير أقول: لا تبتسم لطبيب أسنان، حتى لو قال لك أو سمعت (بوجود طبيب الأسنان) نكتة تفطس من الضحك!.



إسبرين ونوفلجين

فيما مضى كان الطبيب الذي يصف في علاجه الحقن العضلية أو الوريدية هو الطبيب الجيد. أيا كانت جنسية ذلك الطبيب وشهاداته. كذلك وصف الأشعة للمريض تعطي إحياء بتخفيف الألم لبعض من ستعمل لهم أو لهن الأشعة. وبالأخص كبيرات السن. حيث قالت إحداهن عندما طُلب منها عمل أشعة للصدر. قالت: أول ما كشح على وجهي وصدري نور الأشعة. حسيت أنني أشوا. وعندما طلعت نتيجة الأشعة وأخذ الدكتور ينظر إليها ويقبلها أحسست بالمعافاة التامة. وبلادنا حفظها الله مقصد لكثير من الأطباء الأجانب للعمل وأخذ الجنسية أيضًا. وأذكر أنني استضفت بعضًا منهم عندما كنت نائبًا لرئيس تحرير مجلة تصدرها الهيئة السعودية للتخصصات الصحية (الملتقى الصحي) في العام ٢٠٠٠. كالدكتور تشانق الصيني الأصل، والدكتور عبد المنان محمد خان، وطبيبة الأطفال الدكتورة حُسن يارا في الصفاة. وأذكر قولاً طريفاً للدكتور عبد المنان خان. وكان طبيباً باطنياً وعيادته في شرق الرياض. وأخذ الجنسية السعودية. فقال لي في أثناء اللقاء: إنه قد يكون الوحيد في العالم الذي حصل على خمس جنسيات مختلفة تباعا. ففي أثناء استعمار بريطانيا للقارة الهندية كانت جنسيته بريطانية. وعندما استقلت القارة الهندية أصبح هندي الجنسية. وعندما تأسست باكستان وانفصلت عن الهند أصبح باكستانيًا. وعند انفصال باكستان الغربية عن الشرقية وتكوين بنجلاديش. في بداية

السبعينيات من القرن الماضي أصبح بنجلاديشيًا. ليأتي إلى المملكة للعمل. فيحصل على الجنسية السعودية وهي الخامسة. فهل تعرفون أحدًا مر بذلك. وأقترح على ابنه السعودي الدكتور محمد عبد المنان خان. وهو بالمناسبة استشاري في الجراحة التجميلية. أقترح عليه أن يجعل اسم أبيه رحمه الله في موسوعة جينيس للأرقام القياسية. ما علينا. وأنقل لذكر ما يقال عن الأطباء من دعايات. بسبب اللغة. فالكثير من الناس يعرف قصة من ذهب لطبيب آسيوي لا يعرف اللغة العربية بقصد التريفة. وقد تكون مختلقة حيث قال للطبيب: بشتي يوجعني. فناوله الطبيب بدون فحص. وصفة طبية مكتوب فيها: حبة صباح وحبه مساء. وعودًا على بدء: الطبيب الجيد هو من يصف الحقن أو الإبر لمرضاه. لأختم بقصة حقيقية لأختين ذهبتا للطبيب، فوصف للصغيرة إبرة في العضل. وللكبيرة حبوبًا وشرابًا. وفي طريق العودة قالت الكبيرة بغضب. هالحين أنت يا الصغيرة يعطيك إبرة في العضل، وأنا يا الكبيرة يعطيني حبوبًا وشرابًا. فردت الصغيرة قائلة: لا تزعلين يا خيتي خذي الإبرة، واعطيني أنا الحبوب والشراب. ويقول الراوي: إن الأختين شفيتا رغم تبديل الدواء!



صبا نجد

ثمة نسائم مسائية وليلية تهب علينا في شهر سبتمبر الحالي. بعد أن عشنا أشد وأحر رمضان منذ ثلاثة عقود أو تزيد. حيث تزامن رمضان هذه السنة مع جولاي وأغسطس أو آب اللهاب. والجو اللطيف والنسمات العليلة لا بد أنها التي عناها الشاعر بقوله:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

أئن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنن غص النبات من الرند

بكيْتُ كما يبكي الوليد صباةً
وأبديتُ من شكواي ما لم أكن أبدي

وأصبحتُ قد قضيت كل لبانة
تهامية واشتاق قلبي إلى نجد
إلى أن يقول الشاعر عن وصال الحبيبة وفراقها:

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذئ ود

وهناك أغنية جميلة (صوت) غناها المطرب الراحل عوض الدوخي.
عن صبا نجد، أذكرها عندما أتمتع بصبا نجد في الرياض في كل عام
أو بعيداً عن نجد وصباها. وصبا نجد أيام زمان كان يرتبط بنومنا في
السطوح. فعندما يأتي المساء، كما تقول أغنية عبدالوهاب. تقوم النساء
برش السطوح ببعض الماء، لتبخّر الحرارة من السطح. يليها مباشرة رش
المراقد لتبرد قبل النوم ببضع ساعات. وبعد العشاء نتجمع نحن الأطفال
لنستمع بسباحين كبيرة السن. خالة أو عمّة. وعندما كبرنا اكتشفنا
الراديو الترانزستر. ليكون رفيقنا في نومة السطح. فنتنقل بين قنوات
الإذاعة بحثاً عن لحن شجي أو أغنية يسرقنا النوم في أثناء سماعها. ومن
البرامج الإذاعية كان يستوقفني برنامج أخبار جبهة من إذاعة الكويت.
ووجود راديو الترانزستر الصغير كان يوازي (سباحين أم سليمان) إن لم
يتفوق عليها. فهو رفيقنا في نومة السطوح. ندسه معنا في الفراش. ونضعه
على الصدر وتحت اللحاف. ولأن عتمة الليل مطبقة قبل النوم. حدث لي
أمر مزعج في إحدى المرات وهو أن أمبير الراديو انقطع في أثناء تحريكه ما
يعني الحرمان من التنقل بين محطات الإذاعة وأثير الترانزستر الصغير.



بلهارسيا

الفنان المشهور عبدالحليم حافظ معروف أيضاً أنه كان يعاني من مرض البلهارسيا، ومات بسببه. بعد أن وصلت البلهارسيا إلى كبده مسببة تليفاً، لا ينفع معه إلا زراعة كبد جديدة. وفي جريدة الرياض ليوم الإثنين ١٦ شوال ١٤٣٠ طالعنا بخبر أعده جيداً بل إنجازاً لمكافحة مرض البلهارسيا. حيث دعت وزارة الداخلية كافة الوافدين العاملين في مجال الرعي والزراعة إلى إرفاق شهادة فحص البلهارسيا، ضمن الوثائق المطلوبة عند إصدار أو تجديد الإقامة. ومرض البلهارسيا ينتقل إلى من يستحم أو (يتسبح) بالعامية في مياه المستنقعات والترع والأنهار. أو من يغسل الملابس في الترع والأنهار. أو من يشرب المياه الملوثة (بالسركاريا)، حيث تخترق السركاريا أغشية الفم إلى مجرى الدم. ولكن إذا ابتلعت السركاريا فإنها تموت بفعل العصارة الهضمية. وليعذرني القارئ الكريم لذكرى مفردة السركاريا، التي قد لا يعرفها. وأقول: إن السركاريا هي ببساطة ما ينتج عندما يتغوط إنسان (طمل) ومصاب بالمرض في الترع أو (الغيط)، كما يقول صعايدة مصر الحبيبة. وهو مرض منتشر في مصر بشكل كبير. خاصة بين الفلاحين ومن يستحمون في الترع والأنهار.. وتاريخياً تم اكتشاف دودة البلهارسيا بواسطة العالم (بلهارس)، ومن هنا أتى الاسم (بلهارسيا) في مصر لأول مرة عام ١٨٥١ ميلادية. وهذه الديدان منتشرة في غرب وشمال وشرق أفريقيا. كما توجد في أمريكا

اللاتينية. وما أريد التركيز عليه في سوانح، هي البلهارسيا البولية (شيسيتوسوما هيماتويوم)، وعرضها التشخيصي الرئيس وجود دم في البول. وهي منتشرة بشكل كبير في مصر. لدرجة أن أحد المرضى عندما سأله الطبيب: هل لديك دم في البول؟ قال المريض للطبيب: طبعاً ظناً منه أن جميع الناس لديهم دم يخرج مع البول لكثرة المصابين بالبلهارسيا هناك. وأختم سوانح بالتذكّر بما ذكرته جريدة الرياض من أن اشتراط فحص البلهارسيا على العاملين في مجالي الرعي والزراعة هو إجراء يأتي ضمن المشروع الوطني للقضاء على مرض البلهارسيا في المملكة. فلهم مني التحية والشكر على هذا الإجراء الوقائي الواعي. فهكذا تكون القرارات.



دكتور الحقني

العنوان أعلاه اسم لأغنية قديمة سمعتها وسمعتها غيري منذ زمن طويل، مع أغنية ساذجة أخرى (صيدلي يا صيدلي)، والأغنيان فيهما الشيء الكثير من الدعابة والتندر والتفكه على المحبين وعلى الطب والأطباء، إلا أن دكتور الحقني. أصبحت ظاهرة لأطباء المستشفيات الحكومية العاملين في القطاع الخاص (بارت تايم)، وبتأمل هذا الوضع نجد أن حال مرضى المستشفى الحكومي الذي من المفترض أن يعالجهم فيه طبيب سعودي أخذه في البداية (البارت تايم)، ليصبح غيابه عن المستشفى الحكومي (قُل تايم) ما يعني تسمية الوضع (دكتور انحاش عني). ودكتور انحاش عني قد يكون مطلع أغنية جديدة للتعبير عن واقع حال (الميداكل كير) بين جمود وغفلة المستشفيات الحكومية، ومرونة وسخاء القطاع الخاص (البرايفت سكر)، الذي لم تستطع (ذمة) وأخلاقيات مهنة الطبيب الصمود في وجهه، لدرجة أنك تجد بعض الأطباء المتميزين في تخصصهم، منهم من يعمل في أربعة مراكز صحية خاصة أو أكثر، (إضافة لعمله الحكومي من السابعة والنصف صباحاً إلى الخامسة مساءً)، ولا أقول العهدة على الراوي، بل أقول: حدثني من أثق به، أن منشأة طبية خاصة يعمل فيها أطباء استشاريون سعوديون بشكل جزئي (بارت تايم)، يتجاوز عددهم العشرة، ويعملون (رسمياً) في مستشفى حكومي واحد، وواحد من هؤلاء الأطباء العشرة مدير على البقية في المستشفى

الحكومي، وفي العيادات الخاصة هم زملاء، وبذلك يكونون (ماسكين عليه زلة أو ماسكينه من اليد اللي توجعه)، فلا يستطيع أن يطالبهم بالإخلاص في العمل الحكومي ونحوه، وبعض الأطباء المتميزين ذوي التخصصات الدقيقة والشهادات العليا يضاف (في المستشفى الحكومي) لعملهم الطبي عمل إداري بحث من باب التكريم والتنفيع مادياً، كمدير الأطباء العشرة الأنف الذكر، فأين يجد ذلك الطبيب الأريب الوقت لعمل كل ذلك، فإن كانت الذمة (ترقل) نتج عن ذلك الوضع الذي نعيشه الآن، وبصراحة أكثر (بالمشرمحي) وضع هؤلاء الأطباء وعاشرهم مديرهم يمكن أن تقال فيه أمثلة وحكم كثيرة، منها: أنت الخصم والحكم، (شد لي واقطع لك)، الفلوس تغير النفوس، والكثير الكثير في قاموسنا اللغوي، أو أي تعبير آخر يمكن استخدامه (هكذا وضع) من تضييع للأمانة وأخلاقيات المهنة، والحنث بقسم بوقراط الذي يقسمه كل طبيب عند تخرجه، وميديكل إيثكس و(مالبراكسس)، وقل ما شئت أيها المريض الضائع بين مطرقة المستشفى الحكومي وسندان المستشفى الخاص، الذي يعمل فيه طبيبك المفضل، والذي جذبته (فلوس) البارت تايم.



الطبيب والمفرض

وصلني (إيميل) من طبيب سعودي ذكر فيه هموم وشجون عمل الطبيب السعودي، تحت نظام أو كادر الأطباء الحالي، الذي يحتاج إلى التطوير، لمواكبة ما طرأ على مهنة (الطبابة) من تطور، وختم الإيميل بقوله: نحن بحاجة إلى المرونة في عمل الطبيب بعد الدوام الرسمي. وضرب أمثلة لدول متطورة، وكيف أن الأطباء النابهين والمتميزين قد يتعدى عدد المستشفيات التي يعمل فيها ذلك الطبيب عشرة مستشفيات وعيادات أو تزيد، وأقول عبر سوانح وباصمًا بالعشرة أن كل كلامك صحيح، والعملية هي علاقة إنسانية يحكمها الضمير، وأخلاقيات المهنة (ميداكل إيثكس) بين طبيب ومريض، طبيب ليس كالأطباء، يحمل مؤهلاً عالياً من أعرق الجامعات الأمريكية أو الأوروبية، ومريض في أمس الحاجة لعلاج ذلك الطبيب الأريب، مريض يريد ذلك الطبيب الذي لا يمكنه أن يعالجه في المستشفى الحكومي لسبب أو لآخر، فالنظام الحالي فيه ظلم للطرفين (الطبيب والمريض)، فلا تشعر لدينا بأن عمل القطاع الصحي الخاص (البرايفت سيكتر) مكمل لعمل المستشفيات الحكومية، مع أن هذا هو توجه الدولة رعاها الله، شأنتنا في ذلك شأن الدول الأخرى، دول العالم المتطور، ودول العالم الثالث، إلا أن هناك ثغرات في الأنظمة الصحية، وإشكالات تحدث مع الأسف بسبب عدم وضوح الرؤية. إن سنا في الأنظمة أو تطبيقها، فالجميع يشتهي، مقدمو تلك الخدمة ومستفيدوها، أي الأطباء

والمرضى، فالطبيب الشاب ذو المؤهل العالي عمله الحالي لا يوازي ما بذله من جهد سابق وطاقه متدفقة، بإمكانها أن تُفيد وتستفيد، لا يعمل خارج الدوام الرسمي إلا أقل القليل، وبعض هؤلاء الأطباء يقولون: إن الموضوع لا يخلو من الحسد ممن يسن نظام دوام الأطباء، من دخلهم العالي (الرازق في السماء والحاسد في الأرض)، وهو فضل من الله، لا يدري متى ينضب، وذلك الطبيب إنسان لا يضمن صروف الدهر، فإن كان جراحاً أو طبيب أسنان يعتمد كلياً على يديه، فماذا يعمل إن فقد مهارات يديه، وإذا كان المريض غير قادر على فتح ملف طبي في المستشفى الحكومي الذي يعمل فيه طبيبه المراد، وقادر على دفع تكاليف العلاج في مكان آخر، فما المانع من لقاءهما يا وزارة الصحة ويا هيئتنا الصحية الموقرتين، فيسروا ولا تُعسروا، ما دام ذلك الطبيب يقوم بعمله الحكومي خير قيام، أطلقوا يده ليعمل أيضاً، ويبدع في القطاع الخاص، لا أن يكون عمله الآن (سراقة)، وهو يخشى الحملات التفتيشية على المراكز الطبية الخاصة، حملات أشبهها بحملات البلدية على الباعة في (مباسطهم)، والحملات التفتيشية يجب أن تكون في أثناء عمل ذلك الطبيب الرسمي، فإن لم يكن متواجداً أو أخل بعمله في المستشفى الحكومي. فليعاقب بل وليشهر به، وهو المفرص الذي أتى عنواناً لهذه السانحة. فقد قال الأولون: (امسك المفرص ولا تحرص).



في الحمى المالطية (٢-١)

ازدانت صحيفة الرياض الاقتصادي ليوم السبت ١٨ رجب ١٤٣٠ بتحقيق عن تنامي تجارة حليب الخلفات على قارعة الطريق في مدينة الرياض. وأن الجرعة الملوثة ببكتيريا البروسيلة (المسببة للحمى المالطية) بـ ٢٠ ريالاً (يا بلاش)، وأنصح من لم يطلع على التحقيق بأن يشتري الجريدة ويقرأه، وإن لم يجد الجريدة فليطلع عليه في النت، ففيه الكثير من المعلومات العلمية التي تُفيد من يقرأها من عامة الناس، وبالأخص من محبي شرب حليب الخلفات من غير غلي وتعقيم. وطبياً باعة حليب النوق أضافوا سبباً (في الترصد الوبائي)، أضافوا تنامي تجارة حليب الخلفات على قارعة الطريق إلى أسباب مرض الحمى المالطية. ومن يدري قد تُدرج في المقرر الدراسي لطلبة الطب مستقبلاً. وكنت قد كتبت قبل شهر تقريباً عن الحمى المالطية لدينا، وعلاقتها الوثيقة بحليب الخلفات. الذي يُصر البعض على شربه (طازة)، ومن ضرع الناقة مباشرة. دون غلي وبسترة، فيصابون بالحمى المالطية. وأذكر أن تلك المقالة حظيت بتعليقات كثيرة من قراء أعزاء، وكلهم يذكرون قصصهم، وبالأخص قصص آبائهم مع آلام الحمى المالطية. وكنت في مقالتي الماضية ذكرت أن محبي حليب الخلفات الطازة يحبون شربه من (طاسة) تقليدية تاركاً طبقة بيضاء من رغوته أو قشدة الحليب على الشاربين والشفيتين العليا والسفلى. وفي تحقيق جريدة الرياض الجميل لفت نظري أن الميكروب المسبب للحمى

المالطية (بروسيلوسز) يكون متمركزًا في ضرع الإناث الحلوبة. ويمكن أن تفرز الإناث (الخلفات) ميكروب البروسيلا في اللبن لسنوات عدة، ويكون الميكروب في طبقة القشطة غالبًا. وقد يكون وجود (مكروب البروسيلا) هو السر في طعم الحليب المميز. فإذا تم غليه تموت (البروسيلا)، فيفقد ذلك الطعم المميز للحليب. فيكون حليبًا كحليب الماعز والشيء والبقر. وفي الأخير أتساءل كيف يُسمح لعمال متدني مستوى النظافة ببيع حليب الخلفات على قارعة الطريق. ليس هذا فحسب، بل جاء في التقرير: أن العمال يقومون بحقن الإبل بإبر منشطة لزيادة إدرار الحليب. (والطاسة) بعشرين ريالاً. (يا بلاش)!



في الحمى المالطية (٢-٢)

في السوانح الماضية. كان الحديث عن تجربتي الشخصية مع حليب الخلفات. تلقيت عليه إيملاً. أو تعليقاً غريباً من قارئ عزيز رمز لاسمه ب: فيحان. يقول فيه (لا فض فوه): إن الحمى المالطية تأتي بسبب حقن الخلفات بحقن أو إبر تزيد من كمية وإدراج الحليب. وأنا أستغرب ذلك الرأي. فمن أين أتى فيحان بهذه المعلومة الغريبة. والقارئ فيحان متابع (قراءة وتعليقاً) على كل كتاب زوايا جريدة الرياض. ما علينا. وليس لي الأطباء المشتغلون في الترصد الوبائي والطب الوقائي أن أضيف سبباً جديداً للإصابة بالحمى المالطية في المقررات الدراسية. وهو باعة حليب الخلفات المتجولون. ومن يدري فقد يضاف أيضاً في المقرر الدراسي لطلبة طب الأسرة والمجتمع في الأعوام القادمة. فتكون (طاسات) الباعة المتجولين من أحد أسباب الإصابة بمرض الحمى المالطية. وأيضاً عند تفصيل الأسباب المرضية (كاوزيتف إجنث) ستكون هناك تقريرات للموضوع. إن ثبتت إصابة شخص ما بالمرض بعد تناوله لحليب ناقة تم (دقها) قبل الحلب بإبرة تزيد كمية وإدراج الحليب، كما قال القارئ الذي رمز لاسمه ب: فيحان. المهم يجب أن لا يُنسى حقي الأدبي والمعنوي في الموضوع. ومرض الحمى المالطية أصبح (لا شعورياً) مرادفاً لكلمة نياق ونوق وخلفات. وأعود لتحقيق جريدة الرياض السالف الذكر. فقد لفت نظري في سياق التقرير. كيف أن محبي حليب الخلفات يشربونه بعد حلبه من ضرع الناقة

مباشرة دون غلي وبسترة. فيصابون بالحمى المالطية. ومحبو حليب الخلفات الطازجة يحبون شربه من (طاسة) تقليدية تاركًا طبقة بيضاء من رغوة الحليب أو قشدة الحليب على الشارب. والشفنتين العليا والسفلى. وفي تحقيق جريدة الرياض الجميل لفت نظري أن الميكروب المسبب للحمى المالطية (بروسيلوسز) يكون متمركزًا في ضرع الإناث الحلوة. ويمكن أن تفرز الإناث (الخلفات) ميكروب البروسيلات في اللبن لعدة سنوات. ويكون الميكروب في طبقة القشطة غالبًا. وقد يكون وجود (مكروب البروسيلات) في تلك القشطة اللذيذة هو السر في طعم الحليب المميز. فإذا تم غليه تموت (البروسيلات)، ويفقد الحليب ذلك الطعم المميز!! فيكون حليبًا كحليب الماعز والشيء والبقر. ويستمر باعة حليب الخلفات على قارعة الطريق. رغم التحذيرات. وفي الأخير أتساءل كيف يُسمح لعمال متدني مستوى النظافة ببيع حليب الخلفات. بقيمة بخسة لا يطالها التضخم في الأسعار. واستمرار تجارة حليب الإبل بهذه الصورة (في الطاسة) لا علاقة له بالمقولة المشهورة (الطاسة ضايعة)، بل دليل على محافظة قيمة الطاسة بعشرين ريالاً فقط. منذ أول تحقيق صحفي أجرته جريدة الرياض.



سيليكوسز؟

في عام ١٤١٩هـ ١٩٩٩م كتبت مقالة في سوانح تحت العنوان أعلاه (سيليكوسز)، أُنذِر من مادة السيليكا السامة، التي تطلقها المصانع القريبة من مستشفى النقاها الموجود في طريق الخرج بالرياض؛ فتسبب حالة مرضية في الجهاز التنفسي لمن يستنشقها، تُسمى (سيليكوسز)، ومر عقد وعقد آخر من الزمان أو يزيد، ولا تزال المصانع قائمة، ومستشفى النقاها يستقبل المرضى ويودعهم؛ يستقبلهم للنقاها والاستجمام بعد عارض صحي أَلَم بهم، تم علاجهم وشفأؤهم منه، أو أن حالاتهم المرضية أو إعاقاتهم ستلازمهم بقية أيامهم في هذه الحياة؛ ليخرجوا بمادة السيليكا؛ وأعجب من مسمى المستشفى ومكانه؛ فمستشفى وجد لنقاها المرضى! يفترض أن يكون ذا مواصفات تختلف عن بقية المستشفيات؛ فلماذا أُختير مكانه بالقرب من المصانع؛ حيث لا يوجد الهواء النقي العليل؛ وهو شرط مهم لمن يريد النقاها والاستجمام؛ ولو عُمِلت دراسة ميدانية (سريّة) على رواد مستشفى النقاها والسكان المجاورين للمصانع (إسمنت بالذات)، سيكتشفون ارتفاعاً في مادة السيليكا في أجهزتهم التنفسية وأجسامهم؛ ووجود المصانع والمستشفى أصبحا واقعاً لمنجزين حضاريين لا يمكن (عملياً) إلغاء أحدهما بسبب الآخر؛ فما الحل؟ فالموضوع مهم جداً، ويُطرح على أصعدة كثيرة؛ فقد أفادت قناة العربية أنه تم إنشاء شرطة بيئية في محافظات ومدن المملكة؛ وفي جريدة الرياض بتاريخ ٥

رجب تصريح مفصل لخبير بيئي (محمد الطياش) يقول فيه: إن إزالة المباني العشوائية في الرياض تهدد صحة المواطنين بأمراض سرطانية؛ وأكد الخبير البيئي أن هدم مباني التأمينات (تقاطع العليا مع التحلية) في مدينة الرياض ينذر بكارثة إنسانية؛ وفحوى أو لب تحذير الخبير البيئي هو أن ما يُهدم يحتوي على مواد مسرطنة، ومنها ألياف الاسبستوس عندما تتطاير في السماء أو الهواء نتيجة الهدم؛ وقبل عدة أيام وفي طريقي للمنزل مررت بشارع التحلية (الشارع الذكي)، فرأيت الهدم قد بدأ بالفعل؛ فقامت (بدق اللطمة) خشية أن تكون مادة الاسبستوس موجودة في الغبار المتطاير من مبنى التأمينات، الذي يتداعى تحت معاول ومطارق الهدم؛ وتمنيت أنني أعرف عنوان الشرطة البيئية، الذي بثت خبره قناة العربية لأخبرهم بما يحدث في الشارع الذكي.



في السماعه الطبيه (١-٣)

ثمة ألعاب للأطفال على شكل سماعه طبيه وغيرها، مما يختص بمهنه الطب. تزدان بها جميع محلات بيع ألعاب الأطفال تقريباً. يحضرها بعض الآباء لأطفالهم، لغرس وتحبيب مهنة الطب عندهم. ليتمتعوها عندما يكبرون. فالسماعه الطبيه ترمز إلى الطبيب ومهنه الطب. وقد يستغرب القارئ إن قلت: إن السماعه قليله الاستعمال بين معظم الأطباء. والممرضات أكثر استعمالاً للسماعه من الأطباء. وعن نفسي أقول: إنني لم أعد أستعمل السماعه الطبيه منذ عقد من الزمان أو يزيد. وأكثر استعمالي للسماعه الطبيه كان بعد تخرجي مباشرة، ولبضع سنين فقط. وقبل ذلك في أثناء الدراسة الإكلينيكيه. أي السنه الثالثه والرابعه والخامسه وسنه الامتياز. وبالإمكان التعرف على طالب السنه الثالثه من بين طلبة الطب، (بعد سنوات ثلاث ممله في الدراسة النظرية) من تطويقه للسماعه حول عنقه بمناسبه ودون مناسبه، (يعني إنني أبصير دكتور)، وبالسماعه الطبيه يستمع الطبيب إلى القلب ودقاته، وما فيه من لغط أو خريز (مرمر)، وإلى الرئتين بوضع السماعه على صدر المريض أو ظهره. في أثناء دخول الهواء وخروجه، والمريض يأخذ نفساً عميقاً. وقد يطلب الطبيب من المريض قبل أخذ النفس العميق أو بعده بأن يقول أربعاً وأربعين في أثناء (الأوسكلتيشن) أو الفحص بالسماعه. ويستمع الطبيب بالسماعه أيضاً (وكذا الممرضة) لحركة الأمعاء بعد أي عمليه جراحية تعرض فيها المريض للبنج العام.

وكنا نقوم (في ميو هوسبيتال في لاهور) في أثناء المرور على المرضى بسؤال كل مريض أفاق من البنج. كانت أُجريت له عملية جراحية قبل يوم. بقولنا (هوا خارج) لمعرفة حركة الأمعاء بعد تخديرها لساعات في أثناء العملية. فإن أجاب المريض بالإيجاب أو النفي وضعنا السماعة على بطنه، لتأكد من حركة الأمعاء. فإذا استمعنا لحركة (قريبة) الأمعاء والمصارين بالسماعة الطبية. فهذا يعني أن الجهاز الهضمي للمريض بدأ في العمل. فحينها يُسمح للمريض بأن يبدأ في تناول الأشياء عن طريق الفم. الذي يبدوه بتناول القليل من السوائل في البداية، ويتدرج في الأكل. متزامناً مع إزالة المغذية الوريدية. وشطب العلامة القائلة (إن بي أو)، أي ممنوع تناول أي شيء عن طريق الفم. المعلقة على سرير المريض. ولا يزال هناك بقية من الحديث عن السماعة الطبية وتداعياتها. قد أعود إليه في ساحة قادمة.



في السماع الطبية (٢-٣)

أطباء التخدير والجراحون لا يسمحون للمريض الذي أُجريت له عملية جراحية وتعرض للبنج العام (بعد إفاقة من البنج) ، لا يسمحون له بتناول أي شيء عن طريق الفم إلا بعد التأكد من بداية الأمعاء والجهاز الهضمي لعمله الطبيعي من هضم ودفع للفضلات. وذلك بوضع السماع الطبية على البطن. لسماع حركة (قربة) الأمعاء أو المصارين. وكنا (في ميو هسبتال في لاهور) قبل وضع السماع على البطن، نسأل المريض بالأردو: (هوا خارج)، فإن أجاب بنعم. أي أن هناك (قربة) للمصارين. دل ذلك على بداية الجهاز الهضمي عمله. وإن كان الجواب: ني. أي لا. فهذا يعني أن الجهاز الهضمي لم يستعد وظيفته الطبيعية بعد إفاقة المريض من البنج. فإذا أكل أو تناول المريض أي شيء عن طريق الفم في هذه المرحلة. حتى لو كانت (جفمة مويه)، فستكون العواقب وخيمة على صحة المريض. ومن ذكرياتي مع السماع الطبية أن طبيباً إنجليزياً (رئيس قسم الباطنة) في مرحلة تدريبي في أحد مستشفياتنا الرائدة وفي أثناء مرورنا الصباحي على المرضى (مورتنق راوند) قام بإعطائي السماع الطبية، لأضعها في أذني بعد أن وضع طرفها الآخر على جهة الصمام الميترالي لصدر المريض. وطلب مني أن أخبره ماذا أسمع. قمت بتحريك طرف السماع في أذني، ولم أنتبه لطرفها الآخر (على صدر المريض)، حيث اكتفيت بتثبيت الدكتور الإنجليزي على جهة صمام قلب المريض الميترالي، ووضعت أصابع

يدي اليمنى (الإبهام والسبابة والوسطى) على طرف السماعة الملاصق لصدر المريض، وكأنتي أستمع إلى قلب إنسان قد توفي لتأكيد وفاته. حيث لا دقات قلب، ولا أقل من ذلك ولا أكثر (سكون تام). فقلت للبروفيسور: نثّق سير (لا أسمع شيئاً) رد البروفيسور الإنجليزي العجوز (ريلي آر يو شور)، أي هل أنت متأكد؟ وابتسامة تعلو تجاعيد ما تحت عينيه وجبينه (الآري)، ومضى وأنا أتعجب من هذا البروفيسور العجوز، وسبب ابتسامته الغريبة، ومن هذا المريض كيف لم أتمكن من سماع أي شيء من صدره. في الأخير اكتشفت أن الطبيب الإنجليزي قبل إعطائي السماعة. قام بإغلاق السماعة الطبية من الجهة القريبة من الصمام الميترالي لقلب المريض، ومن غير أن ألاحظ أو أشعر، وقمت بفتح السماعة. فسمعت خريراً ولغطاً للقلب (مشينري مرمر) يكاد يخترق أذني من شدته. فحاولت اللحاق بالبروفيسور الإنجليزي لأخبره. ولكنه قد اختفى. والمؤكد أن تقريراً سيئاً قد دونه عني. يا ما أخذنا مقابل من الإنجليزي. وللحديث بقية.



في السماع الطبية (٣-٣)

أبدأ سوانح السماع الطبية، حيث انتهيت في سوانح ماضية عن الطبيب الإنجليزي رئيس القسم، الذي (شربني أو أكلني مقلبًا) لا أنساه ما حييت. عندما أقفل السماع الطبية، وطلب مني أن أخبره ماذا أسمع من صدر المريض؟ ولم أكتشف ذلك المقلب إلا بعد أن تركني ومضى البروفيسور. وهي طريقة يستعملها بعض الدكاترة والبروفيسورات لـ (التريقة) على طلبة الطب أو أطباء الامتياز. أو معرفة ما إذا كان (من) يُمتحن أو يُسأل) قد جهز المريض وأدوات الفحص جيدًا قبل الفحص. وبعد أن اكتشفت (المقلب) وفتحت السماع ووضعتها على صدر المريض نفسه مرة أخرى، عرفت سر كلمة البروفيسور (ريللي) وابتسامته العريضة، عندما قلت له: إنني لا أسمع شيئًا من صدر المريض. وأصوات دقات قلب المريض ولغطها تكاد تشق طبلتي أذني. وكان المريض يعاني من ثقب في عضلة القلب، فيختلط الدم الوريدي بالدم الشرياني مصدرًا صوتًا ولغطًا شديدًا، تنقله السماع الطبية يُسمى (مَشِينري مرمر) يعرفه جيدًا أطباء القلب. بحثت عن البروفيسور الإنجليزي لأخبره عن (المشِينري مرمر) فلم أجده، فقد كان ذلك (توليت)، والأکید أن التقييم والانطباع السيئ قد دونا بلا شك عن ذلك الطبيب حديث التخرج. يا ما أخذنا من خدع ومقالب من الإنجليز وغيرهم، يكون اكتشافنا لها (توليت) والبروفيسور الإنجليزي الذي تعلمت منه الكثير الذي (شربني أو أكلني المقلب) كان قمة

في العلم والانضباط. ورغم تجاوز عمره السبعين عاماً إلا أنه كان عزباً ولم يتزوج قط. وقد أوقف حياته للطب والبحث العلمي والجمعيات الخيرية، التي تعتني بالحيوانات بالذات. فقد كان يقوم بتحويل نصف راتبه الشهري الضخم لجمعيات خيرية تعتني بالقطط والكلاب في بريطانيا. وما رويته أعلاه حدث قبل ثلاث وثلاثون سنة أو تزيد. ولم تعد تصلني أخبار عن البروفيسور ورئيس القسم منذ سنين. وآخر ما ذكره لي أحد الزملاء عنه قبل بضع سنين: أنه أصيب بسرطان البروستات. وإن كان في أثناء كتابتي هذه الذكريات معه على قيد الحياة، فلا بد أنه قد هرم وخرف، ويعيش هذه الأيام في أرذل العمر، الذي لن يعرف فيه بعد علم شيئاً.



آه من القلب!

ثمة عمل قمت به لسنوات عديدة ولعدة مرات. قبل ثلاثة عقود أو تزيد. وهو المشاركة في لجان الكشف على المتقدمين للعمل أو الدراسة في القطاعات التي يتبعها المستشفى الذي كنت أعمل فيها. إما بالكشف على أنوف وآذان وحناجر المتقدمين، أو ترأسًا للجنة تتكون من عدة أطباء لمختلف التخصصات، وما يتبعها من مختبر وأشعة وقياس لوزن وطول المتقدم ونحو ذلك. وبالنسبة لآذان المتقدمين كان ينجح جميع من أفحصهم. حتى من امتلئت أذناه بالشمع، فحجبت عني رؤية الطبلية بالمنظار. أقوم بتنظيفها بجهاز الشفط (سيرينجنق)، لأتمكن من رؤية الطبلية، وهي (تلق) بعدها أوقع بالنجاح للمتقدم. وأنا سعيد. فقد كنت ولا أزال أكره الإخفاق والفشل. وفي أثناء عملي في لجنة الفحص كنت أركز على شيئين مهمين في جسم المتقدم، وهما القلب والعينان. أي وجوب خلو القلب من أي علة وسلامة البصر. فالنظر يجب أن يكون ستة على ستة، وأن لا يكون مصابًا بعمى الألوان. ما علينا. وفحص القلب أعده حجر الزاوية في أي فحص طبي. لمن سيقوم بعمل أو تمارين يُبذل فيها مجهود أكبر من المعتاد: كالعسكريين ولاعبي كرة القدم. فإن صلح القلب صلح الجسد كله. وكثيرة هي الحالات التي استثنيتها، ولم أطبق عليها النظام بحذافيره (وزحزتها للنجاح)، خاصة في الوزن والطول. كزيادة أو نقص في الوزن كيلو وكيلوين، أو زيادة ونقص في الطول سنتي متر واحد وسنتين. لعل

اللّٰهُ يَزْحَرُحُنَا عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ. فَكُلْ شَيْءَ يَهُونَ إِلَّا الْقَلْبَ وَالْعْيُونَ. وَلِعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ لِقَطَاتٍ بَثَّتْهَا بَعْضُ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ لِلْعَابِينَ لِكُرَةِ الْقَدَمِ صَفَارٍ فِي السَّنِّ، كَانُوا يَحْتَضِرُونَ فِي الْمَلْعَبِ لَيْسَ بِسَبَبِ إِصَابَةٍ فِي أَثْنَاءِ اللَّعْبِ كِبْلَعِ اللِّسَانِ مِثْلًا. بَلْ لِأَنَّ اللَّاعِبَ لَمْ يَخْضِعْ لِفَحْصٍ دَقِيقٍ لِقَلْبِهِ. أَحَدُهُمَا مِنْ مِصْرٍ وَالْآخَرُ أَوْرُوبِيٌّ. وَلِمَعْرِفَةِ سَلَامَةِ الْقَلْبِ مِنْ أَيِّ عَيْبٍ خَلَقِي، وَمِنْ ثَمَّ تَحْمِلُ الْقَلْبَ لِأَيِّ مَجْهُودٍ زَائِدٍ يُبْذَلُ. أَكْثَرُ مِنَ الْمَجْهُودِ الْمَعْتَادِ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ. وَكُلٌّ مِنْ يَشْتَبِهُ بِإِصَابَةٍ فِي الْقَلْبِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ فَحْصَ الْجَهْدِ وَتَخْطِيطَ الْقَلْبِ فِي أَثْنَاءِ الْجَهْدِ. وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْقُلُوبِ لَا تَتَضَحَّ اعْتِلَالَاتِهَا إِلَّا عِنْدَ بَذْلِ الْجَهْدِ كَمَا أَسْلَفْتُ. وَكَذَلِكَ كِبَارُ السَّنِّ عِنْدَمَا يَتَزَوَّجُونَ شَابَاتٍ صَغِيرَاتٍ. وَسَلَاحُهُمْ جَرَعَةٌ زَائِدَةٌ مِنَ الْفِيَاجِرَا أَوْ غَيْرِهَا مِنْ مَقْوِيَّاتٍ. يَضَاعِفُونَ الْجَرَعاتِ. فَتَكُونُ الْعَوَاقِبُ وَخِيمَةً.



أذنين بطين ووريد

في أقل من شهر أصبنا بخيبتين رياضيتين. في نهائين لكرة القدم. الأولى بطولة آسيوية (حان قِطافها) لولا. والثانية بطولة خليجية أضعناها بغرابة. يعرف أسبابها من يتعاطون لعبة كرة القدم. وشؤونها وشجونها. وقد كان الجمهور الرياضي على مختلف انتماءاته (هالالي. نصراوي. أهلاوي. إلخ) في حاجة لهاتين البطولتين. أو كما قال أحدهم: كنا نريد أن نفرح ونبتسم. ويجمع بين البطولتين اللتين ذهبتا مع الريح. أنهما حدثتا ونحن نستعد للاحتفال. ونسينا حكمة نردها دائماً (اللي ما كتب عسر)، واللّه المستعان. فالبطولة الأولى كأس آسيا للأندية. والثانية بطولة وكأس منتخبات مجلس دول التعاون الخليجية، التي نُظمت في الرياض أخيراً. وفازت بها الشقيقة قطر. وهم يستاهلون الكأس. فألف مبروك عليهم. إلا أنني لا أبارك لأستراليا. وبعد هذا التقديم عن حديث الساعة (كروياً) هذه الأيام. أدخل في موضوع يتناسب مع السوانح الطبية. لأتحدث عن إصابات الملاعب. بين صغار السن (يطب ساكت) في أول مباراة يلعبها. والسبب في مثل هذه الحالة يكون من القلب الذي أجهد لبذله مجهوداً أكبر من طاقة قلب فيه تشوهات خلقية. كثقب القلب الذي يختلط فيه دم الأذنين مع دم البطين. ما يعني اختلاط الدم الشرياني المؤكسد مع الدم الوريدي المشبع بثاني أكسيد الكربون. كما يختلط ماء السيارة بزيتها. فترتفع حرارة المحرك و(تخبط المكيّنة) التي يجب (توظيفها) لتعمل مرة

أخرى. إلا أن اللاعب صغير السن عندما يختلط دمه الشرياني بالوريدي. يؤدي إلى (لخبطة)، وتوقف في وظائف بقية أعضائه الحيوية. والوفاة المفاجئة. وأختم سوانح بحادثة يعرفها الجميع. وهي إصابة اللاعب عبدالله الشريدة وإسعافه. بعد سقوطه في الملعب وبلع لسانه. فاستغلتها إحدى الصحف. وكتبت في عدد اليوم التالي وبالبنط العريض: وفاة النجم عبدالله الشريدة. وقبلها ببنت صغير لا يكاد يُرى. كلمة نفي. فكم كان يا ترى دخل تلك الجريدة (اللي تعقد الشووش) من نشر ذلك الخبر عن إصابة اللاعب الشريدة قبل عقد من الزمان أو يزيد.



العذر والسموحة

في النصف الثاني من تسعينيات القرن الهجري الماضي. وقبل أربعة عقود. أنهيت بنجاح دراستي الثانوية. قسم علمي. من ثانوية اليمامة في الرياض. من الدور الأول. وبنسبة معتبرة أيام زمان (٧٥٪) وهي نسبة. تفشل هذه الأيام. أما قبل أربعة عقود أو تزيد، فأبواب جميع الكليات كانت مُشَرَّعة للدخول من أيها أشاء أو أريد. إلا أنني لم أكن أعرف أي طريق سأسلك بالضبط، وأنا مزهو بشهادة الثانوية العامة. ذلك أنه كانت تتجاذبني آراء ومقترحات كل من يعنيه. وما لا يعنيه أمري آنذاك. وأنا في سن صغيرة (السابعة أو الثامنة عشرة)، فأصغي وأوافق على كل مقترح من الأهل أو المعارف. لأقوم بتغييره في اليوم التالي. إن لم يكن في اليوم نفسه. فكان الله في عون حملة الثانوية العامة هذه الأيام. فلن يلومهم أحد إن عانوا ترددًا بين إقدام وإحجام في اللحظة الأخيرة. بعد أن ظنوا أنهم اتخذوا القرار النهائي. فيما يتعلق بمستقبلهم ومصير حياتهم الدراسية والعملية. وفي ليلة كنت مع زميل دراسة وابن عائلة ميسورة الحال. نتمشى في سيارته الجديدة ذات اللون الأزرق والباب الواحد دسبون ١٨٠ ب سبور (وخر عني أبركب) وموديلها ١٩٧٥. نتمشى في شارع العصارات القريب من منزلنا في الوشام. قال زميلي: هل سمعت يا سلمان أن هناك ابتعاًناً لحملة الثانوية علمي لدراسة الطب في لاهور. وش رأيك تسحب ملفك من الكلية اللي سجلت فيها ونتقدم. أنا وأنت إلى البعثة إلى لاهور. وقد سحبت

ملفي بالأمس من كلية الصيدلة. فقلت له بلا تردد: (وصولها) أي موافق. وفي صباح اليوم التالي قمت بسحب ملفي من كلية الهندسة بعد شهر من الدراسة المنتظمة. وبعد الظهر بدأت برفقة صاحبي وزميلي إجراءات البعثة إلى لاهور. وقد كان الابتعاث للدراسة في الخارج على أشده آنذاك. بما يشبه الابتعاث هذه الأيام. وكانت وجهات الابتعاث لدراسة الطب ثلاث دول. ألمانيا ومصر ولاهور (باكستان)، وهنا أتذكر الوالد عندما قال لي رحمه الله: ألمانيا سنوات الدراسة فيها طويلة وباللغة الألمانية. ومصر لم نسمع أن دراسة الطب فيها قوية كشهرة أسبانيا في طب العيون مثلاً. وباكستان كانت مستعمرة إنجليزية ومن ثم لغتهم الإنجليزية قوية. رح وأنا أبوك للاهور. مع أنني. وبصراحة لم أتخيل ولم أفكر بأنني سوف أكون طبيباً يوماً من الأيام. ولكنه القدر والمكتوب. ومرت سنون. تبتعتها سنون بعد تخرجي وعودتي من لاهور. قاربت الثلاثة عقود أو تزيد. وكأنها البارحة. ليأتي التقاعد. بعد ركض وعمل أظن أنني كنت فيه مقصراً. تقصيراً أجزم به. في السنوات الأخيرة بسبب إصابتي بالإم إس. فليدع لي الله من كنت سبباً في شفائه أو علاجه يوماً ما. وأرجو أن يكونوا كُثراً. وليسامحني من قَصَرَ علمي واجتهادي في بُرء سقمه أو تخفيف آلامه. يوماً ما. وأرجو ألا يكونوا كُثراً. وللحديث صلة.



حانا وما نا؟!

ثمة حقيقة طبية واجتماعية فيما يخص عمل الطبيب وزوجة الطبيب. فللمستشفى حق على ذلك الطبيب، وللبيت (أم العيال) حقُّ هو الآخر. فأيهما يطغى على الآخر أو يُضحى بالآخر في سبيله. ذلك هو محور هذه السوانح. وعندما يطغى أحدهما على الآخر (المستشفى والزوجة) البيت (أم العيال) يكون الطبيب هو من يعاني في ذلك في العادة. فليس من المعقول أو المقبول أن يترك الطبيب مريضه ليلبي طلب زوجته مهما كانت حبيبة وعزيزة لديه. فالمرضى أو المستشفى هما هم الطبيب، ولهما الأولوية في وقته. وكيف يقضي ذلك الوقت. والطبيب الناجح والسعيد هو من يستطيع التوفيق بين المنزل والمستشفى. وصدقوني أن مردود تضحية الطبيب لإنقاذ حياة مصاب أو رسم ابتسامة على شفتي مريض بائس أو يائس من الحياة. تُهون كل تعب ونَصَب لاقاهما. عندما ضحى (أو ضحت الطبيبة) بالمنزل في سبيل ذلك. ليس هذا فحسب. ذلك أن الطبيب والطبيبة سيكسبان الدعاء من المريض والثواب من الله. وبعض زوجات الأطباء يسمين مهنة الطب بالزوجة الثانية (ضرة)، إن لم يكن هذا الطبيب له زوجتان في الأصل. وبالمناسبة قلة من الأطباء من يعدد. مع أن معظم الأطباء وأنا منهم بين معجب وحاسد للحج متولي. وهذا الوضع (الطبيب بين زوجتين أو زوجة ومستشفى) يذكرني بحكاية طريفة عمن تزوج اثنتين. تنطبق على طبيب (غلبان) هدته مهنة الطب وطلبات (أم

العيال) والمنزل. تقول الحكاية: إن رجلاً (كهلاً) لديه زوجة اسمها مانا تزوج بأخرى شابة اسمها حانا. لا تحب منظر الشيب في لحيته فتقوم بنتفه. أما الزوجة الأولى (مانا) فتحب ذلك الشيب. وتعهده وقاراً أخذ يزداد في لحية زوجها وفوديه وشعر رأسه. مؤرخاً لتاريخ زواجهما ومتزامناً مع شيب غزا شعر رأسها هي الأخرى، وتخفيه عن زوجها وعن الآخرين (بالمشاط والحناء) منذ زمن بعيد. استبدلتهما أخيراً بصبغة حديثة تُحضرها من صيدلية مجاورة. ومع أنها تخفي ما في رأسها من شيب، إلا أنها كانت تقوم بنتف الشعيرات السود المتبقية في لحية زوجها، وتدع الشعيرات البيضاء التي تقوم بنتفها زوجته الشابة والجديدة حانا. بحيث أصبح هذا الكهل ولحيته بين مطرقة حانا وسندان مانا. وبسبب هذا (النتف الجائر) من الزوجتين لم يبق للرجل لحية البتة. فأصبح عندما يُسأل عن لحيته أين هي؟ يقول: بين حانا ومانا ضاعت لحانا!.



الشمطري والثوم؟!

ثمة مصادفة غريبة بين تسمية تخصص أمراض الجلدية بالإنجليزي (ديرماتولوجي)، التي هي اشتقاق لديرم (بسكون الراء)، وهي كلمة أو مفردة لاتينية وإنجليزية. وبالفرنسي ديغم. ويدور معناها حول الأدمة والجلد وطبقاته. حيث أتت تسمية تخصص الأمراض الجلدية (ديرما تولوجي) وبين مفردة ديرم (بفتح الراء) ديرمه (ديغم بالفرنسي) على أداة تجميل النساء القديمة لدينا. أي الأمهات والجذات. وثمة حقيقة عن أدوات التجميل النسائية. أيام زمان. التي تكاد تنحصر في الكحل للعيون. والديرم أو الديرمة للشفاة (البراطم)، وأرى أن كلمة ديرم تتناسب مع كلمة براطم وكلمة روج (لب ستك) تناسب كلمة شفاة. ما علينا. والديرم عبارة عن لحاء يؤخذ من بعض الأشجار، (مثل ليفة دلة القهوة العربية)، ومن يستعملن الديرم تجدهن يقمن بلوكة بين الشفتين ليل نهار أو تحريكه باليد اليمنى على الشفة السفلى. وعندما تتوقف إحداهن عن (دق الديرمة) تقوم بوضع الديرمة في صدرها. وقد حدثني من أثق به (طبيب جراح) قبل بضع سنين: أن امرأة خمسينية راجعته في العيادة تشتكي من بقعة في صدرها كالحرق. لأنها نسيت أداة التجميل الديرم في صدرها ونامت. لتستيقظ وهي تشتكي من ألم وحكة في صدرها. ما يعني أن مفعول الديرم المباشر على الجلد كمفعول المادة الكاوية (أكا وستك)، فقام الجراح باستئصالها وأرسلها للمختبر، وهو يخشى أن تكون قد تحولت إلى قرحة

سرطانية (مارجولين ألسر) ما علينا. وأيام زمان ومن الذاكرة كان هناك ما تسميه النساء بالأصفر. وهو طيب الرائحة (يستعمل مع المشاط)، وتضعه النساء في مفرق الرأس. وهو ما عنته خادمة أو ماشطة هيا (حبيبة محيسن) بقولها:

أصفر مع أصفر. ليت محسن يشوفه

توه على حد الغرض ما بعد لمس

عندما كانت تعتني بشعر وجدائل وذوايب هيا. ويقول الراوي: إن محيسن كان مختبئاً بالقرب من هيا ومن التي تعمل لها (بودي كير)، وسمع ما قالتها الماشطة. فتفاجأت بوجوده. إلا أن هذه قضية أخرى. وأعود إلى الطيب والروائح. فيُروى أن امرأة فيما مضى أكلت ثومًا، وندمت خوفًا من أن يشم زوجها الرائحة. فقامت بالتزين لزوجها ووضع الشمطري. وهو طيب الرائحة لعله يخفي رائحة الثوم. واقتربت من زوجها تتودد إليه. فقام بزجرها ونهرها والابتعاد عنها قائلاً: ما ينفع الشمطري مع الثوم!



القاز القاز؟

ثمة عُرف متبع أيام زمان بين صبية وأطفال الحي الواحد. وهو رفضهم لأي غريب يدخل الحارة. وأقول: أيام زمان. لأننا في هذه الأيام لا يكاد الجار يعرف جاره. وإن تصادف أن رأى أحد سكان الحي هذه الأيام رجلاً آخر في طريقه لمنزله فلن يعرف إن كان جازاً أو رجلاً غريباً ودخيلاً على الحي وعابر سبيل. فرحم الله أيام زمان. فقد كنا في المعقليات وبعدها العسيلة أو البويبية، حيث انتقلت للسكن، كنا نعرف ونشتم رائحة الغريب عندما يدلف قادمًا لحينا، ويا ويل أي غريب. وكانت هناك ثلاث فئات من الغرباء، تجدها أكثر رفضًا من الصبية والأطفال. عند دخولهم لحاراتنا الطينية آنذاك. وهذه الفئات الثلاث هي بائع البسبوسة أو الهريسة، كما علق قارئ عزيز على سوانح ماضية بأنها تُسمى هريسة وليست بسبوسة. والذي تنتهي المضاربة معه بهزيمته وأكل بسبوسته أو هريسته بالمجان بعد إسقاطها على الأرض. والفئة الثانية هم العمال الذين يلبسون بناطيل وقمصان. ويقومون بصيانة وتصليح الدوافير (مينتننس) والفئة الثالثة هم باعة الكيروسين (القاز القاز) أي الطاقة. فأما مصلح الدوافير. فلم نكن نحتك به وهو أيضًا يتحاشانا. فنكتفي بشتمه عند مروره ومن بعيد بقولنا: يا دافور. وبالمناسبة لا أدري لماذا يُسمى الطالب المجد والمجتهد وكثير المذاكرة هذه الأيام (دافور)، بل إنني شاهدت في أحد المسلسلات التلفزيونية المحلية بنتًا شابة تنعت أختها المجددة والمجتهدة في دراستها بـ:

دافورة أو دافور. ما علينا. فأختم كلامي بشيء من التفصيل عن الفئة الثالثة التي تجد رفضًا أكثر، وأذية أشد، منا نحن الصبية والأطفال، وهم باعة الكيوسين (الطاقة)، وقد كنا نرى هذا البائع وأمثاله يدورون في الحارات والأزقة، وهم ينادون على بضاعتهم، ومن يريد شراء (كاز) بقولهم (القاز القاز)، وقيادة الحمار بصوت خافت لبيع وصب كيوسين بنصف ريال أو ريال أو ريالين لأحد السكان. وفي أثناء انشغال قائد الناقل، نقوم نحن الصبية بفتح (صنبور القاز) الموجود في مؤخرة العربة، التي نسميها عربانة القاز. وكثيرًا لا يكتشف بائع القاز ذلك إلا بعد أن ينبهه أحد المارة عن التسرب الخطير من ناقلته. أعني عربته التي يجرها الحمار. بعد أن يكون قد تسرب أو تسربت عدة لترات أو جالونات كافية لإفلاسه وزيادة تلويث بيئة الحارة الصغيرة بعد تلويثها بمخلفات الحمار وأغنام الحي قبل ذلك.



قُضازان وُغْدَد لِمُضَاوِيَة

ثمة حكمة عربية قديمة تدور هذه السوانح حولها. وهي: درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج. لعل الطب الوقائي في القطاعات الصحية له نصيب الأسد من صيغة هذه الحكمة وتطبيقاتها. وعندما تم التخلص من الدجاج والطيور في سوق الحمام بالرياض كان الدافع وقائيًا بالدرجة الأولى، ومن درهم الوقاية. بسبب الخشية من جائحة إنفلونزا الطيور. التي تبين بعد انقشاع غمتها أنها أخذت حجمًا أكبر من حجمها وبولغ في حقيقتها. وتم إعدام كل ضب موجود في سوق الحمام العتيد. وهو إجراء بالنسبة للضب تعسفي ويذكرني بالمقولة الشهيرة (الخير يخلص والشر يعم)، وعندما حل الشر وهو الخوف من إنفلونزا الطيور كان لزامًا التخلص من الكل. ولا عزاء للضبان ما دام أن المسألة فيها تضحية. فمن تكون أنت أيها الضب المسكين. لتُستثنى من الإعدام. وفي أثناء ترقب جائحة إنفلونزا الطيور كان أحد المبالغين والمتشائمين يتنبأ في حال وقوع الوباء وتفشيهِ عالميًا. أن يكون كوباء الإنفلونزا الذي اجتاح العالم في عام ١٩١٨، وهي السنة على ما أظن التي يطلق عليها كبار السن في الجزيرة ونجد: (سنة الرحمة)، لكثرة عدد الوفيات من البشر آنذاك بسبب الوباء. ما علينا. ومن نافلة القول: إن الطبيب في تعامله اللصيق مع المريض يجب عليه أن يأخذ بأسباب منع انتقال عدوى مريضه منه أو إليه. وأختم بموقف طريف ذي صلة بصلب الموضوع. حدث قبل عقدين من الزمان أو يزيد. مع مريض كبير في السن.

كان يشتكي من دمل أو خُراج (في الصفاق) ، فبعد كشفي عليه ومعالجته ،
قمت بخلع قفازات الفحص ذات الاستعمال لمرة واحدة (دسبوسبل) ،
ورميته في سلة المهملات ، كما يفعل كل طبيب بعد فحصه للمريض . وكان
المريض المُسن ينظر إليّ وإلى القفازات ، وهي تستقر في سلة المهملات . فقال
لي : حرام عليك يا دكتور . ليش رميت (الدسوس) ، شكلها جديد ونظيف .
ليش الزود والتبذير . كان (عطيتياها) . فقلت في نفسي : إن المختبر فقط
هو من يعرف كم تحوي العينة من صديد و(بلاوي) ، أخذتها باستئصالي
دمل ذي قروح من صفاقك الأيمن ، ويُحيط بها عُدد لمفاوية ملتهبة . وكم
في تلك العينة و(الدسوس) من جراثيم وبكتيريا مقاومة لأقوى المضادات
الحيوية . وطلبت من الممرضة إعطاءه زوجان جديدان من قفازات الفحص
ذات الاستعمال لمرة واحدة فقط . وأنا أقول له : خذ يا عم هذه الهدية ،
واعذرني على ما سببته لك من ألم في صفاقك وغددك اللمفاوية في أثناء
العلاج . وسامحني على التبذير عندما رميت (الدسوس) في سلة المهملات .



كاردياك كول؟

في جريدة الرياض ليوم الثلاثاء التاسع من ربيع الأول ١٤٣١ مقالة جميلة للدكتور فهد الطياش تحت عنوان: (خلة يموت). والدكتور الطياش ليس طبيباً كما أعرف. إلا أنه لامس في مقالته واقعاً وحقيقة. فيما يخص بعض المرضى الميئوس من حالاتهم. وكأنه طبيب مُطلع وممارس لأنظمة (وبروتوكولات) غير مكتوبة. فيما يخص كل حالة ميئوس من شفائها. تطبقه بعض المستشفيات لدينا. وأذكر في عام ١٤٠٥ (بداية سنة الامتياز) حادثة لمريضة كبيرة في السن مصابة بالسرطان في مراحلها الأخيرة. وكنت مناوئاً، وفي طريقي في أحد العنابر ضرب (ما يسمى آنذاك) كاردياك كول. فاجتمع كل طبيب كان قريباً ويسمع (الكاردياك كول)، وفي مقدمتهم طبيباً طبيب التخدير. وتمت عملية إنقاذ المريضة التي كانت توشك على الموت. وعندما قمت لاحقاً بشرح ما قمنا به لأخصائي الجراحة المشرف على عملي، استغرب مما حصل، وقال: إن تلك المريضة (تيرمنال أو هوبلس كيس) فكيف تقوم الممرضات بمناداة الأطباء لإنقاذها (كاردياك كول) عندما أوشكت على الموت. وبعد التحري والتقصي تبين أن السبب في إنقاذها كان نسيان طاقم التمريض المنتهية نوبتهن إخبار طاقم الممرضات اللاتي أتين بعدهن عن الحالات الميئوس منها (تيرمنال كيس) الذين لا ينطبق عليهم (كاردياك كول)، أو كما قال الدكتور الطياش: (خلة يموت). ولأن موعد موتها الذي قدره الله سبحانه لم يحن. حدث ما حدث لإنقاذ

حياتها (كاردياك كول)، ولا أزال أذكر كيف دبت فيها الحياة مرة أخرى. وإشرافه تعلق وجهها تُشعرك بأنها مقبلة على الحياة لا الموت. كما اعتقده الأطباء المشرفون على علاجها. وبعد أن كنا نمر عليها في المرور الصباحي والمساءلي. وبعضنا (يستغرب) بقاءها على قيد الحياة. والبعض الآخر عندما يكون مناوياً يتوقع أن يتم استدعاؤه لتحرير شهادة وفاتها في أي لحظة. إلا أنها أصبحت تأكل وجباتها المقررة. ولا تأخذ من الدواء إلا أقل القليل. فلا آلام ولا شكاوي. والفحوصات تفيد أن الورم الخبيث قد انحسر ولم ينتشر. فقمنا بنقل دم للمريضة التي عاشت بإذن الله لعدة أسابيع في المستشفى. لتخرج منه بعدها إلى منزلها. ولا أحد منا يعرف إلى الآن متى توفيت. فالأعمار بيد الله.



(وتانه فول ودونات)

درست المرحلة الابتدائية في مدرسة المأمون في حي الشميسي أو القرينين في الرياض. وكان يفصل منزلنا عن المدرسة (قطعة شارع)، وكان هذا الشارع (يُقطع) مرتين. الأولى بعد صلاة الفجر لشراء وجبة الإفطار (دونات وكوفي) من الفران والفوال المقابل لمنزلنا والملاصق للمدرسة. وكانت قيمة الفطور قرشين فول وثمان خبزات نتحلق حولها، فلا نبقى منها شيئاً. لنقوم بعد ذلك بـ(قطعة الشارع) الثانية للذهاب للمدرسة. وقد كان عددنا خمسة أطفال آنذاك، أكبرنا يفرق عن أصغرنا بعشر سنين على أقل تقدير، ومع ذلك ندرس في المدرسة نفسها، وفي مرحلة دراسية متقاربة (أنا وأخي الكبير وثلاثة أعمام)، هذا إذا ذهبنا جميعاً للمدرسة في ذلك اليوم. ففي أحيان كثيرة يتخلف منا واحد أو أكثر. بما يُسمى (المفاخت)، وهو التغيب عن المدرسة بلا عذر ودون علم الأهل. وقد كان تصميم منزلنا الطيني آنذاك (يُغري بالمفاخت)، فالدخل (المجيب) يُفضي إلى داخل المنزل، ويُفضي أيضاً إلى الدرج المؤدي للسطح. فكان من يُقرر المفاخت بعد ضربه للفول يتظاهر أمام الأهل بالخروج من المنزل، ويتجه إلى الدرج. مراقباً ومنظراً بوجل كالحرامي إلى أن يتأكد من خروج الأب لعمله. ليمضي صباحه مختبئاً في السطح، أو أنه ينزل من السطح أو يخرج من (بيت الدرجة) إن كان مختبئاً فيها إلى خارج المنزل، (وخذ دوجان) وتسكع في الأزقة والشوارع القريبة من المدرسة ومنزله. وإن كان

المفاخت لوحده ولم يرافقه زميل آخر في الهروب من المدرسة (والدوجان) يكون متحفزاً وقلقاً، ويشعر بفراغ الشوارع والأمكنة إلا من ققط وكلاب ضالة، يتسلى بملاحقتها ومحاولة إمساكها، أو رجمها بالحجارة إلى الظهر. وهو وقت انصراف الطلبة من المدرسة. ليعود أدراجه للمنزل وهو (يسحب رجله) مشتتاً لأبويه وإخوته مما لاقى في المدرسة من جهد ونصب، وقد يُخرج دفتراً وكتاباً يريهم فيه كاذباً ما أخذه من واجبات في ذلك اليوم. والتعليم أيام زمان كان أقوى من هذه الأيام بكثير. إلا أن الصحة المدرسية كانت (بالبركة)، ولم نكن نعرف عنها ونشاطها إلا حملات التطعيم في المدارس بين حين وآخر، والتي كانت في بدايتها. فكانت متواضعة بطبيعة الحال. وبالنسبة لي لا أظن أنني تلقيت جميع التطعيمات المفروضة ضد الأمراض (الحافظ الله)، ففي أثناء قيام ممرض (الصحية) بتطعيم الطلبة كنت عندما أعرف أو أشعر بمقدمه أرفع أصبعي بأدب جم وخجل، مستأذناً من الأستاذ بأنني أريد الذهاب إلى دورة المياه. فأختبئ فيها أو في أحد الممرات (الصادة) إلى أن أسمع صفارة انتهاء الحصة وبداية الفسحة. فأخرج من مخبئي مسرعاً لألعب مع أخي وأعمامي وبقية الزملاء، الذين تلقوا التطعيمات في ذلك اليوم. وعندما نعود لمنزلنا، ويسأل الأهل عن التطعيم (الوتانه)، كنت أسهب في وصفها، وما سببته لي من ألم في أثناء حملة التطعيم في المدرسة.



عالم الضياع!

يحدث كثيرًا أن تُثار بعض الموضوعات عبر الصحافة. فيتم تبنيها وإقرارها من الجهات المعنية. فتصبح نظامًا وقرارات يجب تنفيذها. لمصلحة المواطن والوطن. ومثال على ذلك ما حدثني به الدكتور عبدالله المضحي رحمه الله عن فحص واشتراطات ما قبل الزواج. الذي أضيف وأُدرج فيه أخيرًا فحص الإيدز. وهو ما طالبت به كثيرًا عبر سوانح. فأُسعدني ذلك، لأنه إجراء سيسهم في حماية المجتمع من انتشار ذلك المرض. وسيندرج في درهم الوقاية الذي هو خير من قنطار العلاج. ويمنع انتقال الإيدز من زوج مصاب لا يعرف بإصابته أو أنه يعرف ويريد أن تشاركه إحدى الحرائر الغافلات ما يعيشه من آلام وضياع. وأضاف الدكتور المضحي مُحسنًا الظن في سوانح. أضاف طالبًا مني الكتابة والمطالبة بإدراج فحص آخر في اشتراطات ما قبل الزواج. يكشف متعاطي المخدرات ضمن فحص ما قبل الزواج. والدكتور عبدالله المضحي زميل قديم، ويسعدني بين حين وآخر بتعليقاته (وإيميلاته) التي تُثري سوانح، وتمدها بأفكار وموضوعات مهمة. وأجدي اليوم استجبت لطلب الزميل العزيز؛ فالمخدرات آفة يجب أن تتوافر كل الجهود لمحاربتها. وفئة الشباب هي المستهدفة لتعاطي المخدرات. فيجب أن توجه كل الجهود لحماية تلك الفئة. ومن يقع في المخدرات هم شباب في العادة. وممارساتهم وتعاطيهم للمخدرات تتم بالخفاء. وهي الفئة التي تُقدم على الزواج. وعندما يتقدم

أحدهم للزواج فـ(بطبيعة الحال) لن يخبر من سيناسبهم بأنه مدمن مخدرات. وأحسب أن فحص ما قبل الزواج يندرج تحت الوقاية والحماية من سموم العصر المخدرات، فكشف متعاطي واحد وعلاجه مهما بلغت التكاليف المادية خير من توريط شابة بريئة في الارتباط بدمن مخدرات، يُحيل حياتها إلى جحيم. ليس هذا فحسب. بل قد يجرها معه إلى عالم الضياع. فقبل عدة أيام شاهدت في قناة الإخبارية اعترافات امرأة وقعت في تعاطي المخدرات. وما لفت نظري في اعترافات المرأة هو قولها: إن من دلها وأوقعها في عالم (الكيف) أي المخدرات هو زوجها. والاحتمال كبير أن يكون هذا الزوج المتعاطي للمخدرات قد وقع في المخدرات قبل الزواج. فإذا أُدرج فحص الكشف عن تعاطي المخدرات ضمن اشتراطات ما قبل الزواج كإجراء وقائي. سيكون ذلك سبباً لحماية المجتمع من التفكك الأسري. وعدم دخول المزيد من شبابنا وشاباتنا في عالم المخدرات والضياع.



الدم الملوٲ

إن كنت لا تدري فالمصيبةُ أعظمُ!

ثمة تساؤل. أبدأ بالإجابة عليه في هذه السوانح. عن الحساسية من البنسلين. هل تتغير أم تظل ثابتة مدى الحياة. والتي يجب على من سيحقن به (البنسلين) أن يجري فحصًا لوجود الحساسية من عدمها. أقول: إنها ستبقى مع هذا الإنسان مدى الحياة. وكل من أجرى فحص حساسية البنسلين يجب عليه ألا ينسى. كما حدث مع المريض في سوانح ماضية. كفحص تحديد فصيلة الدم. إن كانت أو زايد أو بي ما ينص مثلاً. فلن تتغير مدى الحياة أيضاً. فكل واحد منا تجد نوع فصيلة دمه مكتوبة في بطاقة أحواله. وغيرها من أوراق ثبوتية. وما ينطبق على البنسلين. ينطبق أيضاً على مرض مثل الحمى المنجلية والثلاسيميا. إن شُخصت لدى شخص ما فسيظل المرض معه مدى الحياة. ما علينا. فأدخل في صلب الموضوع. حيث كان حديث سوانح ماضية عن الطفلة البريئة رهام. والشاب الذي نقل لها دمًا ملوٲًا بالإيدز. والذي صرح لإحدى القنوات التلفزيونية بأنه تبرع لمستشفى وزارة الصحة ثلاث مرات خلال الأشهر القليلة الماضية. وفي كل مرة يشكرونه على التبرع، ولا يخبرونه بأنه مصاب بالإيدز. وهو أمر غريب حقًا. حيث يقول: إنه علم بإصابته بالمرض عن طريق الإعلام. وأنا أقول (إن صدق قوله): (خوش) مختبرات. فبنك الدم يستلم دماء المتبرعين. ويضخها في شرايين من يحتاجونها. ولا داعي

لفحصها. فالثقة موجودة فيمن تبرع. ووجود دم ملوث. لن تزيد نسبته عن الواحد في المئة. ناهيك عن أن المختبر يُحسن الظن فيمن تبرع بأن صحته جيدة. فما بالكم بالإيدز. فهو نادر في مجتمعنا. والدليل ما أصاب رهام. وقبلها الشاب الذي نقل لها المرض. عندما انتشر الخبر في الإعلام. ما علينا. وأعود لمن تبرع بدمه. لأختم به سوانح اليوم. فأغرب ما في موضوع رهام قول صاحب الدم الملوث بالإيدز: إنه تبرع ثلاث مرات بالدم. من غير أن يعرف أنه مصاب بالإيدز. والحالة تلك ينطبق عليها قول الحكمة القائلة: إن كنت تدري (مختبر وزارة الصحة) فتلك مصيبة. وإن كنت لا تدري (مختبر وزارة الصحة) فالمصيبة أعظم. وحيث إن مختبرات وزارة الصحة استقبلت دمًا ملوثًا بفيروس الإيدز لثلاث مرات. لا يعرف المتبرع به أنه مصاب به. إلا عندما نُقل للطفلة البريئة رهام. فكانت المصيبة أعظم. والله وحده أعلم بما قد يكشف لنا المستقبل من حالات كحالة رهام لا سمح الله. ويؤيد ذلك قول مأثور أيضًا. يعرفه الجميع. تقول صيغته: ما خفي كان أعظم. أو الخافي أعظم. وربنا يستر.



تاميفلو ويانسون؟!

تكاد معظم أيام السنة تؤرخ لكل يوم تسمية أو مناسبة، تربطها بمرض أو حدث ما. تذكيرًا أو احتفاءً بتلك المناسبة. فالיום أو التاريخ الفلاني هو يوم الإيدز مثلاً. وآخر للربو، ويومًا عالميًا للشجرة، وهكذا. وفي أثناء كتابة هذا المقال وقد كان الخامس من مايو قرأت في جريدة الرياض أن المهتمين بالنظافة يُطلقون على الخامس من مايو في كل عام. اليوم العالمي لنظافة اليد (هاند هايجين دي)، وفي رأيي أن الخامس من مايو أو اليوم العالمي لنظافة اليد يكتسب أهمية هذه السنة أكثر من السنوات الماضية. بسبب إنفلونزا الخنازير. صحيح أن المرض منشأه الخنازير. إلا أن النظافة عامة، ونظافة اليدين بصفة خاصة ستُسهم بإذن الله في وئده ومنع انتشاره. وأغرب أو أطرف خبر سمعته فيما يخص انتقال عدوى إنفلونزا الخنازير (سواين فلو) هو نقل أحد المصابين بإنفلونزا الخنازير المرض إلى ٢٠٠ خنزير أصحاء في إحدى مزارع تربية الخنازير. في أثناء زيارته لتلك المزرعة. لشراء بعض الخنازير السمان. لذبحها والاتجار بلحومها أو أكلها. وكأنه بذلك يقول للخنازير: (تجارتكم رُدت إليكم)، وجميع أنواع الإنفلونزا وثيقة الصلة بالأماكن المزدحمة، وتدني مستوى النظافة الشخصية. وبالأخص نظافة اليدين. فلا غرو أن يُجعل يوم في السنة للتذكير بأهمية نظافة اليدين. وأغرب (إيميل) على سوانح ماضية عن إنفلونزا الخنازير. قول قارئ عزيز بأن موضوع إنفلونزا الخنازير وقبله

إنفلونزا الطيور وحمى الوادي المتصدع، لا يعدو عن كونه إرجافات لتشغيل مصانع الأدوية ومصانع آلات الكشف المبكر، وإنفاق (التريليونات)، لتذهب إلى جيوب لصوص من يريد سرقة أرزاق العالم الثالث. وأقول للقارئ العزيز (جائز): وما علينا على أي حال. وأختم سوانح بخبر آتٍ من الصين هذه المرة التي سجلت بعض الإصابات بإنفلونزا الخنازير. حيث نقلت قناة العربية تصريحًا عن وكالة صينية بأن تناول كأس دافئ من اليانسون يفوق مفعول دواء (التاميفلو) في الوقاية والحماية من إنفلونزا الخنازير. فأكثروا من إعداد وتناول اليانسون الدافئ (صغارًا وكبارًا).



إنسولين

ثمة التباس يقع فيه الكثير من مرضى السكري رجالاً ونساءً. أو مرافقيهم. وحتى ذويهم. عندما تبدو على المريض بعض الأعراض التي تنتهي بالإغماء. هل هي بسبب ارتفاع السكر أم انخفاضه. وبالنسبة لقلة من المرضى يتم معرفة السبب خلال ثوان قليلة. حيث يتوفر لديهم جهاز فحص الدم السريع (ريفلو شيك)، وثمة حقيقة علمية (أكرر قولها في سوانح)، لا يعرفها الكثير من الناس. خاصة كبار السن من مرضى السكر. والحقيقة العلمية هي أن إغماء أو الإغماء وفقدان الوعي، بسبب انخفاض السكر أخطر على المريض من الإغماء الناتج عن ارتفاع السكر، الذي يشكي منه مرضى السكر بين حين وآخر. وكثير من مرضى السكر ومن حولهم يلتبس عليهم الأمر عندما يشعرون بالدوخة والدخول في إغماءة. ولا أنسى موقف أحد الأصدقاء، عندما رأى أمه مريضة السكر عند (أسفل درج الصالة)، وقد أُغمي عليها. لا يدري أهو بسبب ارتفاع السكر أم انخفاضه. فقال لي: المهم أنه أحضر بعض الطبيب (كلونيا) وشريحة بصل، وأخذ يحاول إجبارها على الاستنشاق، وهزها من كتفها لإيقاظها. وهو يكاد يبكي، ولا يدري ماذا يفعل، إلى أن قام أخوه بنقلها للمستشفى. وهنا أقول في مثل هذه الحالة: أعط المريض شيئاً من السكر ولا تخف. ففي الغالب وهو الصحيح يجب إعطاء المريض أكلاً أو شراباً يحوي سُكراً، ليرفع نسبة السكر في الدم. فإن كان السكر مرتفعاً فلن تزيد بضع جرامات من السكر الحال

سوءًا. أما إن كان منخفضًا فسيستفيد المريض ويفيق، ويتم إنقاذه بسبب تلك الجرعات القليلة من السكر. ذلك أن خلايا المخ لا تتحمل انخفاض السكر الحاد والمفاجئ، وحرمانها من الأكسجين لأكثر من ثوان قليلة. وهي عملية معقدة يطول شرحها. بعدها تموت خلايا المخ، ويدخل المريض في إغماء قد لا يفيق منها. أما إغماء ارتفاع السكر فتتمر بسلام في معظم الحالات. ومريض السكر الواعي يجب عليه أن يحتاط لانخفاض السكر بتنظيم أكله، وأخذ ما يصفه له الطبيب من أدوية أو حقن إنسولين. وعدم (التخبيص) في الاثنين (الغذاء والدواء)، بل والاستفادة من أي تغيير أو وضع صحي كُتب وأُجبر عليه. نتيجة المرض. وأذكر في هذا الخصوص أن رجلاً أُصيب بالسكر أو السكري وهو في سن الشباب. قال: إنه أصبح من ممارسي رياضة المشي المفيدة والمتعة. والتي لم يكن يمارسها قبل إصابته بالمرض. وحديث السكر يطول. إلا أن حيز وعدد كلمات سوانح المسموح به قد اكتمل. فأقف عن الكلام المباح.



سُكري لُربُع السكان!

كثيرة هي الإحصائيات عن مرض السكر أو السكري. التي يعرفها الكثير منا. تُفيد بعضها بأن ٢٥٪ من سكان المملكة يُعانون من داء السكر. رجالاً ونساءً. صغاراً وكباراً. وثمة حقيقة علمية لا يعرفها الكثير من الناس. خاصة كبار السن من مرضى السكر. سبق أن ذكرتها. لعل في الإعادة إفادة. والحقيقة العلمية هي أن إغماء انخفاض السكر أخطر بكثير على المريض من الإغماء الناتج عن ارتفاع السكر. الذي يشتكي منه مرضى السكر بين حين وآخر. ذلك أن خلايا المخ لا تتحمل انخفاض السكر الحاد والمفاجيء لأكثر من ثوانٍ قليلة. بعدها تموت خلايا المخ، ويدخل المريض في إغماء قد لا يفيق منها أبداً. أما إغماء ارتفاع السكر. فمعظم من يتعرض لها بفضل الله، وهي الأكثر حدوثاً. تمر عليه بسلام ويفيق المريض منها. ومريض السكر الواعي يجب عليه أن يحتاط لانخفاض السكر أو ارتفاعه. بتنظيم أكله، وأخذ ما يصفه له الطبيب من أدوية أو حقن إنسولين. وعدم (التخبيص) في الاثنين (الغذاء والدواء)، ولدي أقارب ومعارف كُثُر مصابون بداء السكري. أجد بوناً شاسعاً واختلافاً كبيراً بين بعضهم بعضاً في تعاملهم مع المرض الخطير والمزعج. ومن ثم نتائجه على صحتهم التي تنعكس على نوعية الحياة التي يعيشونها. والإنسان العاقل بإمكانه التأقلم مع أي مرض كُتبه الله عليه. بل والاستفادة من أي وضع أُجبر عليه نتيجة المرض. وكثير من الناس يربطون بين مرض السكر والثراء. وكثيرة هي

القصص والنوادر حول هذا الموضوع. رويت إحداها في سوانح ماضية. عمن فرح بإصابته بالسكر. لأنه دليل على أنه سيصبح تاجرًا. لارتباط مرض السكر في أذهان البعض بأنه مرض الأغنياء والتجار فقط. فأختم هذه السوانح بقصة حدثت في السبعينيات الميلادية. من القرن الماضي. أيام الطفرة العقارية التي أثرى منها البعض. ومنها حادثة تُروى عن أحد كبار السن ومستور الحال. ومن حسن حظه أنه صديق لتاجر كبير في العقار ومصاب بداء السكر. ولا يشرب الشاي إلا مرًا ودون سكر. بعكسه حيث يشرب كل بيالة شاي. وقد أذيب فيها الكثير من السكر. ويحضر كل يوم بعد العصر لمكتب صديقه العقاري الثري. وفي إحدى المرات حضر بيعة لأرض. فصديقه الثري يريد حضوره الصفقة لتنفيعه. وقد قيل: من حَضَرَ القسمة فليقتسم. فناله من الصفقة مئتي ألف ريال أو تزيد قليلًا. وهي (طفسة) مقارنة بقيمة الأرض التي بيعت بمئات الملايين. وفي اليوم التالي قام قهوجي المكتب العقاري. كما تعود. بإحضار الشاي وتوزيعه. على من في المكتب. وعندما أعطى (مُحدَث النعمة) بيالة شاي محلاة بالسكر كالعادة. أعادها إليه. وهو يقول من الآن فصاعدًا (صب لي) شاهي مر. شاهي التجار. فقد أصبحت من التجار. ولله الحمد. وأتوقع أنني قد أصبت بداء السكرى.



قمح أم شعير؟!

ثمة مقولتان يعرفهما الجميع. الأولى عندما يأتي الحديث عن جودة شيء ما. أو الاستفسار عن أمر ما. فيأتي بصيغة سؤال: قمحة ولا شعيرة (أمحه ولا شعيرة) باعتبار القمح أفضل من الشعير. والمقولة الثانية تُعبر عن شيء أو شخص يُستفاد منه. بل يُستهز ويستغل. ومع ذلك يُذم أو يُلام وينتقد. فيقال: إن هذا الشيء أو الشخص مثل الشعير مأكول (ن) مذموم. وفي (النت) قرأت ما للشعير من فوائد وقيمة غذائية. أذكر بعضاً منها: تخفيض الكولسترول. علاج أمراض القلب. علاج الاكتئاب. علاج ارتفاع السكر والضغط. يحتوي الشعير على مضادات الأكسدة. وبذلك يقاوم السرطان. يحتوي الشعير على الكثير من الألياف. ومن ثم يعد مهدئاً للقولون ومليناً. يحتوي الشعير على الحمض الأميني المفيد (تربتوفان)، وبالنسبة لي تعد هذه معلومات جديدة، تُرجح كفة الشعير على القمح. بعكس ما كنا نفهمه من المثل القديم: (أمحه ولا شعيرة). فأقول: (يا بخت) الإبل وبقية المواشي. فهي تأكل غذاءً مفيداً. وفوائد الشعير تلك (خاصة تخفيض الكولسترول)، أريد أن أركز عليها هنا. فثمة زميل طبيب يشكي من السمنة وزيادة الكولسترول. ويحمل كل الصفات الصحية السيئة والخطيرة (ريسك فاكترز)، فهو مُدخن شره، وأكول نهم. ولا يقوم بأي رياضة، أو حتى المشي لأمتار قليلة يومياً. لذا تراكت في جسمه الدهون، وقبلها أو معها الكولسترول في شرايينه وقلبه وكبدته. ويُريد أن ينقص وزنه بأي طريقة، ويتخلص من الكولسترول الذي أرقه. باتباع أي

نصيحة طبية أو عشبية. مع احتفاظه بمضغ وابتلاع بشراة كل ما لذ وطاب من لحوم وأرز وحلويات. وفي إحدى المرات سمع أن مضغ البرسيم واستحلابه في الفم يخفض الكولسترول. فما كان منه إلا أن صدق ذلك. فأضاف البرسيم إلى مشترياته (مقاضي البيت) الأسبوعية. وفي صباح أحد الأيام شاهدته في استراحة الأطباء في أثناء الكوفي بريك. ويداه الالثنان مشغولتان وممدودتان إلى فمه. إحداها بين السبابة والوسطى تحمل سيجارة مشتعلة. والأخرى (الإبهام والسبابة والوسطى) تحمل وريقات خضراء ندية، يُدخلها إلى فمه بعد إخراج السيجارة منه، وهو يتبعها بدخان كثيف في أثناء ذلك. ليمضغها ويجترها بعد أن اشتراها من سوق العلف، وعندما فاجأته بتحيتي الصباحية. ارتبك، وهو يحاول ابتلاع أو إخراج ما امتلأ به فمه من برسيم كان يجتره قبل حضوري. ولم يكن موقف التقائنا القصير في غرفة الأطباء قد سمح لي بأن أقول لزميلي العزيز بأن يتحول من البرسيم إلى الشعير!!.



أسناننا بين الأمس واليوم؟!

أعرف طبيب أسنان له في الخدمة أربعة عقود من الزمان أو تزيد. قال لي في إحدى المرات: إنه يتعامل مع سن المريض، كما يتعامل الطبيب البشري مع أعضاء الجسم. كاليد والقدم. منتقداً ما يتناقله الناس من مقولة: (دوا الضرس خلعه)، وأبدأ سوانح بالقول الصريح: إن هناك نوعاً من الغيرة أو الغبطة (لا الحسد) من الزملاء أطباء الأسنان وطبيباته. فالكل يعرف أنه عند التقديم للدراسة في الكلية بعد الثانوية العامة يضع المتقدم طب الأسنان رغبة أولى، والطب البشري رغبة ثانية، والصيدلة رغبة ثالثة. وبذلك يكون عدد كبير من الأطباء البشريين الممارسين في جميع الأوقات لم يُقبلوا في الأسنان أو رجع أسنان. ومن خلال عملي الطبي. وأيضاً عندما أراجع طبيب الأسنان كمريض أرى سلاسة عملهم وجماله منذ الكشف الأول على أسنان المريض، ونتائج ذلك العمل الفورية. أما نحن (البشريون) فكشف إكلينيكي أو سريري وفحوصات وتحاليل مخبرية وغيرها كثير. نقول بعدها للمريض: كله سليم. ومع ذلك نصف للمريض (خيشة أدوية) ضررها أكثر من نفعها. ولم يكن الناس يستعملون فرشاة الأسنان فيما مضى. وعن نفسي أقول: إنني لم أستعمل فرشاة الأسنان والمعجون إلا عندما كبرت، وأصبحت طالباً في الكفاءة أو المرحلة الثانوية. وبصراحة لم يكن تفريشي لأسناني تقليداً للكبار. أو نتيجة تعليمات من الأهل، ووعي بوجوب المحافظة على الأسنان ونظافتها. بل نوع

من التباهي أمام الآخرين (يعني أني) يتماشى مع فترة المراهقة آنذاك. فبدأت تفريش أسناني مع لبس الكبك والتمشي في شارع الشميري والوزير. والدوجان على الأقدام أو على سيكل (تك أو بلون) في العجلة. والتصوير في استوديو سعيد أو عند البنايات الحديثة في شارع الخزان. وأعود إلى الأسنان. فالذين يفرشون أسنانهم (أيام زمان) كبارًا وصغارًا كانوا قلة. وأذكر أن أحدهم عندما أراد محاسبة صاحب البقالة (يقيد على الدفتر)، ويدفعها عند استلام الراتب. استغرب وجود شيء اسمه فرشاة أسنان ومعجون أسنان، أخذها أحد أبنائه من ضمن المشتريات لأهل بيته. فذهب إلى بيته وأحضر الفرشاة والمعجون (بعد فتح فرشاة الأسنان والمعجون واستعمالهما مرة أو مرتين)، ليعيدها لليمانى صاحب البقالة. بعد أن سأل زوجته وأولاده بغضب وبصوت عال: (من اللي خذ وجاب هالخرابييط من الدكان. خلوا عنكم الفسقة والزود والإسراف). تذكرت هذه الحكاية وأنا أشاهد افتتاح قسم الأسنان في مستشفى قوى الأمن لعيادات تُعنى بأسنان الأطفال في سن ١٨ شهرًا.



نَبَضُ بِلان ١٩

بين حين وآخر يقوم معظم كتاب الزوايا -وهو ضروري- بالتطرق لبعض الدعابة والهزل أو (الهذر)، كما يسميه الكاتب الكبير جهاد الخازن. فالنفس إن لم يُروح عنها تكل وتمل. إن كاتبًا أو قارئًا. وفي أثناء تنقلي (بالريموت كنترول) بين القنوات الفضائية لفت نظري منظر الفنان الراحل فهد بلان، وهو يغني في حفلة قبل وفاته بقليل. لفت نظري ما أصابه من وقار وترهل. بعكس ما كان عليه من (شبووية) في السبعينيات الميلادية من القرن الماضي، عندما كان يغني في قناتنا الأولى والوحيدة آنذاك:

يا بنات المكلا يا دوا كل علا يا سقى الله رعى الله. إلخ
وثمة أغنية أخرى لفهد بلان توازي (يا بنات المكلا) شهرة، وهي
أغنية أهل الهوى. التي يقول فيها:
جس الطبيبُ لي نَبَضِي (بفتح النون والباء)

فقلتُ له: إن التألم في كبدي. فاترك يدي يا سيدي فاترك يدي.
فظننت آنذاك وكلما سمعت تلك الأغنية في قناة تلفزيوننا الأولى أن هناك
عضوًا في جسم الإنسان يُسمى النَبَضُ. وقد عرفت فيما بعد أن جس النبض
بفتح النون المشددة وسكون الباء. هو أول ما يقوم به الطبيب لتشخيص
حالة المريض. وأن فهد بلان قد يكون فتح النون والباء للضرورة. كي
يستقيم بيت الشعر مع بقية القصيدة. كما حصل في قصيدة (بلاد العرب
أوطاني) عندما قال الشاعر بغداني بدل بغداد، ليستقيم بيت الشعر مع

أوطاني وتطواني. ما علينا. فقد كان فهد بلان في أثناء غنائه يا بنات المكلا (للذي لا يعرف المكلا ولاية في اليمن)، أو أهل الهوى كان يقوم بهز كتفيه وتحريك حاجبيه (بما يشبه الغمز)، وهو يلوح بمنديل في يده اليمنى. واضعاً يده اليسرى خلف ظهره. ليبدو أكثر شباباً وفتوة (أباضي).
ويقابل أغاني فهد بلان لدينا في التسعينيات الهجرية من القرن الماضي (اللي يخرش العود) أو الذي ذهب للمشتل في الخرج. فرأى سواداً يتحرك فظنها حسناء تنظر إليه وتبتسم. فأخذ يتغزل بها ويغني شعراً جميلاً.

قائلاً: أنا تل قلبي تل. هوا البال في المشتل أبو مبسم يقتل.
وعيون قتاله. فيستزل طرباً كل من يسمعها وبه مس أو زيران. قائلاً (أويلاه)، وقد تتطور حالته إلى إغماء، لا يفيق منها إلا بعد أن يُرَش بالماء. فيستفيق مذعوراً وهو يقول (ويني فيه)!.


الريف الإنجليزي

في كتب الطب ومراجعته هناك نبذة تاريخية في بداية أو نهاية كل موضوع ندرسه عن مرض ما، كنت أطلع عليه في أثناء دراستي وإلى الآن. إما عن المرض نفسه أو عمّن اكتشفه ونحو ذلك. كهنري قري (قريز) أبو علم التشريح. ومن ذاكرتي (القديمة والصدئة) كان هناك في كتاب علم الأمراض بضعة أسطر (تاريخية) عن مرض التيتانوس (الكزاز)، تقول الأسطر أو التمهيد التاريخي: إن عدد الوفيات بين الجنود الأمريكيين المصابين في الحرب العالمية الثانية (أربعينيات القرن الماضي) انخفض بشكل كبير بسبب إخضاع الجنود للتطعيم ضد ذلك المرض الفتاك قبل دخول الحرب. ونحن أيام زمان لم نتلق أي تطعيم بطبيعة الحال، ونلعب (حفاة الأقدام) على أرض ترابية متسخة، تحتوي بلا شك على بكتيريا الكزاز العتيدة، ونصاب بجراح أو جروح كبيرة، ولا تستطيع بكتيريا الكزاز أن تصيب أحدنا بفضل من الله. (السالم معزول)، مع أن المرض يصيب تقريباً كل من يتعرض لأي جرح مهما كان بسيطاً وصغيراً في بيئة ملوثة كملاعبنا الترابية أيام زمان. ولا أنسى (تاريخياً) طفلة إنجليزية أصيبت بالمرض، وماتت بسببه في الريف الإنجليزي الجميل والنظيف، بسبب سقوطها في أثناء قيادتها لدراجة هوائية. وتاريخياً أيضاً كنا نسقط من السيكل في ريف القرينين ومعكالم ومنفوحة بلا إصابات تُذكر. فمسكينة من سقطت في الريف الإنجليزي. وأكمل سوانح بموقف لا أنساه ما حييت.

فقد كنا نلعب الكرة أحياناً في (عز القوايل) والناس (مقيلين) يخلدون إلى راحة أو غفوة. فنزعجهم بلعبنا للكرة. وفي إحدى المرات (عز القايلة) كنا نلعب كالعادة. وقمت أنا (بتسطيح) الكرة في سطح أحد المنازل. فطرقت الباب راجياً ومستجدياً صاحب المنزل بأن يعيد لنا الكرة. وما هي إلا دقائق قليلة لينفتح الباب قليلاً وتُطل أو تخرج منه يد غليظة تحمل سكيناً حادة، وعلى رأسها أو طرفها الأعلى كرتي (المشقوقة)، والرجل الذي لا يبدو منه إلا ساقان ممثلتان (وسراويل السنة) يقول بصوت أجش غليظ. وهو يزبد ويربد في أثناء رميه للكرة المشقوقة: (المرّة الجاية أبشق بطنك بها السكين).



طباخ الكرز

سبق لي منذ عدة سنين. وعندما يشتد الحر (كأيامنا هذه) من جون وجولاي وأغسطس (آب اللهاب) أن تناولت في سوانح وغيرها. ما تطبخه الحرارة من تمر وفواكه وأوادم. فأقول عودًا على بدء: إن ثمة رحلة لا أنساها قمت بها قبل عقدين من الزمان أو يزيد لتركيا في إجازتي الصيفية بصحبة العائلة. ومع أن البلد ومطاعمه نظيفة والجو بارد. إلا أننا (خاصة أطفال الصغار آنذاك) لم نسلم من النزلات المعوية. أو ما يُسمى إسهال المسافرين. والجميع لاحظ ارتفاع درجة حرارة الجو أكثر من المعتاد في تلك السنة. ما يعني أن طباخ التمر. سيطبخ التمر بعد أن يطبخنا نحن البشر. قبل أوانه (وسنتلمس التمر بالليل. قبل دخول سهيل) ومن ثم ستمتلئ الأسواق بأنواع الرطب باكرًا تلك السنة. وزيارة قصيرة لأسواق عتيقة عند دخول شهر رمضان الكريم. ستؤكد ما أقول. ما علينا. وأعود إلى ما بدأت به سوانح. ففي تركيا يجذبك. بجانب جمال الطبيعة والجو البارد في الصيف. أنواع أطعمتها وفواكهها اللذيذة. وعلى سبيل المثال لا تجد بطيخة إلا حمراء حلوة الطعم. وعند الشراء لا تحتاج للضرب على البطيخة أو الرقية (بلهجة الكويت) كضرب الطبيب بالسبابة والوسطى (بركشن) على صدر المريض وبطنه في أثناء الفحص السريري. والبائع يحلف كذبًا أنها حمراء وعلى السكين. مخرجًا سكينًا متسخة لإثبات صدقه. فالبطيخ لدينا (شختك بختك) أما في تركيا فما عليك إن اشتريت

بطيخًا أو حبجباَ إلا أن تؤشر للبائع بأن يعطيك واحدة. وتعطيه قيمتها. فكل بطيخة ستجدها حمراء وحلوة الطعم. ما يدل على أن الأتراك عملوا واستفادوا من بحوث وتجارب على البطيخ. بحيث لا يُزرع ويُنتج إلا ما كان جيدًا وجديرًا بالأكل. وقبل ثلاثة عقود من الزمان أو تزيد. كنا في لاهور مدينة الطيور والزهور. وفي أثناء الدراسة الجامعية. كنا نسمي أيام شدة الحر (جولاي وأغسطس) طباخ المنقا. حيث تتضج وتستوي أنواع المنقا اللذيذة في هذين الشهرين من كل عام. والشيء بالشيء يُذكر، والحديث يجر بعضه بعضًا. ففي سوانح ماضية كان الحديث عن الأطعمة وما تسببه من أمراض. ونصحت بتجنب السلطة في المطاعم. ومفردة أو كلمة سلطة تذكرني بلاهور. فسلطة معربة عن الإنجليزية (سالات) وبالأردية لغة السند والهند، تعني الخس فقط أحد مكونات (السلطة)، وأعيد نصيحة ذكرتها مرات عدة. وأقول لكل من يضطر للأكل في المطاعم وخارج منزله خاصة في الصيف: بأن يتجنب أكل السلطة، لأنه لا يعرف عن مستوى نظافة من أعد السلطة. وكيف أعدها. ولأن السلطة لا تتعرض للنار. لقتل أخطر بكتيريا أو حويصلة دوسنتاريا.



العجلة والذكريات صدى السنين الحاكي!

تكثر مناسبات الزواج في أيام الإجازات كل عام. ما ذكرني بزواجات أيام زمان وقبل ثلاثة عقود أو أربعة أو تزيد. وثمة حقيقة تترافق أو تحدث ليلة الزواج. فقد كنا نحن الشباب والصبية لا نذهب بعد انتهاء وليمة عشاء الزواج. فهناك جملة تقال من الداعي أو ابنه يوجهها للمدعوين من الرجال، وبالذات الشباب الصغار والصبية. يقول فيها: (لا أحد يروح ترى بنجيب سينما)، أي أنه سيتم إحضار فلم سينمائي من المربع للفرجة والسهر عليه. والفلم في العادة يكون من بطولة هند رستم أو نادية لطفي. أي فلمًا غراميًا تسمع في أثناء عرضه تأوهات الشباب. أو (آكشن) لفريد شوقي أو محمود المليجي. وفي أثناء العرض لا بد أن تحترق (اللمبة) فتُسمع كلمة تقول: قطوا يا شباب نجيب لمبة جديدة من المربع لتغيير المحروقة. ما يدع المتفرجين متشوقين لمعرفة بقية القصة الغرامية. أو ماذا فعل فريد شوقي وهو يقوم بدور عنتر من قتل وتمزيق لأعدائه على مرأى من عبلة بنت مالك حبيبة عنتر المعشوقة. والعاشقة لابن عمها عنتر بن شداد. ابن الجارية السوداء. الذي قال في إحدى المرات (وهو مأسور ومربط بالحديد) قال: واللّه إذا ما طاوعني الحديد. لأغير اسمي من عنتر إلى فريد. وأخوه شيبوب الذي تراه في الفلم يتنقل من مضارب قبيلة لأخرى بلا هوادة. لا يلوي على شيء. أو مرسلاً من قبل عنتر أو بحثاً عن عنتر. وأشهر منزلين طينيين كبيرين تُقام فيهما حفلات الأعراس والزواجات أيام زمان. وبسعر أوقية رمزية. هما بيت (ابن) في العطايف والثاني بيت (ابن) في المربع. و(ابن) هما اسمي عائلتين كريمتين من أهل الرياض. حضرت شخصيًا

عدة مرات زواج أقارب ومعارف فيهما. ولا يزالان قائمين يصارعان الزمن، ليبقيا شاهدين على لقاء رجل بامرأة لأول مرة (الربعية)، وزواجات أيام زمان لميسوري الحال، لا بد أن تحييها أنغام ودفوف حجبيا أو نغيمشة رحمهما الله. في (بطن الحوي) حيث تتحلق وتتجمع المدعوات من النساء، وبعضهن يقمن بالرقص. وفي غرفة قصية أو بعيدة قليلاً عن مكان ضرب الدفوف وإنشاد الطقاقة. كان الرجال والصبية يتفرجون على عرض سينمائي لفلم أحضر من المربع كما قلت. ما علينا. فبالإضافة إلى (قصري) العطايف والمربع يوجد مكانان لإقامة الزواجات أيام زمان. الأول مدرسة معاوية في شارع الخزان في أثناء الإجازات. والثاني منزل طيني كبير في العجلية. عندما أذكره يصيبني الكثير من الوجد والشجن. فلا أنسى تلك الطفلة الجميلة. التي كنت أتخيلها تبتسم لي. وبنيت آمالاً على تلك الابتسامة بأن أكون أنا وهي زوجاً وزوجة. صارت سراياً. وعاش الأمل الكاذب ردحاً من الزمان. إلى أن كبرنا. وهي بلا شك تنتظرني قادمًا لخطبتها. فقد كانت ابنة الجيران. وطالما لعبنا سويًا مصاقيل ودبق أو أنني أنضم لأترابي، وأدعها (وهي تنظر إليّ) لألعب الكعابة وطاش ما طاش. أو أنها تتركني (وأنا أنظر إليها)، وتنضم لصويحباتها ليلعبن في التراب (خروقه)، وبعد ذلك كان لقاء العجلية. للحظات قليلة. ورؤية خاطفة بلا كلام. فلم أستطع البوح: وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عيناك. ومرت سنون طويلة وعقود على اللقاء والحب العذري. فطواه النسيان. إلا أنه خلف جذوة تشتعل من حين لآخر. عندما أذكر بيت العجلية وابتسامتها العذبة. ونظراتي الحائرة إليها آنذاك. والذكريات صدى السنين الحاكي. فرحم الله أحمد شوقي.



الصوت الشجي

ثمة شعور جميل يشعر به طالب الطب بعد اجتيازه السنة الثانية، وبداية الدراسة الإكلينيكية في المستشفى، بدءًا من السنة الثالثة. أبرزها التشخيص بالسماعة الطبية، التي تُحيط بعنقه، أو تتدلى من جيب البالطو الأبيض. ووجود السماعة الطبية من نوع (لتمان)، تُشعر طالب السنة الثالثة بالزهو والفخر. خاصة عندما يمر أمام طلبة السنة الثانية أو بالقرب من المشرحة التي قضى فيها أيامًا وشهورًا مملة وكريهة، لا تزال رائحة الجثث والمواد الحافظة لها تُعشعش في أنفه وخياشيمه. وبالنسبة لي على مستوى الدراسة هناك فرحتان: الأولى امتلاك أدوات هندسة (خاصة الفرجار والمنقلة) في السنة الرابعة أو الخامسة ابتدائي. والثانية تطويق عنقي بالسماعة الطبية في السنة الثالثة في كلية الطب. وقد ذكرت في سوانح ماضية. ذلك أن السنة الثانية هي عنق الزجاجة في دراسة الطب. ولا أزال أذكر كيف أخفق نصف زملائي (أو القروب) في تلك السنة. فمنهم من أعاد أو (سقط) لينجح في السنة التالية. والأغلب غير مجال دراسته، وبعض آخر عاد للوطن ملتحقًا بعمل حكومي بشهادة الثانوية العامة. فتح الله له أبواب رزق ما كان ليحصل عليها، لو أنه تخرج طبيبًا. والثانوية العامة آنذاك تُعادل (البي إتش دي) هذه الأيام. وفيما تبقى من سوانح أكمل حديثًا بدأته في سوانح ماضية. عن ضفدع المختبر المسكين، الذي كنت أقوم بتشريحه، وأجراء التجارب عليه. فقبل التشريح

نقوم بضربه ضربة واحدة على رأسه الصغيرة بخشبة صغيرة، فيغمى عليه (لا يموت)، لنتمكن من تشريح الضفدع، وعمل التجارب المطلوبة على عضلة كبيرة في فخذ الضفدع وهو حي، أو عضلة القلب وهو ينبض. وضربة الضفدع مهمة جداً. وفي إحدى التجارب كانت ضربتي للضفدع على رأسه ضعيفة، بحيث (داخ) الضفدع لدقائق فقط، لم يغم عليه. ليفيق ويستيقظ في أثناء التجربة، وقبل نهايتها بقليل، وهو يصدر نغمة وصوتاً شجياً. ويقفز (كالعفريت) من شدة الألم بين قوارير ودوارق التحاليل في المختبر. والدماء تلتخ كل شيء، يقع عليه جسمه الصغير والمذبوح، وقدماه الصغيرتان، والمكسورة إحداهما في العادة.



أطباء وتفتيش !

لو سألتكم أي طبيب: ماذا أعطتك مهنة الطب غير المال؟ لقال الاحترام والتقدير. فمهنة الطب تكاد تكون الأولى بين المهن التي تجد الاحترام والتقدير على جميع المستويات. فبمجرد أن يعرف من تتعامل معه أنك طبيب يقف لك احتراماً، لما تحمله من علم، ولقدرك على علاج آلامه أو تخفيفها. إلا أن هناك غصة يشعر بها كل طبيب يُشك في أمانته وانضباطه. واقروا معي ما جاء في جريدة الرياض بتاريخ ١٦ رجب ١٤٣٠ عندما ناشد أحد الكتاب وزير الصحة بالتدخل وإيقاف ما يتعرض له الأطباء السعوديون، ممن يتعاونون مع القطاع الخاص من إذلال وإهانة، سحبهم أمام المرضى والناس بصورة شبيهة بحملات المداهمات، وتعقب مخالفتي الأنظمة من العمالة السائبة. وعمل الأطباء السعوديين في القطاع الخاص (برايفت سيكتر) سبق لي مناقشته مرات عدة في سوانح. وهو موضوع خصب للنقاش عبر الصحف. وكل كاتب يدلي بدلوه. إلا أن دلو من ناشد بنصرة الأطباء فيه الكثير من الدفاع والذب عن زملاء مهنتي الأطباء، فجزاه الله خيراً. وأقول لوزارة الصحة: ما هكذا تورد الإبل. في التعامل مع شريحة عزيزة من المجتمع، قدرها أن تتعاطى وتتعامل مع أغلى ما يملكه الإنسان وهي صحته. فكيف يُسمح لحملات التفتيش على رأس العمل (وجرجرتهم) أمام الملأ. يا وزارة الصحة. فالحملات يجب أن تكون على الأطباء في أثناء الدوام الرسمي في المستشفيات الحكومية. أما

في الأوقات خارج ذلك الوقت والدوام، فالطبيب حر في وقته كيف يقضيه. وأرى كما قلت سابقاً في سوانح ماضية أن حل مشكلاتنا الصحية يكمن في مراجعة أو تطوير نظام بدل التفرغ، الذي تجاوز عمره الأربعين سنة. والذي يكبل أيادي الأطباء السعوديين، وعدم الانطلاق والإبداع. وبسببه تتعذر وزارة الصحة، وتقوم بجولاتها المسائية على القطاع الخاص. فالنظام (بدل التفرغ) أكل عليه الدهر وشرب. والاستمرار في تطبيقه بصورة فيها الكثير من الثغرات والنقص، يساوي بين طبيب ذي همة وإنجاز أو تخصص نادر (فضل الله يؤتيه من يشاء)، وآخر أقل شأنًا. يقنع بما يستلمه في نهاية كل شهر. فيه الكثير من الغبن والقهر من حرمان حق مستحق بعد حجب آفاق رحبة للعطاء والإنجاز. ونقطة أخرى مهمة لحل مشكلاتنا الصحية. هي توحيد سلم رواتب الأطباء السعوديين في جميع قطاعات الدولة. وللحديث صلة.



(شاطر ومشطور بينهما ستيك)؟!

التسمية أو الترجمة العربية لساندوتش هي: شاطر ومشطور بينهما كامخ. وهي ترجمة مجمع اللغة العربية. وثمة مدة زمنية قصيرة بين حادثة إغلاق مطعم شارع التحلية المشهور بالرياض. وإحباط أو مداهمة ٤٢ عاملاً يحولون استراحة بالرياض أيضاً لمعمل تحضير أطعمة مخالفة. ففي تصريح لمدير عام صحة البيئة لإحدى الصحف. فيما مضى جاء فيه أن فرق طوارئ صحة البيئة بأمانة منطقة الرياض تمكنت من رصد استراحة يتم فيها تحضير المواد الغذائية. ومطعم التحلية عالمي أمريكي، ويتردد عليه الكثير من الرجال والعوائل. وله فروع عدة في الرياض وجدة والدمام. أعيد افتتاحه بعد انقضاء مدة العقوبة والإغلاق. الذي كلف المطعم خسائر بملايين الريالات في أثناء إغلاقه وبعده، بسبب إحجام زبائنه الكثير. وقد حدثني من أثق به أن محبي (الستيك والناشز) قد عادوا للتمتع بأكله بعد (فرك ومهص) أذن مطعم التحلية الفاخر. والحديث عن التسممات الغذائية حديث ذو شجون. والقاسم المشترك فيها أو بينها هو عدم النظافة والوساخة. أي عندما يكون من يعد الغذاء (طمل)، ولا يُراعى شروط النظافة في نفسه، وما يُعده من أطعمة. في غياب الرقيب. ولعل القراء الأعزاء قد شاهدوا مثلي مقطعاً أو لقطة مصورة لعامل في مطعم أمريكي متخصص في البييتزا. تم إخفاء الكمية عنه في أثناء التصوير. وهو يقوم بإعداد البييتزا. وكيف كان العامل الأشقر يقوم بالبصق تارة ونثر

أنفه أو خشمه تارة أخرى على البيتزا قبل أو بعد خبزها في الفرن. وقبل تقديمها للزبائن. وأقول: إنه من نعم الله أن معظم ما نشتره ونأكله في المطاعم يتعرض للنار. وإليك قصة عايشتها قبل عقد من الزمان أو يزيد. للتدليل على نعمة وفائدة تعرض الغذاء للنار قبل أكله. وإهمال و(طمالة) بعض من يقوم بإعداده. فقد كنت مدعوًا مع آخرين (لعزيمة) عشاء. وفي أثناء تناوله. مد أحد المدعويين يده لرأس الخروف المطبوخ كي ينتزع اللسان اللذيذ ليأكل جزءًا منه، ويعطي البقية للذي بجانبه ولن يليه، (كما تعود أكلو أسنة الخرفان في العزائم)، إلا أنه فوجيء وبقية المدعويين بمنظر (يسد النفس)، حيث فم الخروف وقد امتلأ بالبرسيم (الطعام)، وأسنان الخروف (الجذع) تطبق على اللسان (حلاوة الروح)، لسان كان الذي مد إليه يده. يريد أكله (من لغاليغه) فلم يفعل. وأعود لتصريح ومجهود صحة البيئة. لأركز على قولها: إنه تم التحفظ على ستة أطنان من المأكولات الجاهزة والمواد الغذائية المخزنة. وقطع دجاج وبكميات كبيرة محضرة ومخزنة داخل الثلاجة (أكل بايت)، وأختم بخبر غريب آخر يجمع بينه وبين حديث هذه السوانح، وهو موضوع النظافة. حيث يقول الراوي: إنه اكتشف (بالصدفة) أن هناك عامل نظافة يعمل صيدليًا في مستوصف حكومي. ففعل رجبًا ترى عجبًا.



في تقويم الأسنان ١٩

بعد سوانح ماضية تلقيت إيضاحًا أو بالأحرى مقالة علمية جميلة عن تقويم الأسنان من استشاري في تقويم الأسنان هو الدكتور عبدالله بن محمد بن إدريس. فيها الكثير من المعلومات القيمة عن تقويم الأسنان وتاريخه. سأنقل بعضًا منها في هذه السانحة. وأبدأ المقالة العلمية التي أسميها محاضرة في تقويم الأسنان بمقدمة تاريخية عن تخصص التقويم. حيث يقول الدكتور ابن إدريس: يمتد تاريخ تقويم الأسنان لأكثر من ١٠٠ عام. فقد ظهر كتخصص يتطلب إعدادًا يلي التخرج في كليات طب الأسنان في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مدرسة د. إدوارد آنجل لتعليم تقويم الأسنان في عام ١٨٩٩ ميلادي، وخلال السنوات القليلة التي تلت ذلك. طور دكتور آنجل أجهزة تقويم الأسنان الثابتة منهياً ابتكاراته المميزة بجهاز تقويم الأسنان ذي الحواصر الجانبية في عام ١٩٢٥، وهي التي ما زالت تُستخدم حتى اليوم إلا أنها كانت تُصنع من الذهب في حين أن الحواصر الحالية تُصنع من مواد معدنية أخرى أقل تكلفة. ومن ذلك يتضح أن تقويم الأسنان يُعد أول تخصص في طب الأسنان وأكثرها عراققة. غير أن تطوير الأجهزة لم يتوقف عند هذا الحد. فقد طال المواد المستخدمة في صناعة الأسلاك. وأضفى على الأجهزة رونقًا أكثر من خلال الحواصر الشفافة (الخزفية) أو الأجهزة اللسانية (خلف الأسنان)، الأمر الذي شجع الكثير من البالغين للمبادرة بالاستفادة من المعالجة التقويمية

لتحسين المظهر العام للوجه والأسنان، بالإضافة إلى المساهمة في تحسين صحة الفم وأدائه لوظائفه. ويختتم د. الدريس قائلاً: إن عدم التدخل لحل مشكلات الأسنان عند الحاجة قد يؤدي إلى تسوس الأسنان. أو التهاب في اللثة. أو ذوبان في العظم الداعم للأسنان وفقدان الأسنان مبكراً. وهنا يتأكد أن الوقاية خير من العلاج. وثقة الطفل (وأضيف أنا والكبير) تتعزز دائماً عند تحسن ابتسامته. ومن المعلوم أيضاً أن مشكلات عدم انتظام الأسنان لا تتحسن ذاتياً مع التقدم في العمر. لذا فإن انتظار بلوغ الطفل حتى تتعدل (خشته) والحديث للدكتور الدريس ليس بالضرورة صحيحاً.



فيتامين (د) في المشراق

ثمة حقيقة سبقنا إليها الأولون. عندما أوجدوا وتعودوا على جلسة المشراق يوميًا. فبجانب التسلية وتزجية الوقت، يحصلون على ما تحتاجه أجسامهم من فيتامين (د) بتعريضها للشمس مباشرة. لذا أقترح على الأطباء والزملاء الأعزاء ألا يصفوا نقاط وكبسولات فيتامين (د). بل أقول لهم: انصحوا واطلبوا من المرضى إحياء تراث الأجداد (جلسة المشراق)، حيث يقومون بالجلوس في مشراق كل منزل وعابر أو سكة. والتسلية (بالحش) فيما بينهم على المارة. ولتكتسب أجسامهم فيتامين (د) في أثناء ذلك. وبالمناسبة نقص فيتامين (د) منتشر بيننا، والكثير منا لا يعرف ذلك. ما علينا. وفي كل دولة خليجية أو عربية وحتى عالمية. يكون هناك سوق في المدينة أو مقهى قديم يتم تجديده. مع المحافظة على طابعه القديم أو التراثي، ليحكي لزواره تاريخ تلك المدينة. كسوق المباركية في الكويت، وسوق واقف في قطر، وخان الخليلي في مصر، وشاليمار قاردن وأناركلي في لاهور. وثمة حقيقة وهي أن تطور أي مدينة وأخذها بأسباب الحداثة. لا يلغي أهمية ما يضرب في عمق التاريخ من إرث أي مدينة. يجد العناية من أصحاب الشأن. والدليل على ذلك استلام الملك سلمان حفظه الله عندما كان أميرًا للرياض قبل سنين عدة. لجائزة أغا خان للعمارة العالمية لقاء تطوير وادي حنيفة والعناية به. وقبل بضع سنين كنت في زيارة لكوالالمبور (عاصمة ماليزيا) بصحبة العائلة. وفي أثناء تجولنا

في المدينة الجميلة وبين المولات الحديثة. لفت نظري وجود أرض صغيرة لا تتجاوز مساحتها ٦٠٠ متر. يكسوها الغبار والقدم. ويحيط بها سياج حديدي يتوسطه قفل كبير. قال لي السائق والمرشد السياحي، وهو يشير إلى قطعة الأرض المهمة بين المولات الشاهقة والجسور والأنفاق. هذا مكان وموضع ممنوع البناء فيه. فسيتم تطويره وجعله متحفاً ومقهى صغيراً يحمل مواصفات ماضي كوالالمبور وماليزيا. ويحكي لرواده تاريخنا وتاريخ كوالالمبور عبر السنين. وبالنظر إلى مدينة الرياض نجد أنها (باستثناء سوق الزل والمصمك) بحاجة إلى أماكن تحكي عبق الماضي. ولا يزال هناك أماكن بالإمكان المحافظة عليها، وجعلها مقاهي ومتاحف تحكي ماضي الرياض التليد. كالبيوت الطينية، التي لا تزال قائمة في الظهيرة والدحو والعجلية. لتزداد الرياض ألماً وجمالاً مع جمالها. فتكون الرياض بحق عند انتهاء المترو، وتطوير أماكن أخرى كمركز الملك عبدالعزيز التاريخي وسوق الزل. تكون الرياض عاصمة المدائن بحق. يفخر بها الجميع جيلاً بعد جيل.



طبيب حكيم أم دكتور؟!

كلمة طبيب يقابلها في المعنى (بالشامي) حكيم. وبالانجليزي دكتور. إلا أن كلمة دكتور تم تحويلها لدى بعض الناس. ومرت التسمية بمراحل عند الأولين فنطقوها دكتور. لينتهي لقب أو تسمية طبيب وحكيم ودكتور. عند البعض ب: دختـر. وثمة حقيقة عن علاقتنا بالدواء والتداوي أيام زمان. كشأن أمور كثيرة في حياتنا كانت ولا زالت ماشية بالبركة. فقد كان الأولون وبالأخص النساء كبيرات السن. عندما يستعملن دواء ما، أي دواء، بسبب عارض صحي، ويستفدن منه. تقوم من تستفيد من العلاج بإرسال عينة منه لأختها أو لمن تعزُّ عليها. حتى ولو لم تكن تشتكي من أي مرض. موصية إياها باستعماله (تراه زين وصحيح)، لأنها جربته واستفادت منه. والقصص كثيرة عمن شُفين بهذه الطريقة. فعلى نياتكم تُرزقون. وكثير من النساء وبعض الرجال يربط بين الدواء الموصوف لعلاجهن أو علاجهم. وأهميته كإنسان. وبالأخص إن كان في الوصفة حقن عضلية أو وريدية. ولا أنسى إحدى كبيرات السن وهي تمتدح طبيباً في مستوصف الفوطة، وصف لها بعض الحقن. فقالت: الله يعا في هالدكتور. ويرفع من قدره. خلا الممرضة زبيدة تدقني إبرة. ومريضة أخرى أرسلت لأختها حبوباً ومرهماً هدية، وهي تقول لها: إن الدواء مجربته وباخصته زين. وتوصيها باستخدامه. حتى ولو كانت سليمة ومعاياة من الأمراض. فالدواء في هذه الحالة سيقويها. إن ما نفع ما ضر، وطريقة تعبير بعض الأولين عن

شكواهم المرضية. لا تخلو من الطرافة. وبالأخص كبيرات السن. وأغرب ما سمعته قول من كانت تعاني من مغص كلوي حاد. مرضى الكلى يعرفون مدى شدته وآلامه المبرحة. عندما قالت للطبيب: (أونس في شاسلتي مثل قوله لا إله إلا الله) فكيف سيفهم الطبيب أو الدكتور معنى هذه الشكوى. وأذكر قبل عقدين من الزمان أو يزيد. مريضة كبيرة في السن تشتكي للطبيب الذي كانت عيادته ملاصقة لعيادتي آنذاك. قائلة (سموعي يادختور. سموعي) ففغر الطبيب الأجنبي فاه قائلاً: (بتأولي إيه). وأنا أستغرب من زميلي القديم. وهو بالمناسبة طبيب عربي أريب. واستشاري في أمراض الأذن. كيف لم يفهم قول المريضة. كلمة (سموعي) المشتقة من السمع. إضافة إلى أن المريضة كانت تُشير إلى أذنيها (سموعي) وللحديث صلة.



امتناعٌ لامتناعٍ؟

ثمة تساؤل أو افتراض أبدأ به هذه السانحة. فلو افترضنا مع استحالتِه: أن طبيباً قام بكتابة وصفة طبية أروشتة. لمريضٍ ما. بمجرد أن سمع منه شكواه المرضية. ودون كشف على المريض. ألا يحتج ذلك المريض وقيم الدنيا ولا يقعدھا. وهو يشتكي من الطبيب المعالج. وتبني وسائل الإعلام تلك القضية. لتكون موضوعاً شيقاً. في برنامج الثامنة مع داود. وقد يُطالب برأس ذلك الطبيب، إن حصل مكروه للمريض الذي استعمل الدواء دون فحص إكلينيكي وسري من الطبيب. المخالف لأدبيات مهنة الطب وقسم بوقراط. فما بالكم بصيدلي أو تمرجي يعرف بالأدوية جيداً. لا الأمراض. يقوم بما سلف قوله. ليل نهار، وعلى عينك يا تاجر في جميع صيدليات المملكة الخاصة. فلا يُستغرب فعله أو يُلام. ومن نافلة القول: إنني. وغيري قد قرأنا مقالاً جميلاً وقوياً في جريدة الرياض. قبل بضع سنين. للدكتور عبدالعزيز الشعلان (استشاري أنف وأذن وحنجرة) حول الصرف العشوائي للأدوية في الصيدليات الخاصة. وظننت آنذاك أن وزارة الصحة (إن قرأوا المقال) ستتخذ قراراً بمنع صرف الأدوية في الصيدليات الخاصة دون وصفة طبية. إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث. فليت الدكتور الشعلان يُعاود الكرة مرة أخرى. ففي الإعادة إفادة كما يقال. ولعل وعسى. فنحن قد أصبحنا نعيش على: لو أن وزارة الصحة. ولعل وزارة الصحة. مع أن (لو) حرف امتناع لامتناع. و(لو) تفتح عمل

الشيطان أيضًا. فنكتفي بلعل وعسى نرجوهما. حيث لا فتحٌ لعمل شيطان. وفي موضوع ذي صلة بسوانح رأيت في الإنترنت منذ بضعة شهور حوارًا بين مستهلكين للأدوية. وفيه مناشدة لوزير الصحة للتدخل لوقف تلك الإعلانات عن الأدوية. عبر الإنترنت وغيرها من وسائل إعلامية. كدواء الحموضة وقطرة الأنف أتروفين، وبالمناسبة قطرة الأتروفين. لدى الدكتور الشعلان عنها الخبر اليقين. إذا استعملت لفترة طويلة دون وصفة طبية. وكيف تؤدي إلى ضمور (شrink) في الغشاء المخاطي للأنف. فانتبهوا لأنوفكم يا رعاكم الله. وأنا من منبر سوانح أناشد معالي وزير الصحة للتدخل وحماية الناس من جهلهم. وجشع شركات الأدوية، التي لا يهمها إلا الربح فقط. وتفعيل ومتابعة تطبيق قرار وزارة الصحة بمنع بيع الأدوية. إلا بوصفة طبية. قرار (إن كان قد صدر بالفعل) لم يرَ النور. بعد أن منعت البيروقراطية وأشياء أخرى. من خروجه للعيان وتطبيقه. تطبيقًا يتماشى مع ما تعيشه بلادنا من نماء وازدهار. طال كل أوجه الحياة ومناحيها.



عن همومه وكيدها؟!

الرابح اللي لا ذلول (ن) ولا شاة

ولا عيال (ن) في الدهر يمحنونه

وثمة رواية أخرى تستبدل عيال بورعان. فيكون بيت الشعر كالتالي:

الرابح اللي لا ذلول (ن) ولا شاة

ولا ورعان (ن) في الدهر يمحنونه

ما علينا. فالبعض من عامة الناس يطلق تسمية الورع على الولد (يا ورع)، فأبدأ شارحاً فكرة هذه السانحة، والعنوان أعلاه، وبيت الشعر الذي يدور حول معاناة الإنسان. وبالأذات الرجل (الغلبان) الذي يكدح في الحياة. عندما يكون لديه مال وولد. فينشغل بهما ولا يهتم بجانب التسلية والمرح في حياته. والشعر كثير وكذلك النثر في تمنى (راحة البال) والبُعد عن الهموم وعدم التفكير. بل إن البعض يمتدح ويغبط من هو (من العقل خالي) وثمة حكاية من المناسب ذكرها عن صديقين حميمين يسكنان في منزلين طينيين متلاصقين أيام زمان. وأي شيء يحدث لأحدهما أو زوجته. لا بد أن يعرفه الآخر. وكان أحدهما ثرياً ومشغولاً دائماً في حساباته وجمع المال. إلا أن زوجته ليست سعيدة. ويزيد من شعورها بالتعاسة والقهر والغيرة. رؤيتها (لمرزام) سطح بيت الفقير وزوجته. والماء يتسرب منه كل ليلة تقريباً أو عند الفجر. وفي اليوم التالي تلاحظ زوجة الثري أن جارتها سعيدة ودائمة

الخبور والابتسام. بسبب شيء تفتقده وتفتقره زوجة الغني والمشغول دائماً عن زوجته بالذلّول والشاة، والدليل هو أن (مرزام) بيت الغني يكاد يكون جافاً معظم الأيام. ولأن كيد النساء عظيم قامت زوجة الثري باقتراح على زوجها لينتشل صديقه الفقير من الفقر. وذلك بإعطائه (أو تسليفه) مبلغاً من المال ليُتاجر به كي يفتني. أليس صديق عمره ورفيق دربه؟ فلماذا لا يقف معه كي يصبح تاجراً مثله. وتسعد زوجته بما ترفل به زوجة الغني من مال وترف وعز. ويقول الراوي: إن خطة زوجة الثري قد نجحت. والدليل أن المياه لم تعد تنزل في آخر الليل أو عند الفجر من (مرزام) جارهم الذي كان فقيراً وسعيداً قبل ذلك. وقبل أن يكون له ذلول (ن) وشاة.



دكتور شنج؟!

في العام ٢٠٠٠ كنت نائباً لرئيس تحرير مجلة الملتقى الصحي، التي تُصدرها الهيئة السعودية للتخصصات الصحية. وخلال تلك السنة حررتُ (قضايا وافتتاحيات عدد) عدة. وأجريت لقاءات صحفية طوال عام تقريباً. قبل إعفائي بناءً على طلبي. أو يُستغنى عن خدماتي مع خطاب شكر لطيف (نسيت أيهما حصل)، المهم لم أعد أحظى بلقب نائب رئيس التحرير. ورؤساء التحرير ونوابهم يعرفون جسامته المهمة. التي لم أوجد لها (عساها بحملها تثور)، فيكفيني عملي في العيادة الطبية. وإطالة عبر سوانح أسبوعية. أضف لذلك (إم إس) أي التصلب المتعدد. الذي أصبت به قبل سنوات. ويثور بين حين وآخر. وإذا ثار (الإم إس) لا يوقفه إلا الكورتيزون. كفاكم الله آلام ومضاعفات (الإم إس)، وأغناكم الله عن الكورتيزون و(الإنترفيرون) ومضاعفاتهما وأعراضهما الجانبية. ولأنني كما يعرف القراء الأعزاء مسكون بحب الرياض وماضيها وقديمها. كانت اللقاءات التي أجريتها قبل إحالتي وإعفائي. تتعدى العشرة لقاءات. مع أطباء يجمع بينهم عامل مشترك، وهو محبة الناس لهم لأنهم يمثلون زمناً جميلاً، وممارسة بضمير لطب جميل أيضاً. بعكس ما نشاهده الآن من تحول الطب وعلاج الناس إلى تجارة، تُدر الكثير من الربح المادي. وليس فيها أقل القليل من الحس الإنساني، الذي يتمتع به طب وأطباء أيام زمان. أيام الزمن الجميل. ما علينا، فقد كان اللقاء ان الأبرزان اللذان أجريتهما في الملتقى الصحي. الأول مع الدكتور محمد مناور أبا الخيل. تحدثت عنه

(في سوانح) قبل سنة أو تزيد. حين توفي الدكتور أبا الخيل رحمه الله. واللقاء الثاني كان مع الدكتور (شنج) والدكتور شنج أو شنق طبيب أذن ألفت سماعه الأذان في مدينة الرياض منذ أربعة عقود أو تزيد. أتى من مجتمع صيني. مغاير تمامًا لمجتمع من يعالجهم، ومن استفادوا وارتاحوا لذلك الطبيب وعلاجه. طبيب قديم ساقته أقدار الله سبحانه إلى بلادنا. فأعطاه من علمه. لتعطيه الكثير من الحب والاحتواء. ما جعله ينسجم في مجتمعنا. ويبحث ويسأل عن هذا الشعب ودينه. أدت به في النهاية إلى اعتناق دين الحق الإسلام. بعدها ازداد حبًا لتلك الأرض ورغبة في البقاء فيها (بعد أن كان مجرد إعجاب بشعب وعاداته)، وبعد أن أنقذه الله من معتقدات بوذه. ونحن هنا في المملكة نقابل من يحبنا بحب أكبر. فكان أن مُنح الدكتور تشنج الجنسية السعودية. ما يدل على أن بلادنا رعاها الله. ومنذ عهد المؤسس قائمة على الإسلام. وكانت عيادته في عمارة قريبة من حديقة الفوطة بالرياض. لا تزال أطلالها باقية. تحمل عبق ماض جميل لدكتور أذن لا يُنسى. بقي أن أقول: إن الدكتور شانق أو شنج. الذي أصبح اسمه بعد اعتناقه الإسلام محمد شنج. قدم للمملكة وتحديداً للرياض في عام ١٩٦٤. واعتنق الإسلام في عام ١٩٧٥. وهي المدة الزمنية التي حكم فيها الملك (الشهيد) فيصل بن عبدالعزيز. وطوى النسيان في ذاكرتي الدكتور شنج. إلى أن ذكرني به أحد الزملاء قائلاً: إن الدكتور شنج قد توفي هذه السنة. فعنونت هذه السوانح ب: دكتور شنج. عن طبيب أذن. ترحل ولن يعود. فرحمه الله رحمة واسعة.



يا واش يا واش!

يُعجبني كل إجراء صارم في مكافحة التدخين. ولعلكم شاهدتم أو قرأتم معي القرار التركي بمنع التدخين في المطاعم والمقاهي. وفي تفصيل الخبر أنه عندما صدر القرار لم يحددوا تاريخاً للبدء في تنفيذه. بل قاموا بتطبيق القرار فوراً. ليس هذا فحسب. فقد شاهدت في إحدى القنوات التلفزيونية، كيف داهموا أحد المطاعم أو المقاهي، وصادروا منافذ (طفايات) السجائر، وطلبوا ممن يشعل سيجارة بالخروج من ذلك المطعم أو المقهى، وإطفاء سجائرهم في الخارج. وقد احمر وجه التركي أكثر وأكثر، وأرعد وأزبد غضباً، والشرر يتطاير من عينيه، وهو يوشك على ضرب من كان يشعل سيجارة حينها. والأتراك فيهم من الشدة والاعتداد بالرأي الشيء الكثير. وسبق لي أن زرت تركيا قبل أكثر من عشرين سنة بصحبة عائلتي الصغيرة، التي أصبحت كبيرة الآن بفضل الله. وأذكر الآن جيداً زيارتي لمتاحفها في اسطنبول آنذاك. وكيف كانت تحكي مجداً قد أقل، وسؤدداً غابراً. وكيف كان تعامل أهلها الصارم مع من يخالف النظام. ولا أنسى كيف استمتعت وعائلتي بطبيعة تركيا الجميلة والخلابة، وتعامل أهلها المنضبط. الذي تلمس فيه الكثير من الاعتداد بالنفس والأنفة. بعكس الكثير من البلدان والشعوب الفقيرة التي أضفى عليها الفقر ذللاً ومسكنة. وفي هذا الخصوص أذكر أن الجمهور الإنجليزي المشهور بالعنف والشغب. لا يستطيع هزيمته وتأديبه إلا الجمهور التركي كمشجعي نادي

(غلطه سراي)، كما حدث بعد مباراة لناديهم مع أحد الفرق الإنجليزية في بريطانيا نفسها وليس في تركيا. ومنظر الجماهير التركية تضرب وتُدمي الجماهير الإنجليزية الأشهر عالميًا في شغب الملاعب (كل آفة عليها آفة)، ولنترك الأخوة الأتراك وشأنهم مع التدخين والشدة والانضباط. ولننظر في حالنا نحن مع تطبيق ما يصدر من قرارات لمنع التدخين لدينا. ولنأخذ مكاتبنا الحكومية والمطارات مثالاً على ذلك، ولا أزيد. بل أضيف كلمة تركية أخرى، تقول أركداش تذكرتها من زيارتي القديمة. جاءت عفو خاطر، ويعرف معناها الكثير من المدخنين. أختتم بها سوانح يا واش يا واش!



في الصيف

ثمة علاقة وثيقة بين فصل الصيف وأخذ الموظفين الآباء والأمهات العاملات لإجازتهم السنوية. لتتواءم مع إجازة مدارس وكليات أبنائهم وبناتهم الصيفية كل عام. فيقضى كل أب تلك الإجازة في الخارج (مع العيال وأم العيال) هرباً من الحر أو في الداخل (في ربوع بلادي)، كما هي حال الكثير ممن خسروا في الأسهم. وبالنسبة لي عشت وضع الصيف بطريقة معكوسة ردحاً من الزمن (أيام وسنوات لاهور)، فعندما تحين إجازة الصيف ولا يكون هناك (دور ثانٍ) أحزم حقيبة السفر استعداداً لقضاء الإجازة الصيفية بين أهل والأحبة في الرياض. وإن أنسى فلا أنسى مسؤول البعثات الخارجية في الرياض، كيف يكون في انتظاري كي أريه تقريراً عن نتيجة العام الدراسي الذي انقضى، لأتمكن من أخذ تذكرة السفر للعودة لمواصلة دراستي. والحديث عن الدراسة والانفكاك منها حديث ذو شجون. وفي إحدى المرات (وهي المرة الوحيدة) فاجأني محاسب الملحقية الثقافية في لاهور وفي أثناء استلام مكافأتي الشهرية. فاجأني بصرف نصف راتب إضافي مكافأة على حصولي على نسبة نجاح مرتفعة (٧٥٪)، وكان ذلك في العام ١٩٧٩ عندما نجحت من السنة الثانية (فيرست بروفشنال) في مادتي التشريح ووظائف الأعضاء. وتعد هذه السنة وامتحانها عنق الزجاجة في دراسة الطب. فباجتيازها يكون الطالب قد قطع نصف الطريق في دراسته (سنة تحضيرية سهلة في كلية

(إف سي كولج)، وسنتان دراسيتان في كلية الطب (كلية الملك إدورد)، نظرية ومعملية كريمة لمادتي التشريح (أناطومي)، ووظائف الأعضاء (فسيولوجي)، ويندرج تحتها مواد لا تقل صعوبة كعلم الأجنة والأنسجة والكيمياء الحيوية، التي نقضي فيها أيامًا وشهورًا مع الأنابيب والدوارق وتشريح الضفادع في المعامل. ولي موقف لا أنساه مع ضفدع مسكين كنت أقوم بتشريحه في المعمل. فقبل التشريح نقوم بضربه ضربة واحدة على رأسه الصغيرة بخشبة صغيرة فيغمى عليه (لا يموت)، لنتمكن من تشريحه وعمل التجارب المطلوبة على عضلة كبيرة في فخذ الضفدع وهو حي أو عضلة القلب وهو ينبض. وضربة الضفدع مهمة جدًا، فإن كانت قوية أدت إلى موت الضفدع، ومن ثم عدم الاستفادة منه، وإن كانت الضربة ضعيفة، كما حصل معي، قد يستيقظ بعد دقائق قليلة. وهو ما ذكرته في سائحة مضت.



أجسام غريبة و(هبيد)!

عندما أردت وضع عنوان لهذه السوانح. فكرت بعنوان: إعدام أو مصرع صرصار (أعزكم الله)، وأنا أتذكر رواية للأديب الكبير توفيق الحكيم، قرأتها قبل أربعة عقود أو تزيد. بعنوان: حمار الحكيم. والسبب ببساطة أن الشكوى المرضية لمريضة أتت للعيادة. كانت بسبب صرصار. وإليكم الحكاية: فتمة جسم غريب استخرجته من أذن مريضة. قد لا يصدق من يقرأني. فقبل الكشف على الأذن كانت المريضة قد أتت للعيادة وهي تشتكي من حكة في أذنها اليمنى. وعندما سألت المريضة قبل الكشف على أذنها. متى بدأت المشكلة والحكة والوخز في أذنك. قالت منذ يومين أو ثلاثة. فقلت لها ماذا كنت تعملين في أثناء ذلك. قالت استعملت (توكة الشعر)، وفي بداية استعمالها (التوكة) كانت الحكة تخف. لكن الوخز يزداد. قبل إدخال التوكة في الأذن وفي أثائها. واليوم. عندما أدخلت التوكة وحركتها. توقف صوت الوخز فجأة. فقلت في نفسي: قُتل المتسبب وزال الخطر. وبمساعدة الممرضة الفلبينية كشفت على أذن المريضة. فهالني ما رأيته. فقد كان صرصارًا ميتًا ومتوسط الحجم. أو صرصراية. كما في المسرحية القديمة أهلا يا دكتور لسمير غانم. أخرجت الصرصار الميت بملقاط وبرفق شديد. بعد رؤيتي لخدوش في القناة السمعية. من على بُعد مليمترين أو ثلاثة من طبلة أذن المريضة التي أصابها (أي طبلة الأذن) بعض الخدوش أيضًا. حينئذ سألت المريضة أين كنتِ قبل عدة

أيام. وقبل شكواك المرضية. قالت كنت بصحبة بعض النساء في حديقة الفوطة نفترش الأرض المزروعة بالثيل. نتسلى باحتساء الشاي و(تقشيم) الفصفص. فقلت لها: ألم تري ذلك الصرصار في أثناء مشيه إلى أن دخل أذنك. قالت: والله يا دكتور كنت أسمع صوت ذلك الصرصار الذي يتواجد دائماً في الحدائق. ويسميه البعض على ما أظن الصرصار الونان. وما أذكره هو أن شيئاً كان يزحف أو يطير وقع على مقدمة رأسي (تحت الشيلة) ظننته فراشة طارت. وأنا أقوم بنفض وتعديل الشيلة وحك صيوان أذني اليمنى. رفعت الصرصار الميت بالملقاط لتراه المريضة. وهي غير مصدقة بأنه كان السبب في الحكة والوخز طيلة يومين أو ثلاثة مضت قبل أن يموت. وكثيرة هي قصص الأجسام الغريبة. لعل من أطرفها أن إحداهن استخرج الطبيب من إحدى أذنيها (قشام هَبِيد)، وأشرح بأن القشام هو قشور الفصفص أو الحَب. أما الهَبِيد. فيعرفنه كبيرات السن فقط. فاسألوهن.



عمشا وجائزة نوبل!!

قمت بتنظيف أذنيها مما فيهما من فطريات. وكانت خمسينية العمر واسمها عمشا. أتت لعيادتي وهي تشتكي من حكة في أذنيها، وإفرازات بيضاء غامقة وبها نقط تميل للسواد، عرفت بالكشف عليها أنها فطريات. وعندما تصيب الأذن الوسطى تسمى (أوتو مايكوسز) أصابت الأذن الخارجية في البداية، وانتقلت للوسطى بعد ثقب طبلة الأذن. المهم أنني نظفت الأذنين من الفطريات للزجة بجهاز الشفط ذي القطر الصغير، وحشوتها بمادة أو دواء مضاد للفطريات (أنتي مايكوتك)، وأعطيتها موعدًا للمراجعة بعد ٤٨ ساعة. وأوصيتها بأن لا يدخل الماء في أذنيها. وإذا أرادت أن تستحم فيجب أن تسد فتحتي أذنيها بقطننة صغيرة. تضع عليها بعض الفازلين. كي لا تتشبع القطننة بالماء وتنفذ داخل أذنيها في أثناء الاستحمام. وبعد ٤٨ ساعة أتت المريضة على الموعد للمراجعة وتكملة العلاج. وبالمقاط سحبت الشاشتين (قووز) المشبعتين بالدواء. وبالإستعانة بالميكروسكوب الخاص بالأذن نظرت لداخل الأذن الوسطى وبقيها الطبلة المثقوبة. فاستغربت ما رأيته. فهناك مادة غريبة لزجة منظرها ليس كمنظر الفطريات التي درسناها ورأيته في العيادة كثيرًا وفي أذني عمشا قبل تنظيفهما. فاستعنت بكتاب لأمراض الأذن فيه جميع أنواع فطريات الأذن، مع رسومات توضيحية ملونة لتلك الأنواع. كان بالقرب مني. فلم أجد لها مثيلاً. إنني لا شك أمام نوع جديد من

الفطريات لم يكتشفه أحد قبلي. يا ترى ما هذه المادة اللزجة. فقلت في نفسي: لعلها نوع جديد من الفطريات، أنا الذي اكتشفته، أو أن فطريات عمشا تحولت ونشأ منها أنواع جديدة (نيوسترينز)، كما يحدث للبكتيريا والفطريات. المهم أنا أول مكتشف واحترت في التسمية. هل أسميها عمشا مايكوسز نسبة لأول مريض اكتشفت بإصابته به. أم ابن سعيد مايكوسز. وهذا من حقي وأنا أفكر: ما هو أقرب مؤتمر أو ندوة علمية أشارك فيها متحدثاً رئيسياً، يقوم بتقديم ورقة عمل، وكان رئيس القسم من السويد. حيث مقر جائزة نوبل. واسمه على ما أذكر جون هيملي. فسرحت بي الخيال، وأضمرت في نفسي ألا أخبره بما وجدت في مريضة راجعت في عيادة هو رئيسها. وتخيلت نفسي وأنا أقدمها (اكتشاف) تحت اسم (عمشا أو ابن سعيد مايكوسز)، ومن ثم براءة اكتشاف لم يسبقني إليه أحد. فخشيت من رئيس القسم السويدي أن ينسبها لنفسه إن أخبرته. ولا يستبعد أن يقوم بتوصية أحد معارفه في ستوكهولم عاصمة السويد بترشيحها لجائزة نوبل للطب، وقد يغير اسم الاكتشاف من عمشا أو ابن سعيد مايكوسز إلى جون هيملي مايكوسز. وخوفه هذا له أساس وأسباب. فهناك الكثير من البروفيسورات يسرقون مجهودات واكتشافات من هم أقل منهم درجة، ويعملون تحت رئاستهم وينسبونونها لأنفسهم. فأنا كنت ساعتها طبيباً مقيماً حديث التخرج. في بداية عملي في هذا القسم، وأرغب في التخصص في أمراض الأذن وجراحتها. فأتت (عمشا) وفطرياتا لتختصر علي الطريق فيما أريد تحقيقه على طبق من ذهب. فأني مجد ينتظرني. وأفاق رحبة وشهرة لاكتشاف في هذا. وفي طريقي ولم يكن لدي أدنى شك في أن ما وجدته في أذني عمشا هو نوع جديد من الفطريات، أنا أول من اكتشفه. ولكن

ليطمئن قلبي، ولأقطع الشك باليقين. سألت عمشا سؤالاً أخيراً: هل وضعت في أذنك شيئاً بعد مجيئك الأول لعيادتي. وبعد تنظيفي لأذنك ووضع شاشة الدواء. ومراجعتك الآن بعد الـ ٤٨ ساعة الماضية. أجابت قائلة: (هماك) يا دختور قلت لي قبل ما تسبحين حطي في أذنك وزالين وسديها بقطنة. لحظتها علمت أن اكتشا في كان مجرد فازلين لزج، كاد أن يكسر جهاز التنظيف والشفط ذو القطر الصغير. حيث طبقت عمشا إرشاداتي إذا أرادت الاستحمام بوضع قطنة صغيرة وفازلين. بالعكس. أي قبل الاستحمام وضعت الفازلين في أذنيها وسدتها بقطنة صغيرة. حينها تبخرت أحلامي بنيل جائزة نوبل للطب. وكيف أن ظني برئيس القسم السويدي كان سيئاً. فما ظننته نوع جديد من الفطريات كان مجرد فازلين أو وزالين كما قالت عمشا.



الحبيب الأول

يقول الشاعر أبو تمام:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحبُّ إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبداً لأول منزل

تحضر (وبقوة) ذكريات حي المعيقلية في نفسي وخاطري. عندما يحل شهر رمضان. الحي الطيني الذي ولدت فيه. وكنت أزوره كثيراً أيام طفولتي التي قضيتها بين الظهيرة والعطاييف والقرنين. والعامّة تقول لمن يُحب شيئاً (سره مقطوع فيه)، فالداية أو القابلة التي ساعدت الوالدة. قامت بقطع سري في المعيقلية بكل تأكيد. واستمرت زياراتي للمعيقلية إلى بداية سن الشباب. بل حتى اكتمال سن الرجولة؛ لذا لا يزال حب المعيقلية في القلب متربّعاً وزيارته تجول في خاطري بعد أن تعذرت زيارته منذ خمس عشرة سنة أو تزيد؛ عندما أزيل الحي ليحل مكانه أسواق حديثة وفارحة؛ لكنها تحمل عبق الماضي وجماله؛ أما لماذا في رمضان بالذات فلا أعرف السبب؛ وقد يكون رائحة السنبوسة والشعيرية داخل منازلنا هذه الأيام؛ والتي عرفتها وتدوّقتها لأول مرة في منزل المعيقلية؛ وظلام الليل خارجه آنذاك؛ الذي هو كل ما نحتاجه في لعبة (عظيم سرا) في السكك والأزقة؛ كنت أمر وأتجول في حي المعيقلية؛ مبتدئاً من الجهة الجنوبية؛ حيث سوق

الربابين (من يربون الدلال والأواني النحاسية)، بجانب سوق الحمام والطراطيع؛ ومنزل شاب معاق أو متخلف عقلياً آنذاك يُدعى (الرعيب) لا يبرح عتبة منزله، (كتبت عنه منذ سنين طويلة)، لا أدري هل الناس يتفرجون عليه أم هو يتفرج على الناس؛ كان منزل المعيقلة يطل على جهتين أو شارعين (زاوية) أحدهما (سكة سد) تغلو مدخله (الطرمة)، حيث فعاليات ألعاب الطفولة؛ وكما أن هناك بعض الأكلات لا نراها إلا في رمضان مثل السنبوسة والشعيرية؛ فالألعاب أيضاً تنحصر في طاش ما طاش و(عظيم سرا)؛ وكان الأطفال فيما مضى يصنعون ما يلعبون به من مواد خام موجودة؛ فالكعابة و(عظيم سرا) من عظام الأغنام؛ والسيارة يتم تصنيعها بدءاً من الكفرات؛ من أغطية المشروبات الغازية؛ نقوم بثقبها من المنتصف وإدخال الأستك (مغاط) لرصها وتجميعها بما يشبه الحلقة الدائرية؛ وشدها (داير ما دار) على مكرة رماها الأهل بعد نفاذ ما بها من خيوط مكيئة الخياطة (سنجر)، فتكون عجلان (كفر) ندخله مع آخر، ونثبتته في سيم صغير؛ بعدها نقوم بتثبيتهما بسيم حديد طويل (جسم السيارة) نأخذه من حديد عمارة تُبنى في شارع الشميسي الجديد أو القديم؛ وسيم صغير آخر (درکسون) في الأعلى؛ والمرحلة الأخيرة هي (زبرقة) السيارة باللونين الأزرق والأبيض وتركيب البوري. وعوداً على بدء: قصيدة أبو تمام وهي أن أبيات أبي تمام أعلاه هي أجمل وأصدق ما قيل عن الحب كحالة لا تُتسى عندما تقع لأول مرة بين إنسان وآخر. وبين إنسان ومكان أو منزل. فالحب يمتد لكل شيء يأتي أولاً. وله علاقة لصيقة بالإنسان. ذكراً كان أو أنثى. حبيباً أو حبيبة. زوجاً أو زوجة. أو أي مكان يألفه الفتى. ولا غرو في ذلك. وأختم بأبيات شعر يعرفها البعض. قالتها

امرأة قُتِل زوجها الفارس. فتزوجت من أخيه. الذي يشبهه كثيرًا علَّها تجد
العوض في الأخ. إلا أنها لم تنس زوجها الأول. بسبب ما قاله أبو تمام من
أن الحب للحبيب الأول. فقالت من فقدت حبيبها (الأول) وتزوجت بأخيه
الذي يُشبهه في الخلقة وصفات الجسد فقط. قالت مقارنة بين الأخوين:

الزول زوله والحلايا حلاياه والفعل ما هو فعل ضا في الخصايل



طبيب (الغفلة)!

ثمة حقيقة مؤسفة وخطيرة. وهي أن المريض في حالات كثيرة يُملي على الطبيب ما يجب أن يفعله ذلك الطبيب إزاء صحته أو شكواه المرضية. وهذا يحدث أكثر في العيادات أو المستشفيات الخاصة. ولا يحدث في المستشفيات الحكومية إلا نادرًا. ليس هذا فحسب، بل إن هناك أناسًا فنانين ونحو ذلك، يبالغون في الرغبة في تغيير أشكالهم. لمزيد من الجمال. فيقومون بشد وجوههم وأجسامهم المترهلة مثلاً. ويشغل البوتكس من نفخ (البراطم والغروز)، وتغيير لون البشرة التي يخجلون أن يراهم الناس بها. والكل يعرف أمثالا كثيرة من أناس أصبحت أشكالهم (مسحًا) بعد أن سلموا أجسامهم لمبضع الجراح، لتغيير خلق الله كما يريدون. والمغني العالمي الشهير مايكل جاكسون الذي مات مؤخرًا مثال (صارخ) على ذلك. إلا أن أمثال جاكسون ومن يريد تغيير خلق الله ليست ما أريد الحديث عنه في سوانح. ما أريده هو الحديث عن من يجتهد في موضوع صحته أو صحة الآخرين. ويعمل (أبو العريف) فيقترح ويفتي في موضوعات صحية بدافع (اللقافة) وادعاء المعرفة. فيكون هو نفسه أو من يصدقه ضحايا لكل من قام (متميلًا) ونَصَبَ نفسه طبيبًا على غفلة، وهذه النوعية من الناس (الملاقيف) لهم ضحايا كثر من مرضى يصدقونهم. قد تكون إصابتهم بمرض خبيث بالإمكان علاجه إن اكتشف في بدايته باستئصال جراحي وجرعات كيميائية، يكون فيها الشفاء التام بإذن الله، إلا أن حظ هؤلاء

المرضى العاثر يجعلهم يقابلون ويصدقون أطباء (الغفلة) ، فتكون نهايتهم على أيديهم وبسببهم. كما حصل مع مريض أعرفه رحمه الله. كان في منتصف الخمسينيات من عمره. اختفى عن أنظار أقاربه ومعارفه فجأة. وعند سؤالي عنه قيل: إنه مات بسبب إصابته بسرطان البروستات. الذي اكتشف في المستشفى في مرحلة متأخرة. وقبل سنة أو تزيد كان يشتكي من بعض الأعراض والألام (البولية) ، فكان يتبع إرشادات ممن أسميته بطبيب الغفلة. إلى أن تمكن منه المرض، وقضى عليه رحمه الله.



تربية (ابلعها) ١٩

فرق كبير بين تربية الآباء لجيلي وما قبلهم وما بعدهم من أجيال، هم الآن رجال في الثلاثينيات والأربعينيات من أعمارهم. فالأولون كان عقابهم للطفل شديداً. يبدأ بكلمة ابلعها. وعندما يشتكي الطفل من شيء ما. كأن يقوم بالركض في أثناء لعبه ويسقط أرضاً وهكذا. تجد كلمة (ساد) أو أحسن هي الرد الفوري من الكبار على شكوى الطفل. وهي كلمة تُقال (للتقريع)، وإشعار الطفل بأنه على خطأ. فأين نحن الآن من تلبية رغبات الطفل والتدليل وكلمات التدليع (آمر. تدل.). وعن نفسي أقول: إنني مدين لأبي بتربيته لي رحمه الله التربية الأفضل أو الأمثل (في طفولتي)، رغم قسوتها آنذاك. وأقارنها بتربية جيلنا لأولادهم والتربية الحديثة. فأجد الفرق الكبير. ولكنها نوع الحياة والتربية التي نشأ عليها الأولون، فالآباء كانوا يمارسون علينا قسوة ورثوها من آبائهم، ويرون أنها في صالحنا. وهي تربية لها ما لها وعليها ما عليها. وتختلف بلا شك عن التربية الحديثة، التي هي أيضاً لها إيجابيات وسلبيات. وتربية الأطفال مسؤولية ومتعة. أليسوا زينة الحياة الدنيا. و(الضنى غالي)، ومن خلال تجربتي مع أطفالي وما يعرفه كل أب وأم، فإن الطفل بين ثلاثة شهور إلى السنة الخامسة من عمره هي ما يمكن الاستمتاع به تقبيلًا ومداعبة، بعدها تأتي مرحلة أسميها مرحلة (البثارة) من الخامسة إلى العاشرة أو قبل البلوغ، فلا هو صغير تستمتع بمداعبته واحتضانه وشمه وتقيله.

وتشذك براءته وجمال اكتشافه بدهشة للأشياء. ولا كبير يمكن مصاحبته
وبداية الاعتماد عليه. وأظن أن المصطلح العامي (بثر) قيل أول ما قيل
عن الأطفال: أولاد وبنات في ذلك العمر. ومن تربوا على القسوة والشدة
ومصطلح أو كلمة ابلعها يسبقها أو يعقبها (كف)، لا بد أنهم كبروا،
ويندرجون الآن تحت فئة من ثلاثة: إما أنه أو أنها (بلع) الكف والتحقير
(والتشعم كما في المسلسلات الخليجية) وشدة التربية وقسوتها وتجاوز
تبعاتها. ويعيش الآن سليماً معافى، ولا يريد أن يعرض أولاده للتجربة
نفسها، التي عاناها. أو أنه يعيش آثار تلك التربية القاسية إلى الآن. فكبر
(أو كبرت) إنساناً مهزوزاً، يعيش الإحباط والانهازم في كل وقت. وفئة
ثالثة هي الأسوأ لضياعتها أو انحرافها. والشاعر العربي قال قديماً:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه



في التدخين والفحولة؟!

تحدثنا في سوانح ماضية عن سلوكيات المدخن في أثناء تدخينه. وعدم اختيار المكان والزمان المناسبين، ليشعر (كما يقول) بمتعة التدخين وخرمة السيجارة مع بيالة الشاهي (على الماشي) أو وهو جالس. ما يعني أن التدخين مجرد عادة، لا علاقة لها بالمتعة والتكيف. ودلت على ذلك بمن يُدخن في أثناء قيادة السيارة ونافخ الكير. أقصد من يعمل في مهنة التلحيم. ويُشعل سيجارة في أثناء عمله. لا المكان ولا الزمان يُضفيان عليها متعة بالتدخين. أو جعل المدخن (يسفهل)، ويساعده على تحمل ما يعانیه من مهنته الشاقة. فيكون التدخين بذلك مجرد نفخ هوا، واعتياد على ذلك لا أقل ولا أكثر. والأكثر أن يتراكم القطران وغيره من سموم التبغ. يُفاجأ بعد حين بدفع فاتورة ذلك العبث من صحته وسنين عمره الطويل، الذي سيقصره (سي أو بي دي. بسبب إصابة إمفايزيما وسي إي لنق)، واسألوا أطباء الصدرية عن معنى الكلمات المقوسة. أما أنا فساُعتصر ذاكرتي لأتذكر (العسيلة) أيام زمان. أيام تدخين القطوف وعروق الشجر. وكيف كان بعض الصبية والأطفال الكبار يتتبعون من يدخن في السكك إلى أن يرمي ما بقي من سيجارته (قطف) على الأرض. والقطف هو عقب السيجارة المُدخنة. ومعظمه عبارة عن فلتر السيجارة المليء بالسموم. ومع ذلك يُعاد إشعالها وتدخينها مرة أخرى. ومن يستنشق ذلك القطف ويدخنه يكون قد استنشق خلاصة ما في السيجارة من سموم التبغ والقطران والغازات

السامة. ما علينا. ولننظر إلى التحذير المكتوب على (بكيت السجائر). والذي يأتي بصيغته الكلاسيكية: التدخين يسبب أمراض القلب وسرطان الرئة. وننصحك بالابتعاد عنه. تحذير صغير جداً، ولا يحتل أكثر من ٥٪ من حجم (البكيت). وكذلك سعر السجائر لدينا يظل أقل من الدول الأخرى، برغم المطالبة المتكررة بزيادة سعر السجائر أضعافاً مضاعفة. وأعجبني خبر قرأته يقول: إن حكومة دولة شرق آسيوية أجبرت شركات السجائر على كتابة تحذير على علب السجائر بأن التدخين يمكن أن يسبب العجز الجنسي. بالإضافة إلى تسع نصائح أخرى يجب أن تغطي ٣٠٪ من سطح العلبة (بكيت السجائر)، وفي صيغة الخبر (القديم نسبياً) ذكر أن ذلك التحذير يؤيده بحث قام به المجلس الأمريكي للعلوم والصحة عن علاقة التدخين بالعجز الجنسي. وبعض المدخنين (شباب وشباب) لا يخاف على قلبه من جلطة قاتلة. أو على رئته من سرطان مميت. بسبب التدخين. ولكنه يخاف كل الخوف إن هُدد بأن التدخين يسبب العجز الجنسي. وليت كل الدول تُحذر من العجز الجنسي على بكيت السجائر. أي علاقة التدخين بالفحولة.



(ديرمة) ١٩!

كلمة ديرم مفردة لاتينية وإنجليزية، وبالفرنسي ديفم. ويدور معناها حول الأدمة والجلد وطبقاته. ومن هنا أتت تسمية تخصص الأمراض الجلدية (ديرما تولوجي)، تخصص الزميل والصدیق العزیز عبدالعزیز السدحان. فكيف تم إطلاق تسمية ديرم أو ديرمة (ديغمة) على أداة التجميل القديمة لدى الأمهات والجيدات لدينا. وثمة حقيقة عن أدوات التجميل النسائية (أيام زمان)، التي تكاد تنحصر في الكحل للعيون والديرم أو الديرمة للشفاه (البراطم)، وأرى أن كلمة ديرم تتناسب مع كلمة براطم، وكلمة روج (لب ستك) تناسب الشفاه. ما علينا. والديرم عبارة عن لحاء يؤخذ من بعض الأشجار، (مثل ليفة دلة القهوة العربية)، ومن يستعملن الديرم تجدهن يقمن بلوك الديرم وتحريكه باليد اليمنى على الشفة السفلى. وعندما تتوقف إحداهن عن (دق الديرمة) تقوم بوضع الديرم في صدرها. وقد حدثني من أثق به (طبيب) قبل سنين عدة أن امرأة كبيرة السن راجعته في العيادة تشتكي من بقعة في صدرها كالحرق، لأنها نسيت أداة التجميل الديرم في صدرها ونامت، لتستيقظ وهي تشتكي من ألم وحكة في صدرها. ما يعني ان مفعول الديرم المباشر على الجلد كمفعول المادة الكاوية (أكا وستك). أما العطور أيام زمان فمن الذاكرة هناك ما يسمينه النساء آنذاك بالأصفر، وهو طيب الرائحة (يستعمل مع المشاط)، ويضعنه في مفرق رأس المرأة. وهو الذي تعنيه خادمة وماشطة

هيا (حبيبة محيسن) ، التي كانت تعتني بشعر وجدائل وذوايب هيا بقولها:
أصفر مع أصفر ليت محسن يشوفه (كنت أظنها أصفر معصفر)
والأولون أيضاً يصفون المرأة التي (تدق الديرمة) بأنها في منتهى
الشياقة. كالتي خرجت من منزلها ما أسميه هذه الأيام (كوفيرة دلفري)
بعد تجميلها من عناية بالشعر وبدي كير ومناكير، أو التي أتت للتو من
الكوفيرة. وهناك بقية حديث عن انتشار ظاهرة (كوفيرة دلفري) مع
مطاعم الدلفري لدينا هذه الأيام.



الكلية اليمنى؟

موضوع التبرع بالأعضاء موضوع بدأ الناس يقتنعون بأهميته. إلا أننا لم نصل بعد لمرحلة حمل بطاقة التبرع ووضعها في الجيب، مع بطاقة الأحوال ورخصة القيادة في محفظة كل مواطن ومقيم، وإذا وصلنا لتلك المرحلة فهذا يعني أن جمعيات التبرع بالأعضاء قد نجحت في مسعاها. وعدد الأعضاء التي يحتاجها المرضى قد تم تأمينها. فالأعمار بيد الله. وأعداد حوادث المرور في ازدياد. وما ينتج عنها من وفيات ووفاة دماغية كثيرة. تكفي لتأمين عدد وفير من الكلى والقرنيات والأكباد، التي ينتظرها الكثير من المرضى. وتستوقفني كثيرًا تحقيقات (وربورتاجات) عن التبرع أو بيع الكلى، تبثها بعض القنوات الفضائية من آن لآخر. وفيها الكثير من شكاوي ومعاناة من أخذت كلاهم مقابل مبالغ بخسة. وقد حدثني أحد الأصدقاء: أن قريباً له ألم به عارض صحي فراجع إحدى المستشفيات في الرياض. وبعد فحصه وعمل أشعة قيل له هل سبق لك أن تبرعت بإحدى كليتيك، أو اشتكيت من أوجاع أو التهاب في كليتك اليمنى. فليس لديك إلا كلية واحدة. قال: لا لم يسبق لي التبرع، ولم أشتك قط من كليتي أو جهازني البولي. فقال له الطبيب مرة أخرى: لكن هناك أثر لشق كبير وعملية قديمة في جسمك، فما العملية التي أجريت لك وأين؟ فقال المريض متذكراً: إنني قبل بضع سنين كنت في الخارج (في إحدى الدول العربية)، واشتكيت من آلام في البطن لأدخل على إثره في إحدى المستشفيات هناك، وقال لي

الطبيب العربي: إن زائدتي الدودية ملتهبة. فأدخلت في غرفة العمليات، واستُصلت الزائدة الدودية تحت البنج العام، وشفيت وعدت إلى المملكة. ونسيت الموضوع. وما تراه يا دكتور على جسمي هو أثر عملية الزائدة التي استُصلتها خارج المملكة قبل بضع سنين، وقد كانت كما قيل لي (منفجرة) ما اضطر الجراح لتكبير شق العملية ليصل إلى أسفل الظهر من الجهة اليمنى. حينها قال له الطبيب الذي يُعالجه: لقد استأصلوا أحد أعضائك الحيوية في أثناء تخديرك. لقد سرقوا كليتك اليمنى يا أخا العرب. قبل أو بعد ما استأصلوا زائدتك الدودية الملتهبة. استغرب المريض ما قاله الدكتور ولم يكذب. إلا أنه على أي حال حمد ربه كثيرًا، لأن لديه كلية أخرى تعمل بكفاءة. وعلى الأمانة الطبية السلام.



قَسَمَ أبو قراط وبيض الصعو؟!

ثمة ظاهرة خطيرة بدأ الناس في مجتمعنا: مرضى وأطباء، يخضعون لها، ويتقبلونها. فيما يخص التداوي والتطبيب. وهي ما أُسميها -إن صح التعبير- ظاهرة الخضوع لرغبة (وجيب) من يريد العلاج والتداوي فقط. دون النظر للحاجة الفعلية للدواء، أو حتى للعملية الجراحية. ولسان حال الطبيب ذي الذمة (اللي ترقل) يقول: (مش حالك). فيكون بذلك (الطبيب والمريض) سبباً لما قد يحدث من مشكلات وأخطاء طبية، تطالعنا بها الصحف والوسائل الإعلامية في كل يوم. فالمرضى هو الشاكي والمشتكى منه. ومن يقدم تلك الخدمة الصحية (طبيب أو مركز صحي) هو الخصم والحكم. فمن يريد شفط الدهون مثلاً يُعمل له ذلك ولا داعي للجانب الوقائي والتوعوي في تراكمات تلك الدهون. وكلما أراد شفطاً للدهون فهم حاضرون لذلك. وحادثة أو مأساة المثلة سعاد نصر رحمها الله ليست ببعيد. والكل يعرفها. وفي هذا المناخ الغريب أصبح كل إنسان فريسة سهلة للإعلانات الطبية التجارية المضللة، التي تضرب على الوتر الحساس. وقديماً قيل الغريق يتمسك بقشة. وفي زاوية نافذة الرأي في جريدة الرياض. ليوم الأربعاء الماضي الموافق ١٤٣٣/١١/١٠ للكاتب المعروف عبدالعزيز المحمد الذكرير. قال فيه: في أمريكا هناك تأمين ضد أخطاء المهنة (مالبراكتس)، وما دام الطبيب يحمل البوليصة (الشاملة) فأنت وحظك. وأقول لأستاذي الفاضل عبدالعزيز الذكرير: يا ليت ما يطبق

في أمريكا يُطبق لدينا. فيما يخص بوليصة التأمين على أخطاء الطبيب. ليضمن المريض حقه. بعد أن مورس عليه (مالبراكتس)، وضُربت بعرض الحائط أخلاقيات مهنة الطب (ميداكل إيثكس)، أما قَسَم أبوقراط فلم يعد أحد من الأطباء يقسمه عند تخرجه. وإن أقسمه فسيحنت فيه. والمتأمل للخدمات الصحية الخاصة (برايفت سيكتور) لدينا يجد أن علاقة الطبيب بالمريض على أرض الواقع. يتجاذبها أمران: الأول رغبة في تحقيق مكسب مادي. والثاني جهل مريض لا يعرف ما يُراد (بجيبه) وبصحته وبحياته. وأقول للأستاذ الكبير: أتمنى أن نكون كما في الغرب. فيأخذ كل مريض حقه إن حدث له خطأ طبي (مالبراكتس) أما قسم أبوقراط فلا نجد نتائجه على أرض الواقع. فالممارسة الطبية الحالية لدينا في القطاع الخاص: كُل من (إيدو إلو). كما كان يقول غوار قديماً في صبح النوم. وقَسَم أبوقراط يذكرني ببيض الصعو. نسمع عنه فقط ولا نراه. أو أن يبيض الصعو صعب المنال. ومن المستحيلات.



هوكه وجمرة غضا؟!

بين يدي إحصائية مخيفة عن مدى انتشار التدخين وازدياده لدى الجنس الناعم في المملكة. وبالأخص بين الشابات الصغيرات. وقد تأكدت من ذلك عندما ذهبت إلى إحدى مدننا الغالية سواء في مقهى أو مطعم، ولكم أن تدخلوا إلى قسم العوائل، كما فعلت أنا بصحبة عائلتي، ليرى بنفسه كل امرأة أو شابة صغيرة برفقة صويحباتها أو برفقة زوجها أو أبيها، وقد امتشقت واحتضنت رأس لي المعسل باحتراف، وكأنها تحتسي كوبًا من القهوة أو الشاي بالنعناع، والدخان الكثيف يتصاعد بين شفتين ناعمتين. لم يُخلقا لذلك. وثمة حقيقتان يجدر الإشارة إليهما قبل الاسترسال في الحديث عن تدخينهن بين الماضي والحاضر: الأولى أنني كتبت عن التدخين لعشرين مرة أو تزيد في سوانح، وقبلها في غرايل، وغيرهما من إصدارات صحفية أو مطويات توعوية عن مضار التدخين. والحقيقة الثانية ذات الصلة بالتدخين هي أن الإعلام الغربي قوي وفاعل في أي موضوع يتناوله عبر وسائله. بعكس إعلام العالم الثالث. ولنأخذ التبغ أو السجائر مثالاً على ذلك. فالغرب عندما أراد تشديد الخناق عليه (الدخان والمدخنون) فعل ونجح (في الغرب طبعاً) ونجح أيضاً في العالم الثالث. أي كلما أفلح واحد منهم عن التدخين وقع لدينا عشرة. فالحملات التوعوية في الغرب عن مضار التدخين يقابلها دعايات وإغراءات قد تتبناها وسائلنا الإعلامية مع الأسف، لإيقاع شباب وشابات العالم الثالث في التبغ والتدخين. واقرأوا الإحصائيات، وماذا تقول؟ أي أن ما تخسره شركات التبغ من أسواق في الغرب بفعل الحملات الإلزامية، التي تقوم بها

ضد التبغ تُعوضه أو تعوضها من أسواق العالم الثالث. وانتقل لنقل صورة من الماضي عن علاقة النساء بالتبغ (التباك) أو السجاير والشيخة أو الأرجيلة في مصر والشام وفي لاهور. أو أهل السند والهند يطلقون على الشيخة (هوكه)، وأعود لحريم (مال قبل) فيندر أن تجد امرأة في جزيرة العرب تُدخن. ما عدا القليل من المسلسلات البدوية. عندما تقول الممثلة العجوز لخدمها (جب لي التتن يا ولد) وغير ذلك، لا أعرف أن المرأة العربية فيما مضى (شابة أو عجوز) كانت تُدخن أي نوع من التبغ. بل بالعكس. ينصحن من يدخن بعدم التدخين. حيث قالت إحداهن (شعراً) لحبيبها المدخن:

لا تشرب التتن يا غالي يخرب ثناياك يا المملوح

ويقول الراوي أيضاً: إن امرأة شاعرة وزوجها شاعر إلا أنه كان يُدخن التباك. فقالت الزوجة شعراً. وهي لا تعلم بوجوده بالقرب منها:

يا شارب التباك. شاربك لا طال

إياك وايا واحد(ن) جاز دونه

فتفاجأت الشاعرة بوجود زوجها وسماعه لما قالت. وهو يقول غاضباً: رديها يا مره. فقالت على نفس الوزن والقافية. لتمتص غضبه، وتلطيف الجو، و(ترقيع) ما قالت. فقالت:

شرابة التباك. فيهم سعة بالومن طال شاربه يقصونه



عَفْوُ الْخَاطِرِ

الخدمات الصحية في مدينة الرياض أيام زمان تكاد تنحصر بين مستشفى الشميسي ومستوصف الفوطة. وعيادات قليلة متناثرة هنا وهناك. في عمارة الباخرة وشارع الخزان والوزير. أذكر منها عيادات الدكتور تشانق والدكتور أبا الخيل وطبيبة الأطفال حُسن يارا شرق الصفاة رحمهم الله. كتبت عنهم في سوانح ماضية. وفي عمارة الباخرة كانت مداخل بعض شققها إن كانت عيادات. تزدان بلوحات لأطباء مكتوب فيها الدكتور فلان بكالوريوس طب وجراحة. فنظن آنذاك أنها أعلى درجة علمية في الطب، يمكن أن يحصل عليها إنسان. وبالنظر إلى مؤهلات وشهادات هذه الأيام. يتبين أن البكالوريوس (لاتؤكّل عيش)، وكل طبيب يجب عليه أن يواصل تحصيله العلمي الطبي. من ماجستير وزمالة أو بورد ونحو ذلك. فسنوات الدراسة السبع لا قيمة لها إلا بتخصص قد يستغرق من الجهد والسنين ضعف سنوات البكالوريوس. لأن مشوار الطب طويل كما تعرفون. ويجب على من اختاره في البداية أن يكمل مشواره للأخير. ليس هذا فحسب. فالطبيب الذي لا يطور نفسه بالمطالعة اليومية لكل جديد في تخصصه، ولم يواكب ما استجد من علم مع الزمن. بحضور الندوات. بل والمشاركة في تقديم ورقة عمل من آن لآخر. حتى لو بلغ الستين أو السبعين من العمر. إن لم يفعل ذلك. سيصيب الصدأ ما يحمله من علم مع تعاقب السنين. فطلبه لم يعد يُعمل به. مثل أصحاب الكهف (فَابْعَثُوا

أَحَدُكُمْ بورقُكُمْ هذه). وعودًا على بدأ. فقد بدأت سوانح بالحديث عن الخدمات الصحية أيام زمان. فلا بأس من إنهاء الحديث عن شيء ذي صلة بالماضي أيضًا. فثمة ثقافة تربوية خاطئة عند الأولين لأطفالهم. حيث يقومون بتهديد الصغار الذين لا يسمعون الكلام أو يقومون بأي شقاوة طفولية. بأنهم سيأخذونهم للدكتور (ليدقهم إبرة)، فيستغرب الطفل ببراءة إذا مرض وأخذوه للدكتور. لماذا يعاقب. مع مرضه (بدق الإبرة) مع أنه «ماسوى شيء». والتهديد بالدكتور قد ينفذ. عندما يمرض الطفل كما قلت. فيكون صدمة للطفل. وهناك تهديدات أخرى ساذجة، كانت تقال من الكبار لتخويف الأطفال، تدل على دلاخة أطفال أيام زمان. وليس البراءة فقط. فتجد الطفل يكاد يبكي ويموت من الرعب. عندما يسمع من يقول له مخوفًا: «والله لا طمر بطنك واتوطى الأرض». أو تجد الطفل يتصبب عرقًا من الخوف وممسكًا بأذنيه عندما يسمع من يهدده بالقول: «أخلي أذني وأذنيك أربع». وأذكر بالمناسبة أنني قلتها مداعبًا طفلًا صغيرًا لم يتجاوز الخامسة من أطفال هذه الأيام. فرد عليّ قائلًا: هي أصلًا أربع يا ذكي. فتذكرت كيف كان يخيفني هذا التهديد وأنا ألتمس أذناي (يخلي أذني وأذنيه أربع) وقد كنت آنذاك في سن الثامنة أو تزيد قليلًا.



داوها بالتي كانت هي الداءُ

قال (رهين المحبسين) أبو العلاء المعري مفاخرًا:

واني وإن كنت الأخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

تذكرت هذا البيت من الشعر وأنا أشاهد مقابلة مع جراح القلب العالمي المشهور. مجدي يعقوب. المصري الأصل والبريطاني الجنسية. وهو يتحدث عن عمله في مجال جراحة القلب. حيث قال: إن ما يقوم به حاليًا. برغم تقدمه ودقة إتقانه. سيكون من التاريخ في سنوات قليلة قادمة. فالمهارات والوسائل تتطور يومًا بعد يوم. وستحل الآلة مكان مهارات الطبيب (سكيلز) وأضيف لكلام الجراح العالمي: إنه خلال السنوات العشرين الماضية أصبح الكثير مما تعلمناه في كليات الطب من الماضي بالفعل. فشقوق وفتحات استئصال المرارة والزائدة في الجلد مثلاً. والكبيرة طولًا وعرضًا في جسم الإنسان. والتي كان كل مريض يتحمل آلامها وتشوهاتها. ألغتها جراحة المناظير (لاب كولي ولاب أبيندكس)، ورافقتها اكتشافات لطرق علاجية لم تخطر على بال الكثير من الأطباء والجراحين. وأدوية طورت من مسببات الأمراض. كطريقة جديدة لعلاج البروستات تُستعمل فيه جرثومة (إي كولاي) التي تعد من الأسباب الرئيسة لالتهابات المسالك البولية لدى الجنسين. فجرثومة (إيشريشيا كولاي) التي يصعب على الطلبة والأطباء نطقها. أصبح اسمها إي كولاي اختصارًا. وبالإمكان استعمالها أو تطوير علاج مستخلص منها لعلاج أمراض البروستات.

وأجدني تذكرت (عجز) بيت من الشعر لأبي نواس (داوها بالتي كانت هي الداء) ما علينا. ولنكمل فكرة سوانح عن التقدم الطبي. فلا أزال أذكر أستاذًا في كلية الطب، قال لنا في إحدى محاضراته قبل ثلاثة عقود أو تزيد: إن المضاد الحيوي الفلاني عند اكتشافه في الخمسينيات الميلادية يعد الخيار الأول لعلاج مرض السل. وهو ما كان يثير استغرابنا نحن طلبة الطب في نهاية السبعينيات الميلادية من القرن الماضي. ومن نافلة القول: ان المعري قال قصيدته الجميلة التي استشهدت منها بالبيت القائل:

واني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ
قيلت قبل ألف سنة أو تزيد. وقبل عدة شهور كنت مع طبيب للعيون لأسأله عن عملية موية بيضاء أو كتاراكت سيجريها لوالدتي رحمها الله. قلت له: كيف ستجري العملية والكتاراكت لم تصل لمرحلة الاستواء والنضوج (ماشور كتاراكت)، ألا يجب أن ننتظر ستة شهور أو نحوها لتستوي الكتاراكت. كما تعلمنا في بداية الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي. ابتسم طبيب العيون من قلبي، وهو ينظر إلي. وكأنني به يقول: يا قدمك وقدم طبك. يا ابن سعيد.



من بعيد لبعيد؟!

في خبر تناقلته وكالات الأنباء جاء فيه: إن بريطانيا تتوقع أنها في الخريف القادم، تحديداً مع بداية أكتوبر. ستكون أعداد المصابين بإنفلونزا الخنازير ١٠٠ ألف يومياً. ومع ذلك لا تخشى بريطانيا من وقوع كارثة. فنسبة الشفاء من المرض حتى من غير علاج تفوق ٩٥٪، وهو ما يعده الإنجليز تطميناً للناس عن جائحة إنفلونزا الخنازير التي توشك أن تقع. وسبق لي في سوانح ماضية أن تحدثت عن إنفلونزا الخنازير (إتش ون إن ون) قبل شهرين تقريباً ولأسبوعين. وما أريد التأكيد عليه اليوم هو أن المرض لا يُرعب ولا يخيف، والفيروس المسبب من أضعف الفيروسات، التي يمكن الالتقاء منها بزيادة مستوى النظافة الشخصية، والابتعاد عن الأماكن المزدحمة ما أمكن ولبس الكمامات. ويُروى عن بعض الرجال من دولة خليجية مجاورة بأنهم يكتفون بالسلام على بعضهم البعض. ومن بعيد (الله بالخير)، ومن غير معانقة أو حتى مصافحة. وأحرى بالناس هذه الأيام أن تكون تحاياهم سلاماً من بعيد لبعيد (الله بالخير)، ولا داعي للحميمية والقبل التي نمنحها بعضنا البعض عند الالتقاء والتزاور. ووزارة الصحة صرحت بأنها ستتوقف عن البيان اليومي فيما يخص (إتش ون إن ون) وهذا قرار حكيم. فالناس أصبحت خائفة بطريقة مبالغ فيها من مرض بالغ الإعلام في تصويره. وصرحت وزارة الصحة أيضاً بأنها قد حجزت ٤ ملايين جرعة من الطعام الخاص بإنفلونزا الخنازير عند

الانتهاء من تصنيعه. وهو إجراء يأتي في إطار الاستعداد للمرض. وما أُريد التركيز عليه في سوانح هو الوقاية، ورفع مستوى النظافة الشخصية وعدم الخوف. والإحصائيات تقول: إن عدد الوفيات من الإنفلونزا العادية يفوق بكثير عدد الوفيات التي قد تنتج عن إنفلونزا الخنازير. فليطمئن الجميع. وليقوموا بالإكثار من غسيل اليدين بالماء والصابون بعد كل مصافحة. أو ليطبقوا طريقة الخليجي في السلام بلا مصافحة (الله بالخير) من بعيد لبعيد داخل المملكة وخارجها.



الصوديوم والحلا

الغيرة في تعريف حميدان الشويعر تختلف عن الغيرة المعروفة بين الأزواج والمحبين. فحميدان ذكر الغيرة في وصف عابر لمسقط رأسه بأنها: ديرة دوا الغيرة. أي التخمة والتلبك المعوي. حيث قصد أن مدينته تشتهر بإنتاج الملح. والمعروف أن حميدان شاعر ساخر. وأظنه كان يعني أن الناس في الماضي يستعملون الملح في علاج التخمة (الغيرة) فيلهمون الملح أو يشربون كأس ماء مذاًباً فيه الملح. ليسهل البطن. واسألوا من يستعمل الملح الإنجليزي. وأعرف أحدهم. يقوم باستعمال الملح الإنجليزي مرتين في السنة. وعندما سألته عن السبب قال: إنه ينظف جهازه الهضمي من البكتيريا. فأقول له ولغيره عبر سوانح: إن ما تحويه أجهزتنا الهضمية من مليارات البكتيريا النافعة لا يمكن التخلص منها بشربة كأس من الماء مذاًب فيه بعض الملح الإنجليزي. ما علينا. فالأبيضان القاتلان بصمت أو السُّمان هما الملح والسكر. وثمة نصيحة يرددها الأطباء بالإقلال من الملح في الطعام إن كان الأمر يتعلق بضغط الدم وارتفاعه. أو الإقلال من السكر إن كان الأمر متعلقاً بمرض السكري. ومريض السكر الواعي يجب عليه أن يحتاط لانخفاض السكر أو ارتفاعه في دمه. بتنظيم أكله، وأخذ ما يصفه له الطبيب من أدوية أو حقن إنسولين. وعدم (التخبيص) في الغذاء والدواء. وكذلك من أصيب بارتفاع في ضغطه أو من يخشى ذلك. فعليه الإقلال من تناول الملح قدر الإمكان، ويمنع استخدام ووجود الملاحه

على سفرة الطعام. فالأكل المعتاد مهما كان (خانساً) فيه ما يكفي من كلوريد الصوديوم: ملح الطعام. لحيوية ووظائف أعضاء الجسم وصحته. فإن زاد عن الحد تسبب ذلك في حبس السوائل في الجسم وارتفاع في الضغط. وأُشبه مرض السكر بالضيف الثقيل، الذي إن أحسنت ضيافته وإكرامه وحسن التعامل والتصرف معه عشت بسلام. أو كما قال أحدهم: إن مرض السكر هو المرض المحترم. إن احترمته احترمك. ولي معارف وأقارب شباب وكبار في السن مصابون بداء السكري. أجد بوناً واختلافاً شاسعاً بين بعضهم بعضاً في تعاملهم مع المرض الخطير والمزعج. ومن ثم نتائجهم على صحتهم ونوعية الحياة التي يعيشونها. والإنسان العاقل بإمكانه التأقلم مع أي مرض كُتب عليه. بل والاستفادة من أي وضع أُجبر عليه نتيجة المرض. وأذكر في هذا الخصوص أن رجلاً أُصيب بالسكر أو السكري، وهو في سن الشباب. قال: إنه أصبح من ممارسي رياضة المشي المفيدة والممتعة. التي لم يكن يمارسها قبل إصابته بالمرض. ومن نافلة القول: إن الملح والسكر يستعملان للمدح. فيقال مثلاً لرجل ما لمدحه: يا سكر. وللبنت الجميلة خفيفة الظل: (مملوحة). ما علينا. وفي الختام أقول: إنني من محبي ومؤيدي الأكل (الخانس) وأؤمن بمقولة: إن الحلا يجيب ولا يدفع. على العكس مما يردد البعض (الحلا يدفع البلاء).



في الأسنان والتحلية؟

موضوع الأسنان وأطباء الأسنان موضوع أثير لدي؛ إن علاقة أو حكاية تُروى؛ وأبدأ سوانح بالقول الصريح: إن هناك نوعًا من الغيرة أو الغبطة (لا الحسد) من أطباء الأسنان وطبيباته؛ فالكُل يعرف أنه عند التقديم للدراسة في الكلية (بعد الثانوية العامة) يضع المتقدم طب الأسنان رغبة أولى، والطب البشري رغبة ثانية، والصيدلة رغبة ثالثة؛ وبذلك يكون عدد كبير من الأطباء البشريين الممارسين في جميع الأوقات لم يُقبلوا في الأسنان أو رجع أسنان؛ والعكس ليس صحيحًا بطبيعة الحال؛ ومن خلال عملي الطبي يحدث (نادرًا) أن يتداخل عملنا مع عمل أطباء الأسنان؛ وأيضًا عندما أراجع طبيب الأسنان (بصفتي مريضًا) فأرى سلسلة عملهم وجماله منذ الكشف الأول على أسنان المريض، ونتائج ذلك العمل الفورية؛ أما نحن (البشريين) ففحص إكلينيكي أو سريري وفحوصات وتحاليل مخبرية وغيرها كثير؛ نقول بعدها للمريض (كله سليم)، ومع ذلك نصف للمريض (خيشة أدوية) ضررها أكثر من نفعها؛ ونظرة الناس أيام زمان للأسنان والعناية بها تكاد تكون في خلع السن عند الألم (دوا الضرس خلعه) فعدد الأسنان كثير ولا مشكلة في الاستغناء عن بعضها؛ ولم يكن الناس يستعملون فرشاة الأسنان؛ وعن نفسي أقول انني لم أستعمل فرشاة الأسنان والمعجون إلا عندما كبرت وأصبحت طالبا في الكفاءة أو المرحلة الثانوية؛ وبصراحة لم يكن تفريشي لأسناني نتيجة تعليمات من الأهل ووعي بوجوب المحافظة على الأسنان ونظافتها؛ أو تقليدا للكبار؛

بل نوع من التباهي أمام الآخرين (يعني اني) يتماشى مع فترة المراهقة آنذاك؛ فبدأت تفريش أسناني مع لبس الكبك والتمشي في شارع الثميري أو الوزير والسهر مع الأكل في شارع العصارات إلى الساعة الحادية عشرة ليلا في نهاية الأسبوع؛ وشارع العصارات في الرياض أيام زمان؛ يوازيه الآن شهرة عند الشباب شارع أو طريق التحلية؛ من حيث المطاعم والمقاهي وكثرة تردد الشباب والمراهقين (الفاضين) وأعود إلى الأسنان؛ فالذين (أيام زمان) يفرشون أسنانهم كبارا وصغارا كانوا قلة؛ وأذكر ان احد كبار السن عندما أراد محاسبة صاحب البقالة (يقيد على الدفتر) استغرب وجود شيء اسمه فرشاة أسنان ومعجون أسنان من ضمن المشتريات لأهل بيته؛ فذهب إلى بيته وأحضر الفرشاة والمعجون (بعد فتح فرشاة الأسنان والمعجون واستعمالهما) ليعيدها لصاحب البقالة؛ وهو يسأل أولاده بصوت عال: من اللي خذ هالخرابيطة من الدكان؛ خلو عنكم الفسقه والزود والاسراف؛ تذكرت هذه الحكاية وأنا أشاهد افتتاح قسم الأسنان في مستشفى قوى الأمن لعيادات تُعنى بأسنان الأطفال في سن ١٨ شهراً.



يا ناس ذاك البيت!!

تعودت بين حين وآخر أن أزور منزلنا الطيني في القرينين، وتحديدًا في العسيلة، لاستذكار الماضي، والوقوف على الأطلال. إلى أن أتى يوم تهدم فيه منزلنا الطيني بفعل المطر. فقامت بقياس المنزل، فإذا هو لا يزيد عن ثمانين مترًا (٨ في ١٠)، مع أنني كنت أشعر آنذاك أن دارنا واسعة. فمرت أربعة عقود أو تزيد في خاطري كأنها لحظات. وكان يسكن منزلنا الطيني آنذاك ما يقرب من عشرين نسمة بين شيخ كبير وزوجته وأولاده وأحفاده من شباب ونساء وأطفال. يعيش من بقي منهم هذه الأيام، وهم أقل من العشرين بطبيعة الحال. يعيشون أو يسكنون في خمس فلل فارهة أو تزيد، ويشعرون بالضيق في سكنهم. بعد أن كانوا في الماضي يشعرون بالسعة في أنفسهم ومنازلهم الطينية. برغم أحجامها الصغيرة. وبيت الطين هذا كغيره من البيوت آنذاك لم يكن يؤوي ثلاثة أجيال (الأب والأم والجد والجددة والأحفاد) فقط. بل تجد في معظم تلك البيوت حوشًا صغيرًا فيه بقرة حلوب وبعض الأغنام والعنقان. وبعد رؤية منزلنا الطيني المتهدم، الذي أصبح كومة من تراب. حزنت كثيرًا. وتذكرت قصيدة الشاعر سعد الخريجي (عشق الأطلال) التي يقول فيها:

يا ناس ذاك البيت لا تهدمونه

خلوه يبقى للمحبين تذكار



خلوه حب سنين خلفه ودونه
في داخله قصة موالييف وأسرار

من يعشق الأطلال دمعته يخونه
لا صارت أقدامه على سكة الدار

عش الحمام اللي بعالي ركونه
رمز الوفا رمز المحبة والإصرار
إلى أن يقول الشاعر:

راعي الهوى لا حب تبكي عيونه
لا هاجت الذكرى على ماض صار

فهاجت الذكرى لمراى المنزل المتهدم. وتوقفت عن الزيارة. وفي
جريدة الرياض ليوم السبت الموافق ١٤٣٠/٣/٢ ازدانت صفحة أماكن
في الذاكرة بتقرير بقلم الزميل والكاتب القدير فهد السلمان تشتم رائحة
الماضي وعبقه الجميل بين سطوره. وقد توقفت كثيرًا أمام هذا التقرير
شاحدًا ذاكرتي في استذكار ماضٍ مضى. لأتوقف في سوانح أكثر من مرة.
مستذكرًا ذكريات طفولية عن جيران كان منزلهم ومنزلنا متلاصقين.
ومن ثم أنا وإخوتي وأطفالهم كأننا أسرة واحدة. فلا يكاد يمر يوم إلا
نتغدى أو نتعشى عندهم. وهو ما ينطبق على أطفالهم في الدخول والخروج
من بيتنا والأكل فيه. وللحديث صلة.



إِرعاف الأنوف EPISTAXIS

ثمة حقيقة فيما يخص إرعاف الأنف أو نزفه، التي يُبأشرها أطباء الأنف وأطباء الأسرة والأطباء العامون في عياداتهم الخارجية وقسم الطوارئ في جميع المستشفيات الحكومية والخاصة والمستوصفات. والحقيقة هي أن معظم حالات النزف تلك تقف باتباع بعض الإرشادات. وأذكر في هذا الخصوص أنني كنت أقوم مع الممرضة بثلاث خطوات أو إجراءات بسيطة، يقف النزف بعدها أو في أثنائها. في معظم الحالات. وهي أولاً تطمين المريض ومرافقه والتهدئة من روعهما. وهم في العادة أطفال أو شباب وشابات صغار في السن. والضغط على الأنف ووضع شيء بارد أو ثلج على الأنف وحواليه. ويطلب من المريض أن يحني رأسه قليلاً إلى الأمام (يدنق) لا رفعه إلى الأعلى، كما يعتقد الكثيرون. وأن يتنفس عن طريق الفم. ويجب أن يكون الضغط مستمراً ولا يتوقف. إلا عندما يتوقف النزف أو ترى دم الأنف بدأ (يسورب) بعد أن كان تدفقاً مستمراً وقوياً. وأقول من تجربة طويلة وقديمة: إنني كنت أستقبل حالات الإرعاف، وما يُصاحبها من خوف وهلع من منظر الدم المتدفق. أستقبلها بابتسامة، وأنا أُشير إلى الممرضة الفلبينية بأن (تشوف شغلها)، ومساعدتي في تطبيق الخطة العلاجية. وفي الأغلب الأعم تقوم السستر بتجهيز ما يُسمى (فازلين قوز) لحشو الأنف (نازال باكنق)، وهو عبارة عن شاش منقوع أو مشبع في الفازلين. وهي بالمناسبة معلومة جديدة لمن لا يعرف بأن

(الوزالين) يستعمل في أشياء أخرى غير علاج المشق. ويخلط مع الفازلين مادة الأدرينالين بنسبة واحد في الألف، وهي المسؤولة عن انقباض الأوعية الدموية لإيقاف نزفها. وبمناسبة الحديث عن الفازلين الذي يتزامن هذه الأيام مع بداية فصل الشتاء. وما كنا نعانيه من تشققات في الأيدي والوجوه بسبب (المشق)، وحتى الأنوف لا تسلم من المشق نتيجة البرد القارس أيام زمان. لذلك أجد الفازلين يلعب دورًا مزدوجًا عندما نستخدم (الوزالين) في مكافحة المشق. والفازلين قوز لإيقاف إرعاف الأنوف أو نزف الخشوم. وللحديث صلة. وفي الأخير وإلى أن يحين اللقاء أقول: يا من تنزف أنوفكم. لا توافقوا على الكي. فالنزف يقف بإذن الله إذا اتبعت ما سلف ذكره من إرشادات. حتى في غياب طبيب أريب أو طبيب (لك عليه) أو طبيب أرقل، كما ذكرت ذلك في سوانح ماضية.



بين الفوطة والتخصي

ثمة سببان لنجاح الخدمات الصحية الخاصة لدينا في المملكة. الأول التسهيلات الكبيرة التي تمنحها الدولة رعاها الله لكل من يريد أن يستثمر في هذا المجال. والثاني حاجة الناس لتلك الخدمة. فلم يعد من الممكن أن يلجأ من يريد خدمة طبية أو جراحية مستعجلة وجيدة. أن يلجأ إلى مستشفيات الحكومة فقط. فأيام المستشفى الشميسي ومستوصف الفوطة قد ولى زمانهما إلى غير رجعة، عندما انتقلنا من سكن البيوت الطينية إلى سكن الفلل والشقق الحديثة. فأصبحنا نعاني معها من أمراض حديثة هي الأخرى. وتظل الأخطاء الطبية ظاهرة لكل عمل طبي وجراحي في كل بلد من بلدان العالم. ولا توجد إحصائية سنوية. أو شهرية. لأي مستشفى. خالية من المضاعفات أو الأخطاء. قد يؤدي بعضها إلى الموت. نتيجة إهمال أو بسبب غير معروف. ولا أتخيل طبيباً أو ممرضة يقوم أو تقوم بتعمد الخطأ الطبي أو الإضرار بمريض أو إنسان ما. وحادثة الطبيب العربي والممرضات الأوروبيات الذين قاموا بحقن أطفال ليبين بفيروس الإيدز تعد حالة شاذة واستثنائية. تدل على سلوك غريب وإجرامي متأصل في جينات من فعلوه. ولا تعد دليلاً على احتمال حدوثه من أناس أسوأ. وفي الغرب حيث إعجابنا الشديد بتقدمهم الطبي والصحي. وحيث التطبيق الصحيح للتأمين الصحي. يُحاكم من يتجاوز أو يخرق أخلاقيات مهنة الطب «ميداكل إتيكس»، وتتشط وتكثر الدعاوى التي يقيمها الناس

على شركات الأدوية، أو على طبيب لم يحسن التشخيص أو العلاج. لذا تقوم شركات الأدوية بتأمين نفسها قانونيًا وتكثر من كتابة الإرشادات والتحذيرات والأعراض الجانبية المحتملة لكل دواء. في الورقة المرفقة مع كل دواء «ليفلت»، كما ذكرت في سوانح ماضية. ما علينا. وقد اطلعت على البعض من قضايا خسرتها شركات الأدوية. قضايا تبلغ مليارات الدولارات، التي قامت شركات الأدوية العملاقة بدفعها. وبالمناسبة أبارك لمستشفى الملك فيصل التخصصي الذي ربح قضيته ضد شركات التبغ العالمية المصنعة والمصدرة لتلك السموم. إلا أننا لم نعد نسمع عن الموضوع في الوسائل الإعلامية. وأخشى أن يكون فوز وزارة الصحة وإدانة شركات التبغ من منبر عالمي. ليس إقرارًا مع وقف التنفيذ. وفي الأخير أقول: إن من لا يخطئون هم من لا يعملون شيئاً.



الوعد (قدام)

نحن نعيش هذه الأيام. وبتوجيه سام كريم. مرحلة ابتعاث كبيرة للدراسة في الخارج. شبيهة بما مر على جيلي في مرحلة السبعينيات الميلادية من القرن الماضي. وثمة حقيقة (بالنسبة لي على الأقل)، وهي أن الزواج المبكر يكون سبباً أو عاملاً مساعداً للنجاح في الحياة الدراسية في الخارج. ذلك أن هموم الغربة وصعوبة الدراسة في حد ذاتهما يحتاجان لمواجهةهما. إلى تفرغ الطالب للدراسة والتحصيل العلمي فقط. والانفكاك من الحاجات الشخصية اليومية للطالب المغترب. بوجود شريكة حياة متفهمة. وعن تجربتي الشخصية أقول: إن اغترابي في لاهور. ينقسم إلى قسمين أو مرحلتين. مرحلة ما قبل الزواج. ومرحلة ما بعد الزواج. أما ما قبل الزواج فغربة مريرة (حياة الشقى والقشارة)، وما فاجأني وأفرحني في البداية عدم وجود رقيب صارم عليّ (الوالد رحمه الله)، ودوام الكلية يختلف عن المدرسة. وفي هذه السن الصغيرة والمرحلة الأجمل من عمري، تعرفت على لعبة الورق (بلوت)، فأدمنتها ووأدمنت السهر للعبها مع زملائي الطلبة السعوديين. وكأننا اغتربنا للعب البلوت. التي كادت تحرمني عاماً دراسياً بسبب السهر مع زملاء السنة التحضيرية وآخرين أقدم مني. وكانت الحياة في لاهور جميلة، أشعررتني وزملائي بنوع من الحرية والانفكاك من رقابة الأهل. وقد كان الكثير منا يسكن خارج سكن الطلبة. واتفقت أنا وزميلان آخران باستئجار فلة (أجل فلة)، أو بانقلو كما

يسميتها الباكستانيون. لا تقل مساحتها عن خمس مئة متر. تزدان بحديقة غناء. وخادم وطباخ في آن. لا يتجاوز راتبه الشهري عن المئة ريال، ومزارع مالي، راتبه الشهري مئة ربية. واحسبوها بالريال لتجدوا أنها لا تزيد عن دراهم معدودة. يقوم بتنسيق الحديقة وقص الثيل وزرعها بكل ما يُبْهَج من زهور وورود. أسعد بالجلوس فيها عند شروق الشمس. وعند الغروب. حيث شقشقة العصافير وغيرها من طيور جميلة، تطير أو تهبط في حديقتي في لاهور. أليست لاهور تُسمى مدينة الطيور والزهور. المهم كان موعدنا اليومي مع الزملاء السعوديين عندما يأتي المساء. ليس للاستذكار. بل لصك (صن. حكم. أشكل) غير مدركين بأننا سنتمشك دراستياً. المهم أننا كنا نجتمع للعب البلوت. وصوت المسجل يشدو بأغاني محمد عبده أو سعد إبراهيم (أرسل سلامي) أو حمدي سعد في أغنيته الجميلة والوحيدة. من فارق الخلان. ربي يعينه. التي تُعبر عن حالنا في الغربية، عندما فارقنا الخلان. وكبسة البرياني تنتظرنا للعشاء. وتكملة لعب البلوت إلى الفجر. بعدها نحمد في نوم عميق إلى الظهر أو العصر. فتستيقظ لنحدد عند من ستكون سهرتنا هذه الليلة. لينتقم من هُزم في البلوت ليلة البارحة (يفك اللي عليه)، والفائز ليلة البارحة يتوعده من هُزم بأن يُضيف إلى هزيمته هزيمة أخرى. وبلا مذاكرة وحضور محاضرات وهم. لكن الوعد (كان قدام) عند الامتحان. حيث يُكرم المرء أو يُهان. وللحديث صلة.



(بخشة) الفوطه ؟!

طلب مني أحد الأصدقاء المغرمين بأكل فول (الجرة) مرافقته قبل بضعة أيام لأشهر فوال في الرياض في حي المربع أو الوشم، مقابل مبنى الجوازات القديم. والاستمتاع بأكلة الفول الشعبية والشهيرة. وعندما قلت له: إن أشهر فوال في الرياض هو أبو دحدح في الحلة. قال صديقي: دعك من أبي دحدح إن أردت الاستمتاع بفول على أصوله، يضاهاى فول الحلة، إن لم يتفوق عليه طعمًا ونظافةً. اقتنعت بكلام صديقي ورافقته لفوال (٩٩) في المربع. وبعد أن حاسبنا المعلم عبده، ودفعنا له قيمة بخشة لقاء صحنين من فول الجرة اللذيذ، وفي مكان نظيف يعج بالمرتادين، وتتوسطه لوحة كبيرة وبخط كبير، بأنه لا يوجد له فرع آخر في الرياض. قمنا بالتجول في شارع الخزان. الذي تغنى فيه المطرب القديم بقوله: (في شارع الخزان قابلت لي إنسان). فمررنا بحديقة الفوطه أو (بخشة الفوطه)، كما كنا نطلق عليها أيام زمان. والتي يقع إلى الجنوب منها مبنى مستوصف الفوطه العتيد، الذي توشك أركانه أن تتداعى لِقَدَمِهِ. والذي راجعه الكثير منا في الزمن القديم للعلاج. وفي خاطري ذكريات تحمل عبق الماضي الجميل، وصدى سنينه الحاكي. ذكرت بعضًا منها في سوانح ماضية. ولعل فرصة تأتي للحديث عن المزيد. ومن يزور حديقة الفوطه هذه الأيام يلمس الجهد الذي بُذل لتطويرها وتأهيلها للزوار. والجمال الذي أصبح يسكن كل ركن فيها. وهو عمل تُشكر عليه الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

إلا أن (الزین ما یکمل)، فمنظر المخلفات التي یرمیها مرتادو الحديقة يُشوه ذلك الإنجاز الحضاري الجمیل. وأقترح لمنع ذلك (رمي المخلفات وتوسیع الحديقة الجميلة) بأن تكون حديقة الفوطة كحديقة سلام (في جنوب الرياض)، أي أن يكون لها سور حديدي تتوسطه بوابتان (للدخول والخروج)، ويكون الدخول برسم رمزي ولو بخمسة ریالات مثلاً، وهي قيمة علبة كولا (وفشار) يقوم من يدخل الحديقة برمیها، فتتراکم مع مخلفات أخرى، لدرجة أن ضعاف النفوس یرمون حفائظ أطفالهم المتسخة أعزکم الله. وبعد جمع الرسوم: خمسة ریالات. أو ریالین، فالمجموع مبروک، يكون مرتباً شهریاً لعمال يتولون النظافة والحراسة، ومنع كل من يقوم برمي المخلفات والعبث بمحتویات الحديقة (المتعوب علیها)، ولنا أيضاً في حديقة الوطن التي يتوسطها برج المیاء مثال آخر على جمال الموقع والمكان. وسر نظافة حديقة الوطن هو أن الدخول بمقابل مادي. فالكثیر من الناس (مواطنون ومقیمون) ليس لديهم وعي، ولا یهتمون أو یحافظون مع الأسف على أي شيء (بلاش)، وأمانة مدينة الرياض والهیئة العليا الموقرتان تحرصان دائماً على إطلاق مسمى المدينة النظيفة على عروس أو عاصمة المدائن مدينة الرياض. فلتكن الرياض المدينة النظيفة والجميلة في آن. فالجمال والنظافة صنوان وشقیقان، يُکملان بعضهما بعضاً.



جس الطيب

ثمة أطباء سعوديون زملاء، ويحملون المؤهل العلمي نفسه، الخبرة نفسها، التي صنفتهم إلى استشاري وأخصائي ومقيم، إلا أن ما يستلمونه من دخل مادي يختلف بين مستشفى حكومي وآخر، ما أدى إلى بعض القهر لدى الكثير من الأطباء، وهم يرون زملاءهم في المستشفيات الأخرى، وفي رأي أن توحيد رواتب الأطباء في المستشفيات الحكومية (كسلم رواتب القضاة والمعلمين)، سيقضي على مشكلات الخدمات الصحية لدينا من شعور (بالغميضة) لدى بعض الأطباء، وتسرب الكفاءات الجيدة من مستشفيات وزارة الصحة والمستشفيات الجامعية بحثاً عن تحسين ظروفهم المادية، وهو حقهم، لقاء ما بذلوه من جهد في تحصيلهم العلمي، ولطبيعة عملهم التي لا تخفى على أحد، وهذا هو مربط الفرس، أي أن عمل الطبيب في محصلته النهائية على صحة المريض واحدة، أكان المريض في غرفة خاصة بمواصفات فندقية أو غرفة مشتركة في المستشفى المركزي.

وفيما تبقى من مساحة أبقى مع ردود بعض القراء على سوانح (دكتور الحقني) الماضية، التي ناقشت فيها عمل الطبيب السعودي: الطبيب المبتعث علي محمد: أوافقك أن المال هو عصب الحياة، ولا أوافقك في أن شرف المهنة (لا يوكل عيش)، وكما قلت أيها الدكتور المبتعث عندما تعود بإذن الله إلى أرض الوطن حاول أن تسدد وتقارب بين عملك الخاص والحكومي، وتقبل تحياتي وأنت في بلد الغربة، التي سبق أن كوتني بنارها.

وليد الحسين: أوافقك على أن الطبيب في أوروبا غير، ودخله الشهري يتعدى ٨٠ ألف ريال، ولكن تحت (نظام) يحمي الجميع، ولدينا يوجد أطباء يركضون بين منشأة خاصة وأخرى، البعض بذمة وضمير والبعض (سراقة)، أشبههم ببعض الباعة المتجولين، عندما (تطب) عليهم البلدية فجأة لتفرقهم. سعد: أبصم لك بالعشرة على ما قلته، ولكن ألا ترى وجوب تنظيم (بارت تايم) الأطباء السعوديين بين الحكومي والخاص، للاستفادة مما لدى هؤلاء الأطباء السعوديين من علم لمواطنين ليس لديهم إمكانية للعلاج في بعض المستشفيات الحكومية الرائدة، فتطبق المقولة المشهورة: (يفيد ويستفيد). وهناك مثل قديم يقول: (امسك المفرص ولا تحرص). فوقت الدوام الحكومي الرسمي يكون تواجد الطبيب في عمل ومكان معلوم، إن وجد في غيره يعاقب، بل ويشهر به، وخارج ذلك الوقت هو (الطبيب) حر في وقته، حتى لو قام بفتح بقالة يبيع فيها الطماطم لتحسين دخله المادي، وأرى أن بدل التفرغ الذي يستلمه الطبيب السعودي لو أعيد النظر فيه وتطويره لما فيه فائدة الطبيب والمريض، لأسهم في حل الكثير من الإشكاليات، وتحسين الخدمات الصحية في المجتمع. ممدوح: أوافقك على أن دعوة صادقة من أحد المرضى الذين يعالجهم الطبيب تعادل الكثير من أي دخل مادي، وأضيف في الأخير: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.



حُقنةُ بينسيلين

ثمة صرحان طبيان شامخان بمقاييس أيام زمان في مدينة الرياض. هما مستشفى الشميسي ومستوصف الفوطة. يأتي بعدهما عيادات متناثرة في عمارة الباخرة وشارعي الخزان والوزير. أغلبهم إن لم يكن جميعهم أطباء عامون. لعل الدختور الرخاوي أبرزهم. وعندما نقرأ على مدخل العيادة: عيادة الدكتور فلان. بكالوريس طب وجراحة. نُجل ونقدر حاملها وتُدْهشنا درجته العلمية بكالوريوس، وكأنه يحمل شهادة الزمالة في الطب من جامعة هارفرد العريقة. ولو قدر لأحدنا واطلع على الشهادة العلمية. المرفقة بتصريح مزاوله المهنة آنذاك. لوجد أن تلك الشهادات. بكالوريس طب وجراحة بتقدير مقبول بعد النجاح من الدور الثاني. من جامعة دمنهور. أو الزقازيق. أو جامعة حيدر أباد. واسألوا أي طبيب الآن ليخبركم كم هو مخجل أن يُكتفى بشهادة البكالوريس فقط. وكم من ذكريات يختزلها سكان الرياض الأولون: كهولاً وشباباً. بلغوا من العمر عتياً. رجالاً ونساء. عن مستشفى الشميسي ومستوصف الفوطة. لعل أبرزها (الأصانصير) وغرفة الضماد والحقن أو الإبر الصدئة لكثرة تعريضها للنار للتعقيم. قبل تعبئتها بالبينيسلين وغيره من أدوية لحقنها من ثم (دقها) لمن يحتاجها من مرضى في مستشفى الشميسي. أو ذكريات الممرضة زبيدة والممرض الألوسي ودافوره. وحضوره على (دباب) للعمل في مستوصف الفوطة. وهذان الصرحان لا يبرحان مخيلتي ووجداني

عن طفولتنا في الماضي. يؤججها ويبيدها من آن لآخر. كوني طبيبًا. ومن نافلة القول: إن تسمية الطبيب أو الدكتور يطلق عليه كبار السن من عامة الناس وخاصتهم تسمية دكتور. كتسمية حكيم في منطقة الشام والأردن. ما علينا. وأروي قصة عمن يطلقون دكتور على كل طبيب ودكتور، مهما حمل من شهادات عالية. وأبطال الحكاية القديمة امرأتان وطبيب. وأظن الطبيب هو الدكتور الرخاوي، الذي خلدت اسمه الأغنية القديمة (علتي حار فيها الدكتور الرخاوي)، أو الدكتور الغني عن التعريف مناور أبا الخيل رحمه الله. حيث قامت الامرأتان وهما شقيقتان. قامتتا بمراجعة الطبيب. وبعد الكشف عليهما وصف لكبيرة السن بعض الحبوب وشراب كحة وللأخرى إبرة أو حقنة في العضل. وفي طريق العودة للمنزل قالت الكبيرة للصغيرة معبرة عن استيائها من الطبيب: هالحين أنا الكبيرة يعطيني الدكتور حبوب وشراب. وأنت يا الصغيرة يعطيك إبرة في العضل. ردت الصغرى وبسرعة: لا تزعلين «يا وخيتي» خذي إنتي الإبرة وعطيني الحبوب وشراب الكحة. ويقول الراوي: ان الأختين شُفيتا بفضل الله. برغم تغيير الدواء لكلٍ من الأختين.



روايع الصيف (والخَبَل) ١٩

ثمة مقولة شعبية: (بياع الخَبَل عباته) تُقال في منطقة نجد في نهاية فصل الشتاء كل عام. وتحديدًا مع دخول فصل أو نوء العقارب. عندما تكون (من الخير قارب) بعد شدة برد المربعانية والشبِط. فيظن البعض أن فصل الشتاء والبرد قد انقضى. فيتخلصون من أدوات مكافحة البرد من وسائل تدفئة. وملبس (عباءة ثقيلة ونحوه)، لكن البرد يفاجمهم بعودته أيامًا عدة. فيطلقون على أيام البرد تلك: بياع الخَبَل عباته. وهو مثل أو مقولة يعرفها الجميع. ويقابلها في مصر والحجاز مقولة: (برد العجوزة)، حيث قامت امرأة عجوز بتكسير ورمي المنقلة (المنقد)، التي تُشعل فيها الفحم أو الحطب للتدفئة، ظنًا منها أن الشتاء قد انتهى. فندمت أو تندمت. ما علينا. فالشتاء قد انتهى بالفعل وودعناه. وقد بدأ البعض في تشغيل المكيفات. فنحن الآن نعيش (روايع الصيف)، وأجمل ما يتناقله الشباب هذه الأيام. للتعبير عن حالة الطقس. دُعاة أو نكتة جديدة، تُعرف أن الخَبَل ليس من باع عباته فقط. وتشرح حالة الطقس الحالية. جائتني برسالة (إس إم إس) عبر جوالي. تقول: (الخَبَل اللي يغسل سيارته) هذه الأيام. وأضاف آخر: (واللي يغسل حوش بيته) بسبب زوابع الغبار والأتربة، التي تتعرض لها أجواء الرياض. والتي تنتهي بمطر قليل (رشاش)، يحول التراب طينًا. يوسخ (أحوشة) البيوت وسيارات الشباب الصغار، الذين يهتمون بنظافتها كثيرًا. والتشخيص بسياراتهم الفارهة

في التحلية والتخصصي. بعد أن كنا (نشخص) بالفلكسواجن والكوريلا في شوارع العصارات والشميري والوزير. قبل أربعة عقود من الزمان أو تزيد. ونحن في الجزيرة العربية نُطلق على كل فصل من فصول السنة، أو ظاهرة مناخية تسمية تختص بها. فبعد (بياع الخبل عباته)، نعيش الآن (روايح الصيف)، وفي شهري جولاي وأغسطس القادمين. بعد ثلاثة شهور من الآن. أي شدة الحر. نقول عنهما (طباخ التمر). و(قدحة اللونة). وقد كنا في لاهور قبل ثلاثة عقود من الزمان أو تزيد نُطلق على شهري جولاي وأغسطس (طباخ المنقا)، حيث تنزل في أسواق (عتيقة) لاهور أنواع المنقا الكثيرة والفاخرة والميتاي. التي يقابلها هنا في الرياض. نتيجة لطباخ التمر (روثانة المدينة) والسلج والمنيفي ونبته سلطان والخلص. وأعود إلى صلب الموضوع. فجو الرياض لا يزال مغبراً، ونصائح الدفاع المدني تأتينا تباغاً في التلفزيون أو عبر رسائل الجوال. محذرة من المزيد من الغبار والأتربة. وأنا بدوري أنقل تحذير الدفاع المدني لأصحاب السيارات بأن لا يقوموا بغسل سياراتهم يومياً. وأقول كذلك لأصحاب الفلل صغيرها والكبير. بأن تتوقف الشغالات و(السواويق) عن غسل الأحواش. حتى إشعار آخر من الدفاع المدني. فقد صدق في وصف الأحوال الجوية. من أطلق عبارة أو نكتة (الخبل اللي يغسل سيارته) في أجواء الرياض المغبرة هذه الأيام.



شغب ملاعب وقيلولة ١٩

بادىء ذي بدء، وفي أثناء مشاهدتي لـ (شامبيون لييج أو البريمير لييج الإنجليزي) لفت نظري مدرب مانشستر يونايتد الشهير السير أليكس فيرجسون السبعيني، بعلته التي لا تفارق فمه، مضغاً عند الفوز أو الخسارة. وكتب عفو خاطر الآتي. فثمة حقيقة فيما يخص شغب الملاعب، وهي أن الجمهور الإنجليزي هو الأشهر والأعنف في شغب الملاعب، إذا لعبت أندية بعضهم بعضها مع بعض أو لعب فريق إنجليزي ضد فريق من دولة أخرى. وهتافات المتفرجين والمشجعين قد تتطور إلى أعمال شغب ومضاربات تتدخل فيها الشرطة لفضها، وقد ينتج عنها إصابات ووفيات. ويعد الدوري الإنجليزي هو الأقوى والأفضل والأجمل في العالم. ويتفوق حتى على الدوري الأسباني، الذي يلعب فيه اللاعب الأرجنتيني ميسي لاعب برشلونة. وأنقل لنقل صورة من الماضي عن شغب الملاعب في أحيائنا الطينية أيام زمان. فقد عايشت مباريات ومضاربات بين حي العسيلة. حيث كنت أسكن متضامناً مع القرينين ضد معكال ودخنة المتحدان ضدنا. فهزمناهم شر هزيمة. ولا أذكر أي مباراة انتهت إلا وتتبعها مضاربة بين الصبية والمراهقين والأطفال. والمارة يتفرجون، وتدخل أطراف أخرى (للفزعة) من غير اللاعبين. أتوا للفرجة والتشجيع، ومشاركة أحد الطرفين في المضاربة بعد انتهاء اللعب. ويكفي أن أخبركم أن مراهقي أيام زمان يطلقون على كل لعب لكرة القدم مباراة، ويبيتون

للمضاربة بعد الانتهاء، خاصة إذا انهزم فريقهم. ولعب الكرة يبدأ بعد صلاة العصر وينتهي مع أذان المغرب. تحت هتافات البعض (قول المغرب بعشرة)، وبمناسبة ذكر قول المغرب. لا أنسى موقفاً طريفاً لأحد الصبية عندما رأى المؤذن متجهاً للمسجد للأذان. فاستوقفه قائلاً: (الله يخليك تأخر شوي)، وهو بهذا يقصد أن يمهله إلى أن يسجل فريقه قول المغرب. فالمتعارف عليه هو أنه مع بداية رفع الأذان ينتهي اللعب. وبالتالي لا فرصة لتسجيل قول المغرب. فما كان من المؤذن إلا أن نهره، وقال له: توقف عن اللعب واستعد للصلاة هداك الله. ولعبنا للكرة ليس في وقت العصر فقط. بل حتى في الظهر وعز الشمس والقوايل. في السكك والحواري الملاصقة لبيوتنا الطينية آنذاك. وفي أثناء لعب الكرة كثيراً (تتسطح) الكرة في أحد المنازل. فنقوم بطرق منزل من سقطت الكرة في سطح منزله. نطلب منه إحضارها. فيتجشم مشقة الصعود للسطح في عز القوايل كي يحضر الكرة. وهنا نحن أمام نوعين من الجيران: فإما يقوم بإحضارها وشقها بالسكين، ورميها علينا من السطح. وإما أن يكون طيباً، ويتحمل إزعاجنا ويحضر الكرة ويعطينا إياها. وفي كلتا الحالتين نكون سببنا إزعاجاً وأذية. والأغلبية إن لم يكن جميع سكان المنازل الطينية رجالاً متزوجين. بعضهم عرسان جدد. يريدون أن يهجعوا بعد تناول وجبة الغداء (وخته بلبن خاثر) ممنين أنفسهم بقلولة حميمية وشاعرية مع أم العيال. فتحرمهم منها!!).



(العطايف الشميسي وعليشة)؟

درست المرحلة المتوسطة في مدرستين: الأولى هي المتوسطة الأولى في شارع العطايف قبل أربعة عقود من الزمان أو تزيد. أيام كان مديرها الأستاذ الفاضل ومربي الأجيال: عبدالعزيز الشيحة حفظه الله. وقد كان طلبة المتوسطة الأولى يلقبون مديرهم الأستاذ الشيحة بالإمبراطور. لشدة حزمه وخوفه على الطلبة. وأذكر أنني نجحت من أولى متوسط من الدور الأول بالدف. ولم يكن هناك دور ثان. فينجح الطالب الذي ينقصه درجة واحدة أو درجتان في مادة واحدة فقط. بما يشبه هذه الأيام بحمل المادة. فتم تعويضي في مادة واحدة وهي مادة كنت أجد صعوبة فيها ولا أحبها. وهي مادة الرسم الهندسي لأنقل للسنة الثانية. ولا أدري هل تلك المادة لا تزال مقررة على طلبة المتوسط وبالمسمى نفسه: (الرسم الهندسي)، أم استبدلت وتم تطويرها وتغيير اسمها. ما علينا. فبعدها نقلني الوالد رحمه الله. إلى متوسطة فلسطين في شارع العصارات. لانتقالنا لمنزل جديد. وكان يفصل منزلنا الطيني والمستأجر آنذاك عن متوسطة فلسطين باتجاه الشرق (قطعة الشارع) وفي هذا الشارع كان يوجد مخبز وفوال نشتر منه بعد صلاة الفجر (فول بقرشين) وخبزاً {ثمان برياً} لزوم الفطور لبعضنا. أما البعض الآخر فيفطر على بيض أمليت ودونات وكوفي. وعلى الضفة الغربية من متوسطة فلسطين كان (ولا يزال) يقع حي عليشة الفاره آنذاك. فكانت تجمعنا والطلبة الساكنين في حي عليشة متوسطة فلسطين.

والتعليم أيام زمان كان أقوى من هذه الأيام بكثير. إلا أن الصحة المدرسية كانت (بالبركة)، ولم نكن نعرف منها إلا حملات التطعيم في المدارس بين حين وآخر. وسبق لي الحديث عنها عندما تحدثت عن مدرسة المأمون الابتدائية.



(بلاك فورست كيك) ١٩

انتهت بنا سوانح ماضية عند ذكر السنبوسة كسبين لإفطاري في أول رمضان صمته كاملاً، وأنا طالب في الخامسة الابتدائية ماعدا ثلاثة أيام. واليوم أذكر السبب لإفطاري يوماً ثالثاً قبل أذان ابن ماجد (رحمه الله) للإفطار ولصلاة المغرب بقليل. وكان السبب مختلفاً تماماً عن السنبوسة. فلم يعد الأهل يقومون بإرسالني لشراء السنبوسة بعد صلاة العصر من المقبيرة (لسبب لا أعرفه)، وكان السبب لإفطاري يوماً ثالثاً زيارة قريبة لنا من الكويت، وكان اسمها موزي الكويتية. لقضاء عيد الفطر المبارك في الرياض عندنا في المعيقلية بعد اغتراب لعشرات السنين هي وزوجها وأطفالها. حصلوا خلالها على جنسية الكويت الشقيق. وكانت تحمل الكثير من الهدايا، وبالأخص لنا نحن الأطفال آنذاك. ومن ضمن تلك الهدايا حلاوة حلقوم فاخرة. كانت بالنسبة لي المرة الأولى التي أشهدها وأتذوقها. وعندما قامت قريبتنا العجوز الكويتية بإعطائي تلك الحلوى: حلاوة حلقوم. قمت بأكلها في الحال بعد العصر، وأكملت صيامي لذلك اليوم (ماحدن شاف ولا درا)، وأعود لحواري (وسكك) أيام زمان. حيث كانت مكاناً ومرتباً لأنشطتنا (اللاصفية)، أو شقاواتنا الصبانية والطفولية آنذاك. وأذكر صورة من الماضي وثيقة الصلة بالحلى والحلويات. فقد كان هناك بائع متجول يدور في الحارات والأزقة كغيره من الباعة المتجولين. والواحد منهم يحمل أسفاً على رأسه لبيعها.

وهي حلوى تُدعى بسبوسة آنذاك. وبسبوسة (هذه الأيام) منها براء. فقد كانت عبارة عن عجينة منقوعة ومشبع بالسمن والسكر. لم ينضج جيدًا. ومع ذلك كان الجميع. وبالأخص الصبية والأطفال (يدلقمونها) يأكلونها وتُعجبهم كثيرًا ولا بلاك فورست كيك هذه الأيام. وكان صبية الحي وأطفاله يتحرشون ببائع البسبوسة (ياويل أي غريب يدخل الحارة)، وفي الغالب كان ذلك التحرش يؤدي أو يتطور إلى مضاربة وتماسك بالأيدي بيننا وبين بائع البسبوسة. يكون بائع البسبوسة هو الخاسر فيها دائمًا. فتنتهي بإسقاط البسبوسة على الأرض. بعدها يتجمع الصبية والأطفال (كتجمعهم على ذي جنة) على البسبوسة المُسقطه على الأرض. أو كتجمع الطيور الجوارح والحيوانات الكواسر على فريسة قد نفقت للتو. فلا يُبقون ولا يذرون من تلك (البسبوسة) شيئًا (وببلاش).



قُفَازَانٌ وَجُرْثُومَةٌ مُجْهَرِيَّةٌ

ثمة فرق بين النظافة التي يندب إليها الدين وفطرة الإنسان. فالنظافة من الإيمان. وبين قلة النظافة (الطمالة) التي تمجها كل فطرة سوية وذوق رفيع. وهناك أطباء - وهم قلة ولله الحمد - لا يتوخون الحيلة اللازمة لمنع انتقال العدوى إليهم أو لغيرهم من مريض يفحصونه أو يعالجونه. فينسون أو يتناسون ما تعلموه في كلية الطب. ويمعنون في الإهمال وعدم الاكتراث بصحتهم وصحة من يعالجونهم. مع أن المستشفيات: حكومية وأهلية تضع اشتراطات النظافة والتعقيم نصب أعينها. بل وتُعقد الندوات من آن لآخر لرفع مستوى كل طبيب وطبيبة، وإطلاعهم على كل جديد لمنع انتقال العدوى. وكل طبيب وطبيبة لا بد أنه مر بشؤون وشجون الطب الوقائي (بريفنتف مدسن) في أثناء الدراسة من البكالوريوس إلى التخصص. كالزمانة. سواء كان باطنية أو جراحة. حتى الأسنان. فالتوعية والتثقيف ومنع انتقال العدوى يجب الإلمام بها. بل تعد حجرة زاوية لكل من أراد ونذر نفسه لامتهان تلك المهنة الإنسانية. وأختم سوانح اليوم بذكر موقف طريف مع مريض كبير في السن، حدث في نهاية الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي، وفي مستشفى قوى الأمن الذي يشار له بالبنان. إدارة وأطباء. وكيفيه فخراً أنه يهتم بشريحة مهمة وغالية على الجميع. وهم رجال أمن وطننا العزيز. وبالمناسبة والذي لا يعرف هناك مستشفيان آخران لقوى الأمن في كل من مكة المكرمة والدمام. تم افتتاحهما أو أنهما على

وشك الافتتاح. وأعود للمريض كبير السن. فقد كان منومًا في المستشفى. وتشخيصه المبدئي التهاب في الغدد اللمفاوية. ونخشى أن تكون مرضًا خبيثًا (لمفوما)، وبعد فحصه في غرفة الضماد (دريسنق روم) القريبة من غرفة الأطباء. وغرفة تنويم المريض في قسم الجراحة الرجالية. نزع القفازين ذات الاستعمال مرة واحدة أو (ديسبوسيل) من يدي ورميتهما في سلة المهملات. وهو يرى. فقال محتجًا وغير مدرك لما تحويه القفازين المستعملة من جرائم مجهرية. قال مندهشًا: لم رميتها؟! شكلها جديد. حرام، كان عطيتني ياها. وبينه وبين نفسه قد يقول: لماذا الإسراف؟! فاستغربت لاحتجاجه. وبينني وبين نفسي كنت أقول: لو أن معي مجهرًا لأريتك ماذا علق في القفازين بعد ملامسة وفحص غدد إبطيك (وصفاقك) اللمفاوية. إلا أنني أخرجت قفازين جديدين وأعطيته إياها، قائلاً: تفضل يا عم. فقد استعجلت في رمي القفازين النظيفين بعد الكشف عليك. ولا بد أنهما اتسختا مما في سلة المهملات. فخذ هذين القفازين عوضًا عنهما. وليسامحني الله على إسرافي وتبذيري.



(موس وعصيفير)

ثمة حقيقة عن ثلاث مهن كان يقوم بها رجل واحد في الماضي. وهي مهن الحلاقة (المحسن) وتطهير الأولاد الصغار (المختن) ومعالجة آلام الأسنان (خلع الضروس)، حيث لا يوجد أي طريقة للتخلص من ألم السن إلا خلعه. وأيام زمان كان من يمارس تلك المهن الثلاث يتواجد في الديرة (الداون تاون) في مدينة الرياض. حيث تزاحم الأقدام. ومكان أحدهم بالتحديد غرب الجامع الكبير. وهو من قام بتطهير أجيال عديدة من سكان الرياض، الذين أصبحوا كهولاً وشيوخاً الآن. وقد يقرأ أحدهم هذه السوانح. فيتذكر ويعرف اسمه رحمه الله. ومن يمتهن تلك المهن الثلاث يكون تعلمها من أبيه، أو بتقليده للآخرين بعد مشاهدتهم مرات عدة. لا أدري بأيها يبدأ التعلم والممارسة. والذي يبدو لي أنه يبدأ في تعلم وممارسة المهن الثلاث بالحلاقة أولاً. ويحضرني الآن مثل يعرفه الجميع: (تعلم الحلاقة في روس المجانين)، فإن أتقنها انتقل لتعلم وممارسة خلع أسنان وضروس الصغار والكبار. بعدها يقوم بعمليات تطهير (تختين) الذكور أطفالاً وصبية (جحوش)، فقد يبلغ عمر الولد ثماني سنين (عند تختينه)، والتختين في الماضي بعكس هذه الأيام. حيث يتم التطهير في اليوم الأول بعد الولادة إلى أسبوع. كان يعمل للأطفال من عمر السنة الواحدة وقد يمتد عمر الطفل إلى عشر سنين قبل تطهيره لسبب أو لآخر. وبذلك يكون من يستطيع التختين قد أنهى متطلبات الزمالة (فيلوشب أو البورد)

كالزماله البريطانيه (إف آر سي إس)، وأعود إلى دجنان (سوانح ماضيه)
حيث هاتفتني متابع لسوانح قائلاً: إن المعلومه الصحيحه الوحيدة في سوانح
الماضيه هي ذكرى بأن الكثير من الناس. رجالاً ونساءً كانوا يشتكون من
الدمامل. في (الصفاق) أيام زمان، فيعالجونها (بالفضخ) بكريم زان
أو المرهم الأسود. وأن دجنان ليس مرهماً. بل كان عبارة عن حبوب يتم
تكسيرها وسحقها فتصبح كالبودرة. ويتم وضعها (ذرها) على موضع
الجرح. بعد تطهير (تختين) الأولاد الصغار. وبذلك يكون (دجنان) مما
يحملة (المختن) بجانب الموس الحاد وبعض الشاش أو القطن للتنشيف.
(وسحله) تُحضر من المنزل ليجلس عليها الطفل المراد تختينه (مدلّ
رجليه)، ومقابلاً المختن الذي يُسارعه قائلاً وهو يُشير للسقف بيده التي
تُشهر الموس: شف العصفير. فيرفع الطفل رأسه (ببراءة ودلاخه) بحثاً
عن العصفير. يكون كل شيء قد انتهى في أثناء ذلك من قطع وصلخ
بالموس الحاد. ولم يبقَ إلا وضع القليل من بودرة دجنان على مكان الختان.



مراقب صحي

حدثني زميل من دولة عربية شقيقة بقصة غريبة عن أحد مصانع الحليب في بلاده، تدل على الجشع والاستهتار بحياة الناس. فعندما تُنزع القشطة والزبدة وغيرها من مكونات الحليب. يُصبح الحليب لا قوام له وكالماء. أي غير متماسك. فيقوم مصنع الحليب بإضافة مادة بيضاء (كالجص) أو الأسمنت الأبيض لتجعل الحليب متماسكاً وأكثر كثافة. ويبيعه على الناس على أنه حليب طازجة (فرش) غني بالكالسيوم!! ليشربه الناس. تذكرت تلك القصة وأنا أقرأ تصريحاً لمدير عام الإدارة العامة لصحة البيئة الأستاذ سليمان بن حمد البطحي في جريدة الرياض بتاريخ ١٤٣٠/٧/٤ عن إحباط تسويق ٢٠ طناً من مصّل الحليب الفاسد داخل مستودعين وسط الرياض. وقبل بضعة أيام وفي جريدة الرياض نفسها كان مدير عام صحة البيئة قد صرح بأن جهاز الرقابة الصحية في أمانة منطقة الرياض لم يستحدث فيه وظيفة رسمية واحدة منذ عقدين من الزمان. أي أن عدد المراقبين الصحيين كما هو منذ عقدين من الزمان. وأقول: إننا قبل عقدين من الزمان لم نكن نعاني من أمراض وتسممات غذائية من مطاعم أيام زمان بالرغم من تواضعها. أما الآن فقد أصبح كل واحد منا (يتوجس) عند حلول الصيف من خطر سيأتيه من شاورما (ملغمة)، تتكون من لحم -الله أعلم- بمدى صلاحيته. ومايونيز (مصنع في المحل) وكاتشب (وسالونيلا)، تتنافس في تقديمها مطاعماً (وبوفياتنا) بعكس

ما كنا عليه في الماضي. فلم نكن أو لم أذكر أننا كنا نعاني مما نعانيه الآن من تسممات غذائية، عندما نأكل من فوال (أبو دحاح)، وكراعين الحلة، وطعمية أبو حسن في المقبرة. وشاورما شارع العصارات عندما (تطورنا وانتقلنا) من بيوت الطين في المعقلية والعطايف إلى البيت (المسلح) في الوشام. والقريب من شارع العصارات. وفي ختام سوانح أسجل إعجابي بما تقوم به صحة البيئة. وتقديري لكل مراقب صحي. بالرغم من أن عدد المراقبين الصحيين لم يتغير منذ عشرين سنة. فلو زيد عدد المراقبين الصحيين لكان أدعى لحماية الناس والمجتمع من التسممات الغذائية.



صيدلي وصامولي بريال

ثمة أغنيتان ساذجتان خلدتا مهنة الطب ومهنة الصيدلة. أو أن الدكتور والصيدلي هما من خلدا الأغنيتين. وكلمات الأغنيتين بسيطة جداً، وأعتبرهما ضمن الكلمات الدارجة على ألسنة الناس. ومن المؤكد أن من يقرأني الآن سيعرف أنني أقصد: دكتور الحقني الماغص جوه فبطني. وصيدلي يا صيدلي. ما علينا. فالأغنية الأولى (دكتور الحقني) قديمة. من أيام الأبيض والأسود. وأول من غناها على ما أعتقد هو سمير غانم في فيلم كوميدي قديم. أما صيدلي. يا صيدلي يا صيدلي. فهي أغنية لبنانية. لأن المغني يقول فيها: بدي دوا إلها وبدا دوا إليّ. وبعد تلك المقدمة أو التوطئة. أدخل في صلب الموضوع، وهو تفرد الصيدلي دون طبيب في تلبية احتياجات المريض في الكشف والعلاج. ومن لا يصدقني فليذهب لإحدى الصيدليات الخاصة، ويجلس ليستمع إلى ما يدور بين الصيدلي ومراجعيه من المرضى والمريضات. قبل فتح الدرج وإدخال (قاسمة الله) من رزق. خلال عشر دقائق فقط. وهو وقت لا يكفي لشرح شكوى مرضية من مريض واحد لطبيب في العيادة. وفحص ووصف دواء. إلا أن الصيدلي يستطيع فعل ذلك. فخلال عشر دقائق بإمكانه أي (الصيدلي) الاستماع لعدة مرضى ووصف الدواء لكل شاكٍ منهم. ألم تقل الأغنية (بدي دوا إلها. وبدا دوا إليّ)، وما يصرف بعدها من أدوية وسموم. تشرح الكثير عن علاقة المريض بالطبيب (المهمش)، والصيدلي الذي أصبح الكل في

الكل. على أرض الواقع. وقبل كتابة هذه السانحة استمعت إلى حوار (عبر الهاتف) في منزلي بين صيدلي وأهل بيتي. وهو حوار يتكرر في كل بيت عند الحاجة لعلاج أو دواء من الصيدلي. جاء فيه الآتي: لو سمحت يا دكتور عط السواق نفس الكبسولات أم ٥٠٠ مجم اللي شريناها قبل مدة. نسيت اسمها. لكن السواق يحمل معه نفس الكرتون الفاضي. أعطه كمية تكفي لثلاثة أيام. مع شراب أموكسيل، وتحاميل لخفض حرارة رضيع، وأعواد قطنية للأذنين. وحبيبات بريدنيسيلون أم ٥ مجم، وسيريلاك، وبامبرز. والحساب خذه من السواق. ترى معه ٥٠٠ ريال. عطني السواق أكلمه يا دكتور. فأخذ السواق سماعة الهاتف من الصيدلي وهو يقول إس فيه ماما. لتقول له المدام: ادفع حساب الصيدلي، وتعني ورقة ال ٥٠٠ ريال. وخذ الباقي. ولا تنسَ على دربك تجيب غتر وثياب بابا من المغسلة. وخبز صامولي بريال. وصيدلي يا صيدلي. يا صيدلي.



لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (١-٢)

ثمة مرضى في الغرب لشدة ما يعانونه من آلام. يقومون بوضع حد لحياتهم وآلامهم. بقتل أنفسهم. وهذا يندر حدوثه من مريض مسلم. فالمسلم والمؤمن يعرف انه يؤجر إن صبر واحتسب. وأن ما به من مرض ما هو إلا قدر من الله. وقتل نفسه يندرج تحت الانتحار الذي حرمه الله. وفي الغرب أيضاً هناك ظاهرة منتشرة يقوم بها أطباء بدافع الشفقة والرحمة كما يقولون على مرضى يتألمون وميئوس من شفائهم. كمرضى حالات السرطان المتقدمة. لوضع حد لآلامهم وعذابهم. وهو إجراء بالنسبة لكل مسلم (طبيب أو مريض) غير صحيح. ويزكرني بما يقوم به الأطباء البيطريون. عندما يصاب أحد الأحصنة أو الأفراس بحادث في أثناء السباق. فيضعون نهاية حياة الخيل المصابة. بحقنة تسمى حقنة الرحمة. وهو إجراء سليم ولا غبار عليه. بل فيه إراحة ورحمة للحيوان يدعو لها الإسلام. أما بالنسبة للإنسان. فقد جاء في الحديث الصحيح: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب (مرض)، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم. حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١). متفق عليه. إذن الإنسان المسلم والمؤمن إذا أصابته حتى الشوكة فإنه يؤجر إذا صبر. فما بالكم بأمراض قد يصاب بها الإنسان قبل موته. فالمرضى مهما كانت حالته المرضية سيئة يجب عدم اليأس، وبذل كل سبب لإنقاذ حياته. ومن خلال

(١) أخرجه البخاري (١١٤/٧) رقم (٥٦٤١-٥٦٤٢)، ومسلم (١٩٩٢/٤) رقم (٢٥٧٣).

تجربة (لصيقة) مع الوالد رحمه الله أذكر كيف أن حالته كان ميؤسًا منها (طبيبًا)، ومع ذلك كان كل من حوله من زوار ومرافقين لا يعبرون عن ذلك. حتى هو رحمه الله عندما تشتد عليه وطأة الألم. نجده يدعو الله. وعندما يسأله أحد عن حاله. لا يزيد على قوله: إنه بخير والحمد لله. أما ما يعانيه من آلام بسبب المرض. فالطب لديه من العلاجات ومسكنات تلك الآلام الشيء الكثير. وكاشف الضر هو الله سبحانه وتعالى. وما يقوم به الطبيب ما هو إلا بذل للأسباب المندوب إليها. «وما أنزل الله من داء إلا وله دواء. عرفه من عرفه وجهله من جهله»^(١). والكل يعرف مرضى طريحي الفراش لسنين طويلة. وعندما تسوء حالتهم من تنفس أو نبضات القلب أو ما يعرف بال (فايتال ساينز) التي يلاحظها طاقم التمريض المشرف على المريض. يتم استدعاء الطبيب ويتم إنقاذ المريض مهما كانت حالته الصحية سيئة قبل الإنقاذ. وأعرف مرضى عدة يتم إنقاذ حياتهم مرات عدة إلى أن (تتم الحسبة) فيموتون، وهم في حالة صحية جيدة نسبيًا، فلكل أجل كتاب.



(١) أخرجه أحمد (٥٠/٦ رقم ٣٥٧٨)، والحاكم (٣٩٩/٤ رقم ٨٢٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٣/١ رقم ٤٥١).

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٢-٢)

ثمة حقيقة يجدر الإشارة إليها في بداية سوانح. فلا أتخيل أي إحصائية سنوية. أو شهرية لأي مستشفى دون ذكر المضاعفات أو الأخطاء (كومبليكشنز)، ولحبي الإحصائيات أقول: إن هناك ما يسمى النسبة المرضية (موريديتي ريت)، ومعدل أو نسبة الوفيات (مورتاليتي ريت) لكل تخصص طبي. كنسبة وفيات المواليد مثلاً. وتظل الأخطاء الطبية لعمل الطبيب الطبي والجراحي في بلادنا. هي الأكثر تداولاً بين الناس في مجالسهم. وأصابع الاتهام موجهة دائماً نحو الطبيب والطبيبة، اللذين تسببا في الخطأ غير المقصود. وكأن من يخطئ في عمله هم الأطباء والجراحون فقط. وكل من عمل عملية جراحية مهما كانت صغيرة لا بد أنه وقع (أو وليه) إقراراً (كونسينت) بقبول مضاعفات العملية مهما كانت. بما في ذلك مضاعفات قد تؤدي إلى الوفاة. وأذكر بالمناسبة قبل ربع قرن أو يزيد. مريضاً استقبلته عند دخوله المستشفى لإجراء عملية جراحية لاستئصال شريان متوسع في البطن (ميسنترك أنيورزم)، وودعته بعد يومين. بتحرير شهادة وفاته رحمه الله. وإليك تفاصيل الحكاية. فقد كان المريض في بداية الخمسينيات من عمره. وفي السابعة والنصف صباحاً أدخل المريض غرفة العمليات، التي أجراها استشاريان يحملان أعلى الشهادات. الأول سعودي والثاني يحمل جنسية أمريكية. وكنا طاقمين جراحين في كل واحد استشاري وأخصائي وطبيب مقيم، (كنت أحدهما)، فبدأت العملية بأخذ وريد (سفينوس فيين) من مؤخر التقاء

ساق المريض بفخذه. في أثناء ذلك تم فتح بطن المريض للوصول للشريان المتضخم والقابل للانفجار، لاستئصاله من الجهتين. وعمل ما يسمى (إند تو إند أناستوموسز)، وقد كانت شحوم بطن المريض والالتصاقات (أدهيشنز) كثيرة وشديدة. حول الشريان المراد استئصاله. ما صعب الوصول إليه. ومن ثم كان فقدانه للدم كثيرًا وشديدًا (نقلنا له ٣٢ وحدة دم للتعويض)، فقد كان الدم يتدفق من الأوعية الدموية كحنفية ماء فُتحت للتو. وبسبب ما استجد في أثناء العملية أصبحنا نصارع إيقاف نزف المريض لإنقاذ حياته. فاضطرب الجميع، وصاحت الأجهزة الموصولة بالمريض. وقد انتهت العملية بعد ١٢ ساعة. عندما توقف قلب المريض وسُحبت كل الأجهزة من جسده المسجى. وقمت بإخبار ذويه والمنتظرين منذ الصباح بالقرب من غرفة العمليات. وتحرير شهادة وفاته رحمه الله وغيرها من أوراق رسمية. بقي أن تعرف عزيزي القارئ: أن المريض رحمه الله لم يكن يشكي من شريانه المتوسع (أنيورزم)، الذي شخصته أنا وزملائي في أثناء فحص روتيني. لنخبر رئيس القسم الذي طلب مني شرح ذلك للمريض. وإخباره بما اكتشفنا في أثناء الفحص الروتيني. وإقناعه بوجود خطر على حياته من الشريان المتوسع. فيجب عليه الموافقة على العملية. فأقنعته ووقع على إقرار العملية. التي ندمت عليها كثيرًا. ولكنه القضاء والقدر. ولكل أجل كتاب.



بيلس بالسي أوجيه

في عيادة الرياض ليوم الإثنين (١٦/٤/١٤٣٢) لفت نظري موضوع (العيادة)، وبالبنط العريض (شلل بل. أنجح العلاج الكي)، والذي لفت نظري هو الترجمة للعربية التي جاءت (وهي صحيحة) لـ بلس بالسي أو فايشيال بالسي. بشلل بل. والأمر الآخر الأهم. والذي دفعني للكتابة في الموضوع أنه جاء (بالبنط العريض): أن أنجح علاج لشلل بل هو الكي. فقرأت الموضوع (بنهم) علّني أجد تفصيلاً لعلاج المرض بالكي. كمكان الكي أو عدد (الكيات) مثلاً ونحو ذلك. فلم أجد إلا قولاً (في النهاية): أنه ثبت نجاح الكي في علاج شلل بل، ولكن يجب اللجوء إلى شخص متفرس في الكي، وليس أي كاو. فليت أنه شرح قليلاً عما كتب عنواناً وبالبنط العريض. وبلس بالسي (فايشيال بالسي) من الأمراض التي كان يُراجعنا من أُصيب بها في العيادات الخارجية (وبكثرة)، وأذكر أن بعض المرضى كان (يدق اللطمة) عند دخوله العيادة (ليخفي وجهه) من نظرات الآخرين. وهو في حالة نفسية سيئة. لما يحدثه المرض من تغيير في الوجه. وأذكر مريضاً (كبيراً في السن) غضب مني عندما طلبت منه أن يقوم بإغلاق عينيه وفتح فمه وبالنفخ في أثناء ذلك (يصفر) ظلماً منه أنتي أهنأ به. بينما كنت أريد فحص العصب السابع. و(أبا الوجيه) كما يسميه بعض العامة. كتبت عنه مقالة قديمة (أيام غريبيل) لعل الأستاذ سعد الحميد ينذكرها. وبقدر ما يحدثه المرض من تغيير (مخيف) في

وجه المريض (في أثناء الإصابة) إلا أنه مرض يُشفى بإذن الله، ولا يترك أي أثر. ولأن معلوماتي قديمة وقديمة جدًا عن المرض استعنت (بمن يلحق العلم) فأخبرني بأن علاج (البلس بالسي) لا يختلف كثيرًا هذه الأيام عما كان عليه في الماضي. والأغلب الأعم في مكافحة المرض هو علاج يتكون من الستيرويد (كورتيزون)، وإضافة مركب دوائي آخر (أنتي فايرل) مضاد للفيروسات. وفي دراسات عدة أُجريت حول المرض، اطلعت على إحداها منذ سنين طويلة، تبين أن أكثر من ٩٠٪ من مرضى العنوان أعلاه (بيلس بالسي. أوجيه) تُشفى بإذن الله من دون أي علاج. ومن ثم لا تحتاج إلى كي. الذي أستغرب أنه قد يكون علاجًا لل بيلس أو فاشيال بالسي.



صحة عامة ١٩

صحة البيئة أو الإصحاح البيئي محورها نظافة الإنسان. فكلما كان المجتمع نظيفاً كان احتمال تعرضه للأمراض أقل. ومخلفات أو ما يخرج من جسم الإنسان تحتوي على ملايين البكتيريا والمكروبات وغيرها. إن أُتيحت لها الفرصة للعودة لذلك الإنسان أو إنسان آخر. أصابته بمختلف العلل والأمراض. وعندما يقوم أي إنسان (متوسط النظافة) بالاستحمام يحتوي كل ١ مليلتر ماء ناتج عن ذلك الاستحمام (أو الدوش) يحتوي على نحو ١٠٠ ألف بكتيريا. لذا كان الواجب التخلص من تلك المخلفات بطريقة آمنة. والنفس البشرية السوية جُبلت على النظافة وتحبها. وأذكر أنني اطلعت على دراسة عن أهم ١٠٠ اختراع بشري للإنسان في القرن العشرين. فأتى المرحاض (أعزكم الله) في المركز الأول. فمتى يختفي منظر الوايت الأصفر الذي يجوب شوارعنا والأزقة. وتتعلم جميع الأحياء بشبكة صرف صحي، وننتهي من مشكلات مياه الصرف (الطافحة)، التي تنشر المرض وتكتم الأنفاس. وفي فتاة الإخبارية لفت نظري (ربورتاج) يزدان بصور عن عمالة آسيوية متدنية النظافة، تقوم برعاية عدة خلفات مع حواشيهن (جمع حاشي). وتقوم بحلب (الخلفات) وبيع ذلك الحليب على الناس. بطريقة ليس فيها أدنى مستوى من النظافة، وبعيدة كل البعد عن أنظار مسؤولي صحة البيئة والطب الوقائي. وقد قام مقدم البرنامج (مجتهداً) باستضافة مدير عام الثروة الحيوانية لإحاطته ولإبداء رأيه.

حول باعة الحليب الخلفات عند مداخل مدينة الرياض. فكان رد مدير عام الثروة الحيوانية أن هذا الموضوع لا شأن لهم به. ومن منبر سوانح أسأل مدير عام الثروة الحيوانية إن لم يكن يبيع حليب الخلفات من باعة متجولين لا يتمتعون بأدنى مستوى للنظافة. مسؤولية صحة البيئة أو الثروة الحيوانية (كون الحليب يأتي من الخلفات) والخلفة زوجة للجمل. الذي تعمل له مسابقات (ومزايين) تكلف الملايين. أي أنه حيوان يدخل في صميم الثروة الحيوانية وحمايتها. فمن يحمي الناس من جهلهم. ويحمي سفينة الصحراء من باعة يعبثون بتاريخنا ورمزاً من رموزنا.



الهدف الذهبي

لقد أحسن اتحاد كرة القدم (الفيفا) صنعًا بإلغاء نظام الهدف الذهبي. فهو نظام يجعل الفوز مرهونًا بالحظ، لا إبداع اللاعبين ومجهودهم. وقد كان بعضهم يسميه بالهدف القاتل بالنسبة لمن يُسجل في مرماه. وهذا صحيح. فكل مباراة تنتهي في وقتها الأصلي بالتعادل يكون الفوز فيها أو الخسارة (شختك بختك) بذلك الهدف الذهبي. أو القاتل. وهناك هدف شبيه بالهدف الذهبي يعرفه لاعبو الحوارى أيام زمان وهو (قول المغرب)، وقد كنا في الماضي نحتسب (قول المغرب) بعشرة أهداف. وقد يكون حساب الهدف بعشرة أهداف يعود لكثرة وجزالة ما يُسجل من أهداف في كل مباراة. وأذكر في إحدى مباريات الحوارى أن النتيجة انتهت (عشرين صفر)، وأقوى تلك الأهداف يأتي نتيجة (شوة الظفر)، فقد كنا في أحيان كثيرة نلعب كرة القدم حفاة الأقدام. أما كيف وصلت النتيجة إلى عشرين. فالحسبة كالآتي. فقد سُجل خمسة أهداف في كل شوط (يحتسبها بالطبع من أحضر الكرة) وقبل النهاية بقليل (قبل أذان المغرب) تم تسجيل قول المغرب (يعتمده أيضًا أو يلغيه من أحضر الكرة) فكانت النتيجة النهائية (عشرين صفر) ولا أدري هل (قول المغرب) لا يزال معمولًا به أو يؤخذ به بين صبية ولاعبي الحوارى هذه الأيام أم لا؟ ما علينا. فقد كانت لكرة قدم الحوارى (أيام زمان) تقاليد وعادات فيما يخص إقامة التمارين والمباريات. فتقام المباريات بين تلك الحارات. أو أن

يتحد حي مع حي آخر مثل القرينين أو العجلية مع العسيلة لمقابلة (معكال) المتحد بدوره مع العطايف أو منفوحة. وفي نهاية كل مباراة لا بد أن تحدث مضاربة بين اللاعبين والمشجعين. تكون الغلبة (في العادة) لمن هُزموا في أرض الملعب. وكانت الكرة التي نلعب بها أيام زمان تُسمى (كرة صَب) غالية الثمن (ريالان) على ما أذكر. وكنا نعاني لتأمينها. فقلة من يستطيع الحصول على الريالين وشراء (كرة صَب)، وفيما مضى (وقد يكون الآن أيضاً) يكون من يستطيع تأمين وإحضار الكرة للعب. لا يجيد اللعب. ومع ذلك يتحكم في كل شيء قبل اللعب وفي أثناءه. فهو الحكم وهو الذي يحدد من يلعب، ويختار لاعبي كل فريق. واضعاً نفسه في الفريق الذي يريد والخانة التي يريد، وهي في العادة (قلب هجوم) فيزرع نفسه بالقرب من حارس مرمى الخصم. فتأتيه (الكور مقشرة) من الدفاع وخط الوسط، ليتمكن من تسجيل الأهداف. فليس هناك ما يسمى تسلل (أوف صايد)، وإن احتج أحد اللاعبين عليه أخرج الصافرة من جيبه. وأوقف اللعب وأنهى المباراة. وقال للجميع وببساطة: (هونت. عطوني كورتي).



حرارة صيف وسالمونيز

لفت نظري خبر في جريدة الرياض ليوم الخميس ١٤٣١/٧/٥ يفيد بأن فرق صحة البيئة بأمانة منطقة الرياض قامت بإغلاق مركز تموين، يسوق لمنتجات غذائية منتهية الصلاحية، وأخرى مجهولة المصدر. فأخذت أتساءل كم يبيع من تلك المواد الفاسدة؟ وكم تأثر بها من أناس أبرياء بسبب جشع وإجرام من باعوا تلك السموم؟ وأخذت أتساءل أيضًا: كم من مواد غذائية (صالحة) ستعجل بفسادها حرارة الصيف هذه السنة وسوء الحفظ والتخزين؟ وأكد المهندس سليمان البطحي (المدير العام لصحة البيئة) إغلاق مركز التموين الذي يقع في حي البطحاء لحين تصحيح وضعه. وأنا أتساءل: أين العقوبة الرادعة التي تتناسب مع حجم تلك الجريمة؟ فالبائع سيعود لنشاطه (حسب الخبر)، إن هو صحح وضعه، بأن (لا يتعوّدها)، فليت من قام بتلك المخالفة يُشهر به، ويدفع غرامة كبيرة. ولو كنت المسؤول لأرغمته على أكل بعض تلك الأغذية الفاسدة، ليرى سوء ما عمله في الناس في صحته هو. والجميع لاحظ ارتفاع حرارة الجو أكثر من المعتاد في السنوات الأخيرة. ما يعني أننا موعودون بنزلات معوية وتسممات غذائية كثيرة. فليت أعداد المراقبين الصحيين تزيد (بتعيين المزيد)، وهو ما طالبت به في سوانح ماضية. ومن ثم تكثر وتزداد الجولات على المطاعم ومراكز التموين الغذائية. لحماية الناس من أمراض تحرق بهم مع دخول فصل الصيف هذه السنة. من شاوورما

(ملغمة) بجرثومة السالمونلا (بالمايونيز) أو مايونيز بالسالمونلا (سيان) إلى (سلطة) أعدها عامل المطعم متدني النظافة. ليأتي من يزور (تواريخ الصلاحية) لأغذية فاسدة . فيزيد (الطين بلة)، وفي الأخير أنصح كل من يضطر للأكل في أي مطعم مهما كان مستوى نظافته مرتفعًا (بالذات فترة الصيف) بأن يتجنب كل طعام (كالسلطة)، لا يتعرض لحرارة النار والطبخ. فالنار بمقدورها قتل وتفتيت أقوى بكتيريا. السالمونيلا في مقدمتها، و(أطلق) بيضة أو حويصلة دوسنتاريا.



ميلا مين

ثمة خطر من الغذاء يطل علينا بين حين وآخر عبر وسائل الإعلام. تجعل المستهلك في (حيص بيص)، فمن نقل الخبر لا يُعطي من يقرأه كل شيء عما نقله. إلا التخويف ومعلومات غير كافية. والجهات ذات العلاقة إما تنفي أو تتكتم أو تُطمئن الناس. والشائعات أو الإشاعات إنما تبرز ويُروج لها في غياب المعلومة الصحيحة. ولعلكم تذكرون (ما قيل) عن الطحينية والفسق الحلبى وحشوات (أمل قم) الأسنان والشعير الملوث الذي أودى بحياة الكثير من الجمال والخلفات، وكيف كانت أسباب نفوق الجمال غير معروفة ومبهمّة لمدة ليست قصيرة. إلى أن جاءت الإجابة من الشعير المسموم والقادم من المصدر نفسه. وكلام الناس أو وكالة (قالوا) أو كما يقول عادل إمام (الدليل آلولو) نشطة هذه الأيام، فيما يخص مادة الميلا مين السامة الموجودة في بودرة الحليب. والقادمة هذه المرة من الصين. فما هو الميلا مين يا تُرى. والخوف والتحذير ليس لدينا فقط. بل لدى دول كثيرة تستورد منتجات صينية. فقد ذكرت وزارة الصحة في أندونيسيا أن هيئة الرقابة على الغذاء والدواء الأندونيسية أكدت احتواء ١٢ منتجًا غذائيًا مستوردًا من الصين. منها كعك وحلويات ومشروبات. على مادة الميلا مين. حيث أظهرت الاختبارات وجود مادة الميلا مين في بسكويت (أوريو) وشوكولاتة (إم أند إم) وسنيكرز. ومصدري في ذلك هو جريدة الرياض ليوم الإثنين ٢٩ رمضان ١٤٢٩، وكلنا يعرف ويأكل تلك الحلويات.

وإيرادي لخبر أندونيسيا للتدليل على أننا هنا نتبع التكتّم وعدم ذكر الأسماء؛ كأن يُقال نوع من البسكويت والحلويات. أو تحتفظ الجريدة باسم المطعم أو المصنع المخالف؛ وهكذا. وذكر جريدة الرياض لأسماء الحلويات والبسكويت (القادم من أندونيسيا) دليل على مصداقية وصراحة جريدة الرياض. فأين الشفافية والمصداقية يا هيئة المواصلات والمقاييس وحماية المستهلك. فنحن أصبحنا نستورد (كل شيء) من الصين وليس (شروخة أبو ديك فقط)، وبالتأكيد يشمل ذلك منتجات غذائية كبودرة الحليب، التي قد تحتوي على مادة الميلامين، والتي منعت أندونيسيا استيرادها من الصين بعد نتائج هيئة الرقابة على الغذاء لديهم. فأين نتائج مختبرات وزارة التجارة أو حماية المستهلك لدينا. فالمنتجات الصينية لا تخلو منها أسواقنا صغيرها والكبير. لرخص الثمن وليس للجودة. والتي منها بلا شك حليب سائل أو بودرة حليب قد تحتوي على مادة الميلامين. فالرخيص هو ما يجد إقبالاً من التاجر والمستهلك هذه الأيام. مع أن العامة أو المثل العامي يقول (يا شاري الدون بالدون. تحسبك رابح وانت مغبون).



الغذاء والصيف

ثمة خطر من تسممات الغذاء يطل علينا كل صيف. عندما يصاب البعض بتسممات غذائية (فوود بويرننق)، ويعرفه من لا يصاب من الناس عبر وسائل الإعلام. وتجعل مستهلك الغذاء من المطاعم في (حيص بيص)، فمن نقل الخبر لا يُعطي من يقرأه كل شيء عما نقله. إلا التخويف ومعلومات غير كافية. والجهات ذات العلاقة، إما (تطنش) في أغلب الحالات. وإما تنفي. والتطنيش عنوان لأغنية (طنش. تعش. تتعش) راجت قبل سنوات واختفت. كشأن الكثير من أغاني هذه الأيام. فرحم الله أم كلثوم وعبد الوهاب وطلال مداح وسعد إبراهيم. وفي مصر يصفون الذي (يطنش) بأنه (نايم على ودانه)، وإضافة للتطنيش فقط والنفي فقط. هناك التطمين. الذي يشتكي منه جميع كتاب الزوايا. ويصاحبه نفي في العادة. عندما يضع الكاتب الكرة في مرمى الجهة أو الوزارة المسؤولة. ولا أزال أتذكر مقالاً قديماً وجميلاً للأستاذ تركي السديري رحمه الله قبل ثلاثة عقود أو تزيد، عندما وصف إحدى الوزارات بوزارة النفي. لكثرة ما تنفي من أخبار تُكتب عنها في الصحف. ما علينا. والشائعات أو الإشاعات إنما تبرز ويُروج لها في غياب المعلومة الصحيحة. ولعلكم تذكرون (ما قيل) عن الطحينية والفسق الحلبي وحشوات (أمل قم) الأسنان والشعير الملوث الذي أودى بحياة الكثير من الجمال والخلفات. وكيف كانت أسباب نفوق الجمال غير معروفة ومبهمه لمدة ليست قصيرة. إلى أن جاءت

الإجابة الصحيحة بعد جهد جهيد. تُفيد أن نفوق (سفن الصحراء) كان بسبب الشعير المسموم والقادم من المصدر نفسه. وكلام الناس أو وكالة (قالوا) أو كما يقول عادل إمام (الدليل ألو لو) خامدة هذه الأيام فيما يخص الأغذية لأن درجة الحرارة لم ترتفع بعد لدرجة تفسد الأطعمة سيئة الحفظ أو الإعداد. وستنشط بلا شك مع ارتفاع درجة الحرارة. ومستوى نظافة من يتعاملون مع الأغذية و(طمالتهم) ومع الأسف لا نقول الحقيقة كاملة. بل نذكر المعلومة مبتورة. كأن يقال نوع من البسكويت والحلويات أو تحتفظ الجريدة باسم المطعم أو المصنع المخالف. فنحن نتبع التكتم وعدم ذكر الأسماء. وهكذا. فلماذا لا يتم التشهير كما حدث مع مطعم التحلية الشهير. وكما ذكرت جريدة الرياض عندما فضحت قبل بضعة شهور (أشرت إليها في سوانح) حلويات (روماريو. وإم أند إم) المسمومة. والقادمة من أندونيسيا. فأين الشفافية والمصداقية. يا هيئة المواصفات والمقاييس. وحماية المستهلك. وهيئة الغذاء والدواء.



(مصاصة) من نار!

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتاب زاد المعاد (بما معناه):
يجب تأخير العلاج بالكي حتى تُلجى الضرورة إليه. فلا يُستعمل الكي في دفع ألم قد يكون أقل من ألم الكي. ويؤيد ذلك مثل يعرفه الجميع يقول: (آخر العلاج الكي). والمتأمل للأمراض بصفة عامة يجد أنه ما من معاناة وشكوى من أي مرض كان يُعادل أو يساوي ألمه ما تُفضي إليه كية بالنار. وأعرف امرأة رحمها الله وأم لأربعة أطفال كانت مصابة بالربو منذ طفولتها، وتستعمل علاجه المعروف (بخاخ فنتولين) ونحوه. أخذها زوجها الذي ندم كثيرًا. لأحد الراقين بالكي. فقام بكيها. ليس هذا فحسب، بل قال لها لا تستعملي أي علاج آخر. ويقصد بخاخ الفنتولين الموسع للشعب الهوائية. وستتاحين بعد أسبوع. وبالفعل ارتاحت بعد أسبوع بوفاتها رحمها الله. ويقول زوجها: إن أزمة الربو اشتدت عليها قبل وفاتها، وهو ما يعرف لدى أطباء الصدرية بـ(ستيتس أستماتيكس)، الذي قد يستوجب حقنة كورتيزون. وقد اتصلت بها زوجتي (في ليلة وفاتها) لتطمئن عليها ولتصحها باستعمال أدوية الربو ونحوه. فتدرد رحمها الله بقولها: إن الشيخ قد نصحها بعدم استعمال أي دواء آخر بعد الكي. والعلاج بالكي قد يقوم به أحدهم لعلاج طفل يشتكي من ارتفاع في درجة الحرارة. فيكويه بالنار. أي يزيد الحرارة حرارة (داوها بالتي كانت هي الداء) ١٥. وثمة علامة فارقة، وهي آثار كية أو كوية من نار في الرأس (والعلبا) تجدها في شباب

وكهولة (وشياب) سكان الجزيرة. ويُحكى أن رجلين التقيا في لندن في أحد المحلات التجارية. من غير معرفة سابقة. وتصادف أن قام أحدهما بتنزيل (يطمن أو يدنق) رأسه إلى الأرض. فما كان من الآخر إلا أن ابتدره قائلاً السلام عليكم. ومد يده مصافحاً وهو يقول: الأخ سعودي. لأنه رأى العلامة الفارقة (تريد مارك) في علباه. ما علينا. وأختم هذه السانحة بالآتي. فقد حدثني من أثق به أن طبيباً شعبياً يكاد ينحصر علاجه لمراجعيه في الكي. يقوم بحركة غريبة مع مراجعيه. فإذا رأى من يكويه بالنار يصرخ من شدة ألم الكي قام بإخراج مصاصة أطفال من جيبه وإدخالها في فم المكوي. ليست. مُشعراً إياه (المريض) بأن البكاء للأطفال. وليس للرجال. فعليه أن يتحمل بصمت، وإلا أبقى المصاصة في فمه. كأنه طفل رضيع يبكي ولا يسكت إلا (بالمصاصة)، فأين الرجولة؟ وأنا شخصياً أعرف أسماء بعض الذين يداوون الناس بالكي، وهم مشهورون في مدينة الرياض. وأحدهم يستعمل المصاصة. ولولا خوفي أن يكونني أحدهم (مع علباي) لذكرت أسماءهم للقراء الأعزاء.



بوفيه مفتوح

عندما تحدثت في سوانح ماضية عن الأموكسيل والمفتح. هاتفتني بعض الأخوة يطلبون مني المزيد من الحديث عن الموائد أيام زمان وحاليًا. وما نصيب النساء داعيات ومدعوات في كل دعوة وعزيمة. فأقول بعد الاستعانة بالله: إن ثمة حقيقة فيما يخص دعوات الطعام والعزائم أيام زمان وإلى عهد قريب. وهي أننا كنا نفرح ونُجيب الدعوة عندما نُدعى لوليمة. أما الآن فتجد الكثير منا لا يأتي عندما يُدعى. وإن أجاب الدعوة. وهو كاره. لا يأتي إلا متأخرًا. وذلك لسببين في رأيي: الأول: أن الخير قد عم على الكثير من الناس. ولله الحمد. والسبب الثاني والأهم: بروز مفاهيم مغلوطة ومقلوبة عن فن الإتيكيت والعلاقات الاجتماعية. ونسوا أو تناسوا أن إجابة الدعوة حقٌ للمسلم على أخيه المسلم. وهناك ظاهرة كانت تصاحب الولائم والعزائم لدينا. بدأت تختفي لارتفاع المستوى المعيشي ولله الحمد، وما تبعه من وعي وتقدير واحترام أكثر للمرأة من الرجل، ومن المرأة نفسها للمرأة المدعوة. أملاه التعليم واتساع ذات اليد لدى الكثير واقتدارهم. وأعني ما يسمى (القلطة الثانية)، وهو دور النساء في الأكل (صَيِّفات ومُضيفات)، بعد أن ينتهي الضيوف والرجال والكبار من أهل البيت (وأحيانًا الأطفال) من الأكل. ليأتي دور النساء ليأكلن في القلطة الثانية. واختفاء أكل النساء بعد الرجال أتى تدريجيًا. حيث بدأ بالقيام بعد انتهاء الرجال من الأكل بتنظيف وترتيب السفرة، وإضافة المزيد من

الأكل. قبل (تقليط) النساء. وانتهت إلى ما هي عليه الآن من تخصيص
سفرة خاصة للنساء. بل إن معظم الحفلات والولائم أصبح نصيب الأسد
فيها للنساء. وأذكر قبل عقدين من الزمان مجموعة من الشباب. كادت
تتقبل وضعًا مغايرًا وعلى النقيض تمامًا. فهؤلاء الشباب أو (شلة الزكرت)
تجتمع أسبوعيًا في استراحة أو فلة عظم لأحدهم. تأخروا في إحدى المرات
كيف يؤمنون وجبة العشاء، وكان الوقت متأخرًا. قال أحدهم: وجدتها.
فزوجتي مقيمة حفلة هذه الليلة في بيتي أو زوارة لأختها (على حسابي
طبعًا)، وسيكون الأكل زائدًا. فما رأيكم أكلم البيت كي يرفعوا لنا (من
الراس) وقبل تقليط النساء. انقسمت الشلة إلى مؤيد ومعارض. وكانت
الأغلبية حتى الموافقين على الاقتراح قد فوجئت ولم تستوعب أو تصدق
(هاوكم) ناكل عقب الحريم. قال أكثرهم تشددًا ومعارضة للفكرة (منهيًا
الحوار): يا نجيب من المطعم أو أنا أسوي مندي أو كبسة دجاج. وأردف
قائلًا، وهو يخرج دجاجتين من الفريزر: لنتنظر. حتى ولو لم يجهز عشاءنا
إلا الفجر. ولا نأكل عقب الحريم.



أفواه وأوادم ؟!

كنا نستغرب (ونتقزز) عندما نسمع عن بعض الشعوب التي تأكل لحوم الكلاب والقطط والضفادع. والعنوان أعلاه (أفواه وأوادم) أوحاه إليّ فيلم مشهور وقديم وجميل لعلكم تتذكرونه اسمه (أفواه وأرانب) بطولة فاتن حمامة ومحمود ياسين. عندما أردت الكتابة عن فئة من (بني البشر) يأكلون اللحوم البشرية. وليست هذه قصص تُروى من الخيال عن قبائل بدائية في أدغال أفريقيا. بل حقيقة تؤكد أنها أحدث وسيلة معرفية (الإنترنت) فقد شاهدت في إحدى القنوات الفضائية دكتوراً في علم التغذية، تحدث عما تنشره (الإنترنت) عن أكلة لحوم البشر، وعن توفر تلك اللحوم وبأسعار (معقولة). وقال دكتور التغذية: إن لحوم الإنسان كبقية اللحوم الأخرى الغنية بالبروتين والقيمة الغذائية. ومشكلة أكل اللحوم عامة (في الدول الغربية): أنهم يأكلونها (نصف استوى)، وليس (ويل دن) كما يقول محبي (الستيك)، أي ناضجاً ومستويًا جيدًا، وهو ما يجعل تلك اللحوم (بما فيها لحم الإنسان) ناقلة للأمراض كثيرة. وبعض الشعوب (غير المسلمة) لها ولع في أكل بعض أنواع الحيوانات التي يرتعد لرؤيتها الإنسان في العادة. وأذكر أنني في شهر نوفمبر من العام ١٩٨٤ عند انتهائي من الاختبارات النهائية التي نجحت فيها، قمت بزيارة لشرق آسيا القريبة من لاهور بصحبة عائلتي الصغيرة آنذاك. وفي أثناء التجول برفقة (المرشد السياحي) رأيت الكثير من مطاعم وعشاق أكل التماسيح

والأفاعي. وكيف عرض عليّ أحدهم التمتع بتناول حساء أو (سناك) بلحم التماسيح أو الأفاعي. فاكثفت بشراء حذاء فاخر من جلودها. وأنا أنظر إلى بقية السواح وهم يقبلون على تناول شربة التماسيح (كروكودايل سوب) وسندوتشات (سناك) من عكة التماسح، أين منها عكة الضب لدينا. وتأمين التماسيح ولحومها يأتي من مكان غير بعيد اسمه (كروكودايل فارم)، وهي غابة صغيرة بالقرب من حديقة (روز قاردن) يخترقها نهر صغير مليء بالتماسيح الداجنة (إن صح التعبير) للذبح. والتلذذ باحتساء شوربتها أو أكل لحومها أو جذب السياح للفرجة. في ذلك البلد الشرق آسيوي البعيد. ولا أزال محتفظًا بصورة لابني (الذي كان صغيرًا)، وأصبح كبيرًا أفخر به، ويشعرنني بأنني كبرت. لا أزال محتفظًا بصورة له وثمان كبير يطوق عنقه حفظه الله.



طبيب دون: إن أو سي

ثمة إجراء أو طلب لكل مستشفى يُريد التعاقد مع طبيب ما. سبق له العمل. وهو ضرورة أن يقوم الطبيب بإحضار شهادة مختلفة. ويطلق عليها (إن. أو. سي)، أي شهادة عدم اعتراض من آخر مستشفى عمل فيه الطبيب قبل التعاقد معه. وهي شهادة شبيهة بحسن سيرة وسلوك. تُفيد بأن ذلك الطبيب كان على قدر من الكفاءة والالتزام في عمله السابق. ومستشفياتنا. بالذات الحكومية (مع الأسف) لا يُطبق في معظمها ذلك النظام المعمول به عالمياً. وهو ما يفسر أن يتم إلغاء. أو بالأصح طرد طبيب من مستشفى زيد ليستقبله عبيد بالأحضان. ولا يطلب منه المستشفى الجديد إلا إحضار ورقة موافقة، وليست (إن. أو. سي) التي ابتدأنا بها. تفيد بأنه لا مانع من نقل كفاءته للمستشفى الجديد. كانتقال لاعب كرة القدم من نادٍ لآخر. الفرق فقط هو أن اللاعب قد ينتقل قبل استلام مخصصاته المالية كلها. فيكثر من الشكاوى عبر الوسائل الإعلامية. أما الطبيب المطرود من المستشفى بسبب عدم كفاءته. والمستقبل بالأحضان في مستشفى آخر. فيستلم مخصصاته (على دابر مليم) هذا بالنسبة للطبيب الأجنبي. أما السعودي. فهيئة التخصصات الصحية أعانها الله. لن تعلم بذلك. فهي مشغولة بفرز شهادات الأطباء بين صحيحة ومزورة. وأنتقل مكملاً ما وعدت به في سوانح ماضية. فبعد ما حدث من استشاري الغفلة) من (رفاله) وعدم إتقانه في استئصال اللوزتين واللحمية. الذي

ينطبق عليه أيضاً وصف أدق (شين وقواية عين) لجراته ووقاحته. ذهبنا
نشتكيه للمدير الطبي في المستشفى آنذاك. فقام بإحضار ملفه. وعند
التفتيش في الملف لم يجد الشهادة التي بدأت بها حديثي. مستغرباً (المدير
الطبي) كيف تمكن من العمل دونها. وأنا أردد في نفسي المقولة الشهيرة:
إن كنت تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم. وقفز في
ذهني تساؤل منذ عقدين من الزمان أو يزيد. تساؤل لم أجد له جواباً منذ
قام دكتور الغفلة (بمتخ) لوزتي ولحمية الطفل الصغير. وأختتم سوانح
بقصة طريفة يعرفها الكثير منكم. وأظنها من نسج خيال من يهزأ أو
يتندر من مهنة الطب والأطباء. حيث يقول الراوي: إن رساماً غير مهنته
من ممارسة الرسم إلى ممارسة الطب. وعندما سُئل عن السبب أجاب
قائلاً: إن مهنة الرسم يكون الخطأ فيها مكشوفاً ومفضوحاً لمن يرى وينظر
إلى اللوحة المرسومة. أما الخطأ الطبي. فقليلاً ما يُكتشف. وبعبارة أخرى
يُدفن أي خطأ تشخيصي وعلاجي مع من يموت. ويُعلق السبب على القضاء
والقدر والمكتوب.



(سنون) وأسنان؟

في سن التاسعة أو العاشرة من عمري مررت بتجربة (مؤلمة) مع طبيب أسنان في المستشفى المركزي بالرياض. وهي خلع سن كان يؤلمني. لا يزال مكانه الفارغ يذكرني بآلام خلعته. وأذكر كيف بادرني طبيب الأسنان الآسيوي، وبلا (إحم ولا دستور)، أو كشف مُسبق على أسناني. وبلا بنج موضعي أو غيره. بادرني بوضع آلة الخلع تشبه (الزرادية)، التي لم أتبين شكلها إلا بعد إخراجها من فمي، وقد أطبقت على السن المخلوع والمتهالك. ذي الجذر الكبير والمصطبغ بلون الدم، وكأنه عظم مرمي في سفرة، بعدما أكل ما حوله وما به من لحم نصف استواء. ومررت سنون وسنون لم أفقد أي سن. فأسناني بين كر التسويس والجير وتراكمها. أفر بها إلى أطباء الأسنان (والهايجنست) لترميم وإصلاح ما يمكن إصلاحه. متمثلاً نصيحة قديمة من صديق وطبيب أسنان. بأنهم يتعاملون مع السن كما نتعامل نحن الأطباء البشريين مع الأعضاء (كالقدم واليد)، فلا يتم بترها إلا عندما تُستنفد كل الوسائل في المحافظة على العضو وإنقاذه. فكَذلك السن يُحافظ عليه بالحشو وعلاج عصب ونحوه. وتمر سنون آخر تتلوها سنون لأعمل لسنين في مكان لصيق لقسم الأسنان بمستشفى قوى الأمن. فيكون أطباؤه زملاء وأصدقاء أراهم صباح مساء. وتفترق أو تتفرق بنا سبل الحياة. لكني أعود بين حين وآخر بطوعي لا مكرهاً كما في تجربتي الطفولية الأولى مع طبيب الأسنان. أعود لقسم الأسنان في مستشفى قوى

الأمّن. الذي يتطور يومًا بعد يوم. والشق الوقائي والتوعوي مهم في طب الأسنان. خاصة في مستشفى قوى الأمّن، الذي يعد رائدًا في هذا المجال. فقد أجرى دراسة ميدانية، ووجد من خلالها أن أكثر من ٩٨٪ من الأمهات لا يرون أهمية للكشف على أسنان أطفالهن في السنتين الأوليين من العمر. وأكثر من ٥٠٪ من الأمهات لا تهتم بنوعية الغذاء وعلاقته بتسوس الأسنان، وأن ٨ من كل ١٠ أمهات لا يقرن بتنظيف أسنان أبنائهن بصفة مستمرة. إلى آخر ما جاء في الدراسة القيمة. وآخر إنجاز لهذا الصرح الشامخ هو تطبيق الفحص الأولي للأسنان في عمر ١٨ شهرًا. وهو إجراء يطبق لأول مرة في العالم بمستشفى قوى الأمّن، وهي العيادة الأولى من نوعها على مستوى المملكة.



طعمة!

في الماضي وبعد ذبح الأضاحي. وانتهاء العيد. تكون النساء قد انتهين من (التشريح والتعليح) للحوم الأضاحي، ونشر تلك اللحوم على حبال تشبه حبال الغسيل في عُرف جيدة التهوية. بل قد يكون بعض من الأسر قد ابتدأ بالتلذذ بأكل (القفر)، ونكون نحن (الصبية والأطفال) قد جمعنا نصيبنا من الكعابة من لحوم الأضاحي. وقد كانت قيمة الكعب الواحد بقرش واحد أيام الوفرة، (بعد ذبح الأضاحي مباشرة) تمتد لشهر أو شهرين. أو في لغة أسعار النفط (تسليم المحرم وصفر)، وترتفع القيمة إلى قرشين أو أكثر بعد ذلك. وأذكر أنه كان هناك تاجر يمول الصبية والأطفال بالكعابة. وعند التقصي عن مصدر الكعابة التي يُحضرها بكميات كبيرة تبين أن مصدر التوريد هو مستشفى الشميسي. حيث يقوم بنثر مخلفات المستشفى (الزبالة)، كما تفعل الكلاب والقطط السائبة. بحثًا عن عظام أرجل الخرفان والماعز، ليستخرج منها الكعابة، ويقوم بتنظيفها وتجفيفها ثم بيعها علينا. وأذكر أن قيمة الكعب الكبير (صولة) تصل إلى ثلاثة أضعاف قيمة الكعب العادي أو الصغير. وكلما كبر حجم (الصولة) دل ذلك على أن ما أكله مريض مستشفى الشميسي آنذاك هو لحم خروف لا يقل عمره عن (رُباع) أو (هرش) أو سواكني أو شياء. ومع ذلك كانت وجبات المستشفى توصف بأنها أعدت إعدادًا يُناسب حاجة المرضى من بروتينات ودهون وسعرات حرارية. ونحن هذه الأيام

نعيش وفرة في اللحوم (من الأضاحي)، إلا أنه لم يعد الناس يرسلون لحمًا لبعضهم البعض، كما كنا نفعل في الماضي، عندما كانت الأضحية تُقسم لثلاثة أقسام: ثلث صدقة للفقراء والمساكين، وثلث هدية (طعمة) أو ذواقة للأقارب والأصدقاء والجيران، والثلث الأخير يأكله من ذبح الأضحية مع أهله. وأعود إلى (الصولة)، فقد كنا نقوم بحفر باطنها وتعبئته بالإسفلت الذي نحصل عليه من شارع الشميسي الجديد في أثناء قيام العمال بالإسفلت، أو ننتظر حتى تشتد حرارة الشمس (عز القوايل)، فتذوب أو تلين الطبقة العليا من إسفلت الشارع لنأتي (بين السيارات) حفاة الأقدام، ونقوم بتقشير تلك الطبقة بأظفارنا الطويلة، والحصول على الإسفلت الحار واللين، ونُعبئه في الصولة قبل أن يبرد ويجف. فتصبح الصولة ثقيلة في يد من يحملها وأمهر وأدق في التصويب في أثناء لعب الكعابة. وهناك طريقة أخرى لجعل الصولة أثقل وأغلى قيمة عند بيعها أو شرائها، وهي ملؤها بالرصااص المذاب. يقوم بها المتنفذون في لعب وتجارة الكعابة. إلا أن هذه قضية أخرى لعلّي أرويها في سوانح قادمة.



د. مناور أبا الخيل

هو رجل من الزمن الجميل يحفظ للمهنة كل أخلاقياتها. ويضفي عليها بهاءً وهيبة من شخصه النبيل. عيادته ما زالت رابضة في مكانها منذ ٤٠ سنة أو تزيد بشارع الإمام فيصل بن تركي (الخزان) بالرياض، تحكي تاريخاً مضيئاً. إنه الدكتور محمد بن مناور أبا الخيل. أو طبيب العوائل. دكتور مناور أبا الخيل كما اشتهرت تسميته في الرياض. وهناك جملة كان يرددها أهالي الرياض عندما يمرض أحد عندهم (صغيراً أو كبيراً)، ويريدون له العلاج الناجع، فيقولون (ودوه للدكتور أبا الخيل). الذي توفي قبل بضعة شهور. ولم أعرف بموته (مع الأسف) إلا قريباً. بعدها تعمدت أن أمر بشارع الخزان وبالقرب من عيادته لعل المكان يوحي لي بشيء عندما كان يملؤه حضوراً وعطاءً رحمه الله. بعد ذلك عدت لمنزلي وأخذت أبحث في ملفاتي القديمة عن لقاء أجريته معه في عام ٢٠٠٠ في مجلة الملتقى الصحي. التي تصدر عن الهيئة السعودية للتخصصات الصحية. عندما كنت نائباً لرئيس التحرير. نابشاً ما فيها من سيرته الذاتية، التي حوّاها اللقاء. لألقي الضوء عليها في هذه السوانح إحياءً لذكرى زميل رحل. فوجدت في اللقاء الكثير من الأشياء التي تستحق إعادة حكايتها. ومنها صورة أول خمسة ريالات استلمها من عمله، كان يحتفظ بها، وكتب عليها بخط يده اسم المريض الأول وتاريخ ١٣٨٩/٧/٤ هجرية، وهي قيمة الكشفية (الفيزيتا) آنذاك. وقوله رحمه الله: إن المتاجرة في المرض أبشع

شيء يمكن أن يرتكبه الطبيب. واسترسلت في قراءة اللقاء، ونسيت أنني الذي أعدته، وكأنني أقرأه للمرة الأولى. وأختم ما تبقى من سوانح بإعادة كتابة بعض ما قاله في ذلك اللقاء. حيث قال رحمه الله: أعرف أغلب عوائل الرياض جيداً وأداويها، فهناك عوائل عندها الضغط، وأخرى عندها السكر. وهكذا. إلى أن يقول: أشعر بسعادة غامرة عندما يدخل المريض علي، ويقول: الله يرحم والديك. ودائماً أؤكد على أولادي بضرورة حسن الخلق وحسن المعاملة. وأقول لهم: أنا مستعد أن أنفق عليكم لآخر يوم في حياتي. المهم بعدما نموت نجد من يقول لكم: الله يرحم والديكم. فليرحم الله الدكتور محمد مناور أبا الخيل. فقد كان زمانه جميلاً وطبه أجمل.



أيام زمان!

في حوارى (وسكك) أحيائنا الطينية أيام زمان كانت تكثر ما تُسمى (عوائر) جمع عاير، ولا يوازيها شهرة آنذاك إلا (المشراق)، وقد ينتهى المشراق أو يبدأ (بعاير)، إلا أن العاير لا يبدأ أو ينتهى بمشراق في العادة. والعاير هو الزاوية من الشارع الضيق، والتقاء جدارين من منازلنا الطينية آنذاك. وكانت بيوتنا الطينية صغيرة الحجم في معظمها. وقد لا تتعدى المئة متر. إن لم تكن خمسين متراً فقط. تقطنها أسرة كبيرة بين أب وأم وأبناء وبنات وجدٌ و جدة وأحفاد. وحتى (أسباط مع أهمهم المطلقة)، يعيشون السعة والفرح والانشراح في أنفسهم وبين بعضهم البعض. وتغشاهم السكينة والسعادة كباراً وصغاراً. ولا يشعرون بضيق المكان أبداً. وإن تصادف أن كان الجو حاراً (كهذه الأيام)، تقوم إحدى نساء البيت برش مدخل المنزل (الدهلز أو المجبب) ببعض الماء بعد الظهر أو بعد العصر. ليعطي جواً منعشاً وفيه طراوة. عندما تبدأ المراوح (القعادية) بالدوران أو المهاف اليدوية بتحريك الهواء الحار. والرش بالماء يكون أيضاً في السطوح بعد المغرب أو بعد العشاء (قبل فرش المراقد)، ليبرد المكان والمراقد (والدواشق) قبل النوم. وفي العاير (تُقْتَطَع في العادة) غرفة صغيرة تُسمى الدكان (التكان)، وتشتهر قصص كثيرة حول (التكان أيام زمان) عندما يقوم (كبير السن) بالشراء (من التكان)، وهو يقول: عندك بسكوت أبو نص (كم هو به) أو عندك أو فيه بيسي عطني ميرندا. ومن (التكان) يتم

تأمين ما تحتاجه البيوت الطينية من أغراض منزلية (تجزئة)، ليقوم صاحب الدكان بالتسجيل في الدفتر أو (التفتر) يعني صبر. فيقوم كل أب بدفع ما يسجل في الدفتر تحت اسمه. عندما يستلم راتبه الشهري (المعاش)، الذي قد لا يتعدى بضعة أو عدة مئات من الريالات شهرياً. وأنتقل مكملاً ما بدأته في سوانح ماضية عن طاش ما طاش، وعن صيامنا أيام زمان. ففي السنة الخامسة ابتدائي صُمت رمضان كاملاً ماعدا ثلاثة أيام. أفطرتها قبل المغرب بقليل. مرتان بسبب سنبوسة أرسلني الأهل لأبتاعها من الديرة (المقيبرة) بعد صلاة العصر، لا أزال أتذكر تلك السنبوسة جيداً، والسمن يتطاير من فوقها، ويقدح على جانبيها وأسفل منها في أثناء قليها. وكيف كانت تقطر سمناً عندما رفعها البائع الذي كان يتشج (بوزار) لا تعرف لذلك الوزار لوناً من كثرة ما فيه من بقع زيت وخلافه. عندما رفعها من المقلاة ليضعها في الكيس متواضع النظافة. يُشبهه إلى حد كبير كيس الأسمنت. ولكن الكيس (للأمانة) أنظف قليلاً من كيس الأسمنت وأصغر حجماً (خمس حبات بطايع ربع)، فأفطرت مرتين على تلك السنبوسة. في طريق العودة للمنزل (في المعيقلية)، وقبل أذان ابن ماجد رحمه الله لصلاة المغرب والإفطار بقليل. والمرة الثالثة التي أفطرت بسببها قبل أذان المغرب بقليل. ذكرتها في سائحة أخرى.



نقش وغوج

(أيام زمان) كان كل منزل طيني، ومهما كان صغيراً، لا بد أن يُقتطع منه جزء صغير (حوش)، لتربية الأغنام في العادة. أو يكون مع الغنم بقرة حلوب. ليس هذا فحسب. بل قد تتحول أرضية ذلك الحوش الصغير منزلاً وأنفاقاً للأرانب، التي لا يتوقف تحفيرها إلا عندما تصل لـ (سيسان البيت الطيني) إضافة إلى بضع دجاجات راجنات على بيضهن وغير راجنات. وديكهن يتبختر بعُرفه الأحمر مزهُوًّا. ولا دجاج (دو) هذه الأيام الذي غزت دعاياته القنوات التلفزيونية خاصة بعد إنفلونزا الطيور. وقد تجد جدران تلك الأحواش الصغيرة. وقد امتلأت ببيوت الحمام مصفوفة فوق بعضها البعض. وكان منزلنا الطيني مميزاً حيث يوجد فيه ما يُسمى الآن (ميزانين) وهو دور صغير (في منتصف الدرجة) بين الدور الأرضي والدور الأول. وقد كان فيه (صندقة) أو عش الحمام آنذاك. وهو ماعناه الشاعر الخريجي بقوله:

عش الحمام اللي بعالي ركونه

رمز الوفا رمز المحبة والإصرار

وقد كان منزلنا يحوي أيضاً دوراً علوياً (سطح العلاء)، حيث الجدران القصيرة (الواطية) بين كل بيت وآخر. وبهذا يكون منزلنا آنذاك يتكون من أربعة طوابق أو أدوار. وبطبيعة الحال لم يكن هناك فصح من البلدية. ولو كان لما تمكنا من جعل ٨٠ متراً بهذه الطاقة الاستيعابية لساكنيه. ولضحينا

بالميزانين أو (سطح العلا)، حيث مكان الاختباء في أثناء (المفاخت) عن المدرسة. وأكمل سوانح عن جيران كان منزلهم ومنزلنا متلاصقين. ومن ثم أنا وإخوتي وأطفالهم كأننا أسرة واحدة. ولا يكاد يمر يوم إلا ونتغدى أو نتعشى عندهم. وهو ما ينطبق على أطفالهم. في الدخول والخروج من بيتنا والأكل فيه. فلا يمر يوم إلا ونذيقهم مما طبخنا على الغداء أو العشاء. أو أنهم يرسلون لنا (ذواقة) مما طبخت أمهم من آن لآخر. وفي إحدى المرات حان وقت العشاء. ففرشت أمهم السفرة لتأكل أنا وأطفالها. فقلت ببراءة الأطفال بعد الانتهاء من الأكل: عشاكم لذيذ يا أم (-)، فردت عليّ قائلة: إن ما أكلتموه قد أرسلته أمك (ذواقة) هذا اليوم. فتذكرت أنني كنت أكلت نفس الوجبة في منزلنا في الغداء!! ولا يكتمل الحديث إلا بذكر زميل في المنزل الملاصق رحمه الله، يكبرني ببضع سنين، في سن أخي الكبير وأعمامي، كان الأذكي والأغرب في طبائعه، يُلقب بالعزي. كان شديد الذكاء والعبقرية. قارئاً نهماً ولاعباً للشطرنج. وينتقد ألعابنا المتواضعة (أم تسع وكعابة ومصاقيل)، مع أنه عندما يُشاركنا في تلك الألعاب يبرز الجميع ويتفوق عليهم. ومن الألعاب التي علمنا إياها (بنت السبيت) في ورقة اللعب أو الكوتشينة. فكانت نقلة نوعية من لعب العكوس التي كانت تزدان بصور أبطال بونانزا أو الممثلين المصريين المشهورين آنذاك. ولعبة أخرى بالعملة المعدنية القرش والقرشين (نقش وغوج) كان (العزي) يكسب الجميع عندما نلعبها. فرحمه الله رحمة واسعة.



أطباء وطبيبات

ثمة حقيقتان أو ظاهرتان: الأولى أن الكثير من الطبيبات المتزوجات في الخارج (عربيات وأعجميات) أزواجهن أطباء مثلهن. أي أن أزواج الطبيبات زملائهن في المهنة. ولدينا من المتعاقدين والمتعاققات أمثلة كثيرة. وقد زاملت بعضهم وبعضهن منذ سنين طويلة. وسأتطرق في هذه السانحة لقصة إنسانية حدثت مع طبيبين متعاقدين (زوج وزوجة) للعمل. في منشأة طبية كنت مديراً لها. والظاهرة أو الحقيقة الثانية التي أستغربها عندنا هنا. ندرة زواج الطبيب السعودي بزميلته الطبية السعودية. ويعود السبب في أغلبه إلى الطبيب الرجل. فلماذا العزوف عن الزواج من ذوي القُربى. وبمنظرة أشمل نجد أنها ظاهرة غريبة. وهي عدم زواج الطبيب بمن يعمل في نفس المجال (طبيبة وممرضة ونحوه)، وقد لمست من أغلبية زملائي الأطباء إصرارهم على الزواج بمن لا تعمل. وإن عملت. فيفضل أن تكون مدرسة. وظاهرة قلة أو بالأصح عدم التعدد عند الأطباء لها أسباب تستحق البحث والدراسة. وقد يُمنح من يعملها درجة الماجستير. وحتى الدكتوراه. وأعرف بعض الزملاء والأصدقاء (الجناء) يحلو لهم الخوض في مثل تلك الموضوعات (التعدد) وتشجيعي. بجعلي في راس المدفع، والحديث من منبر إعلامي. نيابة عنهم. والخوض في موضوعات قد لا أخرج منها إلا بعدة إصابات. ولا يشفع لي إلا رفع الراية البيضاء مستسلماً. عندما يفتحن القوارير حرباً لا قبَل لي بها. فكل امرأة تشعر

أنها المعنية. فتثار وتغضب بحمية وغضب مُضرية. حتى كبيرات السن عندما يسمعن عن رجل تزوج بأُخرى على زوجته يستأن من ذلك الرجل. وبعضهن يدعين عليه بالشبور وعظائم الأمور. وعندما تسألهن لماذا يدعين على المسكين. يقلن (ليش يتزوج) مهما كان السبب وجيهاً للزواج الثاني. ما علينا.. وأختم بقصة ذات صلة بالأزواج والمتزوجين. فقد حدثني من أثق به أن رجلاً كهلاً وزوجته الكهلة كانا يتسامران تحت ضوء القمر ويتذكران الماضي بحسرة وحنين. قال لزوجته: يا حلينا يوم كنا اثنتين. فعلقت الزوجة وهي تتنهد بلهفة وبسرعة: إي والله يا أبا فلان. فقد كانت أيامنا جميلة وحياتنا سعيدة. عندما كنا أنا وأنت فقط. قبل قدوم الأولاد ومسؤولياتهم ومشاكل الحياة. رد الزوج مشيحاً بوجهه. بالتفاته أطفأت ما في زوجته من بهجة. ما أعنيه بقولي يا حلينا يوم كنا اثنتين. ليس أنا وأنت. بل أنا وقديري. أي هو وقدر الطبخ الذي يطبخ فيه طعامه قبل الزواج. عندما كان أعزباً.



شمع الأذن

في دراسة أمريكية جديدة نُشرت في جريدة الرياض بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٢ قالت الطبيبة المسؤولة عن الدراسة في مستشفى هنري فورد بواشنطن. إن قطن تنظيف الأذنين (كوتن بَدز) يمكن أن يمزق الطبلة، أو يتسبب بضرر خطير للأذن في حال دفعه كثيرًا إلى الداخل. هذا الخبر أعادني لسنين طويلة مضت. وحالات ثقب الطبلة والتهاب الأذن الناتجة بسبب إدخال جسم غريب (فورن بودي)، التي كانت تراجع عيادة الأذن في المستشفى. ومن خلال خبرتي المتواضعة أقول: إنني رأيت أناسًا كثيرًا بسبب قد تستغربونه (مفتاح سيارة وتوكة شعر)، فالرجل آلتة المفضلة والمتوفرة دائمًا لحك أذنيه هي مفتاح السيارة. وفي مخيلتي تذكرت زميلًا عزيزًا ومتعلمًا أستطيع أن أطلق عليه (مدمن حك)، فلم أره يومًا إلا وهو ممسك بطرف مفتاح السيارة بإحدى يديه والطرف الآخر (الحاد) للمفتاح وقد غار أو دخل بعمق في إحدى أذنيه. أما المرأة فتحك أذنيها بـ (توكة الشعر) الحادة والمشبعة بإفرازات فروة الرأس وكريمات الشعر ودهونه المحتوية دائمًا على أصناف عدة من البكتيريا والفطريات. ويطلق العامة على ذلك الصوت (في أثناء حك الأذن باستمتاع) يماطق. ما علينا. وأطباء الأذن يعتبرون أعواد التنظيف القطنية اختراعًا سيئًا لما تسببه من ثقب لطبلة الأذن عند إدخالها لتنظيف الأذنين. فتتعدى (دخولًا) محيط الأذن الخارجية إلى الأذن الوسطى. والرجل أو المرأة مستمتع بالحك

(ويماطق)، فيثقب الطبلبة الرقيقة. ويدخل الأذن الوسطى. وقد ينقل أنواعاً من البكتيريا والفطريات داخل أذنه. من حيث أراد تنظيف أذنيه من شمع (واكس) أوجده الله في كل أذن لوظيفة محددة ومفيدة لسمعه أو سمعها. وهناك مقولة أو حكمة تعلمتها من أستاذ كبير في أمراض الأذن وجراحته، تقول wax is a sign of healthy ear وترجمتها: (إن وجود الشمع في الأذن دليل على سلامتها وصحتها). فانتبهوا لشمع أذانكم (يا رعاكم الله) ودعوه في مكانه، ولا تحاولوا إزالته بالأعواد القطنية سيئة الذكر. أما مفتاح السيارة وتوكة الشعر فلي وقفة أخرى معهما بإذن الله.



جلدية وايدز

في أثناء دراستي (أنا وزملائي للطب) في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات الميلادية في لاهور. لم يكن مرض الإيدز مقررًا علينا في المنهج الدراسي. حيث لم تُسجل أي حالة بمرض الإيدز، إلا بعد أن تخرجت أو على وشك التخرج. وأول حالة للإيدز شاهدها وفحصتها كانت لمريضة سعودية منومة في مستشفى الشميسي (بين الحياة والموت) في عام ١٩٨٦ انتقلت لها العدوى من دم ملوث. والمرضان التناسليان اللذان (هريناهما) دراسة واستذكاريًا وصمًا هما السيلاان والزهرى (قونوريا وسيفلس)، واللذان اختبرنا فيهما في منهج علم الأدوية (فارماكولوجي)، وعلم الأمراض (باثولوجي) في السنتين الثالثة والرابعة من دراسة الطب. وفي السنة النهائية كان مقرر الأمراض الجلدية الذي ندرسه عدة ساعات أو كورس في منهج الأمراض الباطنية. لم يبق في ذاكرتي منه وعن الجلدية وأمراضها إلا الحكمة أو (خارش) بلغة السند والهند كمرض. والكورتيزون علاجًا. وأيام زمان كان تخصص الأمراض الجلدية يُطلق عليه (جلدية وتناسلية)، وقد يكون السبب أن أعراض وعلامات الأمراض التناسلية تكون واضحة في جلد المريض. ما علينا. وأعود لمرض الإيدز فقد مرت أكثر من ثلاثة عقود وانقضت منذ اكتشافه. ومع ذلك لم يتم اكتشاف علاج ناجح للإيدز. كما كان اكتشاف البنسلين فتحًا في علاج ومكافحة السيلاان والزهرى. وهما مرضان كانا يفتكان بالناس أيام زمان، كما

يفتك الإيدز بالناس هذه الأيام. ومن نافلة القول: إن مكافحة الإيدز (في الغرب)، وما يُنفق للبحث العلمي عن علاج له. من ملايين الدولارات إن لم تكن مليارات. تُركز على البحث عن تركيبة دوائية للعلاج أو مصل للتطعيم ضد الإيدز. ولا يُذكر فيها الجانب الوقائي أي البُعد عن إقامة أي علاقة جنسية خارج نطاق الزوجية. والإيدز مرضٌ -بفضل الله- قليل في مجتمعنا مقارنة بالمجتمعات الأخرى. ولننظر إلى إحصائيات وزارة الصحة والقطاعات الصحية الأخرى. ونتائج (فحوصات) ما قبل الزواج. حيث كان حديث سوانح ماضية. وأقول: إن من أهم ما نحتاجه في مكافحة مرض الإيدز هي التوعية ثم التوعية. وكم سيبارك الله في درهم الوقاية لو بُذل في البداية. وكم سنوفر من قناطر مقنطرة تُهدر صحة ومالاً، لا حدود لهما في علاج مرض الإيدز.



(طاش ما طاش)؟! (١-٢)

مسلسل طاش ما طاش التلفزيوني والجميل يُعرض في شهر رمضان، منذ الجزء الأول منه وحتى جزئه الحالي (الثامن عشر)، وبطلا طاش ما طاش المبدعان: السدحان والقصبي، أو القصبي والسدحان. لا شك يعرفان أن جيلي وجيلهما أيام زمان. كانوا يلعبون طاش ما طاش أكثر شيء في ليالي رمضان. فيا لها من صدفة جميلة أن يعرض مسلسل طاش ما طاش في ليالي رمضان. بعد أن أصبحت لعبة طاش ما طاش ذكرى يتذكرها جيلي، الذي وجد العوض في مسلسل طاش ما طاش. ولوقام أحد بالبحث حول ما تبقى من دكاكين صغيرة تكون في العادة جزءًا خارجيًا من بعض البيوت الطينية، له باب حديدي (بايكة)، وبالقرب مما تبقى (أيضًا) من منازل طينية تُقاوم للبقاء في القرينين والعسيلة أو البويبية والعجلية. لخرجوا بآلاف القمورة (غطيان قوارير الكولا)، ولوجدوا أيضًا آلافًا أخرى من تلك الغطيان، وقد التصقت بالأرض الترابية، ويصعب نزعها من الأرض بعد أن طمرت بها الأقدام. ومرور السنين الخوالي تحكي كم فُتحت من قارورة طاشت، وأخرى لم تطش (طاش ما طاش)، وثمة أشياء مضت وانقضت (ينبشها) من الوعي واللاوعي عندي دخول شهر رمضان كل عام (مثل طاش ما طاش)، وهذه الأشياء أثيرة لدي ووثيقة الصلة بالمقبرة (الديرة) وحي المعقلية. لذا أستعذب تذكرها، والكتابة عنها بين حين وآخر. ففي الصف الرابع الابتدائي (على ما أذكر) كانت

بدايتي مع صوم رمضان. وكان كصيام الدجاجة والديك، كما يقول المثل في نجد أو صياماً من (ورا الزير)، كما يقول المثل في الحجاز. أي أنني وأطفال كُثُرٌ غيري نأكل ونشرب ونحلف كذباً: أننا صائمون. ولإثبات ذلك نقوم بحك ألسنتنا وتنشيفها بأي شيء حتى تبدو جافة من أثر الصيام الذي ندعيه. عندما نُريها لبعضنا البعض. أو نُريها لمن لا يصدق صومنا. ومن المؤكد أن أطفال هذه الأيام يختلفون عن أطفال أيام زمان في طريقة التظاهر بالصيام أو ادعائه. ولن يُعدموا وسيلةً أخرى بعد اختفاء الزير وتربية الدجاج من المنازل. وعندما نكون مفطرين. نقوم في البيت أنا وغيري من الأطفال مع الأهل متعلقين حول التمر والأكل في انتظار أذان ابن ماجد رحمه الله لصلاة المغرب، والإفطار آنذاك (يعني أنني صائم) وكل عام وأنتم بخير، والشهر مبارك.



(طاش ما طاش)؟ (٢-٢)

ثمة حقيقة يشعر بها كبار السن ومن يسكنهم هاجس الماضي مثلي؛ وهي ان الفرق والفارق كبير جدًا بين حياة بيوت الطين وقلة الامكانيات أيام زمان؛ وقلل هذه الأيام ووفرة ما نعيشه الآن من نعم ووسائل حديثة سهلت الحياة وأمتعتها؛ إلا أن شعورنا وابتهاجنا بالحياة كان أجمل في الماضي؛ وهذا رأي شخصي أعرف أن الكثير من الناس لا يوافقني عليه؛ وفي هذه اللحظة تذكرت مسرحية درب الزلق؛ عندما احتج (حسينوه) على أمه (أم سعد)، وهي تضع غداءهم المتواضع (مמוש) مع أخيه سعد؛ وتقول: الله لا يغير علينا. وفي إيميل سابق على سوانح سابقة استغربت عدم معرفة قارئ عزيز للعبة طاش ما طاش؛ التي تسمى بها المسلسل التلفزيوني الشهير، وتوقف بعد خمس عشرة سنة؛ أمتعنا فيها كثيرًا؛ واستجابة للقارئ العزيز أشرح لعبة طاش ما طاش؛ فقد كان الأطفال والصبية يلعبون ويتراهنون على قارورة الكولا؛ ومن يفوز يسعد بشربها؛ يقوم المتحدي بخض أو (رج) القارورة وتثبيتها على الأرض؛ ويقوم الآخر بالتحدي قائلاً (طاش مثلاً) أي أن ما في القارورة سيطيش عند فتحها؛ والآخر يقول: إنها لن تطيش (ما طاش)، فيتقابل المتحديان (كديكين متصارعين)، وبينهما القارورة المثبتة جيدًا على الأرض بيدي من قال: إنها لن تطيش (ما طاش) ومن قال: (طاش) يمسك المفك ويفتح القارورة بمحاولة واحدة فقط؛ تحت أنظار الصبية وهتافاتهم؛ ومن يفوز هو الذي

يصدق حدسه في القارورة بعد فتحها (طاش أو ما طاش) فيكون شربها من نصيبه؛ وقد تسمع من يقول لشارب الكولا آنذاك: (بق لي شوي) فقارورة الكولا عزيزة وصعبة المنال؛ وهناك لعب بقارورة الكولا بعد فتحها لا يخلو من (المطرسة)، كأن نقوم بوضع تراب (جمشه) في قارورة الكولا؛ فتتفاعل مع مكونات القارورة؛ فتطيش؛ فتكون الكولا بذلك قد تلوثت؛ إلا أننا لا نرميها، بل نشربها بعد أن ذابت فيها (الجمشة)، وكانت الأجسام أقوى في مقاومة الأمراض؛ وألعابنا آنذاك كانت من البيئة، كما قلت في سوانح سابقة؛ فمع طاش ما طاش كنا أيضًا نلعب ونتراهن على المعلبات؛ لعل أشهرها معلبات (قواطى) جبن كرفت؛ حيث نقوم بتحدي بعضنا البعض؛ فالذي يستطيع خرق علبة الجبن من الجهتين بضربة واحدة بالمفك المدبب الرأس؛ هو الفائز؛ والألعاب يتم تحويلها وتطويرها؛ كأن نتسابق فيمن يستطيع فتح المعلبات (الجبن بالذات) بضربها ضربة واحدة في حائط بقالة (دكان) الحي الطيني؛ وألعابنا تلك كانت من أجمل تسلياتنا آنذاك في ليالي رمضان وأيام العيد؛ وكل عام وأنتم بخير.



عن هذا وذاك

يلومني إخوان وأصدقاء أعزاء على البعد في سوانح عن الحديث عن الماضي. فيقولون: لم غيرت طريقتك التي تعودناها منك (من أيام غرايل)؟ فقلت لهم: إن التغيير والتغير سنة كونية. وزاوية غرايل (بدايتها ١٤١٢)، كانت بجانب الزميل الهلال تأخذ منه بعض ظرفه وقفشاته. أما السوانح ففي عيادة الرياض، ويحيط بها أطباء أفاضل، يقدمون فيها يوميًا مادة علمية دسمة تفيد القراء والقارئات. وعندما ودعت غرايل وبدأت سوانح قبل عقد من الزمان. بدأتها محاولاً جَهدي أن تكون الزاوية (سناك) يوم الأربعاء. وأن أجمع بين المعلومة المفيدة ورسم ابتسامة على شفتي قارئ في زمن قل فيه التبسم وعلا التجهم وجوه الكثير من الناس. وبما يُسمح به من دعاية أو طرفية. وبعد هذا الهذر، كما يقول الكاتب الكبير جهاد الخازن، أنقل لكم أبياتاً من الشعر تناسب المقام للشاعر سعد الخريجي (عشق الأطلال)، إرضاءً لكل قارئ يريد مني العودة للكتابة عن الماضي، وصدى سنينه الحاكي. يقول الشاعر سعد الخريجي:

ياناس ذاك البيت لا تهدمونه

خلوه يبقَى للمحبين تذكّار

خلوه حب سنين خلفه ودونه

في داخله قصة موالييف وأسرار

من يعشق الأطلال دمعته يخونه

لا صارت أقدامه على سكة الدار

عش الحمام اللي بعالي ركونه

رمز الوفا رمز المحبة والإصرار

راعي الهوى لا حب تبكي عيونه

لا هاجت الذكرى على ماضي (ن) صار

والنون المقوسة إضافة من عندي، كي يكون وقع عجز بيت القصيدة الأخير على من يقرأه أبلغ. ويشعر (كما أشعر أنا) بمزيد من الحنين والشجن وهو يتذكر الماضي. وقد كنت إلى عهد قريب أزور منزلنا الطيني في العسيلة. وكان سبالة على ما أذكر. وما أكثر (السبايل) التي لا يوجد لها حجة استحكام أو صك. وتوقفت عن زيارة (ذاك البيت) قبل بضع سنين، لأنه أصبح كومة من تراب بسبب الأمطار الغزيرة التي اقتلعت من (سيسانه) فأصبح أثرًا بعد عين. وفي زيارتي الأخيرة قمت بقياس أرضه. فوجدتها ثمانية أمتار في عشرة. أي ثمانون مترًا. تؤوي حمولة تتكون من ثلاثة أجيال. تقارب العشرين نفسًا. يتقدمها شيخ كبير. وأصغرها طفل رضيع. بينهما رجال وأطفال ونساء.



الشهر مبارك

كانت جدتي رحمها الله، عندما ينقضي من رمضان يومان أو ثلاثة. تقول لي: راح رمضان الله يخلفه علينا، وكل جيل يتميز عن الجيل الذي قبله والذي بعده، فهو امتداد ومُتأثر بمن قبله ومؤثر فيمن بعده، وفي رأيي أن جيل الآباء والأجداد هو الأميز والأفضل فيما يتعلق بالعبادات، كالصيام مثلاً، وما أجمل وأصدق دعوة من قال قديماً: اللهم ارزقني إيمان (العجايز)، واليوم يكون انقضى من رمضان بعضه وبقي كثير منه. فبماذا تشعر الآن أيها الصائم. الذي خططت للاستفادة من رمضان في أمر من أمور حياتك، كإنقاص وزنك مثلاً، أو الإقلاع عن التدخين إن كنت مدخناً، ماذا حققت فيما مضى، فأيام رمضان ولياليه تمر سريعة، وبمقارنة جيلنا بالجيل الماضي فيما يتعلق بالأوزان نجد أن زيادة الوزن أصبحت ظاهرة عند كثيرين في رمضان جيلنا الحالي، فالإقبال على الأكل يزيد مع ازدياد ساعات النوم وقلة المشي والحركة. وموضوع الأكل في رمضان (من تمن وتتنوع للقادرين) موضوع ذو شجون، فموائد كثير من الناس تزخر بأنصاف كثيرة من الأطباق وقت الإفطار، يتقدمها ويتزعمها الفول بلا منازع هذه الأيام، ومن لا يأكل فولاً مع الإفطار أو لا يصدق ما أقول فلينظر إلى الطواير عند الفوالين بعد صلاة العصر وقبل المغرب بقليل. ومنظر الطواير الرمضانية هذا يُذكرني بطواير عجينة السنبوسة قبل عقدين من الزمان أو يزيد، ما علينا، وأكل الفول في رمضان انتقل إلينا من منطقة

الحجاز، منذ ثلاثة عقود أو نحوها. وأذكر في هذا الخصوص رجلاً رحمه الله ذهب لمدينة جدة في بداية التسعينيات الهجرية من القرن الماضي في مهمة عمل في رمضان، أفطر عندنا بعد عودته من جدة. كان يقول لأبي رحمه الله مستغرباً: إنهم يأكلون الفول مع وجبة الإفطار الرمضانية، وقد شاركهم (بعد تردد) أكل الفول آنذاك، وهذه الأيام جميع مدننا السعودية تستمتع بأكل الفول في وجبات الإفطار في رمضان، وأما من أُبلي بعادة التدخين فرمضان فرصة ذهبية للإقلاع، والمدخنون يفوتون فرصة ثمينة، يفوتون الفرصة تلو الفرصة، وسنة بعد سنة، فيمر رمضان وينقضي وهم (على طير يا الي) أو (على طمام المرحوم) يمنون النفس، ويعدون بالإقلاع ولا يفعلون. وقد رأيت بعيني منذ يومين من يقوم بإشعال سيجارة بعد أذان المغرب مباشرة، يُتبعها بعدد من السجائر (لوود نق دوز) لرفع نسبة النيكوتين في دمه، وتعويض ساعات التوقف في أثناء صومه، فواعجبي، ومع ذلك أقول: إن الفرصة لا تزال قائمة لمن يُريد الاستفادة من شهر رمضان بالإقلاع عن التدخين. وليرحم الله جدتي وأموات المسلمين، فأيام رمضان تتصرم مسرعة (راح رمضان) والشهر مبارك.



طب وأطباء

أصبحت دراسة الطب هذه الأيام سهلة وسلسة وممتعة مقارنة بالماضي. فالتشخيص مثلاً لم يعد بحاجة إلى مهارات (سكيلز) كان طالب الطب قديماً يبذل الجهد المضني لإتقانها أو اكتسابها. وقد يفشل ولا يكمل دراسته بسبب عدم قدرته على ذلك. وطلبة الطب في الماضي هم أكثر من يغيرون دراستهم في السنوات الأولى إلى دراسة أخرى. لعدم القدرة والتحمل على المواصلة من بذل جهد وتعب. وبالأخص في السنتين الأولى والثانية. حيث مواد التشريح ووظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية، وكلها مواد (في رأيي) مملة وتعتمد على الحفظ. بعد سنة تحضيرية سهلة بكل المقاييس. فكم مرة تراءى لي الفشل بين سطور كتاب التشريح والمشرحة ودوارق المختبر. والنجاح من السنة الثانية يعد (عق الزجاجة في دراسة الطب) فبعده تسهل الدراسة، ويقل تعنت (الدكاترة) وتسلطهم على الطالب. فتمر سنوات الدراسة الثلاث الباقية بسلاسة وسرعة إلى أن يتخرج طبيباً. وعن نفسي لم أفرح كما فرحت بنجاحي من السنة الثانية. حيث الانتهاء من مادة التشريح المملة. التي كنت أشبهها بمادة الجغرافيا في المرحلة الابتدائية. التي لم أكن أحبها أيضاً. فأغلب المنهج يكون عن الدول وحدودها. كمادة التشريح. فيجب على الطالب أن يحفظ حدود كل عضو في الجسم الآدمي. كالعضلات ونحوها. وبصراحة أنا وزملائي في أثناء الدراسة كنا ندور في فلك المقبول والجيد وقلة من يحصل على تقدير جيد جداً. أما الحصول على امتياز فدون ذلك خرب القتاد لصعوبته.

وأذكر بمناسبة تقدير المقبول والقبول في الجامعات زميلاً قديماً قال لي في إحدى المرات (ونحن نتكلم عن التعليم الطبي): إنه من خريجي إحدى كليات الطب لدولة عربية لعام ١٩٦٢، وقبل افتتاح أول كلية طب لدينا (بكالوريوس طب وجراحة) بتقدير مقبول. وهذا التقدير لم يمنعه من المزيد من التحصيل العلمي والتخصص. عندما قبلته الكلية الملكية البريطانية للعمل وإكمال دراسته العليا. التي توجه بالحصول على الشهادة العالمية ذات البريق (إف آر سي إس) مع مرتبة الشرف في العام ١٩٧٢م. وفي الأخير أقول: يسروا ولا تُعسروا، وأكثروا من عدد المقبولين أو عدد الكراسي لدراسة الطب. فنسبة الأطباء السعوديين للأجانب تحتاج إلى سنوات طويلة، وجهد حثيث لرفعها. مع اعترافي وتأبيدي بأننا في حاجة إلى النوعية أو (الكواليتي)، ولكن تلك الكواليتي لن نحصل عليها إلا ببذل الكثير من (الكوننتي)، بزيادة عدد المقبولين للدراسة سنوياً والمقبولات. وفتح المزيد من كليات الطب. لتخريج أطباء يشقون طريقهم بحمل أعلى الشهادات العالمية. وهو ما يتوافق مع توجهات التعليم العالي في المملكة في ابتعاث الكثير من الشباب والشابات للدراسة في الخارج، وافتتاح المزيد من الكليات والجامعات في الداخل.



أموكسيل وبينزودايازين؟

ثمة ورقة عمل قيمة. قدمها متخصص أوروبي في الأخطاء الطبية. في ندوة عن الأخطاء الطبية، و(رسك فاكترز) حضرتها في مستشفى قوى الأمن قبل بضع سنين. عندما قال المتحدث. دُنت بليم إنديجولز. بليم ذا سستم. أي لا تلوموا الأشخاص (الأطباء) ولكن لوموا السستم. أي نظام المنشأة الصحية التي يعمل فيها من ارتكب الخطأ الطبي. وهنا يبرز تساؤل واستغراب: لماذا حدث الخطأ الطبي؟ وكأن مهنة الطب والأطباء هم الذين يخطئون فقط. ومن المعروف (طبيباً) أن هناك اختلافاً في طريقة العلاج بين طبيب وآخر في بعض الحالات المرضية (سكوول أف ثوتس)، أو كما يقال في معارف ومجالات أخرى (لكل شيخ طريقته) فكل مدرسة طبية لها طريقته. التي تنتهجها في العلاج. وتدرجت فيها وتعودتها منذ عشرات السنين. وتطورها من آن لآخر باكتشاف جديد ونحو ذلك. ولا يمكن الحديث عن الخدمات الطبية، وما قد يحدث للمريض من مضاعفات أو أعراض جانبية. دون (التعريض) على وضع صرف الأدوية العشوائي لدينا. فهل تصدقون أن الكثير من الناس يتعاملون مع التهاب اللوزتين مثلاً بوصف واستعمال مضاد حيوي (أموكسيل) من غير فحص أو كشف طبيب. بالذهاب إلى أقرب صيدلية وطلب كبسولات أموكسيل أم ٥٠٠ مجم. فأصبح الأموكسيل يستعمل عند اللزوم. كالبنادول. وأنا أستغرب من وزارة الصحة كيف لم (تتابع وتطبق) قرارها القديم بعدم صرف

الأدوية إلا بوصفة طبية. ولا تظنوا أن المسألة فيها صعوبة. فهو مطبق في جزء كبير منه. ففي الصيدليات الحكومية لا يستطيع الصيدلي صرف (ولو حبة بندول) دون وصفة لأنها (عهدة) على الصيدلي يحاسب عليها. وبالمقابل نجد الصيدلي في الصيدليات الأهلية لديه (عهدة) أيضًا من الأدوية. وهما نوعان. نوع يُجَرَد عليه (الصيدلي) كما تُجَرَد المواد الكيميائية وحليب الأطفال وحفايظهم. بدفع القيمة. ويندرج معها أيضًا كل الأدوية تقريبًا (كورتيزون ومضادات حيوية)، ماعدا أي دواء يحوي مهدئًا أو منومًا. وقد حدثني من أثق به: أن أمه تعاني من القولون العصبي منذ سنين طويلة. وعلاجه حبوب إسمها (لبركس) ولونها أخضر فاتح. يحصل عليه هذه الأيام من الخارج. لصعوبة شرائه من الصيدليات المحلية. دون وصفة طبية. فقلت له: يا رعاك الله إن (لبركس) فيه نسبة قليلة من (بنزودايازيبين)، وهو دواء يندرج تحت مسمى (كنترول درقرز) فليت بقية الأدوية والسموم (من مضادات حيوية وكورتيزون) تحتوي على تلك النسبة القليلة أو البسيطة. التي يحتوي عليها (لبركس)، فلا يتم صرفها إلا بوصفة طبية. وإلا أقول لكم إن صعوبة حصول صديقي على (لبركس) لوالدته دليل على أن وزارة الصحة (إذا اشتهت) طبقت النظام. لكن جزءًا منه وليس بحذافيره. فليت كل دواء يضاف إليه نسبة ضئيلة من البنزودايازيبين. كدواء القولون العصبي (لبركس).



في الصغير والشخير والمشخرين

ثمة أزواج وزوجات كُثر. يشتكون من شخير الطرف الآخر في أثناء النوم. وهي مشكلة لا يكاد يخلو منها كل بيت من بيوتنا. والمشخرون الشباب والشابات يكون السبب عادة بسبب عضوي في الأنف أو الحنجرة. وقد يحتاجون تدخلاً جراحياً. كاستئصال لحمية في الأنف أو تعديل اعوجاج في الأنف أيضاً. ونحو ذلك. فيقف الشخير ومن ثم منع المشكلة الخطيرة. وهي توقف التنفس في أثناء النوم (سليبينق أبنيا). أما كبار السن فيشخرون جميعهم. وكل زوج وزوجة يتهم الآخر بأنه هو الذي يشخر نائفاً إصداره لأي شخير. وفي رأي المتواضع: أن الشخير وثيق الصلة بالبدانة وزيادة الوزن. ويندر أن تجد رجلاً أو امرأة نحيفة تعاني من الشخير في أثناء النوم. كندرة رجل نحيف يحلل دمه فيجد الكولسترول لديه مرتفعاً. ما علينا. وثمة أعواد تُسمى (سلفرنيتريت) يستعملها أطباء الأنف والأذن والحنجرة لكيّ الأنف الذي يعاني صاحبه من الإرعاف أو النزف المتكرر (إبيستاكسس)، وقد يقوم الطبيب (الارفل) في أثناء كي الأنف (بأعواد السلفرنيتريت) لإيقاف نزيف أو إرعاف الأنف. قد يقوم بخرق الحاجز الأنفي الفاصل بين فتحتي الأنف (يفتح الشكمانين على بعض)، ولا يدري المريض عن ذلك، إلا عندما يُقال له: إنه (يصفر) ليس شخيراً في أثناء نومه. وقد لا يكتشف ذلك إلا بعد الزواج. إن لم يكن متزوجاً قبل الكي وخرق حاجزه الأنفي. وبالتحديد بعد شهر العسل. عندما تنتهي فترة

المجاملات. حيث يتصرف كل زوج وزوجة على طبيعتهما. ويقول كل واحد منهما في الآخر ما يزعج شريكه في الحياة. وخرق الحاجز الأنفي وما يتبعه من تصفير في أثناء النوم. ليس منه خطر على صحة المصفر. فقط تُزعج من ينام بجانبه (زوج أو زوجة)، ليته شخير متقطع. بل صفير لا يوقفه إلا الاستيقاظ من النوم. وكأنه صفارة وقوع الخطر التي يصدرها الدفاع المدني. ووظيفياً أو تنفسياً كمية الهواء المستنشقة شهيقاً وزفيراً. بحاجز أنفي سليم أو مخروق هي نفسها. وأذكر أنه في الماضي كانت تتم سد تلك الفتحة في الحاجز الأنفي بعدة طرق جراحية. ويرى كثير من الأطباء والجراحين وأنا منهم: أن أحسن علاج لهذه المشكلة التنفسية هو توسيع الفتحة في الحاجز الأنفي. فيدخل الهواء ويخرج بسهولة ودون صوت. فيقف الصفير المزعج. وأعود إلى الشخير والمشخرين. فهي أكثر في البدناء وذوي الوزن الزائد كما قلت. وأيضاً نوع المخدة ووضع النائم. فقد وجد أن من ينام على ظهره يشخر أكثر ممن ينام على جنبه. ووجد أيضاً أن من يثقل في وجبة العشاء ويتعشى متأخراً. وينوم بعدها مباشرة يشخر بشكل مزعج. ويتخلل نومه كوابيس (جاثوم)، تجعل نومه ثقیلاً بمقدار وزنه. كفاني الله وإياكم شر الكوابيس والأحلام المزعجة والوزن الزائد. والنوم في غرفة من ابتلي بالشخير.



غرفة عمليات ومشرحة

ثمة علاقة قوية بين منظر الدم والطبيب وبالأخص الجراحين. ولا أنسى منظر جدران غرفة العمليات في مستشفى ميو هسبتال في لاهور. حيث كنت طالبًا ومتدربًا في قسم الجراحة. قبل ثلاثة عقود. أو تزيد. وكيف كانت جدران تلك الغرفة تُشاهد فيها بقع الدم بعد كل عملية. لأن رئيس قسم الجراحة آنذاك. هو من يمنع تنظيف تلك الجدران من الدم. فقد كان يشعر بسعادة غامرة وهو يرى الدم (يَبَّعْ وَيَشْتَرِ) أي يتدفق كالشلال. من أوعية المريض الدموية. وهو يستعمل المبضع والمشرط في جسم كل مريض مخدر ومسجى. في بداية كل عملية جراحية. وفي أثنائها. وفلسفته في ذلك. حيث قال في إحدى المرات. إنه يُريق تلك الدماء لإنقاذ حياة أصحابها أو علاجهم. تُذكر عند رؤية آثارها في الجدار. أن مريضًا قد تم إنقاذ حياته. أو شُفي من مرض ما. وعلاقة الأطباء مع الدم كانت متدرجة. بدأنها بتشريح الضفادع الصغيرة. وهي حية (مادتي وظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية) وفي أثناء تلك المرحلة وبعدها قمنا بتشريح أجسام الأوامم الكبيرة والميتة (في المشرحة) وفي السنة الثالثة أو الرابعة كان لطلبة الطب علاقة بالتشريح مرة أخرى. لا يمكن أن ينساها أي طبيب. في أثناء دراسة مادة الطب الشرعي (جوربرودنس)، وكيف كان الدكتور في أثناء تشريح الجثة لتحديد سبب الوفاة. يُعلق على أي طالب أو طالبة. يضع لثامًا على أنفه، ليتقي الرائحة الكريهة. لجثث أحضرت

للتو من مسرح الجريمة. لتحديد سبب الوفاة. مع أننا في السنتين الأولى والثانية في أثناء دراسة مادة التشريح (أناطومي) تعودنا على رائحة ما نقوم بتشريحه. إلا أنها كانت مع التعود محتملة. وبسبب ما مرت به الجثة من تيبس رمي وتحلل. وما تحويه من فورمالين ومواد حافظة أخرى. تجعل الرائحة محتملة نسبياً. بعكس جُثث الطب الشرعي. فالجثة كما قلت تكون أضررت للتو من مسرح الجريمة. ولا أنسى في إحدى المرات والدكتور يحمل ساطوراً ويعلق الجثة كالذبيحة. عندما فاجأ الطلبة والطالبات بسؤال عن علامة وجدها في كبد أورثة الجثة. تعد مفتاحاً لمعرفة سبب الوفاة. فيقترب الطالب أكثر من الجثة. وهو أو هي (مرغماً)، ويقوم برفع اللثام (الماسك) عن الأنف. ليتحقق من وجود العلامة التي ذكرها الدكتور. وأعود لمادة التشريح (أناطومي) لأختتم به سوانح. بنقل صورة من المشرحة. حيث كنا نقوم مجموعات (قروبات) كل أربعة أو خمسة من الطلبة والطالبات يجتمعون على عضو لتشريحه. وكنا نُمضي الساعات الطوال في التشريح. طلبة وطالبات. وحتى أطباء يُحضرون دراسات عليا في مادة التشريح أو الجراحة. والبعض كان (لتزجية الوقت) يستعين بشرب الشاي وتدخين السجائر. إن كان مُدخناً. وما أكثر الأطباء المدخنون.



مدرسة النجاح لم ينجح منها أحد!

ثمة كاريكاتير جميل للمبدع عبدالسلام الهليل، يصور فيه أحدهم (أظنه أبو دحيم)، وهو يسأل عن نتيجة أخته في الاختبار: أهى من الناجحات أم لا؟ وعندما سألته المسؤول عن اسم أخته. رد أبو دحيم قائلاً: احترم نفسك! تذكرت هذا الكاريكاتير، ونحن نعيش هذه الأيام مرحلة انتهاء امتحانات الطلبة والطالبات في المدارس والكليات. والجميع ينتظر. وبعض النتائج قد أُعلنت. فسعد الناجحون وفرحوا. وسيستعد آخرون لدور ثان. بعد أسابيع قليلة. وثمة حقيقة عن امتحانات الماضي. أيام كنا طلبة. فقد كانت نتائج اختبارات أو أسماء الناجحين المذكور في الدور الأول فقط تُذاع في الراديو. وهي التوجيهي والكفاءة والسادسة الابتدائية. فالشهادة الابتدائية. وحتى الخامسة الابتدائية تعد (ديقري)، وتؤهل حاملها للدخول لسوق العمل. ولي أقارب وأقران كُثُر أكثرهم أُحيل للتقاعد هذه الأيام، بدأوا حياتهم العملية بعد نجاحهم من السادسة الابتدائية. وحتى الخامسة ابتدائي (الخامسة والسادسة)، المهم يعرف يفك الخط. ولا أنسى قريباً لي كبيراً في السن رحمه الله. عندما سمع اسمي بصوت مذيع الراديو. من ضمن الناجحين في السادسة ابتدائي. من مدرسة المأمون الابتدائية. فابتدرني قائلاً: (هاه بتوظف والا بتواصل تعليمك. واشير عليك تشتغل (كيتب) فأنت بنجاحك من (الساتة) صرت تعرف تفك الخط ما شاء الله عليك). والسائد أيام زمان هو الانخراط في العمل أو الوظيفة الحكومية

بعد النجاح من الخامسة. وبالكثير السادسة ابتدائي. ومن ذكريات الامتحانات (والتغشيش) أنه كان هناك طالب تم فصله من المدرسة (لشقاوته وكثرة غيابه) ، وكان وقيًا لزملائه الذين طُرد من زمالتهم في مدرسة المأمون الابتدائية. ويكره المدير ويحقد عليه. بسبب ذلك. ومن المألوف (قبل الطرد وبعده) أن ترى مراقب المدرسة وحتى وكيلها. وهو يقوم بمطاردة ذلك الطالب الشقي في مصابيح مدرسة المأمون الطينية. وفي أثناء اختبار الدور الأول (خامس ابتدائي) لمادة الجغرافيا، وبعد أن عرف الطالب المطرود اسم البلد المسؤول عنها في الاختبار وحدودها. قام بتسلق الجدار الطيني للمدرسة التي طُرد منها، وأخذ يردد بصوت عال (لتغشيش الطلبة الممتحنين) قائلاً: اسم الخريطة التي أتت في الاختبار: ترى جواب الخريطة هو السودان. ويحدها شمالاً مصر. وجنوباً الحبشة. وهكذا. ويقول الراوي: إنه لم يسقط في مادة الجغرافيا أحد في الدور الأول لتلك السنة. فالجميع نجح بسبب (فزعة وتغشيش) زميلهم المطرود. وأختم سوانح بطرفة يعرفها الكثير من جيلي. عن نتيجة إحدى المدارس الأهلية (عنوان سوانح) وإعلان أسماء الطلبة الناجحين في الراديو. حيث قال المذيع بعد ذكر أسماء عشرات الناجحين. في مدارس حكومية وأهلية. قبل أربعة عقود أو تزيد بأن نتيجة مدرسة النجاح الابتدائية الأهلية: لم ينجح منها أحد.



(الحويط) و(حط قمرق) ؟

كلمة الحويط مغرقة في القدم، وتعني مكاناً صغيراً، لا تتعدى مساحته بضعة أمتار في داخل فناء المنزل الطيني أيام زمان. وقد يكون الحويط مستقلاً خارج البيوت الطينية. بحيث يكون في (عاير) أو زاوية أحد الأزقة، ويكون معروف الملكية لأحد سكان الحي الطيني، (والحويط) كما أتذكر يحوي بضع نخلات مثمرات، يتعهدا صاحبها بالعناية من ري وسُقيا وتلقيح وتشذيب وتكريب. فتكون مصدر (الرطب والتمر) لغذائه وغذاء عائلته طوال العام مع (قفر) ولبن قليلين، وجراد كثير في مواسم كثيرة. والحويط قد يحتوي على (قليب) مصدر للماء. فيكون هناك بالضرورة ما يسمى (القرو)، وهو حجر منحوت يستعمل للغسل. بحيث يذهب الماء بعد الغسل لسقيا النخلات، التي قد لا يتعدى عددها ثلاث أو أربع نخلات باسقات طلعتها نضيد. ولأننا نعيش هذه الأيام مناسبة عيد الفطر السعيد. فثمة هاجس كان يُعكر صفو العيد وفرحته بالنسبة لنا نحن الأطفال أيام زمان. وهو (القمرق)، أي دفع ضريبة (إتاوة) لأطفال أكبر أو صبية يتربصون مقابل مرورنا في حيهم، والواحد منهم يحمل سوطاً مبروماً يهدد به الأطفال الصغار، وحتى البنات الصغيرات. فيستولون بالقوة على ما لديهم أو لديهم من قروش كثيرة أو قليلة، (حتى القرىض) لا يسلم من المصادرة والاستيلاء، و(حط قمرق) في الماضي كأنظمة الأمم المتحدة هذه الأيام. فمن يأنس في نفسه مقدرة وقوة على

تهديد الأطفال الآخرين يفعل ذلك. ولا أنسى كم من مرة تسبب (حط قمرق) في غصة ولوعة وحسرة وبكاء أيام العيد لأطفال كُثُر، (وأنا منهم) ومع أنني كنت طفلاً مسالماً إلا أنني قمت في أحد الأعياد، وكنت في سن التاسعة أو العاشرة (منتقماً ومقلداً من هو أقوى مني) بحمل سوط مبروم، ومباغثة ثلاث بنات صغيرات، كن يمشين بالقرب مني، ويخطرن في ملاسهن الجديدة. وتهديدهن بالضرب بالسوط. قائلاً: حطو قمرق. فتمكنت من الاستيلاء على ما يحملنه من قروش قليلة، لا تتعدى الثلاثة ريالات مع (بعض القرىض وحلوى حلقوم)، إلا أنني لم أهنأ بتلك الغنيمة. فقد باغتني طفل أكبر مني، كان متربصاً في مكان غير بعيد، يرقب ما قمت به مع البنات الصغيرات، ويحمل سوطاً أقوى. فصادر (تحت تهديد السلاح) كل ما غنمته من قروش قليلة، وحتى حلوى الحلقوم والقرىض، (كل آفة عليها آفة)، وكل عام وأنتم بخير، وعيدكم مبارك.



سوشي ١٩

اليابانيون أكثر شعوب العالم حبًا للعمل. ومن ثم أقلهم أخذًا للإجازات. سنوية كانت أواضطرارية أو عرضية. وقد يحدث أن يستلم أحد اليابانيين خطابًا في أثناء عمله بما يشبه الإنذار، أو لفت نظر، بوجوب أخذ الإجازة، وعدم الحضور للعمل، والجلوس في البيت لشهر مثلاً. والترويج عن النفس ونحوه، بأي شيء إلا العمل. خطر على بالي حال اليابانيين مع العمل والإجازة، وأنا أعد سوانح عن إجازة الأطباء السنوية، التي تعودت أخذها في جولاى أو أقيست. طباحي التمر (أغسطس أو آب اللهاب)، وقد يحدث للطبيب ما يمنع أخذه إجازته السنوية المستحقة. وبالأخص إن كان الطبيب حديث التخرج أو أن تخصصه يستوجب مواصلته للعمل في بعض المواسم والمناسبات. إضافة إلى أن العمل الطبي له خاصيته من بين الأعمال الأخرى. وأعرف زميلًا لا أدري هل أغبطه (أم أتعزله)، وأشفق عليه. فما يبذله من جهد وعمل ومناوبات يزداد كلما ازداد تحصيله العلمي وتخصصه الدقيق. فكان الله في عونته. وخطر على بالي أيضًا ما عنونت به سوانح (سوشي)، وهي أكلة يابانية من السمك غير المطبوخ (ني)، ذقتها مرة ولم تعجبني. وأستغرب كيف أصبحت أكلة عالمية مشهورة لها محبوبها وعاشقوها، وتقدمها مطاعم يابانية تشتهر بتقديم السوشي. وأعود إلى الأطباء وإجازاتهم، فأقول: ان الطبيب يأخذ مقابل ما يقوم به ماديًا ومعنويًا. وهو الذي اختار من البداية وقدره أن يتحمل ذلك. ومهنة

الطب وزوجة الطبيب يشتركان في شيء واحد، وهو أنهما (زي الفريك) لا يحبان الشريك. ومن لا يعرف معنى الفريك، فليسأل زوجته أو أخته عنه. والمريض أو المستشفى هو هم الطبيب الأول والأخير. فليس من المعقول أن يترك الطبيب مريضه ليلبي رغبة زوجته مهما كانت عزيزة وحبيبة. وهذه حال الأطباء والطبيبات. فهم بين مطرقة المستشفى وسندان الزوجة أو الزوج. وزوجات الأطباء يسمين مهنة الطب بالزوجة الثانية. إن لم يكن هذا الطبيب له زوجتان في الأصل. وقلة من الأطباء من يُعَدُّد. مع ان الكثير من الأطباء (وأنا منهم) بين مُعجب وحاسد للحج متولي.



توجيهية؟!

ثمة حيرة وتردد يعيشهما كل طالب أنهى الثانوية العامة (التوجيهي)، فلا يدري إلى أين سيتجه، ولا يعزم أمره في أمر يخصه وحده. وهي حالة يعيشها كل طالب وطالبة بلا استثناء. وعن نفسي أقول: إنني بكل فخر من خريجي ثانوية اليمامة الغنية عن التعريف. ومكانها ليس ببعيد عن سكني آنذاك. فقد نقلنا الوالد رحمه الله من سكن بيت الطين الصغير إلى (بيت مسلح) بعد شرائه في حي الوشام الفاره أيام زمان. والقريب من شارع العصارات الذي يوازي شارع التحلية هذه الأيام فخامة وأبهة. وكنت أذهب للمدرسة وأعود منها على قدمي. ولم تكن المسافة قريبة. فقد قدرتها فوجدتها تقرب من الثلاثة أكيال (كيلومترات) أو تزيد. وقد حصلت على التوجيهية (قسم علمي) بتقدير جيد جدًا (٧٥٪)، وهي نسبة (تفشل) هذه الأيام. أما قبل خمس وثلاثين سنة أو تزيد فأبواب جميع الكليات كانت مُشَرَّعة للدخول من أيها أشاء وأريد. إلا أنني في تلك المرحلة لم أكن أعرف ماذا أريد بالضبط، وأي طريق سأسلك. ففي تلك السن الصغيرة (السابعة عشرة أو الثامنة عشرة) كانت تتجاذبي آراء ومقترحات كل من يعنيه (ومن لا يعنيه) أمري ومستقبلي. وأنا أصغي وأوافق على كل مقترح من الأهل والمعارف. لأقوم بتغييره في اليوم التالي. إن لم يكن في اليوم نفسه إذا استمعت لرأي أو مقترح جديد. فكان الله في عون حملة الثانوية العامة هذه الأيام. ولن يلومهم أحد إن عانوا وعاشوا ترددًا بين إقدام وإحجام.

وكان لي زملاء أعزاء وأشيرون (في الثانوية العامة) كادوا يجذبونني معهم لما ذهبوا إليه. وهو الاكتفاء بالثانوية. والانخراط في عمل حكومي. خاصة في الخطوط الجوية السعودية. حيث يعمل فيها إلى الآن ثلثة منهم. ولو قام أحد موظفي كلية الهندسة في جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقاً) بالبحث في ملفات الطلبة القديمة لوجد اسمي من ضمن الطلبة الذين تسربوا من كلية الهندسة (خرج ولم يعد)، وأذكر أن مبنى الكلية كان في حي الفاخرية القريب من شارع العصارات وحي الوشام، حيث أسكن كما قلت. وسبب سحب ملفي من كلية الهندسة بعد شهر من الدراسة المنتظمة، هو تنفيذي لرأي من اقترح عليّ بأن أذهب لدراسة الطب في لاهور. وقد كان الابتعاث للدراسة في الخارج على أشده آنذاك (التسعينيات الهجرية)، بما يشبه الابتعاث هذه الأيام. مع أنني (بصراحة) لم أتخيل ولم أفكر بأنني سوف أكون طبيباً يوماً من الأيام. ولكنه القدر والمكتوب. فليسامحني من قَصْر علمي واجتهادي في تخفيف آلامه وبراء سقمه، عندما لجأ إليّ في عيادتي يوماً ما. وأن يدعو لي من كنت سبباً في شفائه أو علاجه يوماً ما. بوصفة دوائية أو مبضع جراحي في أي مستشفى أو عيادة عملت فيها. على مدى ثلاثة عقود. أو تزيد. وأرجو أن يكونوا كُثُرًا (من يدعون لي لا علي)، لعل الله يستجيب. فأسعد في دنياي وآخرتي.



في الماضي

تجولت في أحد أسواقنا التجارية في الرياض، وأخذت أنظر في قسم مواد النظافة المنزلية؛ من مساحيق وبخاخات؛ فهالني ما شاهدته من أنواع وكميات؛ ومع ذلك يمرض الكثير منا ويموت هذه الأيام بسبب المكروبات وانتقال العدوى؛ وتذكرت ما كنا عليه في الماضي؛ بالرغم من الإمكانيات المتواضعة؛ فمسحوق التنظيف يكاد ينحصر في نوع واحد الكل يعرفه؛ ولا أذكر اسمه كي لا تعد دعاية لذلك المنتج الشهير؛ ولعلي أذكر فقط أننا نحن الصغار وبتوجيه من الأهل كنا نقوم بتجميع أغطية ذلك الصابون (جزء من اللعبة الكرتونية الممزقة)، ليجمعها الأهل للحصول على هدايا؛ مثل أطقم فتاجيل وكاسات ونحو ذلك؛ وصابون اليد الذي كنا نطلق عليه (ممسك) أشهر أنواعه (أبوعنز) في منازلنا الطينية أيام زمان، عندما كانت الحياة جميلة وسلسة؛ بلا تعقيدات أو مبالغة في النظافة؛ فمقاييس ومعايير النظافة لم تكن بما هي عليه الآن من اشتراطات وتطبيقات يدعمها وجود الكثير من مواد التنظيف؛ فالمنزل الطيني الذي قد لا تتعدى مساحته الخمسين متراً كان يؤوي الكثير؛ من رب البيت وأبويه وزوجته وأبنائه وبناته؛ وحوش صغير يؤوي العديد من الأغنام للمبيت في الليل بعد أن تسرح نهاراً مع الشاوي؛ لتعود مع الغروب بجانب التيس (تسبقه رائحته الصلقة) لقرع الخطوب؛ والذي أعجب منه أن الأغنام كانت تخرج يومياً بعد صلاة الفجر برفقة الراعي أو الشاوي للرعي مع أنه لا يوجد مراعي

خضراء ولا واحات غناء تُغني عن إحضار حزمة (الطعام) البرسيم يومياً؛ وهي صورة لا أزال أذكرها لجدي رحمه الله، عندما يعود مع أذان الظهر يومياً وهو يضع حزمة البرسيم على رأسه أو كتفه، وفي اليد الأخرى خربز (جرو)، يقوم بوضعهما على الأرض بعد دخوله المنزل، قاصداً دورة المياه الموجودة في المدخل للوضوء لصلاة الظهر؛ وهي صورة تنطبق على جميع كبار السن من سكان الأحياء الطينية آنذاك؛ وقد حدثني أحدهم بقصة فيها من الطيبة والعفوية الشيء الكثير؛ ولأن المنازل تتشابه من الداخل والخارج وأبوابها مفتوحة طوال النهار؛ قام أحد كبار السن الذي كان يسكن في الظهيرة؛ وبعد عودته من المقبرة والمؤذن (ابن ماجد) رحمه الله يؤذن لصلاة الظهر؛ بدخول منزل جاره الملاصق لمنزله (ظناً منه أنه منزله) فوضع حزمة البرسيم (والجرو) في المدخل كالمعتاد، ودخل دورة المياه للوضوء؛ وعند خروجه من دورة المياه والماء يقطر من يديه ولحيته، وهو قد جاوز السبعين من عمره؛ إذا بامرأة لا يعرفها ولا تعرفه؛ شهقت من رؤيته مستغربة وخائفة؛ فما كان منه إلا أن أسرع خارجاً من منزل جاره، الذي دخله بالخطأ لا يلوي على شيء؛ تاركاً ما أحضر من (المقبرة) على الأرض؛ ويقول من روى الحكاية: إن الجارين التقيا وقت صلاة العصر؛ فقال من دخل بيته بالخطأ لجاره الذي دخل بيته بالخطأ: لقد أغنتني حزمة البرسيم عن الذهاب لشرائها لغنمي. وطعم الخربز (الجرو) كان لذيذاً ولا يُعلى عليه.



في رمضان أيام زمان!

ثمة أمور وثيقة الصلة برمضان (أيام زمان) لا يمكن أن تُمحي من ذاكرتي. أقف متأملاً ومسترجعاً إياها مع حلول كل رمضان جديد. الأولى صوت المؤذن ابن ماجد. الذي أحسنت إذاعة القرآن الكريم بأن تذيع أذان الظهر حسب توقيت مدينة الرياض يوميًا بصوته المؤثر رحمه الله. وقد تعودت في رمضان أيام زمان أنا ومن معي من أطفال المنزل (بإيحاء من الأهل) وقبل أذان المغرب بقليل. تعودت الخروج من المنزل (في المعيقلة) لأستمع لابن ماجد عندما يؤذن. وكيف كنا نجري نحن الأطفال لإخبار الأهل بأن ابن ماجد قد أذن: (تراه أذن) أو أننا سمعنا صوت المدفع. ليبدأ الكبار ونحن معهم الإفطار. والذكرى الثانية سكك وأزقة أيام زمان ضعيفة الإضاءة، وكيف كنا نضيئها لعباً ولهواً بطاش ما طاش أمام الدكان الوحيد في الحارة، أو نكتفي بلعب (عظيم سرا) إن لم نكن نملك قيمة الكولا ورهان طاش ما طاش المقبوضة. لندفعها لليمانى صاحب الدكان قبل اللعب. ولكثرة لعبنا طاش ما طاش تجد الأرضية الترايبية المحيطة (بالدكان) قد امتلأت بأغطية الكولا (القمورة)، التي يكون بعضها قد غاص في الأرض المحيطة (بالدكان)، وقد اختفت معالم تلك الأغذية لكثرة الدهس عليها بالأقدام. وفي حالات كثيرة ينتهي لعب طاش ما طاش بالمضاربة بين صبية الحي. والأمر الثالث والوثيق الصلة بالصوم هي أطعمة أيام زمان. التي أجدها هذه الأيام رائحتها فقط تفوح من المطبخ قبل

أذان المغرب تتقدمها السنبوسك. والتي كنت أفضل التي كنا نشتريها أيام زمان من (أبو حسن في المقيبرة) بعد العصر وقبل أذان ابن ماجد بقليل. أما الحلى فقد كان شعيرية أو تطلي أو ماصية، يقمن نساء المنزل بإعداده. ولا أنسى قوارير (ريح الموز) الصغيرة والأنيقة. وبمناسبة الحديث عن الحلى أشعر أحياناً أن الدونات الأمريكية سُرقت فكرتها من (اللقيمات) المحلية. مع فارق وحيد، وهو أن طعم اللقيمات (شختك بختك) إما يضاهي، بل يتفوق على الدونات لذة وجودة. أو يكون مجرد (درادم) عجين مقلي ومُشبع بالزيت والسكر. ولعل من يسكنه حب الماضي مثلي يتذكر أن لقيمات أيام زمان كنا نأكلها من غير أن يُضاف إليها السكر في مكوناتها. شأنها شأن (المراصيع)، التي أصبح يضاف إليها السكر أيضاً هذه الأيام. هذا إن تمكن نساء هذه الأيام من إعدادها تلبية لرغبة من يحب أيام زمان وأكلات رمضان أيام زمان مثلي.



رمضان مهلاً

رمضان عام ١٣٩٣ هجرية تاريخ أذكره جيداً. لثلاثة أسباب: أولها: حرب رمضان المجيدة. واختراق خط بارليف المنيع، كما كانت تقول إسرائيل. وثانيها: على المستوى الشخصي حصولي على شهادة الكفاءة المتوسطة (الكفاية والساتة، كما ينطقها البعض) وتسجيلي في ثانوية اليمامة بالمربع. وهو الأهم. فقد كان القبول فيها والتخرج منها آنذاك دونه خطر القتاد. وكأنها جامعة هارفرد العتيدة. وثالثها: وهو محور سوانح، وهي زيارة صديق حميم للوالد رحمهما الله. حيث كان مدعوً للإفطار عندنا في أحد أيام رمضان. وفي أثناء الإفطار قال للوالد: كنت في جدة قبل يومين. تصدق وجدت الناس يأكلون الفول عند الإفطار في رمضان. وهذا كان قبل أربعة عقود أو تزيد. ونظرة سريعة هذه الأيام لطوابير الناس عند الفوالين بعد صلاة العصر وقبل المغرب بقليل وموائد الإفطار لدينا في الرياض تغني عن كل حديث عن انتقال تلك العادة إلينا من الحجاز: (أكل الفول في رمضان)، وثمة ذكرى أترحم فيها على جدتي. فعندما يمضي من رمضان يومان أو ثلاثة. كانت تقول: راح رمضان الله يخلفه. وهو دليل إيمان راسخ وحب لرمضان. أيامه ولياليه. بعكس ذلك الرجل الذي قال عندما أخبروه بدخول شهر رمضان. قال: (والله لأقطعنه بالأسفار) ما علينا. وفي السنوات الأخيرة كثرت دراسات موثقة عن رمضان، وزيادة الوزن، وكثرة استهلاكنا للمواد الغذائية في رمضان ونحو ذلك. ومن

الذاكرة (في المعقلية): أن الأهل في إحدى المرات، وكنت في الثامنة أو التاسعة من العمر. وقبل المغرب بقليل، أرسلوني لشراء بعض السنبوسة من المقيبرة. اثنتا عشرة حبة (أربع حبات بطايح ربع) من بائع يمني اسمه أبو حسن. لم أستطع مقاومة إغرائها. وهي تقطر زيتاً. وذات رائحة شهية. في أثناء وضعها في كيس متواضع النظافة. فأكلت واحدة في طريق العودة للمنزل. وجلست (ببراءة) حول مائدة الإفطار مع الأهل، وعيني على السنبوسة (كاد المريب) قبل أن يُرفع أذان المغرب بصوت المؤذن ابن ماجد رحمه الله. وأيام رمضان تتصرم مسرعة. فأختم سوانح بـ (واتس أب) وصلني قبل يومين. يقول من أرسل الواتس أب عن رمضان:

بالأمس كنت أقول: رمضان أهلاً، والآن أقول: رمضان مهلاً، ما أسرع خطاك، تأتي على شوق، وتمضي على عجل. وكل عام وأنتم بخير.



قاتل بريء

كانت سوانح ماضية والتي قبلها عن الحمى المالطية. الوثيقة الصلة بحليب الخلفات. والخلفة هي أنثى الجمل. والحديث يجرب بعضه بعضاً. لأبقى بعيداً عن الطب وهمومه وشجونه. وقريباً من الخلفات والجمال. وما تتسبب به من حوادث في الطرق السريعة أو (الهائي وي). وثمة مقولة وتصرف أرويهما اليوم: الأولى أعجبتني والأخرى أزعجتني. فأما المقولة التي أعجبتني وجاءت بالبنت العريض في تحقيق صحفي لإحدى الصحف عن حوادث الجمال السائبة في الطرق السريعة. هي: قاتل بريء (أي الجمل)، ومقتول بلا ذنب (أي الإنسان). أما التصرف الذي أزعجني فهو قيام صاحب الجمل الميت بإزالة الوشم من جسمه الدال على ملكيته له. في مكان الحادث. وبسرعة. قبل أن يجف ويبرد دم الجمل القاتل والمقتول. وكأنني به كان يرمي جماله ونياقه في مكان غير بعيد من مكان الحادث. ولم يدر بها على تفادي السيارات المسرعة. ويحضرني بالمناسبة كاريكاتير للمبدع عبدالسلام الهليل عندما رسم جملين يهمان بدخول طريق سريع، بعد أن فتح صاحبهما فتحة في الشبك المحيط بالطريق. وأحد الجملين ينصح الآخر برفع رجليه لتفادي الاصطدام بالسيارات المسرعة. لتمر بين الأرجل وتحتها. فرد الآخر: يعني (كباري)، فتقوم الجرايد بحشي ثاني يوم في الصفحات الرياضية. وبصراحة لا يُلام الجمل. فأني هدف (كباري) يكون مصدر تهكم وسخرية لمن يتفرج. وفشيلة لا تُتسى أبداً.

على من يدخل فيه هدف كباري. ما علينا. ومن المفارقات أن الجمال وسفن الصحراء تتهادى وتمشي الهويّنا. حتى وهي في طرق سريعة. يجب على من يرتادها الإسراع. وهي حيوانات لا تدرك. بينما صاحبها ومن يرعاها يُدرك. ومع ذلك يقوم بقص الحاجز إن وجد لإدخال جماله. لتتهادى في الطريق السريع ليلاً ونهاراً. في عمل انتحاري. والإيقاع بمن يرتاد ذلك الطريق السريع. ولو عُملت دراسة عن أسباب حوادث الطرق لدينا، لوجد أن القاتل البريء يحتل نسبة ليست بالقليلة من أسباب وفيات الحوادث. ويقفز من ذاكرتي منظر رأيته منذ سنين في دولة أوروبية، عند دخولنا لمنطقة كثيرة المروج والغابات. وتحذير يتوسطه صورة لغزال. على جانبي الطريق. تُشير لوجوب الانتباه لمكان تقطع الغزلان فيه الطريق. ولدينا قد تكون هناك لوحات إرشادية تُحدد مكان مرور (قطع) الجمال. إلا أن صاحب وراعي تلك الجمال يقوم بالمخالفة. ليوفر أمتاراً قليلة على جماله، التي تتهادى في الطريق الممنوع دخوله. فتُزهق وتقتل ببراءة. أرواحاً كثيرة.



(لمبة مكسورة)!

ثمة حقيقة لم أذكرها في سوانح ماضية عن علامة فارقة في الطالب الشقي المفصول أو المطرود من المدرسة الابتدائية بعد رسوبه في الصف الخامس مرات عدة. في منتصف الثمانينيات الهجرية. وهي أنه أعرج وأشول، (العرج بسبب شلل أطفال أصيب به في سن السابعة)، ومن المألوف (أيام زمان) مشاهدة عدد ليس بالقليل من الأطفال والشباب وكبار السن من الجنسين مصاب بشلل الأطفال. فلا أحد يعرف عن التطعيمات وسُبل الوقاية من الأمراض شيئاً. فنصاب بالكثير من الأمراض والعاهات. التي بالإمكان الوقاية منها. وبمجهود وقائي وحملة منتظمة في التطعيم. نتج عنها (بعد الله) أن تحتفل المملكة العربية السعودية ومنذ بضع سنين بالقضاء على مرض شلل الأطفال. ما علينا. فبالرغم من أن عريجاً كان أشول أو أعسر. إلا أنه يملك قوة خارقة في يده الشمال، ودقة في التصويب بها عن بُعد (بواردي) عندما يصطاد بالنبأطة أو بدونها. عصفوراً مقبلاً للهبوط في القليب ليشرّب. فيصطاده عريج قبل الهبوط أو بعده. أو حذف (بحجر) وكسر لمبة السكة الوحيدة. التي تم تركيبها للتو. وكان صديق عريج والأكثر التصاقاً به مراهق آخر يُسمى وريدة. ويقال: لا صداقة إلا بعد عداوة. وبالعكس. فلا أنسى تشابك بالأيدي ومضاربة شرسة بين وريدة وعريج. كان المتسبب فيها مراهق آخر يُدعى بازورك. بسبب (فرخ قطيفي) طار من (صندقة) عريج وانضم إلى حمام وريدة بالخطأ. وهو ما أنكره وريدة. فأكل بسببها كفوف (وبكوس) من يد عريج الشمال القوية،

وَرُكِبَ أَقْلَ قُوَّةٍ مِنْ رَجُلِهِ الْعَرَجَاءِ بِسَبَبِ شَلَلِ الْأَطْفَالِ. الَّتِي لَمْ تَقِفْ عَائِقًا لِمَتَمَتِّعِ عَرِيَجٌ بِالْقُوَّةِ الْبَدْنِيَّةِ وَالشَّرَاسَةِ. لِيَعْتَرِفَ وَرِيدَةً بَعْدَ (الْعَلَقَةِ) بِسَرَقَةِ الْفَرْخِ الْقَطِيفِيِّ. وَيُعِيدُهُ رَاغِمًا إِلَى عَرِيَجٍ. بَعْدَهَا أَصْبَحَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ. يَتَعَاوَنَانِ عَلَى كُلِّ شَقَاوَةٍ وَإِيْذَاءٍ وَإِزْعَاجٍ لِلْحَيِ الطِّينِيِّ وَسَكَانِهِ. وَتَوَجَّتْ تِلْكَ الصَّدَاقَةُ بِأَنْ يُطْرَدَ وَرِيدَةً مِنَ الْمَدْرَسَةِ أَيْضًا بَعْدَ إِعَادَةِ وَسْقُوطِ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ابْتِدَائِيٍّ لِبُضْعِ سَنَيْنِ. قَادَتِهِ لَزِمَالَةً وَرَفَقَةً دَرَبِ عَرِيَجٍ. الَّذِي سَبَقَهُ فِي الطَّرْدِ بِعَامٍ كَامِلٍ. فَتَصَادِقُ الْاِثْنَانِ. صَدَاقَةٌ قَوِيَّةٌ. تَذْكُرُكَ بِصَدَاقَةِ عَادِلِ إِمَامٍ وَسَعِيدِ صَالِحٍ فِي مَسْرَحِيَّةِ مَدْرَسَةِ الْمَشَاغِبِينَ. وَعَرِيَجٌ كَانَ قِيَادِيًّا وَوَرِيدَةً مَسَالِمًا وَتَابِعًا لِعَرِيَجٍ. وَالدَّلِيلُ أَنَّهُ (وَرِيدَةً) طُرِدَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ بِتَأْثِيرٍ مِنْ عَرِيَجٍ. فَتَفْرَغُ الْاِثْنَانِ لِلشَّقَاوَةِ وَأَذِيَّةِ الْحَيِ وَأَهْلِهِ. حَتَّى الْقَطَطُ وَالْكَلَابُ السَّائِبَةُ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ أَذِيَّتِهِمَا. وَلِمَبَاتِ السَّككِ الطِّينِيَّةِ الضِّيْقَةِ (عَلَى قَلْتِهَا) لَمْ تَسْلَمْ مِنْ تَرْجِيمٍ وَتَكْسِيرٍ عَرِيَجٍ وَوَرِيدَةٍ. وَإِنْ أَنْسَى فُلَنٌ أَنْسَى حَادِثَتَيْنِ وَمَنْظَرَيْنِ. يَدْلَانِ عَلَى مَا يَحْمِلُهُ عَرِيَجٌ وَوَرِيدَةً مِنْ نَزَعَاتٍ عَدَوَانِيَّةٍ (وَسَادِيَّةٍ) الْأَوَّلُ لِعَرِيَجٍ وَهُوَ يَضَعُ (شَرْخَ أَبُو دِيكٍ) فِي مَوْخَرَةٍ كَلْبٍ صَغِيرٍ وَيَشْعُلُهُ لِيَنْفَجِرَ. وَالْكَلْبُ الصَّغِيرُ يَتَأَلَّمُ. وَلَا تَسْمَعُ لَهُ صَوْتًا. وَإِنْ سَمِعْتَ صَوْتًا فَهُوَ نَبَاحٌ بِحَشْرَجَةٍ. بَعْدَهَا يَقُومُ عَرِيَجٌ بِرَمِيِ الْكَلْبِ الْمُنْفَجِرِ فِي الْقَلْبِ الْقَرِيبَةِ. وَالْمَنْظَرُ الْآخَرُ هُوَ إِحْضَارُ وَرِيدَةٍ لِقَطْعَةٍ صَغِيرَةٍ وَوَضْعُهَا بَيْنَ كَلْبَيْنِ ضَالِّينِ وَجَائِعَيْنِ. قَامَ عَرِيَجٌ بِمِطَارِدَتِهِمَا فِي الْحَيَالَةِ. إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَكَانِ الْقَطْعَةِ فِي السَّكَّةِ السَّدِّ. فَيَقُومُ الْكَلْبَانِ بِنَهْشِ الْقَطْعَةِ وَتَقْطِيعِهَا وَهِيَ حَيَّةٌ إِرْبًا إِرْبًا. وَعَرِيَجٌ وَوَرِيدَةٌ فِي قِمَّةِ السَّعَادَةِ. وَيُضْحِكَانِ. فَأَيْنَ جَمْعِيَّةُ حَقُوقِ الْحَيَوَانِ.



الميدان يا (حميدان) ! (١-٢)

يكثر الحديث هذه الأيام عن تنظيم جديد سيصدر لعمل الأطباء، ومراجعة بدل التفرغ الذي تجاوز عمره الأربعين سنة؛ وأهم ما في النظام الجديد توحيد الرواتب بين قطاعات الدولة المختلفة؛ حسب ما يتناقله الناس بينهم من أحاديث في مجالسهم، وما تنقله بعض وسائل الإعلام؛ وهذا جيد، وطالما طالبت به عبر سوانح؛ وقبلها أيام غراييل الخوالي؛ ومع أن الموضوع يخص الأطباء، إلا أن الأطباء لم يؤخذ رأيهم بما فيه الكفاية عن همومهم وشجونهم؛ وفي أوروبا وأمريكا تكون الخدمات الصحية الخاصة (برايفت سيكتر) مكملة للحكومي؛ وهو ما يجب أن يكون لدينا أيضاً؛ لا سيما أننا نشهد طفرة في التأمين الصحي هذه الأيام؛ فيجب أن يطبق النظام الصحي بشكل يخدم صحة الناس؛ ولا يبخس الأطباء المجتهدون حقهم؛ وعنوني لسوانح بـ (الميدان يا حميدان) جاء عفو الخاطر ومعبراً عن أن العمل الطبي ميدان واسع، بإمكانك أيها الطبيب أن (تُفيد وتستفيد)، وكل طبيب وشطارته؛ التي يحكمها نظام صحي يواكب كل جديد؛ وما قسمه الله له من رزق؛ تحت مظلة من وضوح النظام الطبي (على وضوح النقا) لا يُعول فيها على ذمة الطبيب وخوفه من الله فقط؛ والبعد عن الوسائل العقيمة: كالقيام بجولات تفتيشية خارج الدوام الرسمي على بعض المستوصفات والمراكز الطبية الخاصة؛ كجولات البلدية على الباعة المتجولين؛ والجولات يجب أن تكون في أثناء الدوام الرسمي في

أماكن عمل الأطباء الرسمية؛ ومعاقبة؛ بل والتشهير بكل طبيب مخالف؛ وتنفيذ لوائح النظام الجديد بدقة، سيضع الكثير من النقاط على الحروف، فيعرف كل طبيب وكل مريض ما له وما عليه؛ فينجلي وينفتح كل ميدان أمام كل طبيب ومقدرته على العمل والعطاء؛ والأطباء قدرات تتفاوت بين كل طبيب وآخر؛ فالبعض بإمكانه الكشف على خمسين مريضاً وعلاجهم في اليوم الواحد؛ فتخصصه دقيق أو نادر، ومطلوب من الكثير من الناس في المستشفى الحكومي أو الخاص؛ والإمكانات العلمية من أجهزة ونحوها موجودة لتسهيل عمله؛ وبعض التخصصات النادرة يكون الأطباء فيها قلة، ومرضاها كثيرون لا تستوعبهم المستشفيات الحكومية؛ أو أن من يريد الخدمة الصحية ليس لديه ملف طبي في المستشفى الحكومي، الذي يعمل به هذا الطبيب المتميز أو ذاك؛ فيأتي القطاع الخاص (ليفيد ويستفيد)، ويخفف الضغط عن المستشفى الحكومي؛ فما المانع؛ يسروا ولا تعسروا، ودعوا الجميع يستفيد؛ فالطبيب سيكون بإذن الله سبباً في استعادة مريض لصحة حُرْم منها، أو الحصول على رفاهية ينشدها؛ بمقابل مادي ومعنوي؛ تعب وسهر كثيراً وتغرب طويلاً ليكون أهلاً له أو لها؛ والميدان يا حميدان.



الميدان يا (حميدان) ! (٢-٢)

ثمة حديث يدور في المجالس هذه الأيام. عن تنظيم جديد صدر لعمل الأطباء. تم فيه مراجعة وتعديل بدل التفرغ، الذي تجاوز عمره الأربعين سنة. بإعطاء الطبيب السعودي ما يستحقه مادياً كبديل الندرة ونحو ذلك. وأهم ما في النظام الجديد هو توحيد الرواتب بين قطاعات الدولة المختلفة. وأقول عمن يتحدثون بنبرة فيها حسد، ليتها غبطة. أقول: امسكوا الخشب، واذكروا الله. فالأطباء يستاهلون هذا وأكثر. وما تحقق لهم أخيراً. طالما طالبت به عبر سوانح. وقبلها أيام غراييل الخوالي. وفي أوروبا وأمريكا تكون الخدمات الصحية الخاصة (برايفت سيكتر) مكملة للحكومية. وهو ما يجب أن يكون لدينا أيضاً. لا سيما أننا نشهد طفرة وإنفاقاً جزلاً من الدولة رعاها الله. فيجب أن يطبق النظام الصحي بشكل يخدم صحة الناس. ولا يبخس الأطباء المجتهدون حقهم. وعنوتني لسوانح: (الميدان يا حميدان) جاء عفو الخاطر، وليرمز بأن العمل الطبي ميدان واسع بإمكانك أيها الطبيب أن تُقيد وتستفيد، وكل طبيب (وشطارته). التي يحكمها نظام صحي يواكب كل جديد. وما قسمه الله له من رزق. تحت مظلة من وضوح النظام الطبي، (على وضوح النقا)، لا يُعول فيها على ذمة الطبيب وخوفه من الله فقط. والبعد عن الوسائل العقيمة. كالقيام بجولات تفتيشية خارج الدوام الرسمي على بعض المستوصفات والمراكز الطبية الخاصة. كجولات البلدية على الباعة المتجولين. والجولات

يجب أن تكون في أثناء الدوام الرسمي في أماكن عمل الأطباء الحكومية. كمستشفيات وزارة الصحة والحرس الوطني وقوى الأمن. ومعاقبة. بل والتشهير بكل طبيب مخالف. وتنفيذ لوائح النظام الجديد بدقة، سيضع الكثير من النقاط على الحروف. فيعرف كل طبيب وكل مريض ما له وما عليه. فينجلي وينفتح كل ميدان أمام كل طبيب ومقدرته على العمل والعطاء. والأطباء قدرات تتفاوت بين كل طبيب وآخر. فالبعض بإمكانه الكشف على خمسين مريضاً وعلاجهم في اليوم الواحد. فتخصصه دقيق أو نادر ومطلوب من الكثير من الناس في المستشفى الحكومي أو الخاص. والإمكانات العلمية من أجهزة ونحوها موجودة لتسهيل عمله. وبعض التخصصات النادرة يكون الأطباء فيها قلة ومرضاها كثيرون، لا تستوعبهم المستشفيات الحكومية. أو أن من يريد خدمة صحية معينة ليس لديه ملف طبي في المستشفى الحكومي، الذي يعمل به هذا الطبيب المتميز. فيأتي القطاع الخاص ليخفف العبء والضغط عن المستشفيات الحكومية، يفيد ويستفيد، فما المانع في ذلك. يسروا ولا تعسروا، ودعوا الجميع يستفيد. فالطبيب سيكون سبباً في استعادة المريض لصحة حُرْم منها، أو الحصول على رفاة ينشدها. بمقابل مادي في متناوله. يدفعه لطبيب أو طبيبة تعباً وسهراً كثيراً وتغرباً طويلاً ليكون أهلاً لما وصل إليه. مادياً ومعنوياً. والميدان يا حميدان.



تيتنوس في الريف الإنجليزي؟

في كتب الطب ومراجعته في أثناء دراستي وإلى الآن تكون هناك نبذة تاريخية في بداية أو نهاية كل كتاب. لأي موضوع ندرسه عن مرض ما. إما عن المرض نفسه أو عمن اكتشفه ونحو ذلك. وقد كنت أحرص على قراءة تلك النبذة. وأستمع بقراءتها. بعكس المقرر الدراسي. كالذي قرأته عن هنري قري (كنا نسمة قريز) أبو علم التشريح. الذي مات في عمر الثامنة والعشرين. بعد تأليفه لمجلد يقع في ألفي صفحة من القطع الكبير. فلو امتد به العمر فكم يا ترى ستكون عدد صفحات مجلد ومقرر مادة التشريح. فحمدًا لله على عمره القصير. أو لويس باستير أبو التعقيم والبسترة. الذي لو طبق محبو حليب الخلفات علمه لتجنبوا الإصابة بالحمى المالطية. ما علينا. ومن ذاكرتي القديمة وقبل أن تشيخ. كان هناك في كتاب علم الأمراض بضعة أسطر (تاريخية) عن مرض التيتنوس (الكزاز) تقول الأسطر أو التمهيد التاريخي: إن عدد الوفيات بين الجنود الأمريكيين المصابين في الحرب العالمية الثانية (أربعينيات القرن الميلادي الماضي) انخفض بشكل كبير بسبب إخضاع الجنود للتطعيم الإلزامي ضد مرض الكزاز الفتاك. قبل دخول الحرب والإصابة بالجروح. التي كانت جرثومة التيتانوس تقتل من تصيبه لا محالة. ونحن أيام زمان لم نتلقَ أي تطعيم بطبيعة الحال، ونلعب حفاة الأقدام. على أرض ترابية متسخة، تحتوي بلا شك على بكتيريا الكزاز العتيدة. ونُصاب بجراح كبيرة وبلغية

تتزف. فلا تستطيع بكتيريا الكزاز أن تصيب أحدنا بفضل من الله. (السالم معزول) مع أن المرض يصيب تقريباً كل من يتعرض لأي جرح، مهما كان بسيطاً وصغيراً في بيئة ملوثة كملاعبنا الترابية أيام زمان. ولا أنسى (تاريخياً) طفلة أو شابة إنجليزية أُصيبت بالمرض وماتت بسببه. في الريف الإنجليزي الجميل والنظيف. بعد سقوطها من دراجة هوائية كانت تقودها. تُسمى هناك بايسكل. وعندنا سيكل وسياكل. تك وبلون. من فرحتنا بالسيكل نركبه ثلاثة صبية. السائق ومردوف في الخلف وثالث على العمود. ولا أنسى أيضاً سقوطنا أيام زمان من السيكل في ريف القرنين ومعال ومنفوحة بلا إصابات تُذكر. فمسكينة من سقطت في الريف الإنجليزي. لتصيبها جرثومة الكزاز الشرسة. وتودي بحياتها. ولا نصاب نحن في ريف العسيلة. في أثناء لعبنا بكرة الصب. حفاة الأقدام. نحفر الأرض طولاً وعرضاً. بجروح دامية ومفتوحة، تأبى أولاً تستطيع بكتيريا التيتنوس دخولها. بل تتطاير التيتنوس مع الغبار. لتدخل جرحاً نظيفاً. لشابة في الريف الإنجليزي.



الأمعاء

الطبيب في العادة يضع السماعة الطبية على الصدر أو الظهر للكشف على القلب أو الرئتين. والحالة الوحيدة تقريباً غير الصدر والظهر هي ما يقوم به طبيب التخدير والطبيب الجراح. بوضع السماعة على البطن. لسماع حركة الأمعاء (قربعة المصارين) بعد كل عملية جراحية بعد إفاقة المريض من البنج العام. وذلك قبل السماح للمريض بتناول الشراب والطعام عن طريق الفم. ف (قربعة المصارين) دليل على أن الجهاز الهضمي بدأ في العمل بعد سُبَات وارتخاء لساعات في أثناء البنج. وكان أول سؤال في المرور الصباحي على المرضى لمريض أجريت له عملية جراحية في ميو هسبital في لاهور في بداية الثمانينيات من القرن الماضي هو سؤال المريض: هوا خارج. فإن كان الجواب: نعم. نضع السماعة الطبية على بطنه لنسمع حركة الأمعاء (بيريستالسز) بعدها نقول للممرضة المشرفة على علاجه: ابدئي بإعطاء المريض بعض السوائل بالفم، وأوقفي وانزعي المغذية من وريده، وكذلك الشريط اللاصق على سريره (إن بي أو)، فالمرضى لا يحتاجها. وليبدأ في تناول الطعام بشكل طبيعي. وقد يتساءل البعض: لماذا يجب على المريض أن يكون صائماً لاثنتي عشرة ساعة قبل العملية. فأقول: إن المريض عندما يكون تحت تأثير البنج تكون كل عضلات جسمه مرتخية. ومن ثم قد يتسرب بعض الأكل أو الشراب من المعدة إلى الرئتين. فتحدث كارثة. ومن نافلة القول: إن طبيب التخدير

منوط به مسؤولية التأكد بأن المريض لم يتناول أي طعام قبل العملية. ولا أنسى في إحدى المرات مريضاً جاءنا في حالة إسعافية نتيجة حادث مروري تعرض له. لا ندري هل تحوي معدته وأمعائه أكلاً أم أنها فارغة. فاضطر طبيب التخدير إلى مضاعفة الحيلة أثناء البنج. كرفع رأس المريض إلى أعلى قليلاً بوضع مخدة تحت رأس المريض في أثناء تنبجه و(سدحه)، والجراح يعمل بمشرطه ومبضعه في جسمه. المرتخية كل عضلاته. وبعد انتهاء العملية وقيام المريض بالسلامة. سألت المريض ماذا أفطرت في الصباح قبل تعرضك للحادث. وإخضاعك للعملية المستعجلة. فقال: إن فطوره كان فول قلاية وشيئاً من معصوب قليل. أتبعهما بشاي عدني. أحضره من كان عليه دور الفطور الصباحي من الفوال الشهير. في المربع. فستر الله على المريض وأنجاه من الحادث. والمؤكد أنه لم يتم هضم الفول والمعصوب إلا بعد نهاية العملية بالسلامة. والمؤكد أيضاً أن مفعول البنج كان مضاعفاً. لوجود الفول والمعصوب في المعدة والأمعاء.



الصمام الميترالي

يكاد يكون أطباء الباطنة (انterior) مع أطباء التخدير بالطبع هم أكثر الأطباء استعماً للسماعة الطبية في عملهم. أما الجراحون فوسيلتهم في التشخيص والعلاج هي الموضع والمشرط. أي افتح واقطع واصلح. وثمة مقولة تُقال للتندر على الأطباء وكل تخصص. فطبيب الباطنة في كشفه وتشخيصه كالذي ينظر من خلال خرم إبرة. لذا يعرف شيئاً واحداً عن كل شيء، والجراح يعرف كل شيء عن شيء واحد. والديرماتولوجست:

knows no thing about any thing

وهذه مجرد دعابة يتندر بها الأطباء. فلا يزعل مني أطباء الجلدية الأعزاء. ولن يريد التأكد مما لديهم من علم غزير، ليرى طواوير المرضى في عيادات الجلدية والليزر. بمواعيد ودون مواعيد. ما علينا. وبالمناسبة أذكر منذ عقدين من الزمان أو يزيد. أنه كان لدي مريضة كبيرة في السن تأخرت عن الموعد المقرر لها. ما تسبب في إلغاء موعدها. وإدخال مريض آخر. فأنت معاتبة لي ولشؤون المرضى، وهي تقول: لماذا ألغيتم موعدي عندما تأخرت ربع ساعة فقط. هل مواعيدكم كمواعيد إقلاع الطائرة؟! ما علينا. وانتقل لشرح عنوان سوانح: فالصمام الميترالي أشهر صمامات القلب الأربعة، وعندما يضيق (مايترال ستينوسز)، وهي من أكثر أمراض القلب شيوعاً. يكون فيها دم القلب كما في حالة ثقب عضلة القلب الخلقية بين البطين والأذين. فيختلط الدم الوريدي بالشرياني في القلب. وتتلخبط

عملية ضخ الدم من القلب إلى القلب. للجسم ومن الجسم. فيكون قلب الإنسان كمكينه السيارة، عندما تخبط فيختلط الزيت بالماء. وعوداً على بدأ. فمن الحالات القليلة التي يستعمل فيها الجراح السماعه الطبيه هي بعد يوم أو يومين من العملية الجراحية. حيث يضع السماعه على بطن المريض ليسمع قربه المصارين (بيريستالسز) دليلاً على عودة الأمعاء لعملها. وقد كنت قبل أربعة عقود أو تزيد في ميوهسبتال في لاهور أضع سماعتى على بطن المريض لأسمع قربه المصارين. وأسأله بلغة السند والهند: (هو خارج)؟ فإن كان الجواب: ني. تركت المغذية الوريدية تعمل، ولم يسمح للمريض بتناول أي شيء عن طريق الفم (إن بي أو). أما إن كان الجواب (هنجي داك صاب. هو بهوت خارج)، يصاحبها هزة بالرأس، وفرحة برغبة في الأكل والشرب. قمت بإيقاف المغذية الوريدية والسماح له بالشرب والأكل مبتدئاً بالماء والسوائل بطبيعة الحال.



ملح وسكر

في شهر الصيام يكون الملح والسكر هما أكثر الأملاح أو المعادن (إليكترولايت) تأثراً وتأثيراً في أجسامنا. إن نقصا بسبب الصوم أو زيادة بعد الإفطار. وثمة نصيحة طبية بالحد من الأبيضين القاتلين: الملح والسكر. وهو تحذير موجه للناس كافة. حتى من لا يعاني من ارتفاع الضغط أو داء السكر. فالوقاية خير من العلاج. والغيرة في تعريف حميدان الشويعر. لا يعني فيها الغيرة بين الأزواج والمحبين. بل يعني التخمة والتلبك المعوي. حيث كانوا يستعملون الملح للعلاج. فوصف بلدته ومسقط رأسه التي تشتهر بإنتاج الملح بـ: ديرة دوا الغيرة. وبالمناسبة هناك أناس يقومون مرة أو مرتين في السنة. بتناول الملح الإنجليزي (يحل بطنه)، وذلك لتنظيف جهازه الهضمي من البكتيريا. وأعرف أحدهم يقوم بذلك دورياً. وعندما سألته عن السبب؟ قال: كي أنظف جهازي الهضمي من البكتيريا والجراثيم. وأقول له ولغيره عبر سوانح: إن ما تحويه أجهزتنا الهضمية من مليارات البكتيريا النافعة والضارة لا يمكن التخلص منها وطردها مع الفضلات بكأس ملح إنجليزي. فمن يفعل ذلك سوف (يلخبط) طبيعة وإيقاع عمل جهازه الهضمي وجسمه. ليس إلا. وقد تتضرر صحته. فالجسم الإنساني ليس سيارة يتم غسلها (بستم) عندما تتسخ. والمتأمل لمجتمعنا يجد أن الكثير من الرجال والنساء يكثرون من تناول الملح والسكر في الأكل والشاهي. فكثرة الملح يؤدي لحبس السوائل وارتفاع الضغط. وزيادة السكر

يرهق البنكرياس (جزر لنقرهانز المسؤولة عن إفراز الإنسولين). ومرض ارتفاع ضغط الدم يأتي عادة بشكل صامت، وقد يشتكي المريض من عرض آخر، ليكتشف أنه مصاب بارتفاع ضغط الدم. ولا أنسى في هذا الخصوص مريضاً ثمانيني العمر أتاني في العيادة، وهو يشتكي من إرعاف في الأنف. وبعد الكشف على أنفه وإيقاف النزف. طلبت من الممرضة الفلبينية وعلى غير العادة إعادة قياس ضغط دمه. فإذا هو ٩٥/١٨٠ فقلت له: يا عم علاجك في قسم الباطنية، كي يسيطروا على ضغط دمك المرتفع، ولتحمد الله أن التنسيم بسبب ارتفاع ضغط الدم أتى إرعافاً من الأنف، وليس نزيفاً في المخ لا تحمد عقباه. وأما الإكثار في تناول الحلى والسكر فسيرهق جزر لنقرهانز البنكرياسية، فلا يعود ثمة إنسولين كما قضت القوات البريطانية على القوات الأرجنتينية، عندما أنزلت قواتها في جزر الفوكلاند لاستعادتها. فيحضر داء السكري بأشرس أنواعه. ما علينا. وأخيراً أقول: إنني من محبي ومؤيدي الأكل الخانس لسببين: الأول لتعودي وتفضيلي للخانص من الأكل، كما يفضل البعض الشاي بدون سكر، أو القهوة على الريحه، كما يقول المصريون. والسبب الثاني والأهم: قناعتي بأن ما أتناوله من أكل مهما كان خانصا فيه ما يكفي من الملح لوظائف أعضاء الجسم. فأنصح الجميع حتى من ليس لديه ارتفاع في ضغط الدم بعدم الإفراط في تناول الملح، وإبعاد الملاحه عن مائدة الطعام.



الطبيب ومداواة الجروح

كثيرة هي الأقوال والأمثال والأغاني التي ذكرت الطبيب وخلدت مهنته. وكلماتها في الغالب بسيطة تدل على بساطة من قالها وسذاجته. كقول أحدهم: رحت يَم الطبيب اللي يداوي جروحي
أو من عانى من علة لم يستطع علاجها أمهر الأطباء أيام زمان:
(علتي حار فيها الدختور الرخاوي). و(دكتور الحقني الماغص جوه فبطني). والصيدلي الذي تعدى على عمل الأطباء. ففُني فيه:
صيدلي يا صيدلي يا صيدلي. بدي دوا إلها وبدا دوا إلي.
وغيرها كثير. وفهد بلان له أغنية يعرفها الجميع: (جَسَ الطبيبُ)
اشتهرت في السبعينيات مع (يا بنات المكلا). عندما كان يلوح بمنديل أبيض في أثناء غنائه. وكيف أُوهم السامع بأن هناك عضوًا في جسم الإنسان اسمه النبض، وهو يقول جَسَ الطبيبُ لي نَبْضي بفتح النون والباء. كقصيدة بلاد العرب أوطاني من الشامي لبغداني. استبدلت بغدادُ ببغداني. لكي يستقيم بيت الشعر ولا ينكسر. ما علينا. وبساطة كلمات الأمثال والأغاني صاحبها غرابة في وصف الشكوى والأعراض المرضية. كقول إحدى كبيرات السن للطبيب: أونس في سبدي حروره وفي شاسلتي مثل قوله لا إله إلا الله. والعامّة وكبار السن يُطلقون على الأسبرين (سالسليك أسيد) سبرين. وعلى الدكتور دختور. وكان الناس بسطاء، وينظرون إلى الطبيب الذي يزدان مدخل عيادته في عمارة الباخرة أو شارع الوزير بلوحة مكتوب فيها

(مع الترخيص) بكالوريوس طب وجراحة. بأن البكالوريوس تعني أنه قد حاز على العلم من جميع أطرافه. وليس بعده علم. وكأن شهادة البكالوريوس تلك بي إتش دي من هارفرد. وهي شهادة من الزقازيق أو حيدر أباد. وبتقدير مقبول. ولا أنسى عندما كنت طبيب امتياز كبيرة في السن اختارتي بين مجموعة من الأطباء. لتشكولي حالتها المرضية كي أعالجها. عندما قيل لها إنني طبيب امتياز. وكنت ساعتها جالساً مع الطبيب المقيم والأخصائي والاستشاري في غرفة الأطباء. ظناً منها أنني طبيب ممتاز. ولم تدري أنني أشرح لأساتذتي حالة مرضية لمراجع كشفت عليه للتو في الإسعاف. وأنتظر رأيهم. وتوجيههم بما يروونه حيال تشخيصي للمريض. لأتعلم منهم. والمسكينة تعتقد أنني طبيب ممتاز. والشئ بالشئ يذكر. فكبار السن يكون حظهم من التعليم قليلاً. فينطقون أو يسمون بعض الأسماء بمفردات طريفة كما أسلفت. وأختم بقول كبيرة في السن سجلت اسمها في مدرسة ليلية لمحو الأمية. وعندما سُئلت أين تدرسين. قالت: أدرس في مدارس نحو الأمية.



ذكريات

يمضي وينتهي كل شيء مُعاش. إلى غير رجعة. إلا الذكريات. يبدأ الإحساس بجمالها. وحلاوتها يزداد بعد أن تُوغلَ في مضيتها أكثر فأكثر. كأن لم تكن مكاناً وزماناً. ويزداد استحضار واسترجاع تلك الذكريات بقوة وحضور فاعل عذب (لرجع صداها الحاكي) فالذكريات هي الذكريات عندما يتناول العهد والزمان بطيها. بُعداً. والنأي والمكان بحجبها فراقاً. كانت الذات فيه في قمة حبورها وسعادتها. لكنها كانت تحس وتحسب ما تعيشه من سعادة آنذاك. رتابة وروتينا. وتتطلع لما ترجوه وتظنه من سعادة في حاضر استقبل ومضى. أو حاضر تعيشه الآن، والمستقبل المرجو لهذا الحاضر. غير راغبة في التواصل الآن والمحسوس ساعتها. ورحمكما الله يا أمير الشعراء أحمد شوقي وفنان الأجيال محمد عبدالوهاب. فكم هي رائعة:

ياجارة الوادي طربت وعادني
ما يشبه الأحلام من ذكراكِ
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى
والذكريات صدى السنين الحاكي
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناكِ

وفي نهاية الثمانينيات من القرن الماضي ذهبت بصحبة أحد الأصدقاء إلى سوق الحمام في الرياض. بحثًا عن طفولتي. في شروخة أبوديك أو شمس النهار أو حمامة جميلة. فاستقبلتنا بائعة ذرية وملوسنة. فاستغربت آنذاك عن الرابط بين الطرايع والحريم. فالبائعة امرأة تتصرف بذراية وجرأة قل مثيلها. حتى عند بعض الرجال. وقد يكون سبب ما تتصف به من صفات خشنة. هو أنها تأثرت بطبيعة وخشونة ما تباع وبمن يبتاع منها. من صبية ورجال. فكأنها رجل في عباءة امرأة أو رجل تحول إلى امرأة. لا تؤثر على طبع الرجل فيها أو تطبع المرأة الذي هو في أول مراحلها. ولن يريد مشاهدة تلك المرأة العجيبة. فليذهب لسوق الحمام في الرياض. ويسأل عن امرأة إن كانت على قيد الحياة ولم تغير تجارتها. حيث كان مبسطها يتوسط محلات بيع الشروخة والطرايع. امرأة كانت في بداية الأربعينيات من عمرها قبل عقدين من الزمان أو يزيد كما قلت.



طبيبٌ ومديرٌ بينهما إحصائية

على وزن شاطر ومشطور بينهما كامخ. أتى العنوان أعلاه. فثمة كامخ. أعني إحصائية يهتم بها (معظم) مديري المستشفيات الحكومية. وجميع مديري (مُلاك) المستشفيات الأهلية والمستوصفات الخاصة. فكلما زاد عدد المرضى الذين كشف عليهم الطبيب وعالجهم. دل ذلك على إخلاص الطبيب وتفانيه. يسعد بها مديره. في المستشفى الحكومي. وقد يُعطيه خطاب شكر على ذلك. ليقوم المدير بالتفاخر بإحصائية الطبيب أمام الآخرين. وكل قطاع صحي لديه إحصاءات سنوية حول عدد المرضى المراجعين. وعدد المنومين منهم. وعدد من أجريت لهم عمليات جراحية ونحو ذلك. وإن كان الطبيب في مستشفى خاص أو أهلي. فإحصائية ذلك الطبيب هي التي تحدد تجديد عقده من عدمها. ويحدد استمرار الطبيب في عمله قبل الإحصائية أو بعدها. عدد تحويلات المختبر والأشعة وغيرهما من ذلك الطبيب. بل إن هناك اتفاقاً مع بعض الأطباء بأن كل شيء مقيد (ففتي ففتي) أي أن للطبيب أو للطبيبة نسبة من المختبر والأشعة. وحتى الصيدلية (الشرط أربعون. لنا عشرون ولكم عشرون) المهم يشد حيله. فإن وجد أن الطبيب أو الطبيبة مُقل في استعمال نماذج التحويل. كان ذلك بمثابة مؤشر على عدم تجديد العقد له أو لها. ولي زميل وصديق (إستشاري أطفال) تقاعد من العمل الحكومي بعد ثلاثين سنة من العمل المضني. وافتتح عيادة خاصة في حي متوسط المستوى. إلا أنه مكتظ بالسكان.

ولم يُنشئ مختبراً أو أشعة في عيادته. وعندما سألته عن السبب قال: إن التكلفة كبيرة. ولكي أُغطي التكلفة يجب تشغيلهما (المختبر والأشعة) لكل طفل وطفلة يُراجع العيادة. وهو ما يتعارض مع مبادئ وأخلاقيات المهنة (ميديكل إتيكس)، إضافة إلى أن معظم من يراجعني أشخاص حالاتهم بالفحص الإكلينيكي أو السريري، وما تدونه الممرضة من علامات حيوية (فايتال ساينز)، لأقوم بوصف الدواء وعلاجهم (كله تمام التمام)، فلم يراجعني طفل إلا وُشفي بإذن الله من الزيارة الأولى. بلا حاجة لمختبر أو أشعة. في أكثر من ٩٩٪ من حالات الأطفال التي تُراجع العيادة في الصباح والمساء. وهل تُصدق أن بعض الحالات تحتاج مني فقط إلى تطمين لذوي الطفل وبعض التوعية وإرشادات حول تغذية الأطفال ونحو ذلك.



إيدز وأمراض أخرى ١٩

لم يكن مرض الإيدز ضمن المقرر الدراسي أثناء دراستي للطب. ولا أزال أتذكر في نهاية ١٩٨٤ (سنة امتحانات تخرجي) كيف كان الأطباء يتحدثون عن مرض جديد آتٍ من أفريقيا، بدأ يغزو العالم. ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي أو نقل الدم. ويُحارب المناعة في جسم الإنسان، ويقضي عليها. أتفق على تسميته عالميًا بمرض نقص المناعة المكتسب. واختصارًا: إيدز. وفي أثناء دراستي الجامعية وبعد تخرجي منها وما بعدها وإلى الآن. يحلولي بين حين وآخر أن أتصفح في كتب ومناهج الطب، وأقارن بين طبقات حديثة وأخرى قديمة. فلا أجد اختلافًا إلا في جودة الورق وجدتها في الحديث. وعبق الماضي. في صفحات مليئة بالشروحات والتعليقات أو ترجمة ونحوه. تحكي عن مجهود قد بُذل. وذاكرات ليالٍ خوالٍ، كنت أسهرها في ماضٍ ذهب ولن يعود. أما المادة العلمية التي تحويها الكتب فتكاد تكون نفسها لأي طبعة تعود لخمسین سنة مضت أو طبعة ٢٠١٨. والتغيير إنما حدث في وسائل كثيرة لم تُتَح في زماننا. سهلت التحصيل العلمي والإبداع. رافقها بروز وازدياد في الأمراض (كمًا ونوعًا)، ومن الذاكرة (أيام الدراسة) كان هناك مرضان تناسليان، هما السيلان والزهري أو القنوريا والسفلس. كانا أخطر الأمراض التناسلية، التي تنتقل بالاتصال الجنسي. فيفتكان بالناس. خاصة قبل اكتشاف البنسلين. لدرجة أن أسئلة الامتحان تكون في أحد المرضين التناسليين (يا سيلان

يا زهري)، أو أن أحدهما للدور الأول، والآخر للدور الثاني. ولي ذكريات مع الاختبارات أو الامتحانات تستحق أن تُروى. لعلّي أرويها في سوانح قادمة. وأعود لصلب الموضوع. فمرض الزهري أو السفلس كان ذا ثلاث مراحل. فإن لم يبدأ العلاج في المرحلة الأولى انتقل المرض إلى المرحلة الثانية. تتبعها المرحلة الثالثة وهي الأخطر. وتنتهي بموت المريض. وكل مرحلة من المرض لها علاجها الذي تحدده شدة المرض. ولا أنسى في أثناء الدراسة الإكلينيكية أو السريرية مريضاً بالزهري أو السفلس في مرحلة المرض الثالثة، كان منوماً في المستشفى (ميوهسبنال في لاهور)، وقد تآكل غضروف أنفه، كما في الصور الموجودة في المقرر الدراسي. فيبدو الأنف كالمجدوع. وكان المريض شاباً صغيراً. إلا أنه يبدو في حالة مزرية. وهي مرحلة أخيرة للمرض وللمريض قبل موته. تُشبه إلى حد كبير هذه الأيام. مريض الإيدز في آخر أيامه. وكما أن اكتشاف البنسلين كان فتحاً لمكافحة السيلان والزهري وعلاجهما. فقد يتوصل العلم الحديث إلى علاج للقضاء على الإيدز. وحتى منع حدوثه. كما أوضحت نتيجة بحوث حديثة كلفت مليارات الدولارات. ولكن الأمراض الجديدة ستكون بالمرصاد لكل شاذ ومنحرف. أمراض لم تكن في أقوام قبلهم.



أطباء وإحصائيات

في كل قطاع صحي (خاص أو عام) يوجد لديهم إحصائيات سنوية. تُطبع أحياناً في كُتيبات وتوزع. حول عدد المرضى المراجعين. وعدد المنومين منهم. وعدد من أجريت لهم عمليات جراحية. ونحو ذلك. وثمة حقيقة مؤسفة. موجودة ومحسوسة. ويعرفها الجميع. أرجو وأتمنى أن تكون محدودة. لا ظاهرة. عندما يكون الطبيب في مستشفى خاص أو أهلي. فإحصائية ذلك الطبيب هي التي تحدد تجديد عقده من عدمها. وعند من ليس لديهم ذمة أو ضمير من مستثمرين في صحة الناس (مالبراكسس) تجد العجب العُجاب من بُعد عن أخلاقيات المهنة وضرب بقسم بوقراط عرض الحائط. وتفضيل التعاقد مع أطباء ذوي ذمة (ترقل) أو من لا يستطيعون مقاومة إغراء المال. بتعاقد (ففتي ففتي) أو الشرط أربعون لنا عشرون ولكم عشرون. وكل شي مقيد من مختبر وأشعة وحتى الصيدلية. أو كما يقول عادل إمام: (الحسابة بتحسب)، ويحدد استمرار الطبيب في عمله قبل الإحصائية أو بعدها. عدد تحويلات المختبر والأشعة وغيرهما من ذلك الطبيب. المهم يجب على الطبيب المتعاقد أن يشد حيله. ويسمع الكلام. فإن وُجد أن الطبيب أو الطبيبة مُقل في استعمال نماذج التحويل للمختبر والأشعة. كان ذلك بمثابة مؤشر على عدم تجديد العقد له أو لها. ولي زميل وصديق عزيز. استشاري أطفال. تقاعد من العمل الحكومي المضني بعد ربع قرن من الزمان أو يزيد. وافتتح عيادة خاصة في حي

متوسط المستوى. إلا أنه مكتظ بالسكان. ولم يُنشئ مختبرًا أو أشعة في عيادته. وعندما سألته لماذا لم تكمل عيادتك بمختبر وأشعة؟ قال: إن وجود مختبر وأشعة. يستدعي تشغيلهما لتغطية التكلفة. من كل طفل وطفلة يُراجع العيادة، (حتى إن لم يكن له داع)، وهو ما يتعارض مع مبادئ وأخلاقيات المهنة (ميداكل إيثكس)، إضافة إلى أن معظم من يراجعني أشخاص حالاتهم بالفحص الإكلينيكي أو السريري وما تدونه الممرضة من علامات حيوية (فايتال ساينز) لكل طفل وطفلة. لأقوم بوصف الدواء وعلاجهم (كله تمام التمام) فلم يراجعني طفل إلا وُشفي بإذن الله من الزيارة الأولى. بلا حاجة لمختبر أو أشعة. في أكثر من ٩٩٪ من حالات الأطفال التي تُراجع العيادة كل يوم. في الصباح والمساء. وهل تُصدق أن بعض الحالات تحتاج مني فقط إلى تطمين لذوي الطفل وإرشادات توعوية حول تغذية الأطفال ونحو ذلك. وفي بعض الأحيان. أقوم بإرجاع المئة ريال. قيمة الكشفية. وانتقل من موضوع الإحصائيات وأخلاقيات مهنة الطب. ولكن في الأسبوع القادم. .



وادي حنيفة!

ثمة مقولة (أظنها لأmir الشعراء أحمد شوقي) صيغة المقولة القديمة تقول: مصر هبة النيل. وأنا أقول (وأظنها قيلت من قبلي): الرياض هبة وادي حنيفة. ووادي حنيفة تاريخه موغل في القدم والروعة والأصالة. كروعة وأصالة مدينة الرياض. الذي استلم أميرها هذه الأيام جائزة عالمية بمناسبة الانتهاء من مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة. وهي جائزة الأغا خان العالمية للعمارة. ولا غرابة فخدام الحرمين الشريفين الملك سلمان حفظه الله هو مهندس كل إنجاز حضاري شهدته وتشهده مدينة الرياض. عندما كان أميراً لها، حفظه الله. وأكاد أجزم أن الحديث عن اليمامة والرياض يكون ناقصاً إن لم يرد ذكر وادي حنيفة وبأسهاب. ووادي حنيفة طوله ١٢٠ كلم، ويمتد من الشمال إلى الجنوب مائلاً قليلاً إلى الشرق وبدايته من (الحيسية)، وتطل عليه الكثير من القرى والضواحي. كسدوس والعيينة والعمارية وغيرها كثير. ومن يريد المزيد فليقم بضغطة على (الحبيب) قوغل واليوتيوب.

ومن الذاكرة أيضاً أقول: إن (الأولين) كانوا يرددون أيام مواسم الأمطار (وما أكثرها أيام زمان)، كانوا يرددون: (جا الوادي)، أي وادي حنيفة. ثلاث مرات في السنة أو أكثر. عندما يمتلئ وادي حنيفة، ويجري (هادراً) في مجراه الطبيعي. ووادي حنيفة تعرض لإهمال وجور من أهله في العقود والسنوات الأخيرة. إلى أن جاء المنقذ الملك سلمان ابن

عبدالعزیز حفظہ اللہ (عندما کان أمیرًا للریاض)، ووجه قبل سنوات
عدة بالبء بمشروع التأهیل البئی لواء حنیفة، تحت إشرافه إلى أن
انتهى هذه الأيام، کالكثیر من مشاريع التطویر والنماء، الذا تشهده مءینة
الریاض. وإهمال واءى حنیفة جاء متزامناً مع قلة الأمطار فی السنوات
الأخیره. فاءعوا الله معى أن یرزقنا الأمطار، ویفیث البلاد كى یعوء واءى
حنیفة لما كان علیه فی السابق واءیاً یحمل (السُقیا) لأنفسنا الذا أرهقها
الجفاف. وأختم ببیت شعر، أظنه للأمیر بدر بن عبدالمحسن یعبّر فیه عن
الشوق. یقول فیه:

مشتاق لك یاكل ما فی بلادى

زشوق الریاض لسیل واءى حنیفة



الطَّيْبَةُ وَزَامِرُ الْحَيِّ الَّذِي لَا يُطْرَبُ!

ثمة ظاهرة لاحظتها منذ سنين طويلة. بين الأطباء والطبيبات فيما يخص زواجهن (سعوديين وأجانب)، فقلة من الأطباء والطبيبات السعوديين. تجد بينهم أو منهم زوجًا وزوجة. بعكس الطبيب والطبيبة الأجانب تجدهما متزوجين، وقد يعملان في المنشأة الصحية نفسها جنبًا إلى جنب. والشواهد كثيرة على ذلك. وقد زاملت الكثير منهم. ولا أدري لماذا الطبيب والطبيبة السعوديان متنافران. وكل منهما متزوج من صاحب أو صاحبة مهنة أخرى. وفي الأغلب الأعم تكون زوجة الطبيب ربة بيت فقط. وقد يكون السبب أن زامر الحي لا يُطْرَب. أو (الشعيب تُحِب الغريب). ما علينا. وقلة من الأطباء من يعدد في زواجه. فيكتفي بواحدة. ولسان حاله يقول (عساها بحملها تثو)، وبصراحة أستغرب ذلك. وقد يكون السبب أن معظم الأطباء يتزوجون في سن متأخرة نسبيًا مقارنة بالمهن الأخرى. فتكون دراسة الطب وعملها قد أتت على نصف أو أكثر من شبابه. وما تبقى يكون نصيبًا لزوجته الأولى والوحيدة. فمن أين له بشباب وعمر. ليعطيه لثانية أو أكثر. وموضوع الزواج وتعدد أشكاله أصبح كل يوم يأتي بجديد. فمن زواج (الفرند) إلى زواج (الونس)، وهلم جرا. ليكون زواج المسيار موضحة قديمة. وهو في الواقع كذلك فالأولون يطلقون على زواج المسيار (يعرس على حرمة. على بيتها)، أي بيت العروس. فتتنازل العروس عن بعض حقوقها كالنفقة والمبيت والإشهار المتعارف عليه. وعمليًا

عندما يتزوج الطبيب فهو في الواقع كمن تزوج بأخرى. فمهنة الطب هي الضرة أو الجارة. التي ستجدها من تتزوج بطبيب. وما تبقى من سوانح أسدي نصعًا ودعابة وشعرًا لأنصار الحج متولي. فقد قال الأصمعي: قيل لأعرابي. من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش. فتزوج امرأتين ثم ندم. فأشدد يقول:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي	بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا	نعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسي	تداول بين أخبت ذئبتين
وألقي في المعيشة كل ضر	كذاك الضرب بين الضرتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى	عتاب دائم في الليلتين

ولشدة ما عاناه في تجربة الزواج من اثنتين أصبح من دعاة عدم الزواج بالمرّة. فاعتبروا يا زملاء المهنة ممن كان يُمني نفسه بأن يكون ملك زمانه أو سي السيد. فأصبح خروفاً بين ذئبتين.



لوزتان وآيسكريم

ثمة حقيقة فيما يخص استئصال اللحمية واللوز. وهي أن توقيع إقرار العملية يُكتب فيه استئصال اللحمية، واحتمال استئصال اللوزتين (أدينويد. كويري. تسلكتومي)، والسبب أن وضع المريض تحت تأثير البنج العام تُمكن الجراح من فحص اللوزتين جيدًا. فإن بدت اللوزتان بحالة جيدة، وليس بهما أي علامة للالتهاب المزمن من بؤر صديدية ونحوه. يتم الإبقاء عليهما. والاكتفاء باستئصال اللحمية فقط. وإن بدا عليهما الالتهاب المزمن. كأن تحويان بؤرًا صديدية، وتفرزان صديدًا من حين لآخر. يتم استئصالهما مع اللحمية. ولا أبالغ إن قلت: إن التهاب الحلق واللوز هما أكثر الأمراض التي يكشف عليها، ويشخصها ويعالجها طبيب الحنجرة وطبيب الأطفال والطبيب العام أو طبيب الأسرة. بالنسبة للمرضى من صفار السن. ولو عملت دراسة (سريفة)، وشملت أيضًا الصيدليات الخاصة. لوجد أن أكثر العلاجات المصروفة (بوصفة طبية ودون وصفة) هي لعلاج التهابات الحلق واللوز. وصرف المضادات الحيوية وغيرها من أدوية دون وصفة طبية أشبعت طرْحًا ونقاشًا. ما علينا. واسألوا من التهبت حلوَقهم من عامة الناس. ماذا تذكرهم كلمة أو دواء أموكسيل. كبسولات وشراب. وكيف يحصلون عليها متى شاءوا من أي صيدلية خاصة. إلا أن هذه قضية أخرى. وأعود إلى عمل الأطباء. فلو عملت دراسة في كل تخصص طبي، وما يراه الطبيب والطبيبة في عياداتهم يوميًا. لبرزت بعض الأمراض أكثر

من غيرها. كأن نرى مرض السكر في عيادات الباطنية والغدد. والاكتئاب لدى الطبيب النفسي، والتسوس عند طبيب الأسنان، وهكذا. ومن نافلة القول. أقول: إن التهاب الحلق واللوزتين لدى الصغار والكبار بصفة عامة. ولتبسيط الأمر لدى القارئ العزيز. ينقسم إلى نوعين. التهاب بكتيري يجب فيه استعمال المضاد الحيوي. بعد فحص الحنجرة وأخذ مسحة (سواب) من الحلق وإرسالها للمختبر لتحديد نوع البكتيريا، ونوع المضاد الحيوي المناسب. أو التهاب فيروسي لا يحتاج المريض إلى مضاد حيوي لعلاج. بل قد يضره. والعلاج يكون تحفظياً (كونزيفتف) للأعراض. إلى أن يأخذ الفيروس دورته في الجسم، وينتهي. كالعديد من الأمراض الفيروسية. وفي الأخير أقول: إن هناك ثمة مفارقة أقف عندها لأختم سوانح. فكل طفل يشتكي من التهاب مزمن في اللحمية واللوزتين. يُمنع من تناول كل شيء بارد. وبالذات الآيس كريم. وعندما يفيق من البنج بعد استئصال اللحمية واللوزتين يكون في انتظاره آيس كريم شهى. كأول ما يتناوله بعد إفاقة من البنج. فأقول للأمهات والآباء الذين يستغيرون ذلك. أن السبب في برودة الآيس كريم. حيث تؤدي البرودة إلى انقباض في الأوعية الدموية في الحلق. فتساعد على إيقاف النزف في مكان العملية إن وجد.



إنسولين رؤوس وكراعين ١٩

في العراق ودول الخليج العربي والمنطقة الشرقية. يُطلقون تسمية (باجه)، ونطقها بين الجيم والشين. على أكلة يتم إعدادها من رؤوس الخرفان والтийوس. وأعتقد أن المقادم أو الكراعين. تدخل أيضًا في مكونات الباجه. وفي مصر والحجاز يُطلقون تسمية نيفا أو نيفة على لحمة الرأس المطبوخة. والرؤوس والمقادم (النية والمطبوخة) هما محور هذه السانحة. والكرشة أيضًا لها نصيب. سيأتي في النهاية. ما علينا. فقبل عقدين من الزمان أو يزيد كُلفت بالعمل مُشرفًا على مركز صحي (دسبنسري)، لا يبعد كثيرًا عن حي الحلة. في الرياض. حيث ينشط باعة الرؤوس والكروش والكراعين (نية ومطبوخة)، بجانب الفوال الشهير (أبو دحدح) الذي أصبح أثرًا بعد عين. وكان عاملو المركز الصحي يتكونون من بضعة أطباء وصيديلين وممرض، لا يبرح غرفة الضماد الصغيرة. مع أنني شاهدته عند دخول شهر رمضان يدخل الصيدلية ويخرج منها. مرات عدة. وهو يتلفت يمينة ويسرة. موحياً لمن يراه وكأنه يُخفي أو يُضمر شيئاً يخشى افتضاحه. وبجانب عيادتي كانت تقع الصيدلية التي تحتل أكبر عُرف المركز الصحي (المستأجر طبعا)، وكنت متعوداً كل صباح (بعد حضور الصيدلي والممرض) أن أدخل الصيدلية. وأفتح الثلاجة للتأكد من وجود بعض الأدوية. التي لا يصح حفظها وتخزينها إلا في الثلاجة. وأهماها الإنسولين. لمرضى السكري الكثر، الذين يراجعون عيادة المركز الصحي. وذات صباح (رمضاني)

لا يُنسى. وبعد دخول الصيدلية قمت بفتح الثلاجة الكلفيناتور الكبيرة كما تعودت. التي نضع فيها بعض الأدوية. وأهمها الإنسولين كما ذكرت. وفي (فريزر) الثلاجة هالني ما رأيت وما وجدت. وهي ثلاثة أشياء ليس لها علاقة بالطب ومركزنا الصحي. فقد كانت عدة أكياس ورقية، تحوي رؤوساً وكروشاً عدة، وشيئاً من (كراعين قليلة)، لحظتها ارتسم في ذهني الممرض، الذي رأيته يزور الصيدلية خلسة. فاستدعيته. ولأنه (كاد المريب يقول خذوني) اعترف، وقال قبل أن أسأله ما يلي: والله يا دكتور نحن في رمضان. وأنا أحب شوربة الكرشة والرؤوس (اللسان) والمقادام. والحلة تقع في الطريق بين بيتي والعمل. وعندما أتسحر أنتظر قليلاً لأصلي الفجر. بعدها يبقى لدي ساعتان أو أقل لبداية الدوام (التاسعة صباحاً) أذهب في أثنائها للحلة، فأشتري بعض الكروش والرؤوس والمقادام (الطازجة لزوم الإفطار)، وأتوجه لعملي في المركز. وثلاجة الصيدلية الكلفيناتور كبيرة يا دكتور، وتستوعب (بجانب الإنسولين) ما اشتريته من رؤوس وكروش ومقادام. التي لو وضعتها في غرفة الضماد. حيث لا توجد ثلاجة لفسدت في أثناء ساعات الدوام. وعملي كما تعلم ورديات لثمان ساعات. فأرجو أن تسامحني يا دكتور. وحبذا لو تضعون في غرفة الضماد ثلاجة. كثلاجة الصيدلية الكلفيناتور كبيرة الحجم. أو يتم نقل ثلاجة الصيدلية لغرفة الضماد.



التمر والـ (جنق فوود) ١٩

ثمة علاقة وثيقة بين درجة حرارة الجو وما نأكله من طعام. وأكاد أستحضر من ذاكرتي وأرى بين السطور ما كنا نأكله نحن الأطفال أيام زمان من (حنيني) أيام الشتاء وقبل ذهابنا للمدارس. بعد أن يقمن نساء المنزل بإعداده (الحنيني) من التمر والقرصان والزبدة. بعد صلاة الفجر. وأكاد أجزم أن بعض شابات ونساء هذه الأيام لم يذقن أو يعرفن ما هو (الحنيني)، فما بالكم بإعداده لرب العائلة وأطفاله أيام الشتاء. ما علينا. والعامة تقول: إن فصل (المربعانية) عندما توشك على الانتهاء توصي الفصل الذي بعدها (الشبط) قائلة: عليك باللي لبسه خفيف وأكله (دويف) واتركي اللي ناره سمر وأكله تمر. و(الدويف) على ما أظن طعام رديء آنذاك، ليس فيه سعرات حرارية كافية. أي لا يغني ولا يسمن من جوع. ويقابله هذه الأيام ما يسميه خبراء التغذية بالـ (جنق فوود) أين منه التمر؟ الذي يعده العربي غذاءً كاملاً، إذا تناولته في الشتاء وأنت تستدقّ بنار وقودها السمر. وأعود إلى (الشبط) التي يوشك نوؤها الأول على الانتهاء. وهو نوء النعائم. الذي برده يصحي النائم، كما تقول العامة أيضاً، ومن الطبيعي أن برودة الجو تفتح الشهية للأكل. وتضطرّك للبس الثقيل من الملابس. والجو الحار يجعلك تكتفي بأقل القليل من الأكل. فلا سعرات (أو كالوري) يحتاجها جسمك لتوليد طاقة. وحرارة الجو تكتّم على نفسك وأونفسك. تاركة معدتك في حيرة، كيف تهضم ما بها من طعام، مهما كان

قليلاً. والخفيف من اللبس الذي تضطر لتغييره في اليوم عدة مرات. وعن نفسي أقول: إنني أفضل الصيف على أي حال. لخفته وقلة مؤنثته من لبس وأكل ونحوهما. أيضاً لأنه لا سمر يوقد ولا حنيني يولم. وبمناسبة الحديث عن الحنيني هناك قصة تُروى عن طفلين صديقين أحدهما ولد أثرياء لا تسمح له أمه بالخروج من المنزل، إلا بعدما يشبع من الحنيني، ويلبس (الجوخ) رأى صديقه الفقير رث الملابس ذات يوم شتاء. وهو يرتجف من الجوع والبرد. قال له ببراءة الأطفال: (ليش ما تروح لأمك توكلك حنيني وتلبسك جوخ).





البرحية



في التمر (١-٣) مسامير الركب والجصة؟

أكاد أجزم بأن العرب هم أكثر الشعوب اعتمادًا على النخلة ومحصولها من الرطب والتمر في غذائهم اليومي، وثمة مثلاًن أو مقولتان عن التمر: الأولى: تمتدح أهمية التمر الغذائية وفائدته للجسم، فيصفون التمر بأنه مسامير الركب

Knee joints nails or nails of theknee jointS

وهو مثل يعرفه كبار السن جيداً وفي نجد بالذات لارتباط الركب (وقوتها) بأي مجهود بدني يُراد بذله. والمقولة الثانية عند كبار السن أيضاً تقول: إن التمر (ما يلحس) أي أن التمر لا يتأثر بأي شيء يختلط به، أو يمر عليه من حشرات وهوام في النخلة، أو في أثناء تخزينه في المنزل، حتى ولو كانت تحمل وتبث السم الزُعاف، فلا يفسد التمر أو يتسمم كبقية الأغذية. ويحضرني أحد كبار السن ذهب لمصر فوجدهم يأكلون المش (بدوده)، فتذكر أنه كان يأكل التمر، وفيه (سرو يتحرك). والسرو دودة صغيرة ورفيعه، رأيته بالفعل منذ سنين طويلة، تخرج من ثمرة رديئة النوع، وأشبهها بدودة (الأسكارس لمبريكويدس)، ووجود (السرو) في التمر الحشَف، كان يتناسب مع قلة ذات اليد، وتواضع المستوى المعيشي في منازل ومطابخ أيام زمان. ما علينا. ولعل من نافلة القول: إننا نعيش هذه السنة والعالم الماضي تزامن رمضان الكريم مع موسم توفر الرطب ونزوله

للأسواق، فبحمدٍ من الله تجد موائد الإفطار هذه الأيام عامرة بشتى أنواع الرطب. والحديث عن التمر حديث ذو شجون، وكبار السن ومن يسكنهم حب الماضي مثلي لا شك يذكرون مكاناً مهماً في المنزل الطيني أيام زمان، يُسمى الجصة. حيث يتم تخزين التمر، وهو مخزون إستراتيجي، لأن التمر هو الغذاء الأهم والرئيس لسكان المنزل كباراً وصغاراً، والجصة أيام زمان لا يمتلكها إلا من هو ميسور الحال، وفي سعة من العيش. فيتمكن بجانب التمر (من الجصة) من تأمين اللبن من شاة أو عنز، يتم تربيتها في حوش المنزل الطيني، وزوجة الثري آنذاك يكون لديهم بقرة حلوب في حوش المنزل الطيني، وقليلٌ ما هم، وتقفير اللحم في مواسم الأضاحي: لحم مقدد، ليؤكل بقية السنة، فإن لم يكن هناك قفر، فيكون مصدر البروتين مما تقيء به السماء من جراد، يتم صيده وطبخه بالماء والملح، وسبق لي وغيري أيضاً أن سميت الجراد: الريبان الطائر، وأعود للجصة فقد أعجبنى قول النوخذة، وهو قارئ متابع لكتاب جريدة الرياض عندما قال معلقاً على سوانح ماضية عن التمر، قال: النوخذة من الدمام: حط التمر الخلاص بالجصة، والمفتاح أودعه حصة.



في التمر (٢-٣) ١٩

ألمحت مداعباً في سوانح ماضية: إلى أن التمر أيام زمان كان يعيش في بعضه دودة صغيرة ورفيعة (سرو)، فعلق قارىء متابع لسوانح عبر الإيميل، قائلاً: إن أمه رحمها الله كانت توصيهم هو وأخوته: بأن لا يفتحوا التمرة قبل أكلها. بل يقوموا بأكلها مباشرة بعد التسمية بالله. لأنهم إن فتحوا التمرة قد يجدوا سرواً منغمساً في التمرة، أو متعلقاً حول الفصمة، ينهش ويحضر فيها. (وعييناته تلاقط)، وبذلك قد يرمون التمرة وعدم أكلها. خوفاً واشمئزاً من السرو. وهي خسارة (حسوفة) بمقاييس ذلك الزمان. فالأسلم أن يقوموا بمضغها وأكلها بما تحويه، ورمي (الفصمة) فقط. فإن كان في التمرة سرو لن يضر بإذن الله، وسيتم هضمه. وبعد هذه المقدمة أنتقل لبعض الكلام الجاد عن التركيب الصيدلاني للتمر من إعداد اللجنة العلمية بالجمعية الصيدلانية السعودية. وأبدأه حيث ابتدأ التقرير بأن الصائم يستنفد في نهاره عادة معظم وقود جسده. أي يستنفد السكر المكتنز في خلايا جسمه. وهبوط نسبة السكر في الدم عن حدها المعتاد، هو الذي يسبب ما يشعر به الصائم من ضعف. لذا كان من الضروري أن نمّد أجسامنا بمقدار وافر من السكر ساعة الإفطار. فالصائم الذي فقد شيئاً من قوته في أواخر يوم صيامه. تعود إليه قواه سريعاً، ويدب النشاط إلى جسمه في أقل من ساعة، إذا اقتصر في إفطاره على المواد السكرية يوضع تمرات مع كأس ماء أو كأس حليب. وبعد ساعة يقوم الصائم إلى

تناول عشائه المعتاد. ولهذا النمط من الإفطار فوائد كثيرة، منها: ١. تناول الرطب أو التمر عند بدء الإفطار يزود الجسم بنسبة كبيرة من المواد السكرية، فتزول أعراض نقص السكر، ويتنشط الجسم. ٢. إن خلو المعدة والأمعاء من الطعام يجعلهما قادرين على امتصاص هذه المواد السكرية البسيطة بسرعة كبيرة. ٣. إن احتواء التمر والرطب على المواد السكرية في صورة كيميائية بسيطة، يجعل عملية هضمها سهلة جداً. لأن ثلثي المادة السكرية الموجودة في التمر تكون على صورة كيميائية بسيطة. وهكذا يرتفع مستوى سكر الدم في وقت وجيز. ٤. إن المعدة لا تُرهق بما يقدم إليها من غذاء دسم وفير. بعد أن كانت هاجعة ومحرومة من الطعام طوال خمس عشرة ساعة تقريباً. لتبدأ المعدة عملها بالتدريج في هضم التمر السهل الامتصاص. ثم بعد نصف ساعة يقدم إليها الإفطار المعتاد. فلا يصاب الصائم بالتخمة. وهنا أقف عن الكلام المباح.



في التمر (٣-٣)

أبدأ سوانح بمرعايدكم بعيد الفطر السعيد، ولو أنها متأخرة. وعذري للحديث عن التمر حتى بعد انتهاء رمضان. هو أن الكثير منا يصومون ستة أيام من شهر شوال الذي نعيشه هذه الأيام. «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(١). كما صح عن رسول الله ﷺ وأبدأ حديثي عن التمر بالقول: إنني من محبي نوع الصقعي قديماً وحديثاً. وقد يكون سر لذة تمر الصقعي وشهرته ما يحويه معظمه من (سراوه) أيام زمان. فتضفي على طعم الصقعي اللذيذ طعماً مختلفاً ونكهة مميزة. ولا يزال يُعجبنى تمر الصقعي النظيف والمُعد جيداً هذه الأيام. ولكنني افتقدت تلك النكهة المميزة لصقعي أيام زمان. بالرغم من استبدال (الفصمة) بنوع فاخر من المكسرات. ما علينا. فأننتقل للكلام الجاد، حيث نهاية سوانح الماضية عن فوائد التمر للصائم وللمرأة. وفائدته للمرأة في أثناء الحمل والمخاض والإرضاع. فالتمر يحتوي على مادة تشبه هرمون الأوكسيتوسين. الوثيق الصلة بالمرأة الحامل والمرضع والنفساء. وزيادة قدرتها على تخزين هرمون الأوكسيتوسين. كما أنها تزيد من المستقبلات التي تستقبل هرمون الأوكسيتوسين والموجودة في عضلة الرحم وفي الخلايا العضلية الظهارية المحيطة بقنوات الحليب في الثدي. وما إن يبدأ المخاض حتى يفرز الأوكسيتوسين من مخازنه في الغدة

(١) أخرجه مسلم (٨٢٢/٢) رقم (١١٦٤).

النخامية بكميات عالية. ويتحد مع مستقبلاته الموجودة في الرحم، وفي الخلايا العضلية الظهرية المحيطة بقنوات الحليب في الثدي. تمامًا كما يتحد المفتاح بقفله ويتطابق معه. ولا يتوقف تأثير هرمون الأوكسيتوسين على ذلك. فالرحم الذي تمدد خلال تسعة شهور من الحمل، ليستوعب ما مجموعه اثني عشر كيلو جراماً من وزن الجنين والمشيمة والسوائل الملحقة بهما. يجب أن يعود إلى حجمه الطبيعي. الذي يعادل حجم حبة الكمثرى. ولا يكون ذلك إلا بانقباض ألياف الرحم التدريجي المتتالي، تحت تأثير هرمون الأوكسيتوسين. الموجودة في التمر. وبهذا نعرف لماذا جعل الله تعالى غذاء السيدة مريم العذراء. الرطب فقط من الغذاء. إذ قال تعالى:

﴿فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤﴾ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ وَجْجَ النَّخْلَةِ
سُقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبْتِ إِذَا تُفْعَلُونَ
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: ٢٣-٢٦).



في التمر المرة الأخيرة

ثمة حقيقة كان يُريدها مني قراء أعزاء، وهي الإسهاب في الحديث عن التمر. فمن قارئ يستغرب (ويبتقزز) من وجود (السرو) في التمر وبالذات نوع الصقعي. وقال: إن السرو يوجد في القرع، ولا يوجد في التمر. إلى النوخذة من الدمام. وهو قارئ متابع لكتاب جريدة الرياض. ومشهور علق على سوانح ماضية عن التمر المكنوز أو المطروق بوصف جميل. عندما قال النوخذة الذي يسكن بالقرب من الأحساء. حيث الخلاص الفاخر. قال النوخذة من الدمام: حط التمر الخلاص بالجصة. والمفتاح أودعه حصة. ما علينا. فقد بدأت الحديث عن الرطب في بداية رمضان (مع طباخ التمر)، لينتهي مع سوانح حيث نعيش موسم سهيل (وتلمس التمر في الليل)، وفي سوانح ماضية كان الحديث عن أهمية التمر للمرأة الحامل والنفساء والمرضع. لاحتواء التمر على مادة تشبه هرمون الأوكسيتوسين. حيث استعنت بتقرير علمي عن التمر من إعداد اللجنة العلمية للجمعية الصيدلانية السعودية. فأكمل الحديث الجاد عن التمر بالنسبة للرجل. فقد اكتشف العلماء أن هرمون الأوكسيتوسين له تأثير عظيم عند الرجال أيضاً. فهو المسؤول عن رقة القلب والحنان والعطف والحب والإحساس المرهف ولين العريكة والطبع. وإرهاق الفؤاد. ورقته وطيبته ولينه لدى الرجال. وهو المسؤول عن الحنان والعطف اللذين يظهرهما الرجل تجاه أطفاله. والتمر ليس فقط مخزناً لهذه الهرمونات. بل إنه يحتوي على

عنصرين نادرين غاية في الأهمية. ألا وهما المغنيسيوم الذي يعرف باسم (المهدىء) والمنجنيز الذي يعرف باسم: عنصر الحب. وحاز هذا اللقب بجدارة. لأنه وجد أنه يعمل على تهدئة الجهاز العصبي، ومنع توتره وهياجه. كما أن له تأثيراً مليئاً على المفاصل والأربطة، (مسامير الركب)، إذ وجد أنه يزيد من المرونة والليونة والتلين في كل من الأعصاب المحيطة. والعضلات. والأربطة والمفاصل. والأوتار العضلية. والأنسجة المحيطة. كما أنه يؤثر على الغدد الموجودة في الجسم بما فيها الغدد الصماء التي تفرز الهرمونات. وما لهذه الهرمونات من وظائف حيوية في جسم الرجل.



في الفحولة؟!

هناك دولتان تشتهران بتجارة الكافيار. هما روسيا وإيران. وفي سوانح ماضية كان الحديث عن الجراد. قارنت فيه بين جرادة (المكن) التي كنا نأكلها في الماضي. وبين الريبان وحتى الكافيار، الذي هو في الواقع بيض السمك. وعامة الناس وخاصتهم يعرفون أو يروجون لقيمة الريبان والكافيار في تقوية الباءة. والأولون من العامة يعتقدون بمفعول الجراد في تلك التقوية. إلا أن الموضوع يحتاج إلى دراسة مقارنة بين الاثنين. وأرى أن الموضوع يصلح لأن يكون أطروحة لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه. وثمة حقيقتان فيما يتعلق بالعجز الجنسي: الأولى: أن من يعاني منه أي العجز الجنسي. مريضاً كان أو كبيراً في السن. لا يمل من طرق كل وسيلة لاستعادة ما فقدته من قوة. والحقيقة الثانية: أن العجز والضعف الجنسي يستغلها من يريد الثراء من دجالين، وحتى أطباء. فيصفون أشياء قد تكون سامة وقاتلة لمن يستخدمها من سذج، يريدون أن يستعيدوا أمجاداً ماضية، عندما كانوا في العشرين أو الثلاثين من أعمارهم. وقد يتزوج أحدهم وقد تعدى السبعين من عمره شابة صغيرة من بلده أو من بلاد خارجية فقيرة. ممنيّاً نفسه بأن يستعيد شبابه، بما وصف له من أدوية من أحد العطارين، مع أن المثل يقول: (لا يصلح العطار ما أفسد الدهر). وفي الآونة الأخيرة انتشرت إعلانات القنوات الفضائية عن المقويات الجنسية. بعضها وقح ويغش الحياء. وفي إحدى تلك القنوات رأيت إعلاناً لدواء لا أذكر

اسمه، كي لا يحسب إعلاناً. رأيت كهلاً وقد استخدمه. وحوله حسناوات متبرجات، يطلبن وده. ليجذبوا السذج من الرجال لبضاعته تلك. والعامل النفسي مهم جداً في قوة الرجل الجنسية أو ضعفها. وأذكر أحد الأطباء أتاه كهل يشتكي من ضعف في قوته. أعطاه حبوباً تسمى (بلاسيبو)، لا تضر ولا تنفع (شوقر كووتد)، أو مجموعة فيتامينات ضعيفة المفعول. وبعد عدة أيام أتى المريض ليشكر الطبيب على تلك الحبوب المقوية، التي أتت بنتيجة إيجابية بعد استعمالها. ومن أول حبة كما يقول. وفي الأخير أقول: ويل لمن هو في السبعين من عمره من زوجة جديدة في العشرين من عمرها.



نتيجة المختبر ١٩

ثمة صورة من الماضي. أبدأ بها سوانح. صورة لنساء كُنَّ يتجمعن عند مدخل مستشفى الشميسي. ومدخل مستوصف الفوطة. وهن يبعن. قوارير صغيرة. لزوم التحاليل. ومن المؤكد أنهن لم يسمعن عن وجود وزارة للعمل تمنع أو تسمح لهن بممارسة ذلك النشاط. فعصرهن تزامن مع ازدهار عصر وتجارة بائعات (البيزه) والطواقي. في أُشيقر وسوق السدرة. وبعدهما سوق الكباري. فتأملوا تلك الأسامي لأسواقٍ سادت ثم بادت. ما علينا. وسأختم سوانح اليوم بقصة طريفة حدثت لأحدهم، عندما اشترى قارورة صغيرة. من إحداهن. وثمة حقيقة فيما يخص الخدمات الصحية لسكان وأهل الرياض فيما مضى. وهي أن التطبيب والعلاج يكاد ينحصر في صرحين طبيين عملاقين آنذاك. وهما المستشفى الشميسي ومستوصف الفوطة. أما العلاج بمقابل مادي ففي عيادات في عمارة الباخرة وشارع الوزير. ولا يهون الدختور الرخاوي. الذي قال فيه أحد العشاق المتيمين، بعد أن هجرته حبيبته: علتي حار فيها الدختور الرخاوي. وفي عمارة الباخرة وشارع الوزير. كنا عندما نقرأ تحت اسم الطبيب كلمة بكالوريوس طب وجراحة. نظن أن هذا الطبيب قد حاز من العلم أعلى الشهادات. ولم يخطر لنا في بال أنه سيأتي حين من الدهر تكون فيه البكالوريوس لا تسمن ولا تُغني من جوع. خاصة في الطب. وأنتقل لأصف ما هو مرتبط بذاكرتنا نحن الكهول وكبار السن. فمستشفى الشميسي يتم

تطويره وإضافة توسعات وأبراج إليه. من آن لآخر. فهو بحق يعد مرجعاً علاجياً وتعليمياً. أما مستوصف الفوطة. فهو واقف يُصارع الزمن. ولسان حاله وحالنا عندما نراه. يردد: أبكي على ما جرى لي يا هلي. فمن يُريد جُرعة من الشجن، وتذكر صدى السنين الحاكي. فليمر به، ولينظر إليه، وإلى (بخشة) الفوطة أمامه. ما علينا. فأعود كما وعدتكم. لأختم سوانح بقصة تُروى عن رجل متين وذو كرش، شبيهاً بامرأة حامل في شهرها الأخير. قام بمراجعة الطبيب. فطلب منه الطبيب عينة للبول لتحليلها. وعند خروجه من عيادة الطبيب والمستشفى. اشترى قارورة صغيرة من إحدى البائعات السالف ذكرهن، وقام بتعبئتها بالعينة المطلوبة. إلا أنه نسي القارورة في الحمام. وتصادف دخول زوجته بعده. فأسقطت القارورة على الأرض من غير أن تشعر. فخافت من زوجها إن هي أخبرته. فقامت بتعبئة القارورة بمعرفتها، وأرجعتها في المكان نفسه. ليأتي الزوج ويأخذ القارورة لمختبر المستشفى، كما طلب منه الطبيب المعالج. وبعد يومين أو ثلاثة عاد لأخذ النتيجة من المختبر. فإذا نتيجة الفحص تُشير إلى أنه حامل. فاستغرب وأُسقط في يده. وعاد لمنزله مهموماً لا ينام الليل. وربط بين نتيجة الفحص وكرشه الكبيرة، (كاد المُريب أن يقول خذوني).



قولون وخمسة (أرناق)!

هناك بعض الأمراض يراجع فيها المريض أكثر من تخصص. ولا أجد مرضًا ينطبق عليه هذا الوصف: كمرض القولون العصبي. واسألوا أطباء الباطنية والأمراض النفسية. والقولون العصبي (أي بي إس) مرض يؤدي إلى أعراض معينة ونقيضها. كأن يعاني المريض من نوبة إسهال يعقبها إمساك. ناهيك عن الغازات في الحالتين، وهكذا. ومريض القولون العصبي طبيب نفسه، فهناك أغذية تثير القولون أو تجعله عصبياً، وأخرى متسامحة مع ذلك القولون. ولكن صدقوني أن العامل الأول والأخير هو نفسي. فمن كان (باله مرتاحاً) حتى لو أكل (مفطحاً) إليته تقطر دهنًا، وأعقبه بدلة قهوة مبهرة وإبريق شاي (مخدر)، فلن يثور عليه القولون العصبي. وسينام ليله قرير العين. ويؤيد ما أقول أن علاج القولون العصبي الشهير (لبركس) خلطة تتكون من منظم للجهاز الهضمي ومهدئ (كولينرجك وسيديتف)، والقهوة أشتهرت عند الجميع بأنها (تشرح خاطر وتجلي الهموم)، والشعر النبطي يحفل بالكثير من الشعر الذي يصف القهوة ويمتدحها، ولعل أشهر ما قيل في القهوة قصيدة محمد القاضي المشهورة، التي يقول في مطلعها:

يا من لقلب كل ما التم الإشفاق

من العام الأول به دواكيك وخفوق

والقصيدة طويلة وجميلة، وأختمها أو أذكر منها ما له علاقة بالقولون العصبي. عندما يقول الشاعر:

زله على وضحا بها خمسة أرناق
هيل ومسمار بالأسباب مسحوق

مع زعفرانٍ والشمطري إلى انساق
والعنبر الغالي على الطاق مطبوق

وخمسة (الارناق)، وهي الهيل والمسمار والشمطري (الذي لا أعرفه) والعنبر الغالي مع حبوب البن المحموسة (بالمحماس)، هي التي كانت تشرح خاطر، وتعديل الكيف في الماضي، وتثير القولون العصبي هذه الأيام. وعلمياً تقوم مادة الكافيين التي هي إحدى مكونات القهوة والشاي والشوكولاته بتحفيز المخ والأعصاب، وتوسيع الشعب الهوائية، فينشرح خاطر من يتناولها، كما قال الشاعر القاضي في الماضي، وتثير أو تهيج القولون العصبي في الحاضر.



بلهارس في الغيط؟

في عام ١٨٥١ ميلادية تم اكتشاف دودة البلهارسيا في مصر لأول مرة. بواسطة العالم بلهارس. ومن هنا أتى اسم المرض الذي تسببه تلك الدودة بـ: بلهارسيا. وثمة حقيقة يعرفها الكثير. وهي أن الفنان المعروف عبدالحليم حافظ كان يعاني من مرض البلهارسيا ومات بسببه. بعد أن وصلت البلهارسيا إلى كبده مسببة تليفاً في الكبد، لا ينفع معه إلا زراعة كبد جديدة. ولا أنسى مقابلة تلفزيونية قبل وفات عبدالحليم بقليل. ومنذ أربعة عقود أو تزيد. وكيف كان العنديل نادماً على أمرين كان يفعلهما: الأول: السباحة في الترع. والثاني: قيامه (بالتزويج)، أي الهروب وعدم أخذ الحقن اللازمة لعلاج البلهارسيا. وفي جريدة الرياض ليوم الإثنين ١٦ شوال طالعنا بخبر أعده جيداً. بل إنجازاً لمكافحة مرض البلهارسيا. حيث دعت وزارة الداخلية كافة الوافدين العاملين في مجال الرعي والزراعة. إلى إرفاق شهادة فحص البلهارسيا ضمن الوثائق المطلوبة عند إصدار أو تجديد الإقامة. ومرض البلهارسيا ينتقل إلى من (يستحم) أو يتسبح بالعامية في مياه المستنقعات والترع والأنهار. أو من يغسل الملابس في الترع والأنهار. أو من يشرب المياه الملوثة بالسركاريا. حيث تخترق السركاريا أغشية الفم إلى مجرى الدم. ولكن إذا ابتلعت السركاريا فإنها تموت بفعل العصارة الهضمية. وليعذرني القاريء الكريم لذكري مفردة السركاريا التي قد لا يعرفها. وأقول: إن السركاريا هي ببساطة ما ينتج

عندما يتفوط إنسان (طمل)، ومصاب بالمرض في الترع أو الغيط، كما يقول صعايدة مصر الحبيبة. وهو مرض منتشر في مصر بشكل كبير. خاصة بين الفلاحين ومن يستحمون في الترع والأنهار. وبالعودة للتاريخ والترصد الوبائي نجد أن البلهارسيا قد انتقلت من مصر إلى اليمن عن طريق الجنود المصريين قبل أربعين سنة أو تزيد. وتاريخياً أو أماكن انتشار المرض. فإن هذه الديدان منتشرة في غرب وشمال وشرق أفريقيا. كما توجد في أمريكا اللاتينية. وما أريد التركيز عليه في سوانح هي البلهارسيا البولية (شيسيتوسوما هيماتويوم)، وعَرَضُها التشخيصي الرئيس وجود دم في البول. وهي منتشرة بشكل كبير في مصر. لدرجة أن أحد المرضى عندما سأله الطبيب: هل لديك دم في البول؟ قال المريض للطبيب: طبعاً. ظناً منه أن جميع الناس لديهم دم يخرج مع البول. لكثرة المصابين بالبلهارسيا هناك. وأختم سوانح بالتذكير بما ذكرته جريدة الرياض: من اشتراط فحص البلهارسيا على العاملين في مجالي الرعي والزراعة. وهو إجراء يأتي ضمن المشروع الوطني للقضاء على مرض البلهارسيا في المملكة. فلهم مني التحية والشكر والتقدير على هذا الإجراء الوقائي والواعي. فهكذا تكون القرارات الصائبة. وإلا فلا. قرارات وإجراءات تتلمس مصلحة الوطن والمواطن وحفظهما.



قلوب مثقوبة!

حدثني من أثق به طبيب عربي متعاقد عن حادثة في بلده، وقبل المجيء للمملكة. مات فيها شاب صغير أمام زملائه في الملعب. في أثناء لعبه لكرة القدم. حيث اشترك هذا الطبيب في اللجنة التي تولت التحقيق في أسباب الوفاة. وفي ملف القضية. استغرب الطبيب وجود تقرير طبي قبل الوفاة بأن الشاب المتوفى سليم من الأمراض وقلبه سليم. ويتحمل أي مجهود يُبذل. والتقرير بتوقيع من طبيب وصاحب منشأة طبية. وموجه للنادي الرياضي الذي سجل في كشوفاته. ومات في أول تدريب له مع هذا النادي. وهو ما يناقض تقرير اللجنة بأن سبب الوفاة. كانت نتيجة إجهاد مفاجئ لعضلة القلب. ولوجود تشوهات خلقية. بإمكان طبيب القلب كشفها بمجرد وضع سماعته الطبية. فاستغرب زميلي كيف حدث ذلك. بين إهمال وموت ضمير. ولعلكم تتذكرون لقطات رياضية بثتها بعض القنوات الفضائية. للاعبين صغار في السن، كانوا يحتضرون في الملاعب في أثناء اللعب. أشهرها لاعب مصري وآخر أوروبي. ليس بسبب إصابة مع لاعب آخر، أو (بلع اللسان) كما حدث للاعب عبدالله الشريدة. قبل سنين عدة. بل لأن اللاعب لم يخضع للكشف الطبي اللازم (على القلب بالذات)، لمعرفة سلامة القلب من أي عيب خلقي. وثمة حقيقة وهي أن كثيرًا من القلوب لا تتضح اعتلالاتها إلا عند بذل الجهد أو المجهود الزائد، عما تعود عليه في حياته اليومية. فيبدو طبيعياً وسليماً لكل من يراه أو يتعامل معه. وكل

من يشتكي من عرض فيه شُبْهة لإصابة في القلب يجب عليه أن يخضع لفحوصات. يسمى أحدها فحص الجهد. وتخطيط القلب في أثناء بذل مجهود. كالثقب في القلب أو التشوه في أحد الصمامات. ونحو ذلك. لا يُمكن القلب وحامله من بذل المجهود الزائد في أثناء لعب المباريات. فيعيق (ويلخبط) تدفق الدم من وإلى القلب. عند زيادة الجهد على القلب في أثناء الجري أو التمارين فتتأثر الأعضاء الحيوية من إمدادها بالدم والأكسجين. لتقع الكارثة. وتحدث الوفاة في الملاعب بشكل دراماتيكي. سببه التهاون أو التلاعب بالكشف على القلب. وتحديد مدى سلامته واستعداده لبذل الجهد أو المجهود. فليس كل من لا يشتكي من قلبه. يحمل قلباً سليماً ومعافى ١٠٠٪ وللحديث صلة.



كوليسترول وشارع العصارات

هناك حملات في معظم القنوات الفضائية أو التلفزيونية من آن لآخر، تُحذر من مطاعم الوجبات السريعة، وما تسببه من أضرار وسمنة وزيادة في الكوليسترول في الدم؛ والمتأمل في أولادنا وبناتنا الصغار يجد السمنة المفرطة، قد انتشرت بينهم هذه الأيام؛ بعكس أطفال أيام زمان؛ وأرى أن سبب تلك السمنة المفرطة هو العادات الغذائية السيئة التي طرأت على المجتمع؛ وأضحك كثيرًا من بعض الأهالي عندما يقولون: إن سبب سمنة أطفالهم غير معروفة؛ بالرغم من أنهم لا يأكلون كثيرًا؛ وموضوع الغذاء السيء (جنق فوود) أصبح يشتكي منه العالم ويحاربه؛ إلا نحن لم نأخذ الموضوع بالجدية الكافية؛ فانتشر لدينا في السنوات الأخيرة أكل المطاعم (والهوم دلفري) بشكل كبير؛ وجيلي لا شك يتذكرون كيف كنا لا نعرف أكل المطاعم إلا فيما ندر؛ وأنواع الأكل الخارجي تكاد تنحصر في (المطبق والطعمية)، يُحضرها الأب ويفرح بها الأطفال والنساء؛ وإن كان طعامًا فاخرًا بمقاييس أيام زمان، فهو حمص (حمبص) وشاورما؛ وكانت ألد شاورما نبتاعها من مطعم أبو نواس في شارع الوزير أو بوفيه جُهينة في شارع المطار القديم، أو البوفيهات المنتشرة في شارع العصارات في التسعينيات الهجرية؛ عندما يتراكم الباعة ذوو الوزرة إلى سياراتنا عندما نوقفها؛ لتلبية طلباتنا؛ وأذكر أننا كنا نتناول الشاورما والعصير في السيارة في معظم الأحوال؛ فتوفر السيارة وركوبها في حد ذاته يعد منتهى

التشخيص و(البرستيچ) ، فما بالكم إن كان يرافقه تناول شاورما وعصير مشكل؛ وفي معظم الحالات لا يعرف الأهالي أننا أكلنا في أحد المطاعم أو البوفيهات؛ فنجلس معهم حول وجبة العشاء؛ وقد (نتغصب) الأكل؛ وإن رأونا وسألونا: لماذا لا نأكل؟! قلنا: إننا لا نستهي العشاء، أو أن غداء المرقوق أو القرصان لم يدع مكانا في بطوننا لعشاء؛ ولا نُخبرهم بما فعلنا في جُهينة أو شارع العصارات؛ فالأكل في المطاعم يعد عيبا أيام زمان؛ أين منه إقبال الأطفال والشباب، وتقبل الكبار لـ (الهوم دلفري) هذه الأيام؟ ليس في وجبة العشاء فقط؛ بل حتى الغداء والفطور بعد سهر في الإجازات بلا نوم؛ لأطفال (سمان) مسدودة أنفسهم وشهيتهم (يا حرام) عن أكل البيت.



سنة المكسيك

قامت السلطات الصحية الأمريكية هذه الأيام بفحص الرئيس الأمريكي أوباما للاطمئنان على صحته. لأنه قام بمصافحة مكسيكي أُصيب بمرض إنفلونزا الخنازيرومات. وتعريف المرض يقول: إنه مرض تنفسي يتفشى في مزارع الخنازير، سببه فيروس إنفلونزا من النوع (أي إتش ون إن ون)، وهو فيروس (متحور) من الإنفلونزا المعروفة، التي تُصيب الإنسان، وإنفلونزا الطيور وإنفلونزا الخنازير. ويمكن لهذا الفيروس أن ينتشر بسرعة. بل قد يتحول إلى جائحة، خلافاً للنوع (بي)، والخنازير وأمراضها هي حديث الإعلام والناس هذه الأيام. وبتصفح تاريخي لاجتياح وباء الإنفلونزا نجد أنه يضرب العالم وبقسوة من آن لآخر. لعل أشدها الإنفلونزا الإسبانية عام ١٩١٨ الذي عرف لدينا بسنة الرحمة، ولدنيا في نجد سنة الرحمة يؤرخ لها كبار السن. وكل ٤٠ سنة يُطور أو يتحور الفيروس. ففي ١٩١٨ حصدت الإنفلونزا الإسبانية (سنة الرحمة) ما لا يقل عن ٤٠ مليون شخص. وفي ١٩٥٧ أودت الإنفلونزا الآسيوية بحياة أربعة ملايين. وفي ١٩٦٨ أودت إنفلونزا هونج كونج بحياة ما لا يقل عن مليون شخص. وقد مرت أربعة عقود منذ إنفلونزا هونج كونج. فهل نؤرخ هذه الأيام لإنفلونزا الخنازير أو إنفلونزا المكسيك، التي يعلم الله فقط كم سيكون عدد ضحاياها. وما أريد التركيز عليه في سوانح هو الوقاية من المرض. فقد قال خبير صحي (يلحق العلم) إن إنفلونزا الخنازير قد

تنتقل وتصيب أناسًا وبيئة لا تُربى فيها الخنازير. تأتيهم من أناس يربون ويخالطون الخنازير. وفي أثناء كتابة المقال قرأت أن الهيئات الصحية العالمية ستقوم برفع درجة خطر إنفلونزا الخنازير من الدرجة الخامسة إلى الدرجة السادسة. وهي درجة تعني أن كارثة بيئية عالمية أوشكت أن تقع. فهل نحن مقبلون على (سنة رحمة) أخرى؟ الله أعلم. ووقائيًا أركز على ضرورة الاغتسال جيدًا بعد كل مصافحة، وأن نوقف تقبيل بعضنا البعض حتى إشعار آخر. والإكثار من غسل اليدين جيدًا بالماء والصابون. وأن يكون سلامنا (من بعيد لبعيد)، فقد تنتقل العدوى حيث لا وجود للخنازير. كما تقول إحدى القنوات الفضائية نقلًا عن منظمة الصحة العربية.



مهارات في مستوصف الفوطة

ثمة حقيقة فيما يخص دراسة الطب بين الحاضر والماضي. وهي أن طلبة الطب الحاليين لا شك يستفيدون من التقنية الحديثة ووسائل التعليم المساعدة في دراسة الطب. التي تطورت بشكل مذهل بحيث أصبحت دراسة الطب أسهل وأمتع مما مضى. وفي زماننا كانت دراسة الطب تحتاج إلى مجهود أكبر من المذاكرة والحفظ. مع قلة في الوسائل المساعدة والتوضيحية. فوسيلتنا التعليمية آنذاك تكاد تنحصر في تشریح ضفادع حية في المعامل أو المختبرات أو تشریح الإنسان نفسه ميتاً في مشرحة مخيفة تحوي عشرات الجثث. وبعدها التدريب وفحص الإنسان مريضاً في غرف وغنابر المستشفى الجامعي أو التعليمي والتطبيق العملي على كل مريض بما تعلمناه في المشرحة. وصاحب هذا التطور الحالي تطور آخر في وسائل التشخيص وطرائق العلاج، ومع مرور الأيام يفقد الطبيب مهارات كان يحرص على تنميتها. فالأجهزة والاختراعات تحل شيئاً فشيئاً محل تلك المهارات أو (سكيلز)، ولا بد أنكم تتذكرون الاختراع الذي حصل قبل سنة أو تزيد لكبسولة صغيرة، التي تحوي كاميرا يبتلعها المريض، عندما يُراد عمل منظار لمعدته وجهازه الهضمي. فترسل صوراً لكمبيوتر صغير يحمله الدكتور الفاحص أو المعالج، وبعد إرسال الصور المطلوبة وفحصها، وتشخيص الحالة إن كانت قُرحة في المعدة، أو ورمًا خبيثاً ونحو ذلك. تتحطم تلك الكبسولة وتخرج مع الفضلات. والتطور والتغيير في الطب شمل أشياء

كثيرة. فالإبرة أو الحقنة التي كانت تتعرض للنار عشرات المرات لتعقيمها، أُستبدلت بإبرة ذات استخدام واحد، وترمى بعد ذلك (ديسبوسبل). ومن الذاكرة تذكرت الممرضة زبيدة والممرض الألوسي في مستوصف الفوطة، الذي كان يأتي على دباب، وهو يحمل الحقن أو الإبر، و(دافور) أي بوتوقاز صغير لزوم التعقيم. وكل حقنة بدأها الصدا (لكثرة ما تتعرض له من نار لتعقيمها) قبل حقنها في عضل المرضى، وقبل عدة أيام كنت مع زميل نتحدث عن التطور الذي حدث في الطب ووسائله، وانتشار الأدوات ذات الاستعمال الواحد فقط (ديسبوسبل) كالقفازات والإبر (الحقن الوريدية والعضلية)، فغرف العمليات وغرف وعنابر المرضى يكاد كل شيء فيها يكون (ديسبوسبل)، وقد يأتي يوم يُستعمل فيه الطبيب أيضًا لمرة واحدة فقط (ديسبوسبل)، كما قال زميلي جادًا أو مازحًا ومتهكمًا، فلا تستغرب عزيزي القارئ فكل شيء جائز.



(كباري)

ثمة رسم كاريكاتوري قديم وجميل للمبدع عبد السلام الهليل عن الجمال السائبة. رسم فيه بعيداً أو ناقة تقترح على الأخرى رفع أرجلها الأربع عند رؤية أي سيارة مسرعة قادمة تفادياً للاصطدام بها ومنعاً للحوادث (لتزرق السيارة بين أرجل الجمل أو الناقة الرفيعة) فرد البعير الآخر أو الناقة (يعني كباري)، وبالفعل (هدف الكباري) يعد إنجازاً لمن يحرزه، ووصمة عار (لمن يدخل فيه قول كبري)، ودليلاً على أن الحارس (ما عندك أحد) إن دخل فيه هدف أو قول كباري. لن تتساه الجماهير أبداً. وهناك بعض الزملاء والأصدقاء يطلبون مني بين حين وآخر الكتابة عن كرة القدم، والنادي الذي أشجع ونحو ذلك من شؤون رياضية. فالرياضة (في رأيهم) تناسب الموضوعات التي أطرحها في سوانح. كما أن المثل المشهور يقول: (العقل السليم في الجسم السليم)، وممارسة الرياضة التي منها كرة القدم هي بوابة الدخول في الجسم والعقل السليمين. وسوانح تعني الذكريات. وثمة ذكريات كروية يعرفها هؤلاء الزملاء والأصدقاء عني. فلماذا لا أكتب عنها مع هموم الطب وشجونه. وأجدني استجبت لطلبهم. فأقول: إنني من محبي اللاعب يوسف الثنيان حتى النخاع. ويشاركني في ذلك الصديق العزيز والكاتب الكبير عبد الله الجعثن. وأعد يوسف الثنيان أفضل لاعب أنجبته الملاعب السعودية. بل الملاعب العربية. وإبداعاته لا تُنسى مع ناديه الزعيم أو مع المنتخب. عندما يكون هو والمبدع

الآخر ماجد عبد الله ثنائياً يمتعان ويمطران الأهداف. وخلفهما صمام الأمان وصخرة الدفاع كابتن المنتخب صالح النعيمة، وأحد الحارسين العملاقين الدعيح أو سالم مروان شفاه الله، وأعود لعنوان سوانح. فكلمة (كُبري) كلمة تركية تعني جسر وجمعها كباري. ومن الذاكرة قفزت ذكرى قديمة تتجاوز الأربعة عقود عن (كبري دوار سلام) ذي الدورين. عندما قامت إحدى كبيرات السن بأخذ عهد (تحريج) على ولدها بأن لا يصعد ذلك الجسر أو الكُبري خوفاً عليه من السقوط: (تراك بحرج). وقد سألته في إحدى المرات (بعد إزالة كبري سلام ذي الدورين) عن ذلك، فقال لي بأنه لم يصعد كُبري دوار سلام طيلة العقود الأربعة الماضية، تنفيذاً لطلب وإرادة أمه العزيزة حفظها الله: (تراك بحرج) وإلى عهدٍ قريب كان لدينا ما يسمى سوق الكباري في الرياض، تمت إزالتها في طريق الملك فهد. والتي يقابلها (تسمية أجنبية) مراكز تسويقية كثيرة حديثة وجميلة هذه الأيام، يطلق عليها الجميع (مولات) كباراً وصغاراً. رجالاً ونساءً.



العيد مبارك

ثمة أشياء ارتبطت في الوعي (واللاوعي) عندي أحن إليها وأستعذب استرجاعها وتذكرها، كلما حل عيد الأضحى. ويجمع بينها حي المعيقلة ولعب الكعابة التي نحصل عليها من لحوم الأضاحي. والعامّة تقول عمن يُحب شيئاً: (سره مقطوع فيه)، وأنا أحب المعيقلة، وسري بالفعل (مقطوع) في المعيقلة، حيث مسقط رأسي. بعد أن استعانت الوالدة حفظها الله بالداية و(سحلة) وبعض الماء الحار. فخرجت إلى الوجود باكياً قبل وبعد (قطع سري)، ومن الصدف أن مسقط رأسي في منزل المعيقلة، والمنزل الذي انتقلت إليه في سن الخامسة كانا يقعان في (سكة سد)، الأول كان فارهاً، (زاوية أو على جهتين) إحداها سكة سد. ومع ذلك كان مدخله الرئيس الذي تعلوه (الطرمة) يقع فيها. أما الباب الثاني فقليل الاستخدام إن دخولاً أو خروجاً ويؤدي مباشرة إلى حوش الغنم أو (الحويشة)، حيث يوجد بضع عنزات (دافعات) و(عنقان)، لا يتوقفن عن القفز. يتوسطهن بقرة حلوب، وحولها أرانب لا يكلون من الحفر والدفن والتنقيب، لدرجة الوصول لحوش الجيران، والاختلاط مع أرانبهم، أو تكوين (مستعمرة) أرانب. إن لم يوجد أرانب لدى الجيران. عبر أنفاق متقنة ومتاهات، أين منها أنفاق النقب المؤدية لغزة. ولا تنتهي محتويات (الحويشة) الصغيرة بالأرانب. فهناك دجاجات عدة راجنات وغير راجنات، وديكهن يتبختر بينهن بعُرفه الجميل. ويزدان جدار الحوش من

جهتين على الأقل بيوت صغيرة من خشب، عُمِلت من (سحاحير) الفاكهة بالذات. لحمام يطير مغادرًا عشه نهارًا ليعود عند المساء. وفي الحويشة باب صغير لا يُفتح إلا نادرًا يُفْضي إلى غرفة صغيرة، تعلوها فتحة صغيرة متصلة بدورة مياه (علوية) ومنزلنا الطيني الآخر (بيت الفراوية) يفتح على سكة سد فقط كما قلت. وجهاته الثلاث الأخرى أو حدوده ملاصقة لجيران يتم الاتصال بعضهم مع بعض عن طريق أبوابهم المشرعة دائمًا، التي لا تقفل إلا عند النوم. أو عن طريق الأسطح منخفضة الجدران. وسكتا السد كانتا تحتضن ألعابنا ونشاطاتنا الترفيهية في الأعياد وغيرها. ولعب الكعابة أو الكبش، كما تسمى في الحجاز تكاد تكون لعبتنا المسلية الأشهر. وكانت تخضع لأنظمة غريبة. كنظام (شور) أي أن من يأتي بالقرب من لاعبي الكعابة بإمكانه أخذ الكعابة إن لم يقل اللاعبون كلمة شور عند رؤيته قادمًا. وكلمة شور أو ما قلدوا شور تخضع لقوة لاعبي الكعابة، وقوة من قدم معتدًا لأخذ الكعابة. فإن كان اللاعبون أقوياء لن يتمكن المعتدي من أخذ الكعابة، وإن لم يقولوا كلمة شور المتفق عليها عند مجيئه. وإن كان المعتدي أقوى فسيأخذ الكعابة لا محالة، حتى لو سمع كلمات الحلف والقسم من اللاعبين الضعفاء، بأنهم قالوا (شور) كأنظمة الأمم المتحدة، تُطبق على الدول الضعيفة المظلومة، ويُستثنى منها كل قوي ظالم. وكل عام وأنتم بخير.



أشقر وشعره ذهب!

استوقفني كاريكاتير للمبدع عبد السلام الهليل ليوم السبت الماضي (١٨/١٢/١٤٣٣) يصور فيه حوارًا بين طالبين (في اليوم الأول للدراسة) بعد انتهاء عيد الأضحى. يقول فيه (ولد النعمة) لولد منيرة. إنه لا يعرف ما هو نوع الأضحية التي ذبحوها. هل هو نجدي أم نعيمي. المهم أن لون شعر الخروف كان أشقر و(كدش). هذا الكاريكاتير أعادني لأجواء الأضاحي والخرفان، الذي كان آخره سوانح ماضية عن تشريح اللحم وتمليحه. وما صاحبه من تداعيات عن الماضي الجميل في المعيقية. وثمة موقف حصل لي قبل عقد من الزمان أو يزيد. ذو صلة بالنعيمي أشقر الشعر و(الكدش)، موقف لا أنساه ما حييت. وهو بالأصح (مقلب أكلته) في أثناء شرائي لخروف العيد. أبوح به وأحكيه في سوانح، علني أرسم ابتسامة على شفتي من يقرأها. بعد انقضاء أيام العيد والابتسامات التي قلت هذه الأيام. وفي كل عيد أضحي تمر في الذاكرة والوجدان ذكريات عن الأضاحي أو الخرفان. ذكرت بعضها في سوانح ماضية. وقبلها في غرايل. فأختم برواية المقلب الذي أكلته وشربته. والمتعودون على شراء الخرفان الحية من السوق، ولست منهم. يعرفون احتمال وقوعهم ضحية للغش عند شراء أضحية. من بعض الباعة. ومع أن الوالد رحمه الله كان يأخذني معه في صغري لسوق الغنم عندما يريد شراء أضحية. أو كبشًا لزوم ضيف عزيز. إلا أنني لم أطور أو على الأقل لم أحافظ على ما تعلمته في صغري

من طرق لفحص الخروف الجيد. من لمس الظهر ورفع الإلية والكشف على الأسنان. لمعرفة عمر الخروف. هل هو جذع أو ثني أو رُباع. المهم أنني عندما أقبلت على (سوق الغنم) استقبلني أحدهم، وقد لبق الونيت. المليء صحنه بالخراف متعددة الألوان. فالبعض أسود تتخلل رؤوسها ورقابها خصلات بيضاء جميلة. وكباش أخرى شعرها أشقر و(كدش)، كما وصفها ولد النعمة في كاريكاتير الهلال. فبادرني البائع وهو يتفحص خرافه مستعرضاً إياها أمامي. ويقول لي مبتسماً (مد أم الشحم) لأقوم بمد يميني مسلماً عليه. فيقوم (بشدها) لأخرج باليد الأخرى قيمة الخروف من جيبتي، وأنا سعيد جذلان لشرائي كبشاً أقرن. لأكتشف في البيت وبعد الذبح أن ما دفعت ثمنه غالباً (بعد مداها وشدها) كانت لرخلة. أو صخلة. وأنا متأكد أن (مد أم الشحم) يتكرر في سوق الأغنام كل يوم. ويحدث لآخرين غيري بلا شك. إلا أنهم لا يعترفون. وأنا أعترف. بعدها حرمت أن أدخل ذلك السوق العتيق: سوق الغنم، وأكتفي عندما أوصي أحداً لشراء أضحيتي. بأن يكون الخروف ذا شعر أشقر و(كدش).



زعتربالزيت

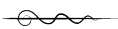
ثمة حقيقة فيما يخص التعليم أيام زمان. وهي تفاوت أعمار الطلبة في نفس المرحلة الدراسية. فمن المؤلف أن يكون هناك طالبان أو أكثر في صف دراسي واحد، ومع ذلك تجد أحدهما أكبر أو أصغر من الآخر بخمس سنين أو حتى أكثر. وقد فاتني في سوانح ماضية أن أقول: إنني درست أولى ابتدائي في مدرسة الجزائر في حي الظهيرة. قبل أن تنتقل إلى حي الشميسي أو القرينين ومدرسة المأمون الابتدائية. وما بقي في ذاكرتي من أولى ابتدائي ومدرسة الجزائر، وذلك الزمن السحيق في قدمه هو باع حلاوة القطن في الجهة الشمالية من مدرسة الجزائر. الذي كنا نشترى الحلاوة منه بعد خروجنا من المدرسة مباشرة. وحلاوة القطن. لونها يُفترض أن يكون أبيض (قطن) إلا أن لونها كان يميل للصفار. لرداءة السكر المستعمل آنذاك. ومن نافلة القول: إنني كبقية أطفال أيام زمان لم نمر كأطفال هذه الأيام بالروضة والتمهيدي. بل بدأت الدراسة (بكج) مع لداتي من أقارب وأطفال. وسبب كبر أعمار طلبة أيام زمان هو التأخر في بداية الالتحاق في المدرسة، وكثرة الإعادة (السقوط) في الصف الواحد. فيتخرج الواحد بعد ضعف أو ضعفين من السنين قضاها في كل مرحلة دراسية. أو كما قال عادل إمام في مسرحية مدرسة المشاغبين (١٥ سنة خدمة في ثانوية عامة)، والتحصيل العلمي أيام زمان ينتهي عند الكثير في اجتياز السنة السادسة أو الخامسة ابتدائي. فمن حاز على تلك الشهادة

يُسأل (تبي توظف والى تواصل تعليمك) ، وعن نفسي آنذاك كنت أنظر لمن وصل للصف الخامس ابتدائي بأنه بلغ من العلم مرتبة سنّية. لا يساويها فرحة وفخرًا إلا امتلاكي لأدوات الهندسة. خاصة الفرجار. وهناك ذكرى طفولية لا بأس من ذكرها فيما يخص ما نأكله في المدرسة. فالقليل منا من يحضر معه سندوتشة يأكلها في الفسحة. والقليل منا أيضًا من لديه المال للشراء من المقصف. وكان في فصلي زميل من الشام يذكرني به الفنان فهد الحيان عندما قام بدور مصطفى في طاش ما طاش. وكان أحد الزملاء يقوم بسرقة (فسحته) يوميًا وأكلها. وكان سعيدًا بذلك. فمرة يجد جبنّة بالمربي، ويوما آخر سندوتشة طحينية، وهكذا. إلا أنه في إحدى المرات لم يستسغ طعام السندوتشة المسروقة ولم تُعجبه. حيث كانت سندوتشة زعتر بالزيت. بعدها لم يعد يقوم بسرقة (فسحة) مصطفى. خشية أن تكون زعتر. وجيلي ومن هم أكبر أو أصغر لا شك يتذكرون مضارببات أيام زمان، والتهديد العتيد: (اطلع لي أو أشوفك في الطلعة)، فكم من مرة (ضربنا وانضربنا في الطلعة).



هل غادر الشعراء؟

في أثناء دراستي الجامعية، وبعد تخرجي وإلى الآن؛ يحلو لي بين حين وآخر أن أتصفح، وأقارن في كتب مناهج الطب؛ بين طبقات حديثة وقديمة؛ فلا أجد اختلافًا إلا في جودة الورق، وجدها في الحديث وعبق الماضي، وصفحات مليئة بالشروحات والتعليقات، أو ترجمة ونحوه؛ تحكي عن مجهود قد بُذل، وذاكرات ليالٍ خوالٍ كنت أسهرها؛ أكاد أراها بين ثنايا صفحات الطبقات القديمة؛ وما عنيته في سوانح ماضية، إضافة للتقدم الطبي، هو أن كل جيل يرى أنه عرف كل شيء، وأن من سيأتي بعده لن يجد شيئًا جديدًا، ليكتشفه: هل غادر الشعراء من متردم؟ وبالعامي: (ما خلوا الأولين للتالين شي). وفي كتب الطب الدراسية قديمها والحديث؛ خاصة سنوات الدراسة الثلاث الأول؛ لا تجد اختلافًا كبيرًا بين الطبقات الحديثة والقديمة؛ منذ أيام (قريز أناتومي وقايتون) في الطبقات التي تعود لخمسین سنة أو طبقات ٢٠١٨، وكتابا قريز وقايتون مرجعان مهمان لدراسة مادتي التشريح ووظائف الأعضاء؛ فالأعصاب والعضلات والأوعية الدموية هي نفسها بلا زيادة أو نقصان؛ والتطور إنما حدث في الوسائل التعليمية والعلاجية؛ فأصبح طالب الطب الحالي يتمتع بوسائل كثيرة لم تتح في زماننا؛ سهلت عليه التحصيل العلمي والإبداع؛ رافقها بروز وازدياد في الأمراض كمًّا ونوعًا. فمرض الإيدز مثلاً لم يكن ضمن المقرر الدراسي في أثناء دراستي؛ ولا أزال أتذكر (نهاية ٨٤ ميلادي)،



كيف كان الأطباء يتحدثون عن مرض بدأ يغزو العالم آتٍ من أفريقيا، يُحارب مناعة الإنسان ويقضي عليها؛ أُنْفَقَ عالمياً على تسميته مرض نقص المناعة المكتسب؛ واختصاراً الإيدز فيما بعد؛ ومن الذاكرة أيام الدراسة: كان هناك مرضان تناسليان هما السيلان والزهري أو القنوريا والسفلس؛ كانا أخطر الأمراض التناسلية التي تنتقل بالاتصال الجنسي؛ فيفتكان بالناس؛ خاصة قبل اكتشاف البنسلين؛ لدرجة أن أسئلة الامتحان تكون في أحدهما (يا سيلان، يا زهري)، أو أن أحدهما للدور الأول، والآخر للدور الثاني؛ ولي ذكريات مع الاختبارات أو الامتحانات تستحق أن تُروى؛ ولعلي أرويهما في سوانح قادمة؛ وأعود لصلب الموضوع، فمرض الزهري كان ذا ثلاث مراحل؛ فإن لم يبدأ العلاج في المرحلة الأولى، انتقل المرض إلى المرحلة الثانية، تتبعها المرحلة الثالثة وهي الأخطر، وتنتهي بموت المريض؛ وكل مرحلة من المرض لها علاجها، الذي تحدده شدة المرض؛ ولا أنسى في أثناء الدراسة الإكلينيكية أو السريرية مريضاً بالزهري أو السفلس في مرحلته الثالثة كان منوماً في المستشفى؛ وقد تآكل غضروف أنفه، كما في الصور الموجودة في المقرر الدراسي؛ فيبدو الأنف كالمجدوع؛ وكان المريض شاباً في عمره، إلا أنه يبدو في حالة مزرية؛ وهي مرحلة أخيرة للمرض وللمريض قبل موته؛ تُشبه إلى حد كبير مريض الإيدز في آخر أيامه هذه الأيام.



(بیجر) فی رمضان

بعد تخرجي من كلية الطب، وعندما بدأت العمل لقضاء سنة الامتياز في العام ١٤٠٥ هجرية كنت وزملائي الآخرين نستعمل أو (نشخص بالبيجر)، ونضعه مع السماعة الطبية في جيب البالطو الأبيض. والبعض يضع البيجر في الجيب العلوي الأمامي للبالطو جنباً إلى جنب مع القلم. والسماعة الطبية من نوع (لتمن) تطوق عنقه أو تتدلى منها. وهي صورة قريبة من صورة المسلسل التلفزيوني ٣٧ درجة. وكان البيجر أو البليب حدثاً طارئاً في مجتمعنا السعودي آنذاك، لا تجده إلا مع الأطباء. ولم أتخيل إذ ذاك أنه سيتبعه ثورة في عالم الاتصالات، تتطور يوماً بعد يوم. إلى ما هي عليه الآن من إنترنت وقوقل ويوتيوب. مع بقاء البيجر رفيق عمل الطبيب أينما حل إلى الآن. وكيف كان بعض الأطباء يشعرون بالزهو والعُجب عندما يدق بيجر أحدهم وهو في مكان عام أو بين أهله وأصدقائه. ليقوم لأقرب هاتف ثابت بالرد على البيجر، الذي قد يستدعيه للطوارئ أو قسم التنويم في المستشفى، الذي يعمل فيه. ويطلب حضور ذلك الطبيب فوراً. ومن حوله يستغرب هذا الجهاز السحري الصغير عندما يصدر صوته ذي النغمة الحادة والمزعجة للطبيب الذي يحمله (بييب)، ولكل طبيب ذكريات مع العمل في رمضان. وبالأخص مناوبات الطوارئ قبل أذان المغرب وفي أثنائه. ومن خلال عملي (النوبتجية) في رمضان. أذكر أنني كنت أفطر في المستشفى، وفي قسم الطوارئ بالذات عندما أقوم بمباشرة حالة إسعافية

في الطوارئ، في إحدى مستشفياتنا التي عملت فيها في الرياض، أو (شعبة
حادثات) في مستشفى ميوهوسبتال في لاهور. فأجد العزاء لجوعي وتعبي
من الصيام، بأنني أخفف عن مريض يتألم. ولا يزال راسخًا في ذاكرتي
في أثناء عملي في جراحة المسالك البولية، وهي مرحلة اختيارية في سنة
الامتياز التدريبية. لا أنسى مريضًا كان يُعاني من تضخم في البروستات
نتج عنه احتباس حاد في البول (رتشن أف يورين) مع ألم شديد (فدق
البيجر) في جيبتي، وأنا أستعد (لفك الريق) قبل المغرب بقليل. وعندما
قمت بالقسطرة لتفريغ المثانة كاد المريض أن يقبل رأسي شكرًا وامتنانًا.
ومرضى تضخم البروستات يعرفون جيدًا آلامها المبرحة عندما تضغط
على عنق المثانة.



في الأذن الداخلية

الأذن الداخلية متاهات مبهمة، تتجلى فيها عظمة الخالق سبحانه وتعالى. وهذا الجزء الصغير من جسم الإنسان مرتبط تشريحياً ووظيفياً بالمخ. فالمخ (تقريباً) يحيط بهذا الجزء السمعي من ثلاث جهات. ومن جهة واحدة فقط تحدها الأذن الوسطى التي تبدأ بالطبلة. والأذن الوسطى أبسط تعقيداً من حيث تكوينها ومحتوياتها. وفي أثناء قيامنا (بالتشريح) عندما كنا طلبة كانت الأذن الداخلية من أصعب أجزاء جسم الإنسان تعلمًا وإلمامًا. حتى بعد التخرج والتعاطي عملياً، مع ما ينتج بسبب اعتلال الأذن الداخلية من أعراض: كالدوار والدوخة وفقدان التوازن. تظل الأذن الداخلية عصية على الفهم. وأقول بصراحة: إن ما أعرفه عن الأذن الداخلية يظل قليلاً جداً لدى طبيب كان من المفترض أن يكون طبيب أذن أريب. وثمة حقيقة أشرت إليها في سوانح ماضية، وهي ما يعده أطباء الأذن من خطورة الأعواد القطنية الخاصة بتنظيف الأذنين (كوتن بدز)، وما يقوم به بعض الناس من حك آذانهم بأجسام غريبة وحادة: (الرجال بمفتاح السيارة، والنساء بتوكة الشعر)، وبذلك يصلون لطبلة الأذن فيخدشونها أو حتى يثقبونها. وتعد طبلة الأذن خط دفاع وحماية للأذن الوسطى وكذا الداخلية. وأقول لمن يستعمل الأعواد القطنية: إذا كان الغرض من استعمال تلك الأعواد هو التنشيف والتنظيف بعد الاستحمام. فليكن للأذن الخارجية فقط. وهذا أيضاً يمكن القيام به بمنشفة نظيفة أو

مناديل ورقية. والكثير من أمراض الأذن الوسطى تحدث بعد ثقب الطبلية الرقيقة التي تحمي الأذن الوسطى والداخلية. ومهما كان الجراح ماهراً فلن يعيد طبلية الأذن إلى ما كانت عليه. بل إن الكثير من عمليات ترقيع الطبلية ليس الهدف منه استعادة الطبلية، وسمع الأذن إلى ما كانت عليه قبل ثقب الطبلية. بل للمحافظة على ما بقي من سمع، ومنع التهاب الأذن الوسطى من الاستفحال والانتقال للأذن الداخلية والمخ. والتهابات الأذن الداخلية الناتجة عن ثقب الطبلية (والأوتاييس ميديا)، لا يضاهيها خطورة إلا الأورام الخبيثة. فحافظوا على طبلات أذانكم، ولا تقربوا (مفاتيح السيارات وتوكات الشعر) وأعواد القطن منها. وإن كنتم تريدون تنظيف أذانكم مما تراكم فيها من شمع (واكس)، فليقم به طبيب أذن، لديه من العلم ما يكفي عن أمراض الأذن الوسطى والداخلية.



أطباء بيطشريون؟

جمعتني مناسبة مع صديق عزيز يتندر ويسخر كثيرًا من الأطباء ومن عملهم الطبي. فروى لي قصة. يقول: إنها حقيقية. وهو شاهد على معظم فصولها. ففي مدينته الصغيرة والوادة في منطقة القصيم. شَبَّ عن الطوق، وهو لا يعرف من يمارس مهنة الطب وعلاج سكان مدينته الصغيرة. إلا طبيبًا وزوجته الطبيبة. قدما من دولة عربية شقيقة. يقوم الطبيب بعلاج الذكور كبارًا وصغارًا. من الضغط والسكر واللوز. حتى البواسير. أي أنه (جي بي) أو طبيب عام. وزوجته طبيبة نساء وولادة. وهي أول من استقبله في هذه الحياة. حيث قامت بتوليد أم صديقي. وزوجها قام بتطهيره وختانه. وكانت (القائناكولوجست) تشتهر بإبرة تسميها إبرة الميل. فعندما يكون الجنين معترضًا في أثناء الولادة، يتم (دَقْ إبرة الميل) للحامل. فيتعدل الميل وتلد المرأة. ومرت سنون أعقبها سنون. وتقدم العمر بالطبيب وبزوجته الطبيبة. بعد خدمة تجاوزت الأربعة عقود من الزمن. فاخفيا عن الأنظار. وكاد صديقي أن ينساهما. ظلنا منه أنهما عادا لبلدهما. لولا أنه في إحدى المرات رأى الدكتور يخرج من إحدى مزارع معارفه. فسلم عليه وأخذه بالأحضان. وهو يعتقد بأن صاحب المزرعة قد تعاقد معه لعلاج عمال المزرعة. فصاحب المزرعة (والكلام لصديقي) بخيل، والطبيب كبير في السن ومتقاعد. ومن ثم سيكون (كوبس ورخيص). ومن غير إطالة على القارئ أقول: إن الطبيب كان بيطريًا قدم للمزرعة

للعمل بشهادته الحقيقية. وعند السؤال عن زوجة الطبيب قال: إنها أيضاً داخل المزرعة، (وقد تكون مشغولة بتوليد عنز أو بقرة بعد (دقها) بإبرة الميل. ومن نافلة القول أقول: إنني أحترم وأقدر أطباء البيطرة وعملهم. وقد كتبت مرات عدة أثني عليهم. في سوانح وغيرها. ولمن يريد التأكد من ذلك. فليضغط على الشيخ قوقل، ويكتب: «طبيب بيطري». ليقرأ ما كتبه عنهم من إطراء ومديح يستحقه كل طبيب بيطري. ما علينا. فحكاية صديقي التي أروها في سوانح. هي عمن انتحل مهنة الطب البشري، وهو يحمل شهادة في الطب البيطري. وأختم قائلاً: كم هم محظوظون حيوانات المزرعة. فمن سيعالجهم في المزرعة وخارجها. ويسهر على راحتهم هما طبيب وطبيبة. مؤهلان ويحملان شهادة في الطب البيطري. وخبرة لأربعة عقود أو تزيد. اكتسبها في تطبيق ما درسوه على بني البشر.



بروسيلوسز؟!

بقدر حُبي وإعجابي بالجمال (سفينة الصحراء) بقدر خويف من رفيقة دربه الناقة. فثمة هاجس أربطه عند رؤيتي للناقة. بين حليب النياق أو الخلفات ومرض الحمى المالطية. ورغم ما أسمعته عن حليب الخلفات من لذة وفائدة. فإنني لم ولن أذوق طعمه. إلا أن يأتيني (مُبسترا) وهي طريقة انتقدي أحد الأصدقاء فيها. فحلاوة حليب الخلفات أن يأتي (طازة) من ضرع الناقة مباشرة. فتشربه من طاسة تقليدية تاركًا طبقة بيضاء من رغوته أو زبدة على الشاربين والشفتين العليا والسفلى، بما يُشبه الحلقة البيضاء على الفم، عندما يُفتح وقبل مسحه. وهو منظر ولا أروع ولا أجمل يعرفه عشاق الخلفات وحليبها. وأنتقل إلى بعض الحديث العلمي مما أخافني من الناقة رفيقة الجمال أو الخلفة. فهناك ستة أنواع من بكتيريا الحمى المالطية (بروسيلوسز) أشهرها وأوسعها انتشارًا ثلاثة أنواع (بروسيل ميلينسس. بروسيل نسويس وبروسيل أبورنس)، وانتقال المرض ومكروبه يأتي من الحليب غير المبستر (رو ميلك) من حيوانات كثيرة. يأتي في مقدمتها الماشية من أغنام أو شياه وماعز وجمال وجواميس. وفي أثناء دراستي منذ سنين طويلة، وفي مادة صحة المجتمع. سمعت أن أنواعًا من الجبن المحلي (خاصة من منطقة الطائف) يحوي مكروب الحمى المالطية. وعند التقصي (الوبائي) عن سبب احتواء تلك الجبنة على بكتيريا الحمى المالطية، تبين أن الحليب يأتي من أغنام لا يتم

غلي حليبها وتقويحه (البسترة)، وتظل (معظم) حالات الحمى المالطية لدينا ولدى دول الخليج بسبب حليب الخلفات. خاصة من يتلذذ بشربه (طايزة) من ضرع الناقة. أي أن الحمى المالطية (لدينا) وثيقة الصلة بحليب النوق. وأحد الزملاء من محبي حليب الخلفات (لديه بالفعل عدد منها بين مغاتير وعمانيات) يعتني بها كثيرًا. قال لي في إحدى المرات وهو يدعوني لمشاركته في شرب حليبها: لا تخف يا دكتور فنياقي سليمة من أي مرض. والطبيب البيطري يرعاها دائمًا، وقام بتطعيمها ضد المالطية التي تخاف منها. فلا تحرم نفسك من لذة حليبها وفائدته الصحية. وأشياء أخرى ستدعولي. وقبل بضعة أيام لم يستطع زميلي هذا الحضور للعمل بسبب ارتفاع في درجة حرارته وآلام في مفاصله. وفي اليوم التالي أتى للعمل بعد الظهر وهو يحمل تقريرًا من المستشفى الذي يعالج فيه. تفحصت التقرير فإذا بها حمى مالطية. والمكروب المسبب للحمى المالطية شبيه بالمكروب المسبب للدرن (انتراسيليولار)، لذا يجب المعالجة بأنواع عدة من المضادات الحيوية (كالستريبتومايسين) في العضل لأسابيع عدة. وهي مؤلمة كما قال لي زميلي محب حليب الخلفات العمانية والمغاتير الطايزة، عندما يحلبها ويحضرها الراعي السوداني في طايسة ممثلة، يشع منها لون حليبها الأبيض، الذي تعلوه الرغبة.



في التدخين

قد يستغرب البعض تكرار مناقشتي لموضوع التدخين والمدخنين. وأقول: إن السبب أهمية الموضوع وخطورته. وكراهي لعادة التدخين، ومحبتني أو إشفاعي على من أبتلوا بها. وإنني في كل مرة أتناول جانباً من جوانب تلك العادة السيئة. فأحياناً مداعباً وفي أحيان كثيرة لتبيين خطورة التدخين على المدخنين. التي مع الأسف يعرفها كبار السن من المدخنين قبل غيرهم. ومع ذلك يُصرون على الاستمرار. ولسان حالهم يقول: إنما هم يفعلون ذلك بدافع المتعة، والأعمار بيد الله. فأني متعة وأي ذوق عندما يقوم الكثير من هؤلاء المدخنين بالتدخين وطفاية سيارته نظيفة، ويقومون بإطفاء ورمي أعقاب سجائرهم في الشارع؟! فالشارع بالنسبة لهم يعد (طفاية) كبيرة. والكثير من المدخنين (الذوق) يقولون: إنهم يقضون بعض الاسترخاء في أثناء شطف سجائرهم، وخلط مكوناتها مع شهيقهم وزفيرهم. ومع ذلك قد تجدهم يُدخنون وهم في منتهى الانشغال والزممة، أو حر شديد، ونحو ذلك. فأني متعة يحصل عليها من يضطر للخروج أو المشي في (عز القوايل)، ومع ذلك تجده يقوم بإشعال وتدخين سيجارة تزيد حرارة جسمه ارتفاعاً. وأغرب منظر رأيته لعامل لحام (منهمك) في عمله، والحرارة تُحيط به من كل جانب. ومع ذلك يُشعل سيجارة تزيد جسمه والمكان الذي يعمل به ناراً وجحيماً. تحت صوت آلة التلحيم المزعج، وبين ما يتطاير منها من شرر كالحمم، يُحاصر عينيه المغطاة بنظارة

سميكة. وفي الأخير أضُم صوتي لصوت المدير التنفيذي للجمعية الخيرية للتوعية بأضرار التدخين والمخدرات بمنطقة مكة المكرمة (كفى) برفع القيمة الضريبية للسجائر في المملكة، كما في دول الغرب التي أسعارها أضعاف ما لدينا من أسعار. ففي دراسة أعدتها منظمة الصحة العالمية في جنوب أفريقيا، أوضحت بأن ارتفاع قيمة علبة الدخان ١٠٪ يخفض من الاستهلاك بنسبة ٨٪ في الدول النامية والفقيرة. كما أشارت الدراسة إلى أن رفع القيمة يخفض الاستهلاك إلى النصف بين عدد المدخنين من فئات الفقراء والمراهقين (بموجب الإحصائية)، فما بالكم لورُفع السعر ١٠٠٪ فسينخفض عدد المدخنين لدينا إلى ٨٠٪، إلا أن هذه أمنية يستحيل تحقيقها في ظل وجود من يقوم برمي عقب سيجارته من شباك سيارته.



دعوة للحياة

ثمة مرضى لشدة ما يعانونه من آلام يقومون بقتل أنفسهم، ووضع حد لحياتهم وآلامهم. وهذا يندر حدوثه من مريض مسلم. فالمسلم والمؤمن يعرف أنه يؤجر إن صبر واحتسب. وأن ما به من مرض ما هو إلا قدر من الله. وقتل نفسه يندرج تحت الانتحار الذي حرمه الله. وفي الغرب هناك ظاهرة منتشرة يقوم بها أطباء بدافع الشفقة والرحمة، كما يقولون، على مرضى يتألمون وميؤوس من شفائهم. لوضع حد لآلامهم وعذابهم، كما يقولون، وهو إجراء بالنسبة لكل مسلم طبيياً كان، أو مريضاً غير صحيح. ويذكرني بما يقوم به أطباء الخيول عندما يصاب أحد الأحصنة أو الأفراس بحادث في أثناء السباق. فيضعون نهاية للخيل المصابة بحقنة تسمى حقنة الرحمة. وهو إجراء سليم ولا غبار عليه. بل فيه إراحة ورحمة للحيوان، يدعولها الإسلام. أما بالنسبة للإنسان المريض، فالأمر مختلف تماماً. ويندرج تحت قتل النفس التي حرم الله. فالمرضى مهما كانت حالته المرضية سيئة، يجب عدم اليأس، وبذل كل سبب لإنقاذ حياته. أما ما يعانيه من آلام بسبب المرض. فالطب لديه من العلاجات ومسكنات تلك الآلام الشيء الكثير. وكاشف الضر هو الله. وما يقوم به الطبيب ما هو إلا بذل للأسباب المندوب إليها. «وما أنزل الله من داء إلا وله دواء. عرفه من عرفه، وجهله من جهله»^(١). وفي سوانح ماضية تحدثنا تحت

(١) أخرجه أحمد (٥٠/٦ رقم ٢٥٧٨)، والحاكم (٣٩٩/٤ رقم ٨٢٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٣/١ رقم ٤٥١).

عنوان (كاردياك كول) عن مريضة ميؤوس من حالتها، كان من المفترض (طبيباً) أن تموت. إلا أنه حدث (لبس) عند من أشرفوا على حالتها. فتم إنقاذها. فعاشت حيناً من الدهر. لأن موعد موتها الذي قدره الله سبحانه لم يحن. والكل يعرف مرضى طريحي الفراش لسنين طويلة. وعندما تسوء حالتهم من تنفس أو نبضات القلب أو ما يعرف بال (فايتال ساينز)، التي يلاحظها طاقم التمريض اللصيق بالمريض يتم استدعاء الطبيب، ويتم إنقاذ المريض مهما كانت حالته الصحية سيئة قبل الإنقاذ. وأعرف مرضى عدة يتم إنقاذ حياتهم مرات عدة إلى أن (تتم الحسبة)، فيموتون وهم في حالة صحية (جيدة نسبياً) فلكل أجل كتاب.



دُخان ومدخنون

يستوقفني دائماً كل ما يصدر إعلامياً عن التدخين والمدخنين. لعل آخرها اختراع سعودي على شكل كبسولات للمساعدة على الإقلاع عن التدخين. وموضوع الكتابة والتوعية عن خطر التبغ من أكثر الموضوعات التي كتبت عنها. وسبب عودتي اليوم للكتابة عن التدخين من باب: لعل في الإعادة إفادة. ولأن من يدخنون لا يحسون بالمصيبة، التي يقترفونها بحق أنفسهم وصحتهم. فالمدخن لا يعرف التغيرات التي تحدث في خلاياه من التدخين. فخلايا الجهاز التنفسي والجسم تكون عرضة للتغير. ولكنها تعود لطبيعتها إن أقلع المدخن عن التدخين. وهي مرحلة مع الأسف لا يقلع كثير من المدخنين عن التدخين فيها. فتفوتهم فرصة. لاستمرارهم في التدخين لسنين طويلة. فتتحول خلاياهم إلى خلايا سرطانية (ميتابليزيا)، وهي مرحلة اللاعودة. حينئذ لا ينفع من أقلع عن التدخين إقلاعه (قدها وزت)، أو تُصاب الرئة بداء الانتفاخ (إمفايزيما)، وهو مرض لا يقل خطورة عن سرطان الرئة إن لم يفقه. معاناة وعذاباً قبل الموت المؤكد. فمن يُصاب به يحاول استنشاق الهواء والتنفس فلا يستطيع. لذا يجب عليه كي يتنفس أن يقضي أيامه الأخيرة في حاضنة (إنكيوبيتر) في العناية المركزة. والكثير لا يقلع عن التدخين إلا بعد أن تتمكن الأضرار من خلايا جسمه. وأنصح كل مدخن بأن يقوم بعمل أشعة لصدره. ليطمئن على رئتيه، وأن لا تكون -لا سمح الله- التغيرات نحو انتفاخ الرئة قد بدأت بالفعل (إمفايزيما

تشينج)، ومحاربة التدخين وأسلحته مع الأسف أضعف من شركات التبغ، التي أشهرها شركة فيليب موريس العالمية. وصحيح أن سعر السجائر قد ارتفع قليلاً لدينا، ولكنه بقي ثابتاً عند ذلك السعر، ولم يتغير ويرتفع كما في أسعار المواد الأخرى. والتضخم (إنفليشن) يطال كل سلعة استهلاكية لدينا إلا السجائر. ولناخذ الشاورما مثلاً فقد ارتفعت من ريالين إلى ثلاثة ريالات، وفي بعض الأماكن أربعة ريالات. فليت سعر (بكيت) السجائر يربط بسعر مادة استهلاكية كالشاورما. مع الفرق طبعاً بين الطيب والخبيث. فإذا ارتفع سعرها ارتفعت أسعار السجائر أيضاً. فالسعر الحالي يظل الأقل وبكثير عن دول كثيرة مجاورة وبعيدة. وسمعت من أحد الثقات أن شركات التبغ الكبيرة (في مقدمتها شركة فيليب موريس) تُعفي الموردين للتبغ من أي زيادة في ارتفاع العملات الصعبة والضرائب. المهم: استورد وبغ تلك السموم وبسعر تشجيعي من المصنعين لها، يكفل لك الربح يا مستورد. والدليل مقاضاة وزارة الصحة لدينا لشركات التبغ لديهم. ومطالبتها بدفع مئات الملايين من الدولارات تعويضاً لما سببته تلك السموم في الناس من أمراض، وفي الاقتصاد الوطني من خسائر. والقضية كسبتها وزارة الصحة. ولكننا لم نعد نسمع عنها المزيد في الإعلام المرئي والمقروء. فغسى المانع يكون خيراً.



السبعينياقرأ!

ثمة مقولة أو نصيحة عند بعض كبار السن من الرجال. الذين يرغبون وينصحون بالتعدد في الزواج. فيتندرون بقولهم ناصحين ومداعبين من يشكي ضعفا جنسياً: غير المَعْلَف. كناية عن تغيير الزوجة أو شريكة الحياة. وبالذات كبيرة السن. ذلك أن تغيير الزوجة بأخرى يستعيد له أمجاداً مضت، مهما تقدم به العمر. فبتغيير شريكة الحياة الكهلة والمُسنة بأخرى شابة (والكلام لمن يردد المقولة) يجعل الكهل شاباً، ويعيد الشيخ إلى صباه. ولا داعي للفيافرا أو أغذية غنية بالبروتين لتقوية الباءة لدى المُسن. وفي سوانح ماضية قارنت فيها بين جرادة (المكن) التي كنا نأكلها في الماضي. وبين الريان وحتى الكافيار، الذي هو في الواقع بيض السمك. والذي تشتهر بإنتاجه وتصديره كل من روسيا وإيران. وعامة الناس وخاصتهم يعرفون أو يُروجون لقيمة الريان والكافيار في تقوية الباه. والأولون من العامة والخاصة يعتقدون بمفعول الجرادة في تلك التقوية. إلا أن الموضوع يحتاج إلى دراسة مقارنة بين الاثنين. وأرى أن موضوع الريان والكافيار والجرادة. خاصة نوع المكن اللذيذ والكبير الحجم. يصلح لأن يكون أطروحة لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه. ما علينا. فثمة حقيقتان فيما يتعلق بالعجز الجنسي. الأولى: أن من يعاني من العجز الجنسي مريضاً كان أو كبيراً في السن. لا يمل من طرق كل وسيلة لاستعادة ما فقد من قوة. والحقيقة الثانية: أن العجز والضعف الجنسي يستغلها من يُريد

الشرء من دجالين وحتى أطباء. فيصفون أشياء قد تكون سامة وقاتلة لمن يستخدمها من سُذج. يريدون أن يستعيدوا أمجاداً مضت لن تعود. عندما كانوا في العشرين أو الثلاثين من أعمارهم. وقد يتزوج أحدهم وعمره ناهز السبعين أو تعداها. من شابة صغيرة من بلده أو من بلاد خارجية فقيرة. ممنيًا نفسه بأن يستعيد شبابه بما وصف له من أدوية من أحد العطارين مع أن المثل يقول: لا يُصلح العطار ما أفسد الدهرُ. مطبقًا نصيحة أو مقولة (تغيير المَعلَف)، وفي الآونة الأخيرة انتشرت إعلانات في القنوات الفضائية عن المقويات الجنسية. بعضها وقح ويخدش الحياء. وفي إحدى تلك القنوات رأيت إعلاناً لدواء لا أذكر اسمه هنا كي لا يحسب إعلاناً ودعاية له. رأيت كهلاً وقد استخدمه. وحوله حسناوات متبرجات يطلبن وده. ليجذبوا السُذج من الرجال لبضاعتهم تلك. وفي الأخير أقول: ويلٌ لمن هو في السبعين من عمره من زوجة. جديدة. في العشرين من عمرها. فاحذروا أيها الكهول والشيوخ. يا رعاكم الله.



عصافير السدرة

منذ أربعة عقود أو تزيد كانت حوارى وسكك أيام زمان هي مسرح فعاليات وتسلية الأطفال والصبية. فلا ملاهي ولا وسائل ترفيهية أخرى. ففي السكة أو الزقاق يجتمع الجميع. حتى البنات الصغيرات يلعبن (جنبًا إلى جنب)، وبالقرب من أولاد الجيران والحارة في النهار فقط. وقد سبق لي الحديث عن ألعاب بنات الحارة والجيران. ولعل سوانح قادمة تتيج لي فرصة للمزيد من الحديث عن طفولتهن أيام زمان. أما الصبية والأطفال فلعبة الكعابة هي السائدة نهارًا، تليها كرة القدم إن تأمنت قيمة كرة الصب (ريالان)، والملاحظ آنذاك، وقد يكون الآن أيضًا هو أن من يستطيع تأمين الكرة لا يلعب جيدًا، ومع ذلك يتحكم في كل شيء. ويختار لاعبي الفريقين وخانة كل لاعب. وقد يختار لنفسه خانة رأس حربة في أحد الفريقين، ليتمكن من تسجيل الأهداف. وحكمًا في الوقت نفسه. وإن احتج أو اعترض أحد عليه (نادرًا) قال ببساطة: عطوني كورتي وما أبغي ألعب معكم. ليذهب إلى صبية آخرين يقبلون بشروطه فرحين. وهناك أشياء غريبة، اختفت هذه الأيام، كانت تُصاحب لعب الكرة (كشوة الظفر والزبيرة) و(شوة الظفر) يكفي لشرحها وذكر قوتها: أننا كنا نلعب الكرة حفاة الأقدام. أما (الزبيرة)، فلكي تكون (الشوة) قوية، وتصيب الهدف، يقوم من (سيشوت) الكرة في العادة صاحب الكرة بعمل ما يعرف (بالزبيرة)، بأن يقوم بوضع الكرة على تراب مكور ويرتفع عن الأرض قليلًا. وهناك

كلمة موغلة في القدم، كانت تتردد بين الصبية، عندما يجتمعون للعب، وهي (المباواة)، حل محلها هذه الأيام: القرعة. عندما يجتمع عدد من الصبية وليكن عددهم عشرة (مثلاً). فينقسمون إلى قسمين. ومن يقول (بَو) يكون له السبق في بداية اللعب. ويُسمع في العادة صوت آخر يقول (عقيبك)، أي أن دوره سيكون بعد من قال (بَو) مباشرة. وعندما يأتي المساء كما تقول أغنية عبدالوهاب يدخل الجميع في بيوتهم. وفي مقدمتهم البنات الصغيرات. ليرجع بعض الصبية (للدوجان) بعد المغرب أو العشاء في سكك وأزقة حاراتنا الطينية آنذاك، وتكسير لمبات الشارع على قلتها، ومطاردة الكلاب والقطط الضالة إن وجدت. ولعب (عظيم سرا). ولعبة (عظيم سرا) لعبة بسيطة كبساطة الناس أيام زمان. ولا تحتاج إلا لليل بهيم حالك الظلمة، وعظم صغير يُرمى به بعيداً. ومن يجده ويعيده هو الفائز. ومن يقوم برمي العظم (عظيم سرا) يقول في العادة، لكي يختفي بقية اللاعبين في أثناء الرمي. فلا يرون في أي اتجاه رُمي العظم. يقول بصوت عالٍ: (توزوزو يا عصافير السدرة).



تخصصات صحية

هناك حقيقة يعرفها الجميع. وهي أن التخصص في علم ما يجعلك تعرف كل شيء عن شيء ما. وثمة دُعاة بالإنجليزية، (يتندرُّ بها بعض الأطباء وطلبة الطب) عن التخصصات الطبية أو الصحية. تقول ترجمة جزء منها: إن طبيب الباطنية (انترنيست) يعرف شيئاً واحداً عن كل شيء. والطبيب الجراح (سيرجن) يعرف كل شيء عن شيء واحد. وسبق لي أن ذكرت تلك الدعاة كاملة في سوانح ماضية. ما علينا. والطبيب أي طبيب كان في الماضي (بتاع كله)، يعالج كل الأمراض، ويجري العمليات الجراحية إن استدعى الأمر ذلك. وأذكر إلى عهد قريب نسبياً أن الجراح يقوم بكل أنواع العمليات الجراحية. وفي أثناء دراستي منذ ثلاثة عقود أو تزيد. كانت مادة الجراحة ومقررها. موحداً. دراسة وامتحاناً في نهاية العام. وكانت مادة الجراحة تشمل مقررًا. عبارة عن الجراحة العامة وجراحة العظام والمسالك البولية والأشعة. وكان الامتحان التحريري الذي يشمل جميع المقرر، الذي درسناه يومين. في الأول يكون السؤال الإجباري في التشريح الجراحي (سرجكال أناتومي)، والأسئلة الأربعة الباقية اختيارية، ونجيب منها على ثلاثة فقط. وورقة أسئلة اليوم الثاني يكون السؤال الإجباري في جراحة العظام (أورثوديك)، والباطنية كانت تشمل الجهاز الهضمي والتنفسي والكلى والجلدية والنفسية. ونسيت من أي الأقسام كان السؤال الإجباري. والأكد أنه ليس من النفسية أو الجلدية. ولو كان كذلك

لما استطعت اجتياز الاختبار. كفاني الله وإياكم مرض الوسواس القهري والصدفية. ما علينا. وكان مقرر الأنف والأذن والحنجرة الدراسي الذي دُرِّس للدفعات الذين سبقونا. كان مضافاً إليه طب العيون أو الرمد، كما يطلق عليه طلبة طب القاهرة والقصر العيني. أما الآن فهل تصدقون أن العين صغيرة الحجم تشمل ثمانية تخصصات أو أقسام. وكل قسم تجد فيه متخصصاً حضر أعلى الشهادات في تخصصه الدقيق. وقد يذهب مريض ما إلى طبيب عيون. فيحوله لزميل آخر متخصص في قاع العين أو القرنية. وهو يقول: إنني أعالج الكتاراكت. أو أمراض العصب البصري والشبكية فقط. فحتى البواسير (أنوريكتال) أصبحت تخصصاً مستقلاً. وأصبحت التخصصات تتشعب وتضيق شيئاً فشيئاً. لدرجة أن الجراحة العامة أو الجراح العام سيقصر عمله الجراحي مستقبلاً على استئصال الزائدة الدودية فقط. ويُروى أن إحدى كبيرات السن قامت بالدعاء لطبيب الأطفال الذي قام بعلاج حفيدها بقولها: وفقك الله وجزاك خيراً يا دكتور. وإن شاء الله أراك في السنة القادمة وقد تقدمت أكثر. لتصبح طبيباً للكبار.



الطب قديمه والحديث

لا شك أن طلبة الطب الحاليين - في أثناء دراستهم - يستفيدون من التقنية ووسائل التعليم المساعدة والحديثة، التي تطورت بشكل مذهل. بحيث أصبحت دراسة الطب أسهل وأمتع مما مضى. ففي زماننا. كانت دراسة الطب ليس فيها متعة وتحتاج إلى مجهود أكبر من المذاكرة والحفظ والتكرار. مع قلة في الوسائل المساعدة والتوضيحية. فوسيلتنا التعليمية الوحيدة آنذاك هي الإنسان نفسه ميتاً أو حياً يرزق. لكنه مريض. نطبق ما نتعلم في قاعة المحاضرات والمشرحة والمعمل فيه أو عليه. وبالمناسبة هناك اتفاق - غير مكتوب - بين المستشفيات الجامعية والمرضى. فللحصول على العلاج المجاني. يجب على المريض أن يدع ويسمح لطلبة الطب بالكشف على جسمه وعلته المرضية. بل والاستذكار عليه. وقد يستدعيه الدكتور في أثناء الاختبارات ليختبر الطلبة عليه. وبالأخص إن كانت حالته - انترستق - كما يقال. وأذكر أنه عندما تكون حالة المريض نادرة. ويتم إدخالها وتويميها في المستشفى. نقوم نحن الطلبة (نمسك سرا) للكشف عليه وفحصه. ويشهد على ذلك مستشفيات ميوهسبتال واليوسي إتش والليدي ويلينقتن في لاهور. في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي. ومن الذاكرة. كان أساتذتنا يركزون على وجوب تعلمنا الطريقة الصحيحة لفحص المرضى «كlinical ميثود»، فالاختبارات خاصة العملية لا يجتاها الطالب إلا إذا كان ملماً بمبادئ وأولويات فحص المريض. ولكل

طبيب بعد تخرجه مهارات معينة ينميها ويكتسبها مع الوقت. وقد قيل:
لكل شيخ طريقته. وأذكر أستاذًا كبيرًا. في الأنف والأذن والحنجرة. كان
له مسكة مختلفة لآلة فحص الأنف الصغيرة «نازال سبيكيولا»، تختلف
عما هو مرسوم ومكتوب في المقرر الدراسي. ووجوب مسكها بطريقة معينة
لتمكين الطبيب من كشف وفحص داخل الأنف بوضوح. قال لي مرة عندما
رأني أحاول تقليده في مسكته الغريبة: إن رأيتك في الامتحان تفعل مع
المرضى كما أفعل الآن. لن تنجح حتى في الدور الثاني. فيجب أن تتعلم
وتفعل في هذه المرحلة كما في طريقة الكتاب المقرر. وعندما تنجح وتخرج
بإمكانك أن تحمل جهاز فحص الأنف الصغير بأي طريقة شئت. يمكنك
من فحص الأنف جيدًا. وقبل بضع سنين كنت مع زميل متخصص في عمل
المنظير لمرضاه. نتحدث عن الكبسولة السحرية، التي بدأ استعمالها على
نطاق واسع في العالم. فهذه الكبسولة أغنت عن المنظار المزعج للمريض.
وفي أقل من ساعة تكون الكبسولة قد أدت عمل المنظار بإرسال الصور
المطلوبة للمعدة أو الأمعاء. لجهاز الكمبيوتر الصغير المرتبط بها. ثم
تتكسر ويهضمها الجهاز الهضمي وتخرج مع الفضلات. ويعلم الله ماذا
سيحمل إلينا العلم في المستقبل من اكتشافات. فقد يأتي يوم يُستعمل فيه
الطبيب أيضًا مرة واحدة فقط «ديسبوسبل»، كما قال لي زميلي. مازحًا أو
جادًا منذ سنة أو تزيد.



زبيدة ودحيم الموزي!

كان لـ (الاولين) ثقافة تربوية تهديدية خاطئة لأطفالهم. وهي تهديدهم للصغار الذين لا يسمعون الكلام بأنهم سيأخذونهم للدكتور (ليدقهم إبرة)، فارتبطت الإبرة أو الحقنة لدى الأطفال بأعمال الشقاوة لا المرض. فيستغربون إذا مرضوا لماذا يُعاقبون بوخز الإبر مع أنهم (ماسوو شي). وهناك خوف آخر للأطفال، وهو تهديد الأهل الساذج بعوايف الله. أو تهديد آخر يدل على (دلاخة) أطفال أيام زمان. فكانت ترتعد فرائص الطفل عند سماعه للكبير وهو يهدده قائلاً: (والله لاخلي أذني وأذنك أربع) أو (اطمر بطنك واتوطى الأرض)، وأعود لعنوان سوانح. فقد كانت الممرضة زبيدة تُرعب وتُخيف الأطفال في مستوصف الفوطة. والممرض الألوسي متعهد (دق الإبر) يأتي إلى مستوصف الفوطة راكباً دباباً وحاملاً شنطة، تحوي أدوات (دق الإبرة) وأطفال العطايف والظهيرة والغراوية آنذاك يعرفون الممرضة زبيدة جيداً. ويخافون منها أكثر من خوفهم من دحيم الموزي. فقد كانت مربوعة أقرب للقصر، وتميل إلى السمنة، التي تخفيها تحت بالطو أبيض فضفاض، لا تستبين منه خصر ولا قوام. تنزع للشر بعكس مهنتها الإنسانية (التمريض)، وقد يكون سبب نزعتها العدوانية تلك شقاوة الأطفال أيام زمان، وبالذات دحيم الموزي الذي كان (آفة منزله) في إيذاء الآخرين، أو نزغة شيطان كما يسميه الكبار. ولم يكن دحيم الموزي يخشى أحداً كخشيته من الممرضة زبيدة. فكم شهد

مستوصف الفوطة منظر دحيم الموزي يجري هرباً والمرضة زبيدة تلحق به، وتحاول إمساكه. لدرجة أن الأطفال عندما يتشجعون ويحاولون مقاومة ضرب وإيذاء دحيم الموزي. كانوا يقولون له: (تقيوى علينا. رح لزبيدة عرانك توريك)، وعلاقة دحيم الموزي بمستوصف الفوطة والمرضة زبيدة كانت تتغير من آن لآخر. ففي إحدى المراحل كانا (قطبا الشر والقوة. دحيم الموزي وزبيدة) يعيشان فترة سلام ووثام. لدرجة كانت (الميانة) تجعل دحيم الموزي يجمع بقية الأطفال والصبية للعب الكرة في ساحة المستوصف. إلا أن هذا لم يستمر طويلاً. فعادت زبيدة لطرد ومطاردة دحيم الموزي وبقية الأطفال من مستوصف الفوطة. وكان السبب وراء ذلك قيام دحيم الموزي بخرق (لي) كبير كان يزود المستوصف وبيوت أخرى بالماء. ولم يكن أحد يستطيع عقاب وإيقاف دحيم الموزي عند حده إلا الممرضة زبيدة في مستوصف الفوطة.



Ventolin فنتولين

ثمة حقيقة فيما يخص الشابة مريضة الربو. التي انتقلت إلى رحمة الله. بعد أن كواها المشعوز، ومنعها من استعمال بخاخ الفنتولين. وهي أن الوفاة جاءت نتيجة إهمال من الزوج، وجهل من مشعوز. كما قلت في سوانح ماضية. وهناك جانب إنساني لما حدث للشابة رحمها الله. فقد تركت خلفها ثلاثة أطفال. وسأحاول سرد ما حدث وسيحدث للأطفال الصغار. مستعيناً بشعر أحمد شوقي في وصفه لليтим. مع أن تسمية اليтим لا تنطبق عليهم. حسب التعريف. بأن اليтим من فقد أباه قبل بلوغه الثامنة عشر من العمر. وسبق لشوقي رحمه الله أن اعترض على تسمية اليтим تلك. عندما قال:

ليس اليтим من انتهى أبواه

من هم الحياة وخلفاه ذليلاً

إن اليтим هو الذي تلقى له

أماً تخلت أو أباً مشغولاً

وليسمح لي شوقي عندما أبدل عجز البيت الثاني: أما تخلت بأم توفت. فالأم ثم الأم ثم الأم هي من يحدد يتم الطفل من عدمه. أكان الأب على قيد الحياة أم مشغولاً أو حتى ميتاً. ما علينا. فالجهل بالتوقف عن استعمال بخاخ الفنتولين. والشعوذة باستعمال الكي في العلاج، هما اللذان

تسببا في الوفاة. وقبل الوفاة عانت المريضة بما يسميه أطباء الصدرية ب: ستيتس أسثماتيكس. عندها يشعر مريض الربو بكتمة شديدة، وعدم القدرة على التنفس. وانغلاق الشعب والحوصلات الهوائية. بحيث لا هواء ولا أكسجين في الرئتين لاستمرار الحياة. فماتت رحمها الله. مخلفة ثلاثة أطفال تحت رعاية أب. ما لبث أن نسيها ونسي أطفاله معها. بزواجه من أخرى. ليكون أطفاله الصغار تحت رحمتها وانشغاله. ومهما ادعت من محبة وعناية لأطفال زوجها. تظل (مرة ابو) والأولون يسمون العمل غير المتقن والمبیت فيه سوء النية (شغل مرة ابو) فالأم هنا ماتت ولم تتخلى. والأب مشغول بالفعل، ونسي أنه كان سبباً في وفاتها. وأجد أن بيت قصيدة شوقي الثاني. بعد التعديل من (تخلت إلى توفت)، كما قلت ينطبق على أطفال من ماتت بسبب كوي المشعوذ، ومنعها من استعمال بخاخ الفنتولين. فوصلت حالتها إلى ستيتس أسثماتيكس. كما قلت أيضاً. وأسألوا أطباء الصدرية. عن مريض الربو الذي لا يستعمل الدواء الموسع للشعب الهوائية (برونكودايليتير) كم من مريض وصل لتلك المضاعفات من مرضى الربو. يكون فقد الحياة. هو المحتم. إلا أن يشاء الله بعد إبر وحقن الستيرويد أو الكورتيزون الوريدية.



شاش في قُمرة القيادة!

يتندر الكثير من الناس على أخطاء الأطباء في العمليات الجراحية. لعل أكثرها نسيان شيء ما في بطن المريض: كقطعة شاش، أو مقص ونحو ذلك. وثمة تضخيم لما قد يُنسى. فقطعة الشاش الصغيرة تتحول إلى منشفة كبيرة، والمقص الصغير (موسكيتو سيزر) إلى محش. واحتمال نسيان شيء ما في بطن المريض عند نهاية العملية (في نظري) يكاد يكون صفرًا. والسبب ستستتجونه عندما أنقل لكم صورة لما يجري في أثناء إجراء أي عملية جراحية. ففي غرفة العمليات يكون في مكان غير بعيد من مكان العملية والمريض المخدر. يكون هناك لوحة كالسبورة، وبالقرب منها ممرضة تحمل طبشورة في يدها، وفي اليد الأخرى ممسحة. تقوم وبلا توقف طوال وقت العملية بالكتابة والمسح على السبورة. لأنه موكل إليها كمية ما يستعمل من شاش وقطن ومواد أخرى لزوم الجراحة. وفي أثناء العملية تقوم بعدّ وتسجيل كمية الشاش والقطن. وكتابته على السبورة ومسح ما يُرمى منه في سلة المهملات أولاً بأول. ولا يتم الانتقال للمرحلة الأخيرة من العملية (خياطة الجلد)، إلا بعد أن تعطي إشارة (قواهيد) للجراح بأن كل شيء على ما يرام. أي أن عدد الشاش والمواد الأخرى لم ينقص منها شيء. ولا أنسى في إحدى المرات. كنت مساعدًا في إحدى العمليات. وقبل نهاية العملية بقليل أخذت تلك الممرضة في البحث عن قطعة شاش نقصت مما لديها من كمية شاش مسجلة على السبورة. والجراح ينظر إليها وعرقه

يتصعب منتظرًا إعطاءه الإشارة المتعارف عليها من تلك الممرضة، كي يقوم بخياطة جلد بطن المريض المفتوح وإنهاء العملية. ولماذا تأخر إعطاؤه إشارة (أوكي) والسبب ببساطة لأنها لم تجد الشاشة المفقودة. وعند البحث في الأرض وجدنا أن الشاشة الصغيرة قد سقطت على الأرض. والتصقت في حذاء الجراح من غير أن يشعر. فتنفسنا الصعداء، وانتهت العملية بسلام. وقبل ثلاثة عقود أو تزيد. كنت في السنة النهائية من كلية الطب. قال لنا نحن الطلبة آنذاك. أستاذ مادة الأنف والأذن والحنجرة -رحمه الله- أنه أجرى في صباح يوم جمعة عملية استئصال لوزتين لطفل صغير. ذهب بعدها لصلاة الجمعة. وفي أثناء خطبة الإمام تذكر أنه نسي قطعة شاش صغيرة في حلق المريض. فقطع صلاته، وانسل من بين المصلين في المسجد عائداً للمريض في المستشفى. لإخراج الشاشة. وكان تصرفه زيادة في الحرص على المريض. فلو ترك المريض وأكمل الاستماع للخطبة والصلاة. لابتلع الطفل الشاشة الصغيرة، وخرجت مع الفضلات. وللحديث صلة.



شاش وشاشة!

بادئ ذي بدء أشرح للذي التبس عليه الأمر في مقالة شاش وقمرة القيادة. عن الرابط بين قطعة الشاش الصغيرة وقمرة القيادة في الطائرة. فأقول: إن ثمة علاقة بينهما تبادرت لذهني عندما بدأت في الحديث عن الأخطاء الطبية. وسأحاول جُهدي شرح وتبسيط ما أرمي إليه. في هذه السوانح والتي قبلها. عن أخطاء الأطباء وندرة حدوثها في رأيي. كقطعة الشاش الصغيرة التي التصقت في حذاء الجراح. وأرجو ألا تكون قصتي مُملة. فالعقاد يقول: ليس أكثر مدعاة للملل من قصة تُروى مرتين. ما علينا. لأبدأ بسرد حكاية قُمرة قيادة الطائرة. وليس في سلم الطائرة التي أبكت طلال مداح غصباً عليه. والمعروف أن مسؤولية تحليق الطائرة إلى أن تهبط يشترك فيها قُمرة القيادة في الطائرة وبرج المراقبة في المطار. وأذكر أنني كنت مسافراً على إحدى الطائرات المتجهة لمطار الرياض. وعند اقتراب الطائرة لمدرج المطار وفتح مكابح الطائرة للهبوط. عادت الطائرة فجأةً للتحليق مرة أخرى وعلى ارتفاع ومستوى منخفض والدوران حول المطار. والسبب ببساطة أن شاشة قمرة القيادة لم تعط علامة نزول العجلات، وأخذ وضع الهبوط. فاضطر كابتن الطائرة للعدول عن الهبوط، والشعور بالقلق هو ومساعدته. فكيف تنزل عجلات الطائرة ليهبطوا. كقلق الجراح الذي ذكرت في الأسبوع الماضي. وجاء الفرج من اتصال برج المراقبة بكابتن الطائرة. يخبره مسؤول برج المراقبة، بأنه يرى عجلات

الطائرة في وضعها الصحيح للهبوط. وبإمكانه الهبوط، ولا ينظر إلى شاشة قمرة القيادة. وليهبط بسلام. ما ذكرني بغرفة العمليات. عندما وجدنا قطعة الشاشة المفقودة ملتصقة في حذاء الجراح، من غير أن يشعر. فتنفسنا الصعداء، وانتهت العملية بسلام. كما تنفس الكابتن ومساعد الصعداء. لتهبط الطائرة بسلام. لذا جاء الربط (في ذهني) بين غرفة العمليات وقمرة القيادة. ففي كلتا الحالتين كان هناك قلق وترقب. انتهى بسلام. فالعملية لم يُسَ في بطن المريض قطعة شاش أو مقص. والطائرة هبطت بسلام في مدرج المطار. وتم إصلاح شاشة قمرة القيادة، التي لم تظهر إشارة نزول كفرات الطائرة للكبتن فيما بعد. وليسامحني من تبادل لذهنه كيف تكون هناك علاقة بين الشاش والشاشة وقمرة القيادة.



سالبنجائتس ني ممكن ني!

ثمة أناس موسوسون، ويتوهمون إصابتهم بأي مرض يسمعون به، أو يقرؤون عنه. ومن هؤلاء زميل قديم (أيام دراسة الطب في لاهور) أحدثكم عنه في سوانح. ولكن قبل ذلك أبدأ بحديث ذي صلة بصديق الغربة أيام زمان. فثمة دراسات عدة قديمة وحديثة، اطلعت على البعض منها. عن اختلاف أطباء النساء والولادة الرجال عن زميلاتهم طبيبات النساء والولادة. تُرجح أو تفضل الأطباء الرجال على النساء، لأنهم أمهر وأكثر قدرة على تحمل وتفهم ظروف المرأة وآلامها أثناء الولادة. لذلك في الغرب تجد النساء الحوامل يفضلن الأطباء الرجال للقيام بتوليدهن. ويؤيد ذلك ومن الذاكرة تحضرني الآن قسوة (وجفاسة) طبيبات النساء والولادة مع المريضات في أثناء توليدهن، وهن يقلن لهن في مستشفى الليدي ويلنقتن في لاهور في عام ١٩٨٣ وفي أثناء تدريبي لثلاثة شهور في قسم النساء والولادة. يقلن لكل من جاءها المخاض (زور لقاو. خاموش. شَب كرو)، أي احزقي وادفعي لتلدي طبيعياً (نورمل دلفري)، وكفي عن الصراخ، واخرسي. وكل مريضة من شدة آلام المخاض تردد بصوت عال بلغة السند والهند الأردية أو البنجابية (توبة توبة. ني ممكن ني). إلا أنها تنسى آلام المخاض وصراخه. فتأتي في السنة القادمة لتلد مرة أخرى، وهي تتألم وتردد كلمة (توبة توبة) في المستشفى نفسها. وفي أثناء تدريبي في سنة الامتياز في المستشفى العسكري بالرياض في العام ١٩٨٦

كان عملي تحت إشراف أطباء نساء وتوليد رجال. وبالمناسبة كانت نسبة نجاحي والدرجات التي حصلت عليها في مادة النساء والولادة هي الأفضل بين مواد التخرج الأخرى. إلا أنني (ما صدقت) أن أترك قسم النساء والولادة بلا عودة. وأعود إلى ما بدأت به سوانح عن زميل الغربة، الذي يتوهم المرض. فكلما درسنا واستذكرنا أي مرض في الباطنية أو الجراحة مثلاً. شك في نفسه، بأنه يعاني من هذا المرض أو ذاك. وكان هذا الزميل من السودان الشقيق. جمعتنا الغربة في لاهور، فأصبحنا زملاء لا نفترق إلا وقت النوم، وتجمعنا صالات المحاضرات، وعنابر المستشفى، نستذكر دروسنا ونراجعها معاً. وفي مستشفى الليدي ولنقتون وفي أثناء استغراقنا في قراءة المقرر الدراسي، وكان عن أعراض وعلامات التهاب المبايض لدى المرأة (سالبنجاييتس) قال فجأة وكأنه اكتشف أمراً مهماً: سلمان يا زوول يمكن آلام البطن اللي تيجي عندي وتروح التي لم تظهرها الفحوصات لمرات عدة في ميوهسبتال. (جايز تكون سالبنجاييتس)؟! وعيدكم مبارك (ولو أتت متأخرة).



في محفظة الجيب دائماً

موضوع التبرع بالأعضاء موضوع لم ينل ما يستحقه من اهتمام على جميع الأصعدة. ولم نصل بعد لمرحلة الاقتناع بحمل بطاقة التبرع، ووضعها في الجيب مع بطاقة الأحوال ورخصة القيادة في محفظة كل مواطن ومقيم، حتى النساء والأطفال، حبذا لو حملوا بطاقات التبرع بالأعضاء. فلا يدري الصغير والكبير متى يَحُمُّ القضاء والقدر. ويأخذ الخالق أمانته. بقبض روحه في وقت كان يُظن أنه بعيد. ودونه من الآمال سنون وسنون. ورغبات وأمنيات لم تتحقق. فلكل أجل كتاب. وثمة حقيقة. وهي أن حوادث الطرق اليومية لدينا تُزهق أرواح الكثير من الرجال والنساء والأطفال. وكما نجحت حملة التبرع بالدم التي أغنتنا عن استيراده وما يحمل من أمراض من الخارج. ستغنيننا أعضاء من يموت عن كل عضو مستورد قد يحمل ما الله به عليم من علل في أنسجته. ويحضرني بالمناسبة قبل ثلاثة عقود أو تزيد مريضة سعودية انتقل إليها مرض الإيدز في أثناء نقل الدم إليها بسبب حادث مروري تعرضت له. ما علينا. فأرجو تكثيف المطالبة بالتبرع بالأعضاء والحث عليه. فالعضو المتبرع به سيكون سبباً لإنقاذ من كان على شفا حفرة من الموت. وصديقة جارية لمن قضى نحبه. تأتية في الرفيق الأعلى يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون. وإذا وصلنا لتلك المرحلة من الوعي بأهمية التبرع بالأعضاء. فهذا يعني أن جمعيات التبرع بالأعضاء قد نجحت في مسعاها. بتأمين عدد كاف من الأعضاء، التي يحتاجها المرضى للزراعة.

والأعمار بيد الله. وأعداد حوادث المرور لدينا في ازدياد. وما ينتج عنها من وفيات ووفاة دماغية كثير. تكفي لتأمين عدد وفير من الكلى والقرنيات والأكباد، التي ينتظرها الكثير من المرضى بفارغ الصبر، وتحت وطأة مرض لا يرحم، لفشل عضو مهم من أعضاء الجسم. وتستوقفني كثيرًا تحقيقات (وروبورتاجات) عن التبرع أو بيع الكلى، تبثها بعض القنوات الفضائية من آن لآخر. وفيها الكثير من شكاوى ومعاناة من باعوا أو من اشترت كُلاهم بثمن بخس. وفي سوانح ماضية تحدثت عن سُرق كليتة عيانًا بيانا في مستشفى بلد عربي شقيق. ليس سرقة فقط. بل هو من دفع ثمن العملية الجراحية من حر ماله، وهو تحت تأثير المخدر أو البنج العام.



في الإعاقة

الطفل المعوق لا يختلف في إحساسه أو شعوره بالحياة وتفاعله معها عن الطفل السوي. بل تجد هؤلاء الأطفال أكثر إحساسًا بالحياة. فالإعاقة حسب درجتها تجعله حبيسًا في لحظته (المعاشة) تلك، كيف يقضيها. وليجرب أي إنسان سوي معافا أن يعيش مؤقتًا إعاقة في إحدى حواسه: كالسمع والبصر أو حركة عضو من أعضائه. كيف يكون وقع ساعات، بل دقائق معاشته تلك على نفسه. وليتذكر أن هناك أناسًا خلُقوا بتلك الإعاقة، أو اكتسبوها نتيجة مرض أو حادث. فتلازمهم تلك الإعاقة بقية حياتهم. ومن نافلة القول: أن أعرج على ما كان عليه حال المعاقين جسديًا، والمتخلفون عقليًا في الماضي. حيث لا عناية ولا اهتمام من أحد. وذاكرتي تحتفظ بالكثير من النماذج، مثل (الرعيب) في المعيقية، الذي لا يبرح عتبة منزله، و(جربة) ذات الأسماك البالية (أم الخلقان)، التي كانت تدور في الحواري والأزقة لا تلوي على شيء، والأطفال يتبعونها، ويضربونها، أو يرمونها بالحجارة، وهم يرددون أقذع العبارات والشتائم. وهي تحاول اتقاء ذلك الضرب والاستهزاء بطريقة (واهية)، تزيد الأطفال شراسة وإيذاءً لها. فأين نحن الآن مما كان عليه المعاقون من نبذ وإهمال في الماضي إلى ما نشهده من اهتمام (واحتواء) في الحاضر. إلا أننا نحتاج إلى فعل المزيد لتلك الفئة من مجتمعنا. وبالأخص إعلاميًا وتوعويًا. فإعلاميًا هناك جهود لا شك يُشكر القائمون عليها. ومنها برنامج تلفزيوني بثته قناة الإخبارية

قبل سنتين أو تزيد عن المعوقين أو ذوي الاحتياجات الخاصة. كان مقدمو البرنامج شابات صغيرات، والضيوف أطفال صغار. وكلهم معوقون. تجاوزوا الإعاقة بالإصرار والعزيمة. فكان البرنامج ينقل ويعبر بحق عن هموم تلك الشريحة من المجتمع. واحتياجاتهم التي تشكو من قلة الالتفات إليها إعلاميًا. فلماذا يا كتاب السيناريو والمسلسلات التلفزيونية لا يكون هناك دور لطفل أو (كبير) من ذوي الاحتياجات الخاصة أو المعوقين يلعبه مع أبطال المسلسل الآخرين. فالتأمل للأفلام والمسلسلات العربية يجد كثيرًا من ساعات التصوير والبث تكرر (لت وعجن وتمطيط) لا تفيد ولا تُمتع المشاهد. بل قد تُسيء لمن يشاهدها. كأن يتعلم منها بعض العادات السيئة كالتدخين مثلاً.



(حسوفة نكبة)

سكان أحياء الرياض القديمة (المعقلية والدحو) وغيرهما لا بد أنهم كانوا يعرفون ويتذكرون الآن طبيباً (دختور) اسمه الرخاوي. تقع عيادته في عمارة في الديرة. وبالتحديد في نهاية شارع الشميسي القديم (شرقاً) وبالقرب من دكاكين الحلاقين (المحسنين بالأمواس)، والذين يقومون أيضاً بخلع الأسنان والضروس (دوا الضرس خلعه)، وعيادة الدكتور الرخاوي لا تزال قائمة في مبنى قديم يزدان بلوحة تحمل اسمه. يُصارع للبقاء ليكون شاهداً على وجود طبيب أسرة ومجتمع، أو طبيب عام (جي بي) أيام زمان. خلدت ذكره أغنية شعبية قديمة يقول فيها من يعاني من صدود وهجران حبيبته. بأن ذلك أصابه بـ(علة حار فيها الدختور الرخاوي)، وثمة أمور غريبة تحكم علاقة البعض أيام زمان مع الدواء والأطباء. فعندما يستلم المريض وصفة الطبيب بعد الكشف عليه. وقبل أخذها من الصيدلية والصيدلي يسأله هل وصف له الطبيب إبرة (حقنة) أم لا؟ فإن قال الصيدلي: لا. قام برمي الوصفة في أقرب سلة مهملات أو في الشارع. بل قد يقوم المريض برمي الدواء في وجه الصيدلي متذمراً. وهو يذم الطبيب بقوله: إنه لا يفقه في الطب. فكيف لا يصف له إبرة. ويصف له حبوباً فقط، وبالأخص إن كان لون الحبوب الموصوفة أبيض. وأذكر امرأة من (الأولين) كانت تقول: (وش ذا العلاج حبوب جص) وعند تذكر مستشفى الشميسي ومستوصف الفوطة. نجد أن من كان يراجعهما آنذاك

لا بد أن يجد حبوبًا وقوارير أدوية لم تستعمل متناثرة حولهما وفي الممرات. والبعض يحط من قيمة الأطباء، (ويتريق) عليهم. كالذي يقول للطبيب (بشتي يوجعني)، فما كان من الطبيب الأعجمي إلا أن وصف لمن يشتكي (من بشته) حبوبًا يأخذها حبة صباحًا. حبة مساء (سوانح ماضية)، وقد حدثني من أثق به: أن إحدى نساء أيام زمان كانت أختها تستعمل بعض الأدوية. عبارة عن حبوب وكبسولات، (قد تكون مضادًا حيويًا) وشرابا للكحة. وعندما شُفيت قامت تلك الأخت بتناول ما زاد عن حاجة أختها من أدوية (كبسولات وشراب) لا داعي لاستعماله. بل يجب إتلافه والتخلص منه. وهي تقول (حسوفة ننطله ونكبه)، أو حرام نرميه. وهو موقف ليس ببعيد عن قول (بعض العامة)، عندما يدعون (ويلزمون) على أحد لشرب الشاي. فيقولون: لماذا لا تشرب. تقهو (اسمه بيكَب)، أي إن لم تشرب ذلك الشاي الجاهز والمُعد سلفا فسنقوم بالتخلص منه في مكان آخر (اسمه بيكَب)، فبطن الضيف أولى. أو لا. فما رأيكم؟!



البعوضة ومُقلة الأسد

ثمة حقيقة قد لا يعرفها الكثير من الناس فيما يخص الناموس أو البعوض، وهي أن معظم ما يزعجنا (باللسع أو اللدغ والتقريص) هم ذكور البعوض. التي تتكاثر عند سقوط الأمطار. بينما من ينقل الأمراض هن الإناث من بعوضة الأنوفلس. وهن الأقل بفضل الله. وأتعجبُ كثيرًا من ضالة وحقارة أنثى بعوضة الأنوفليس، وما تسببه من أمراض خطيرة. وأعجب أكثر عندما أعرف أن مكافحة أمراضها. بل ومنع حدوثها بسيط جدًا. وهو وقائي بالدرجة الأولى. أي رش المبيدات وردم المستنقعات. لمنع تكون المياه الراكدة (ستقننت ووتر)، وهو عمل منوط بالطب الوقائي في وزارة الصحة بالدرجة الأولى، وصحة البيئة التابعة لكل منطقة. أي إن مكافحة مرض: كالملاريا يعتمد على شيئين أساسيين. رش البعوض بالمبيدات أينما وجد. وقبلها وفي أثنائها منع تجمع مياه المستنقعات وردمها إن تكونت نتيجة الأمطار، والردم بحد ذاته سيفنينا عن الرش والعلاج. فلا بعوض سيتواجد، ولا أمراض تحتاج إلى علاج بأقراص الكلوروكوين وغيره من أدوية، يتم اكتشافها وتطويرها لمحاربة هذا المرض العالمي، الذي يقتل الملايين سنويًا. وفي بلدنا تشتهر مدينتان عزيزتان، هما جدة وجازان. فجدة تعاني من حمى الضنك كلما هطلت الأمطار. وجازان لم يتم القضاء على الملاريا فيها. وأشدّها خطرًا الملاريا المخية. والمستوطنة مع الأسف في جازان منذ سنين. ومن نافلة القول: إن أنثى بعوضة الأنوفلس هي المسببة

للملاريا، وهي ابنة عم البعوضة المسببة لحمى الضنك. وقد تكون نفسها السبب في نقل المرضين. الفرق أنها في الملاريا تحمل باراسايت، وفي حمى الضنك تحمل فيروس. إلا أن بعوضة الأنوفلس. الذكر والأنثى المسببة للملاريا أكثر ضالة وحقارة (دونية)، وتعيش أو تتواجد في المستنقعات الأكثر اتساخًا. بعكس بعوضة حمى الضنك أو البرنسيصة. كما يسميها سكان جدة. التي تعيش وتتكاثر بوضع بويضاتها في المياه الراكدة (النظيفة نسبيًا)، والمتبقية في الصفائح الفارغة والبراميل والإطارات وعند مكيفات الهواء وحول المسابح. وتلدغ ضحاياها نهارًا بعد الشروق وقبل الغروب بساعتين. والمعروف أن إناث البعوض فقط هي التي تمتص الدم (في أثناء لسع الإنسان) فتمتص ما بين ١ ملي إلى ٥ ملي لإنضاج البيض ونقل المرض حسب نوع المرض الذي تنقله. وأجزاء فم ذكر البعوض غير ثاقبة لجلد الانسان. فتتغذى على رحيق الأزهار وعصارات النباتات. والبعض (من سكان جدة) يقول: إن لدغة العقرب أهون من لدغة بعوضة حمى الضنك. وهذا كلام فيه الكثير من الصدق. فقديماً قيل: إن البعوضة تُدمي مُقلة الأسد.



دكتوراه و(طشوت)!

ثمة مسرحية قديمة (باي باي لندن) يُشير فيها حسين أو (حسينوه) إلى مريم الغضبان التي تمثل دور زوجته في المسرحية قائلاً: هذي زوجتي (قبل النفط). فأصبحت مقولة يتندر بها الرجال عندما تتحسن أحوالهم المادية للأفضل، ويريدون الزواج بأكثر من واحدة. أو تطليق زوجته القديمة والزواج بأخرى. فينسبون من وقف معهم في مشوار الحياة والكفاح وأيام الفقر، وفي عام ١٤١٤ كتبت مقالة (في غرايل) عن العلاقة الزوجية تحت عنوان (عن غيرته وشكها) أغضبت بعض (القوارير) عليّ أو مني عندما قلت مداعباً: إن المرأة هي المرأة، ويتساوين في ذلك حاملات الدكتوراه مع حاملات (الطشوت)، وعلمياً ومن الذاكرة أقول: إن العجز الجنسي (إيمبوتنسي) يكون أكثر لدى الذكور من الإناث. والعقم (إنفيرتلي) أو عدم إنجاب الذرية يكون أكثر لدى الإناث. فالرجل قد يصل المئة من العمر وتتندي فحولته ومقدرته الجنسية. ومع ذلك بإمكانه الإنجاب إن تهيأت له الأسباب. أما المرأة فعدد البويضات التي تحملها محدود ومعروف عدده في رحمها، وهي جنين في رحم وبطن أمها. ومن ثم خصوبتها محدودة إلى سن معين: سن اليأس، ولعل أشهر برنامج فضائي يناقش قضايا جنسية (في الصميم) برنامج الدكتورة فوزية الدريع. وهو برنامج له معجبه، وله من ينتقده لجراته في طرح القضايا الجنسية. ما علينا. والمرأة العربية يغلبها الحياء. والجنس في عالمنا العربي موضوع ذكوري، وكأن المرأة ليست

طرقاً فيه. فقد سمعت ورأيت في برنامج في إحدى القنوات الفضائية العربية امرأة متزوجة لخمس وعشرين سنة، وأنجبت أطفالاً. ومع ذلك لا تعرف أن هناك متعة تحصل عليها المرأة من المعاشرة الزوجية. إنه حياء المرأة العربية. الذي قل لدى الكثير من نساء قنوات الفضائيات هذه الأيام. وأعود إلى حاملات الدكتوراه. فقد غضبن علي غضبة مُضرية آنذاك. مع أنني كنت أمدح (حاملات الدكتوراه)، فالشهادة العليا لم تتف عنها صفتي الأنوثة والأمومة المحببتين لدى كل جنس ناعم. أما (حاملات الطشوت) فكان الله في عونهن، وعون من يتزوجهن. فالجهل يخيم على حياتهن. ولأنهن (حاملات طشوت) لم يقرأن ما كتبته في (غراييل) منذ سنين طويلة. وأشك في قراءتهن لهذه السوانح.



فراولة

في أحد أسواقنا التجارية الفارحة لفت نظري طماطم صغيرة الحجم،
(كأنها فراولة أو كرة بنق بونق مصبوغة لوناً أحمر)، والذي لفت نظري
هو صغر حجمها وجمالها وسعرها الغالي. وعندما سألت عن سبب غلاء
ثمناها؟ قيل لي: إنها منتج طبيعي، ليس به إضافات كيميائية أو هرمونات
أو مواد حافظة. قدمت إلينا من سهول وحقول سويسرا وهولندا. وحجم
هذه الطماطم الصغير ذكرني بتفاح صغير الحجم أيضاً. كنا نسميه: تفاح
الديرة. لعلكم تذوقتموه، كما فعلت مرات عديدة أيام زمان. عندما كنا لا
نعرف من التفاح إلا هو. ويعد تفاح الديرة من أسوأ أنواع التفاح. فلا شكل
ولا طعم. فليس له من التفاح إلا اسمه فقط. ويسمون هذا النوع من التفاح
(في الكويت) تفاح (أبو --) عندما قام الممثل الكويتي حسينوه بزراعته
للاتجار به في أحد المسلسلات التلفزيونية. وتفااح (الديرة) أعتقد أنه
اختفى، ولم يعد أحد يزرعه، لأنه لم يستطع الصمود أمام الأنواع الفاخرة
والمستوردة من التفاح، التي انتشرت. فلم نعد نرى تفاح (أبو --) هذه
الأيام. وأعود إلى الطماطم أو البندورة. التي يُكتب عنها الكثير. كمقاومة
الطماطم النيئة لسرطان البروستات. أو عندما تُطبخ وتؤكل فتقاوم مرض
آخر. في خبر آخر. والطماطم سلعة غذائية استهلاكية لا تستغني عنها
كل الشعوب. فوجود الطماطم ضروري في الكثير من الطبخات. فهو
(مع البصل) يعد أساسياً لإعداد الكثير من الأطباق. فلا أرز أو فول أو

شكشوقة بالإمكان إعدادها، وأكلها دون طماطم. حتى التسمية تجدها متقاربة في جميع اللغات تقريباً. (طماطم بالعربية وتوميتو بالإنجليزية وطوماطررر بلغة السند والهند)، وأسعار الطماطم دائماً متقلبة. بين ارتفاع شديد أو رخص، يجعل قيمتها بتراب الفلوس. وفي مصر يطلقون على الطماطم (المجنونة) عندما يرتفع سعرها. والأولون لا يعرفون شيئاً اسمه انتهاء الصلاحية في المواد الغذائية. وعندما يبدأ الخراب في الفاكهة أو الخضراوات كالطماطم مثلاً يقولون: إنه (مستوي). ولم يدر بخلدهم أن هناك شيئاً اسمه تسمم غذائي. على نياتكم ترزقون، والحافظ الله. ويُروى عن أحدهم أنه كان عندما يشتري الطماطم. كان يقوم بتوصية أهله بالبذاء (طبخ واستهلاك) بالطماطم الذي يكون ليناً (خربان) أو مستويًا في رأيه. وترك الطماطم الذي قوامه متماسك إلى أن يستوي ليأكلوه حينئذ. فيصبح هو وأهله لا يأكلون إلا طماطم فاسد.



طاسة مالطية

كانت لي تجربتان مع حليب الخلفات. الأولى في مزرعة صديق عزيز، يعرف أنني لا أرد له طلباً مهما كان. فتناولني طاسة مملؤة بحليب. يعلوه زَبْدٌ ناصع البياض. حُلب للتو من ضرع ناقة أصيلة من نوع المغاتير (دايف ويتنابط) قائلاً: سَمَ بالله واشرب. فشربته بلا تردد. وقلت في نفسي بعد تذوقه وشربه: إن محبي حليب الخلفات لا يُلامون. حتى لو كان الثمن إصابة بحمى مالطية. لجمال ولذة الطعم وتميزه. وتجربتي الثانية مع ذلك الحليب العجيب هي عندما أحضرته من سوق مركزي كبير ومبسترًا في عبوات جميلة. فلما طعمته منتظرًا الطعم الأول (اللي يخبل) لم أجده. ولم أستطع التفريق بينه وبين طعم أي حليب آخر. وأذكر أنني بعد تجربتي الأولى لم أصب بفضل الله بالحمى المالطية. لأن المغاتير كما قال صاحب المزرعة مطعمة وتخضع لإشراف وعناية طبيب. بيطري سوداني أريب. واضطرت فقط بعد شرب حليب المغاتير إلى زيارة الحمام بضع مرات. كما صور ذلك الفنان المبدع ناصر القصبي. والسبب طرد ما كان في بطني من (غش) آنذاك. ما علينا. وثمة حقيقة علمية يغفل عنها الكثير من محبي حليب النياق. ويزيدها منظر الحليب المحلوب للتو من ضرع الناقة. والذي يُعْري من يراه بالشرب. كما حدث لي وحليب المغاتير. والحقيقة العلمية هي الاحتمال الكبير لوجود بكتيريا الحمى المالطية في الحليب غير المبستر أو المغلي. لقتل جرثومة الحمى المالطية الخطيرة إن وجدت.

وعذر محبي تناول الحليب من ضرع الناقة مباشرة، هو أن الغلي والبسترة يُفقد الحليب طعمه اللذيذ والمميز. ومرض الحمى المالطية أصبح لا شعورياً لدى ملازمًا لكلمة نياق ونوق وخلفات. وجريدة الرياض لا تفتأ بين حين وآخر تُذكر وتُحذر من خطر وجود بائعين يجولون مع خلفاتهم. لبيع الحليب بعد حلبه وتقديمه في بيئة وطاسات قذرة. يقوم بها عمال لا يتمتعون بأي قدر من النظافة في أنفسهم وطيّاسهم، التي يحلبون فيها. وفي أحد التحقيقات ازدانت صفحة الرياض الاقتصادي ليوم السبت ١٨ رجب ١٤٣٠ بتحقيق عن تنامي تجارة حليب الخلفات على قارعة الطريق في مدينة الرياض. وأن الجرعة الملوثة بيكتيريا البروسيللا. المسببة للحمى المالطية (بروسيلوسز) ب: ٢٠ ريالاً (يا بلاش) وأنصح من لم يطلع على التحقيق بأن يشتري الجريدة ويقرأه. وإن لم يجد الجريدة فليطلع عليه في النت. ففيه الكثير من المعلومات العلمية القيمة التي تُفيد من يقرأها من عامة الناس وخاصتهم. وبالأخص من محبي شرب حليب الخلفات من غير غلي وبسترة. وطبياً باعة حليب النوق أو الخلفات أضافوا سبباً في علم الترصد الوبائي. في طب الأسرة الوقائي. أكمله مع ما تبقى من حديث عن ميكروب البروسيللا في الطاسة. في السوانح القادمة.



أجسام غريبة

ثمة عادة سيئة يفعلها بعض الرجال والنساء، وهي العبث بأذانهم، (وحكها) بأجسام غريبة وحادة في بعض الأحيان (مفتاح السيارة للرجل، وتوكة الشعر للمرأة)، وهو تصرف أقل ما يقال عنه: إنه تصرف غير حضاري. يكون ضرره بين نقل البكتيريا والفطريات إلى الأذن وخدش، أو جرح القناة السمعية، أو الأذن الخارجية وصولاً إلى طبلة الأذن الرقيقة. ينتج عنه (مع إدخال الفطريات) ما يُسمى (أوتومايكوسز)، وقد يبالغ (من يحك أذنه) مستمتعاً (ومصدرًا صوتًا في أثنائه) لدرجة تؤدي إلى ثقب طبلة الأذن. فيدخل من تعود أو تعودت على تلك العادة السيئة في التهاب الأذن الوسطى (أوتايتس ميديا) الحاد والمزمن، إن لم يعالج، ويتم عملية ترقيع الطبلة. وفي سوانح ماضية كان الحديث عن إرعاف، أو نزف الأنف الذي كنت أعانيه في طفولتي والمراهقة. واختفى من دون علاج في بداية الدراسة الجامعية. وهناك علاقة قوية بين الطبيب ومنظر الدم. ومن أكثر الحالات التي (يدق البيجر) من الإسعاف أو الإي آر هي لأطفال صفار قاموا بإدخال أجسام غريبة صغيرة (قُرْن بودي) في أنوفهم (وأحيانًا في الأذان)، ومن هنا تبدأ المشكلة. فالمرضى طفل لا يُحسن التعامل والتعاون مع الطبيب وتعليماته. بل يُخيفه منظر الطبيب وأدواته. مهما حاول الطبيب كسب ثقة الطفل والتودد إليه. وفي حالات كثيرة اضطررت للتعامل مع بعض الأطفال بقسوة لإخراج جسم غريب صغير

من أنف صغير لطفل صغير. فعدم النجاح يعني تعريض الطفل أو الطفله للبلنج العام. وقد يكون الجسم الغريب قد انتقل إلى أماكن أبعد داخل الجسم. كالرئة أو الأذن الوسطى بعد خرق الطبلية إن كان الطفل قد أدخل الجسم الغريب في إحدى أذنيه. وأذكر طفلة في الثانية عشرة من عمرها أتتني في العيادة بصحبة أبيها، وهي تبكي وتشتكي من ألم في أذنيها. وبعد الكشف أخرجت من أذنيها (بالمقاط) قرابة العشرين قطعة من قطع الخرز الصغيرة (والدبق)، بعدها طلبت من الأب الخروج والانتظار خارج العيادة قليلاً إلى أن أناديه. وبصحبة الممرضة قمت بما يشبه التحقيق مع الطفلة. وعندما قمت بسؤالها: لماذا فعلت ذلك في أذنيك؟ قالت: إنها تريد لفت انتباه أبيها إليها، الذي لا يسأل عنها. بعد أن طلق أمها. وبتركها (عند ذهابه لعمله) مع زوجته التي كانت تُسيء معاملتها. وللحديث صلة.



في التدخين والفحولة

ثمة حقيقتان يجدر الإشارة إليهما في بداية سوانح الأولى: أنني كتبت عن التدخين عشرين مرة أو تزيد في سوانح، وقبلها غراييل، وغيرهما من إصدارات صحفية، أو مطويات توعوية. والحقيقة الثانية: ذات الصلة بالتدخين، وهي أن الإعلام الغربي قوي وفاعل في أي موضوع يتناوله عبر وسائله. بعكس إعلام العالم الثالث. ولنأخذ التبغ أو السجائر مثلاً على ذلك. فالغرب عندما أراد تشديد الخناق عليه (الدخان والمدخنون) فعل ونجح في ذلك (في الغرب طبعاً)، ونجح أيضاً في العالم الثالث، ولكن بطريقة معكوسة. أي كلما أقلع واحد منهم عن التدخين وقع لدينا عشرة. فالحملات التوعوية في الغرب عن مضار التدخين يقابلها دعايات وإغراءات تتبناها وسائلنا الإعلامية مع الأسف لإيقاع شباب وشابات العالم الثالث في التبغ والتدخين. واقروا الإحصائيات، وماذا تقول. أي أن ما تخسره شركات التبغ من أسواق في الغرب بفعل الحملات الإلزامية التي تقوم بها ضد التبغ تُعوضه من أسواق العالم الثالث. وكل دولة من دول العالم (أوله وثالثه. ناميه ونائمه) لها طريقته الخاصة في التحذير من آفة التبغ والتدخين. مع أن الأغلبية تتبنى الصيغة الكلاسيكية المعروفة والعتيبة: التدخين يُسبب أمراض القلب، وسرطان الرئة، وننصحك بالامتناع عنه. وأعجبني خبر قرأته يقول: إن الحكومة التايلندية أجبرت شركات السجائر على كتابة تحذير على علب السجائر: بأن التدخين يمكن أن يسبب العجز

الجنسي. بالإضافة إلى تسع نصائح أخرى يجب أن تغطي ٣٠٪ من سطح العلبة (بكيت السجائر)، وفي صيغة الخبر (القديم نسبياً)، ذكر أن ذلك التحذير يؤيده بحث قام به المجلس الأمريكي للعلوم والصحة عن علاقة التدخين بالعجز الجنسي. وبعض المدخنين (شباب وشباب) لا يخاف على قلبه من جلطة أو على رثته من سرطان بسبب التدخين. ولكنه يخاف كل الخوف إن هُدد بأن التدخين يسبب العجز الجنسي. فليت كل الدول تفعل كما تفعل تايلند بكتابة ذلك التحذير. أي علاقة التدخين بالفحولة. فمن المؤكد أن الكثير من المدخنين سيخاف ويستجيب للتحذير ويقطع. فكل شيء يهون إلا الفحولة وتبييض الوجه أمام أم العيال.



لوسي؟!

ثمة كلمة (بذيئة) تتردد في الأفلام الأمريكية من الصعب وغير اللائق علي وعلى مترجم الأفلام الأمريكية في التلفزيون شرح ماذا تعني بالضبط، وترجمتها حرفياً. لذا تتردد كلمة (تباً لك) في شاشة التلفزيون ترجمة لتلك الكلمة، التي تتردد عشرات المرات في كل فلم أمريكي حديث، قد لا تتعدى مدته ساعة واحدة. وهذه الكلمة البذيئة أو السوقية إنما تتردد في الأفلام الأمريكية الحديثة. ولم نكن نسمعها في الأفلام والمسلسلات الأمريكية الجميلة والقديمة. مثل جحيم المعركة وبونانزا أو مسلسل (فيوجدف) الهارب (والخبلا) لوسي في لوسي شو. وأنتقل لتكملة ما ذكرته في سوانح ماضية عن الأمراض التناسلية وعلاجها. فثمة حقيقة طبية وأخلاقية واجتماعية، وهي أن أمراض السيلان والزهري والإيدز وثيقة الصلة بانحراف الإنسان وعدم استقامته. وفي الغرب -وهذا شأنهم- يركزون توعوياً لمكافحة تلك الأمراض على الأخذ بأسباب منع انتقال العدوى بتلك الأمراض، كاستعمال الواقي الذكري، ونحو ذلك. أما نحن المسلمون فوسيلتنا الأهم هي العفاف والبعد عن أي علاقة جنسية خارج نطاق الزوجية. وبطبيعة الحال الغرب ليس كله شر (وديائة وخنى)، بل هناك في الغرب رجال ونساء يرون ويطبقون حياة الفضيلة والعفاف، ولديهم من الغيرة والاستقامة في السلوك الشيء الكثير. واكتشاف البنسلين قبل ستة عقود أو تزيد يُعد فتحاً طبياً آنذاك في علاج أمراض كانت

تفتك بأرواح كثيرين من الناس: كمرضى السيلان والزهري (القونوريا والسيفلس) ومرض السيلان وبعده الزهري مرضان ينتقلان بالعدوى في أثناء الممارسة الجنسية خارج نطاق الزوجية، كان بمثابة عقاب لكل من يسلك ذلك السلوك الشائن، الذي تُحرّمه كل الأديان. وباكتشاف البنسلين تم مكافحة السيلان والزهري، وعلاج كل من يُصاب بهما وبسهولة. وتاريخيًا ظهر مرض الإيدز كصفعة في وجه كل شاذ ومنحرف جنسيًا لم يستطع العلم الحديث التوصل لعلاجهِ حتى الآن. برغم مرور أكثر من ثلاثة عقود على تشخيصه واكتشافه، وقد يكتشف العلم علاجًا ناجعًا للإيدز يومًا ما، لكن الله سبحانه قادر على إيجاد مرض جديد يصيب به كل من يسلك سلوكًا شاذًا يروي به غريزته الجنسية خارج نطاق الزوجية.



ميلامين أيضًا؟!

كتبت في سوانح ماضية عن الميلامين. عندما كان حديث المجالس ووسائل الإعلام. وهذا موضوع الميلامين لشهرين تقريبًا. ليظهر على السطح الإعلامي مرة أخرى، وفي أحاديث الناس هذه الأيام. فماذا حصل بالضبط؟ ولماذا يشعر الكثير من الناس بقلق وخوف كالذي حصل من الطحينية والفسق الحلبي قبل سنة أو تزيد؟ بعدها نسي الناس موضوع الطحينية والفسق الحلبي. وعادوا لأكل الطحينية بالفسق الحلبي وبدونه. مع أنهم لم يجدوا جوابًا شافيًا على سبب قلقهم وخوفهم من وزارة التجارة أو حماية المستهلك. وفي قناة العربية شاهدت هذه الأيام مسؤولاً رفيع المستوى، وهو يكاد يبيع صوته مطالبًا بحماية المستهلك لا التاجر فقط، كما يقول وإخبار الناس عن التجار الذين يستوردون الحلويات وبودرة الحليب، التي تحتوي على مادة الميلامين السامة. فالناس كما قلت في سوانح سابقة أصبحت في (حيص بيص)، فمن نقل الخبر لا يُعطي من يقرؤه كل شيء عما نقله. إلا التخويف ومعلومات غير كافية. والجهات ذات العلاقة إما تنفي أو تتكتم أو تُطمئن الناس. والشائعات أو الإشاعات إنما تبرز ويُروج لها في غياب المعلومة الصحيحة. كما هو معروف. وكلام الناس أو وكالة (قالوا) أو كما يقول عادل إمام (الدليل ألو لو) نشطة هذه الأيام بعد أن هدأت لشهرين تقريبًا فيما يخص مادة الميلامين السامة الموجودة في بودرة الحليب. والقادمة من الصين. فما هو الميلامين يا تُرى. سؤال

أوجهه عبر سوانح. لعل من يعنيهم الأمر يجيبون عليه. والخوف والتحذير ليس لدينا فقط. بل لدى دول كثيرة تستورد منتجات صينية. وسبق لي أن ذكرت أن هيئة الرقابة على الغذاء والدواء الأندونيسية أكدت احتواء ١٢ منتجًا غذائيًا مستوردًا من الصين على مادة الميلامين. منها كعك وحلويات ومشروبات. حيث أظهرت الاختبارات وجود مادة الميلامين في بسكويت (أوريو) وشوكولاتة (إم أند إم) وسنيكرز. والخبر الأخير يفيد بوجود مادة الميلامين في منتج (حلاوا) لا أعرفها موجودة في أسواقنا، وتُدعى أبولو ومصدري في ذلك هو جريدة الرياض وقناة العربية. وذكر جريدة الرياض لخبر أسماء الحلويات والبسكويت (القادم من اندونيسيا) دليل على مصداقية وصراحة جريدة الرياض. فأين المصداقية والصراحة التي أصبح اسمها شفافية يا هيئة المواصفات والمقاييس وحماية المستهلك، فكلمة ميلامين أصبحت توحى بالخوف والرعب.



التهاب الحلق

ثمة حقيقة فيما يخص استئصال اللحمية واللوز. وهي أن توقيع إقرار العملية يُكتب فيه استئصال اللحمية، واحتمال استئصال اللوزتين (أدينويد. كويري. تنسلكتومي)، والسبب أن وضع المريض (طفل في العادة) تحت تأثير البنج العام تُمكن الجراح من فحص اللوزتين جيدًا. فإن بدت اللوزتان بحالة جيدة، وليس بهما أي علامة للالتهاب المزمن من بؤر صديدية ونحوه. يتم الإبقاء عليهما. والاكتفاء باستئصال اللحمية فقط. وإن بدا عليهما الالتهاب المزمن. كأن تحويان بؤرًا صديدية، وتقران صديدًا من حين لآخر. يتم استئصالهما مع اللحمية. ولا أبالغ إن قلت: إن التهاب الحلق واللوز هما أكثر الأمراض التي يكشف عليها ويشخصها ويعالجها طبيب الحنجرة وطبيب الأطفال والطبيب العام أو طبيب الأسرة. بالنسبة للمرضى من صغار السن. ولوعُملت دراسة (سريفة) وشملت أيضًا الصيدليات الخاصة. لوجد أن أكثر العلاجات المصروفة (بوصفة طبية ودون وصفة) هي لعلاج التهابات الحلق واللوز. وصرف المضادات الحيوية وغيرها من أدوية دون وصفة طبية أُشيعت طرْحًا ونقاشًا. ما علينا. واسألوا من التهابت حلقهم من عامة الناس. ماذا تذكرهم كلمة أو دواء أموكسيل. كبسولات وشراب. وكيف يحصلون عليها متى شاءوا من أي صيدلية خاصة. إلا أن هذه قضية أخرى. وأعود إلى عمل الأطباء. فلو عملت دراسة في كل تخصص طبي، وما يراه الطبيب والطبيبة في عياداتهم يوميًا.

لبرزت بعض الأمراض أكثر من غيرها. كأن نرى مرض السكر في عيادات الباطنية والغدد. والاكتئاب لدى الطبيب النفسي والتسوس عند طبيب الأسنان وهكذا. ومن نافلة القول. أقول: إن التهاب الحلق واللوزتين لدى الصغار والكبار بصفة عامة. ولتبسيط الأمر لدى القارئ العزيز. ينقسم إلى نوعين. التهاب بكتيري يجب فيه استعمال المضاد الحيوي. بعد فحص الحنجرة وأخذ مسحة (سواب) من الحلق وإرسالها للمختبر لتحديد نوع البكتيريا ونوع المضاد الحيوي المناسب. أو التهاب فيروسي لا يحتاج المريض إلى مضاد حيوي لعلاج. بل قد يضره. والعلاج يكون تحفظياً (كونزيفتف) للأعراض. إلى أن يأخذ الفيروس دورته في الجسم وينتهي. كالعديد من الأمراض الفيروسية. وفي الأخير أقول: إن هناك ثمة مفارقة أقف عندها لأختم سوانح. فكل طفل يشتكي من التهاب مزمن في اللحمية واللوزتين. يُمنع من تناول كل شيء بارد. وبالذات الآيس كريم . وعندما يفيق من البنج بعد استئصال اللحمية واللوزتين يكون في انتظاره آيس كريم شهى. كأول ما يتناوله بعد إفاقة من البنج. فأقول للأمهات والآباء الذين يستغربون ذلك. إن السبب يكمن في برودة الآيس كريم. حيث تؤدي البرودة إلى انقباض في الأوعية الدموية في الحلق. فتساعد على إيقاف النزف في مكان العملية إن وجد.



وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت

حدثني من أثق به (طبيب) بالآتي:

قبل بضع سنين كنت مبتعثاً لتكملة دراستي العليا في مدينة بوسطن بأمريكا، وكانت بصحبتني زوجتي الحامل في شهورها الأخيرة. وعندما جاءها المخاض ذهبت بها للمستشفى الذي أعمل وأدرس فيه. وعند إجراءات التنويم كي تلد هالنا واستغربنا وبالأخص زوجتي ما سمعناه من موظفة يُقال لها الأخصائية الاجتماعية (سوشيل ووركر)، عندما سألت زوجتي (آر يو ماريد) أي هل أنت متزوجة؟ فصُغت زوجتي -القادمة من قرية نجدية محافظة- من السؤال استغراباً وخوفاً. فأخذت أهدئ من روعها، وأشرح لها اختلاف الثقافات قائلًا: إنه في أمريكا وكثير من الدول من الطبيعي أن تلد المرأة أو حتى الفتاة الصغيرة دون زواج من صديقها أو نتيجة علاقة عابرة. انتهى كلام من أثق به. ونظرة سريعة لأخبار فتاني ومشاهير الغرب تُنبئ بالكثير وتشرح سؤال (آر يو ماريد) كعقد قران اللاعب الأسطورة مارادونا على زوجته بعد أن أنجبت منه ثلاثة أطفال. ولا أعمم. فالغرب ليس كله شر وانحراف. فقد عرفت وزاملت بعض الغربيين، فيهم الكثير من الأخلاق الحميدة والنخوة والغيرة، وينتقدون ويمقتون ما ذهب إليه الكثير من بني جلدتهم من بُعد عن تعاليم السماء، ويحثون على الأخلاق الحميدة من قول أو عمل. وأعود لتكملة الحديث عن الأمراض التناسلية وعلاجها. فثمة حقيقة طبية وأخلاقية واجتماعية،

وهي أن أمراض السيلان والزهري والإيدز وثيقة الصلة بانحراف الإنسان أو استقامته. وفي الغرب -وهذا شأنهم- يركزون توعويًا لمكافحة تلك الأمراض على الأخذ بأسباب منع انتقال العدوى بتلك الأمراض. كاستعمال الواقي الذكري ونحو ذلك. أما نحن المسلمون فوسيلتنا الأهم هي العفاف، والبعد عن أي علاقة جنسية خارج الزوجية. وبطبيعة الحال وكما قلت: ليس الغرب كله دياثة وخنى، بل هناك في الغرب رجال ونساء يرون ويطبقون حياة الفضيلة والعفاف، ولديهم من الغيرة الشيء الكثير.



استنساخ ومسح

قبل خمس سنوات أو تزيد ماتت النعجة دوللي أو دولي التي أُستنسخت في العام ١٩٩٨؛ محدثة ضجة إعلامية عن موضوع الاستنساخ آنذاك؛ لم يشهد الإعلام مثيلاً له؛ وقد ماتت دولي بعد أن شاخت قبل أوانها أو العمر المفترض للنعجة أو (صخلة)، فماتت في عمر السادسة، أي نصف العمر الافتراضي لفصيلتها؛ وماتت دون ضجة إعلامية، كما حدث عند استنساخها؛ فلم يعلم بها إلا من أشرف على استنساخها؛ ووضع نهاية لحياتها بحقنة؛ بعد أن أظهرت الفحوص البيطرية إصابتها بمرض رئوي؛ وقبل ذلك في سن الثالثة أصيبت بالتهاب في المفاصل، لا يصيب عادة إلا (الهرش والحيل) من الأغنام والجمال؛ وهو دليل أيضاً على أن آلام والتهابات المفاصل، ليست قسراً على (عواجيز) بني البشر؛ وموضوع الاستنساخ (كلوننق) يثار على جميع الأصعدة والأروقة؛ دينياً وسياسياً واجتماعياً؛ الجد والهزل؛ بينهما خيال خصب؛ وجد أحدهم فيه تحقيق أمنية بأن يستنسخ شبيهاً له، ليقوم بالدوام والحضور في الصباح الباكر والتوقيع عنه؛ وليت الموضوع لا يتعدى ذلك من التندر والتمنيات المعروف استحالة تحقيقها؛ بل إن موضوع الاستنساخ أمارت اللثام عن وجه قبيح لمستغلي ذلك الاكتشاف؛ حيث فكرت فئة من العلماء، مدعومة من شركات عملاقة ودول فكرت باستنساخ رجال أقوياء البنية، بالتلاعب بجيناتهم، فلا يتمتعون بأي ذكاء أو طموح؛ ليكونون مسخرين ومطيعين

للأوامر فقط؛ بما يشبه الاستعباد؛ إلا أن ما حدث من تجارب واستنساخ منذ دولي إلى الآن على الحيوان وعلى الإنسان، كانت نتائجه غير مشجعة؛ ما جعل هؤلاء العلماء ومن يقف خلفهم يصرفون النظر؛ خشية أن ينقلب السحر على الساحر؛ ومع أن الغرب تقبل الشذوذ الجنسي، إلا أنه وبالعكس ما يعتقد البعض لم يتقبل الاستنساخ وحاربه؛ وشدني خبر في الإنترنت من بروفييسور يحذر من تطبيق تجارب الاستنساخ على الإنسان؛ لأن كل التجارب والبحوث أدت إلى مسخ وفشل ضد نواميس الكون والحياة وإبداع الخالق سبحانه.



الصَّحِيَّةُ (١-٢)

ثمة حقيقة أقولها لقراء سوانح. وهي أنني مسكون بحب ماضي مدينة الرياض وأهلها الطيبين. فلا أجد مناسبة إلا ووقفت على أطلال الرياض. وصدى سنينها الحاكي. ببوح يفهمه وقد يُعجَّبُ به قراء ممن هم في سني من كهول وشيوخ. ولا يفهمه القراء من صغار السن وصغيراته. وقد قيل: إن ترديد المرء أو الإنسان لشيء ما وذكره له. دليل على محبة ذلك الشيء. فأرجو المَعذرة. وفي عام ٢٠٠٠ كنت مسؤولاً في مجلة طبية. حرصت في أثناء عملي فيها. ولمدة سنة. أن ألقى الضوء على ماضي الرياض طبياً. ومن كان يُعالج الناس. فاستضفت في المجلة أطباء مشهورين عدة. وممن كانوا على وشك التقاعد بعد ممارسة مهنة الطب لسنين طويلة. فذهبت إليهم في عياداتهم برفقة مصور المجلة. وكان أبرزهم الدكتور مناور أبا الخيل والدكتور تشانق رحمهما الله. وطببية الأطفال الدكتورة حُسن آرا. المعروفة لسكان شرق الرياض. وكانت عيادتها منذ أربعة عقود أو تزيد، وإلى الآن في أول شارع الثميري إلى اليمين. ويحدها غرباً ساحة وساعة الصفاة، وصيدلية شبيب آنذاك. وذكرني لاسم الصيدلية هنا لا يعد دعاية لها. حيث لا وجود في الوقت الحالي لصيدلية بهذا الاسم (شبيب)، إلا في ذاكرة من عايش الديرة والصفاة في عصورٍ خوالٍ، وماضٍ لن يعود. وأستغرب عدم انتشار صيدليات باسم شبيب. فبيع الدواء بموجب النظام الحالي. تجارة رابحة. والدليل: أن بين كل صيدلية وصيدلية تجد

صيدلية قائمة أو ستقام. ما علينا. ولكي تكتمل الصورة عن الطب والعناية الصحية في الرياض قديماً. تذكرت رجلاً سعودياً فاضلاً كان جاراً لنا في حيننا الطيني. في القرينين. ويعمل ممرضاً في مستشفى الشميسي. ويلقب بالدكتور (دكتور عند كبار السن)، فقررت استضافته في المجلة. ليروي قصة كفاحه ومشواره مع مهنة التمريض. فبحثت عن رقم هاتفه لأعرض عليه الفكرة. وإجراء لقاء صحفي معه. بصفته من أوائل من امتهن مهنة التمريض في مدينة الرياض. وعندما هاتفته وأبدت له رغبتني في إجراء لقاء صحفي معه. ليروي قصة كفاحه ومشواره مع مهنة التمريض. امتنع مني واستاء لطلبي. قائلاً: إن مهنة التمريض مرحلة من حياته انتهت ونسيها. ولا يُريدني أو أي أحد أن يذكره بأنه كان ممرضاً فيما مضى. فاستغربت لكلامه. لأنني كنت أعتقد أنه سيرحب بي ويفتخر بماضيه. ويوافق على إجراء اللقاء: (اللي ما له ماضي ما له حاضر)، أو (اللي ماله أول ماله تالي). فليته وافق. ولو فعل ذلك. لكنت ذكرت اسمه هنا في سوانح. مفاخرًا ومفتخرًا ومشيداً به.



الصَّحِيَّةُ ١٩ (٢-٢)

ثمة تسمية كان الأولون من العامة والخاصة يطلقونها على أي منشأة طبية، تتعامل مع صحة الإنسان وعلاجه. وهي تسمية: صحية أو الصحية (أبروح للصحية): كمستوصف الفوطلة في الرياض مثلاً. وبالنسبة لسكان الظهيرية والغراوية يذهبن النساء مشياً على الأقدام للصحية (مستوصف الفوطلة)، أما بالنسبة للأحياء البعيدة، كالقرينين والعجلية. فنقوم نحن الصغار آنذاك بإيقاف تكسي (طلب ابو رyalين) عندما تريد إحداهن الذهاب للصحية. وفي العادة يذهبن أكثر من واحدة (بكيج) بعد أن يلتمسن عذراً للذهاب. فإن لم تجدن. وكانت صحتهن جيدة. يكون المشوار تمشية والسلام. قلّ أو كثر من سيذهب للصحية. فعلى كل حال ريالاً تكسي الطلب مدفوعة. ما علينا. وهناك شابان صغيران كانا محور اهتمام سكان العطاييف والظهيرية في التسعينيات الهجرية من القرن الماضي. الأول ويُعرف ب (السبّهة) كان مسالماً ومنطوياً على نفسه، ويُستغل ويُضرب من الجميع. وتُتسج حوله الحكايات. ومنها أنه مسكون بجنية من أهل الأرض، عشقته ودخلت فيه. فتجده دائماً يمشي في الطرقات، لا يلوي على شيء. أما الآخر فلا يُعرف إلا باسم المودي. فأذيته طالت كل شيء. بما في ذلك الحيوانات والحرث والزرع على قلته، وقد كان كبار السن المتزوجين يُطلقون عليه: نزغة شيطان. وهي جملة لا يعرف معناها صغار السن آنذاك. وإلى الآن أيضاً. ويكتنف الغموض الكثير من أخبار السبّهة والمودي. لذا تبرز أخبار

مختلقة عنهما. ويُروج لها في غياب المعلومة الصحيحة. كما هو معروف. وكلام الناس أو وكالة (قالوا) ، أو كما يقول عادل إمام: (الدليل ألولو). كانت نشطة فيما يتعلق بالسببه والموزي. فاختلقت الكثير من الحكايات والقصص. كقول البعض: إن دخول جنية في السببه ليس صحيحًا. وسبب تسميته بالسببه هو وقوعه في حب بنت سمراء من بنات الحي. تمنعت عنه وصدته. ولم تبادل له شعور الحب. وعند البحث عنهما (السببه والموزي) لا بد أن تجدهما في داخل مستوصف الفوطه أو في محيطه. فالسببه يكون في العادة مستندًا على جدار المستوصف. واجمُّ وشارد الذهن. ينظر إلى المدى البعيد. بعينين يكسوهما الحزن في انتظار المجهول. ومستقبل يحمل في طياته الكثير من البؤس والشقاء. أما الموزي فتجده يجري خارجًا من المستوصف. وهو يحمل حقنة ملوثة سرقها من غرفة الضماد. في غفلة من الممرضة زبيدة. وهي تجري خلفه أو في ساقته. محاولة الإمساك به. وهي تقول: أوعا. سيب البتاع. أمام مراجعي الصحية. رجالًا ونساءً وأطفالًا.



فاكهة المجالس

في الغرب حيث التطبيق الصحيح للتأمين الصحي تنشط وتكثر الدعاوى، التي يقيمها الناس على شركات الأدوية؛ لذا تقوم شركات الأدوية بتأمين نفسها قانونيًا، وتكثر من كتابة الإرشادات والتحذيرات في الورقة، (ليفلت) المرافقة لكل دواء؛ الهدف منها حماية شركات الأدوية من الدعاوى القضائية لمن يستعمل الدواء؛ لا الخوف على صحة مستعمل الدواء كما يعتقد البعض؛ وأقول لمستعملي الدواء المحليين: اتبعوا تعليمات الطبيب والصيدلي جيدًا؛ فلكل دواء أعراضه الجانبية؛ ولا تلتفتوا لما هو مكتوب في تلك الأوراق؛ وهي تحذيرات ذكرتني مع الفارق بتحذيرات السجائر؛ وبالمناسبة أبارك لمستشفى الملك فيصل التخصصي الذي ربح قضيته ضد شركات التبغ العالمية المصنعة والمصدرة لتلك السموم؛ وأنقل للحديث عما عنونت به سوانح. فلكل شيء آفة؛ وآفة العلم النسيان، وآفة الأخبار روايتها؛ ولكل مجلس فاكهته؛ وفاكهة الكثير من المجالس هي الحديث عن أخطاء الأطباء؛ ومع أنني طبيب إلا أنني لا أدافع عن زملاء المهنة بالمطلق؛ بل إنني أشارك من يتحدث (ويحش) في الأطباء بالإصغاء (وهز الرأس) في أي مجلس أتواجد فيه، يكون محور حديثه عن الطب والأطباء، وأخطائهم التي لا تنتهي؛ فأسمع وأرى كيف أن آفة الأخبار روايتها بالفعل؛ وخبر وقوع أو سقوط بناية نتيجة خطأ أو غش هندسي يؤدي إلى قتل وجرح العشرات؛ لا أجد الناس يرددونه أو ينتقدون المهندس أو

المقاول، كما يحدث لأخبار الأطباء؛ فلا تُداول تلك الأخبار في المجالس، وإضافة الكثير من البهارات والمقبلات، ليسهل ويستمتع بلوكها؛ كما يحدث للطبيب المخطئ في تشخيصه أو علاجه؛ ولنقارن بين سقوط بناية وبين خطأ علاجي أو تشخيصي؛ فكلها أخطاء؛ والذين لا يخطئون هم من لا يعملون شيئاً.



(مشرق) في حي (الدحو)

في كل مدينة خليجية وعربية (وحتى عالمية) يكون هناك سوق أو مقهى قديم، يتم تجديده مع المحافظة على طابعه وطرازه القديم أو التراثي، ليحكي لرواده تاريخ تلك المدينة جيلاً بعد جيل: كسوق واقف والمباركية في الكويت، أو خان الخليلي ومقهى الفيشاوي في القاهرة والشانزليزيه في باريس، وحتى شاليمار قاردن وأناركلي في لاهور. وثمة حقيقة فيما يخص تطور مدينة الرياض وعراقتها. وهو أخذها بالتطور العمراني الحديث مع المحافظة على تراث الماضي. والشواهد كثيرة على ذلك. مثل قصر الحكم ومركز الملك عبدالعزيز التاريخي في المربع وغيرهما. وبقيام الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بالمحافظة على حي الدحو القديم كما هو، وعدم هدمه كما حصل في أحياء قديمة أخرى دليل على حرص وتبعية الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وعلى رأسها سمو أمير منطقة الرياض وسمو نائبه وسمو الأمين. على وجوب الإبقاء على حي قديم، يحكي لمن يزور الرياض عاصمة المدائن: كيف كانت حياة ماضيها والتبدل وبساطتها؟ وما آلت إليه من تقدم وازدهار ونماء في ظل باني نهضتها الحديثة، ومهندس تطور الرياض عبر السنين خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، وعند الانتهاء من تطوير حي الدحو سيكون لدينا بجانب سوق النزل ما نانس بزيارته من حين لآخر، ونجد فيه عبق الماضي الجميل، ونُفاخر به أمام كل زائر لمدينة الرياض. والهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض أحسنت

الاختيار لحي الدحو، ليكون معلماً حضارياً وتراثياً لسكان وزوار مدينة الرياض، لسببين: الأول: موقعه الإستراتيجي والقريب من شارع الثميري العتيق، وإحدى (دراويز) مدينة الرياض القديمة. والثاني: تصميم بيوته الطينية وأزقته الضيقة، التي سيُحافظ عليها، والتي تُحاكي وتماثل أحياء الرياض الطينية القديمة، والتي يسكن عبقها وتاريخها كل من لا يزال على قيد الحياة، ويحن دائماً مثلي لأيام المعقلية والعطائف والبويفية. وفي الأخير أقترح على الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض أن يكون الجزء المخصص في حي الدحو للمقاهي والمطاعم والمساحات الخضراء. أن يكون فيها (عاير) أو مشراق يبدأ أو ينتهي بـ(سكة سد)، أو بالقرب من قلب مهجورة، قد يكون فيها بقايا قطرات من ماء تُغري طيراً أو عصفوراً قادمًا أو مهاجراً (للتوقيع)، والنزول للشرب.



(صِر) الدِواءِ ونَثَره؟!

حدثني من أثق به، ويعرف حُبي الشديد للجَراد. حدثني قائلاً: إن (خيشة) الجراد تُباع في بعض مناطق شمال المملكة بـ ٧٠٠ ريال. فقلت له: هل هو جراد مرشوش أم لا؟ فإن ضمنت لي أن الجراد غير مرشوش. فأنا مستعد لدفع ألف ريال (للخيشة) الواحدة. حتى لو كانت تحوي النصف فقط من الجَراد الحي. وثمة حكمة كان يتداولها كبار السن والأولون رجالاً ونساءً. تقول الحكمة أو المثل: إذا جا الجراد. انثر الدواء. وإذا جا الفقع (صِر) الدواء. أي احتفظ به. فقد تحتاجه للعلاج عند أكلك للفقع أو الكمأة. أما عندما تأكل الجراد فلن تحتاج لأي دواء. بل ستتحسن صحتك وتقوّم الأمراض. بسبب قيمة الجراد الغذائية العالية. فالجراد يتغذى على أشياء مفيدة من الحقول والمزارع. أما الفقع فينبت من أرض أصابها المطر (في الوسمي)، يختلط قوامه، ويتشبع بالتراب الذي يصعب تنظيفه. ومحبو الفقع الخلاسي والزبيدي يعانون كثيراً في تنظيفه. كي يستمتعوا بطعمه اللذيذ. فمهما تقوم بتنظيف الفقع من التراب تشعر بنكهة ووجود التراب في فمك وبين أسنانك في أثناء أكله. وفي نهاية الثمانينيات الهجرية من القرن الماضي أتذكر في المعيقلية مطراً غزيراً (عرمرم) سال على إثره وادي حنيفة، واعشوشبت الأرض. وتوفر الفقع في سوق المقبيرة والديرة بجانب (خياش) مليئة بالجراد المكن والزعير. وكيف كنا نحن الأطفال نقوم باصطياد الجراد من سطوح المنازل. لتتسلى به. وقبل أن تنفق أو

بعده نقوم بشيها على النار وأكلها، (وهي تقرمش)، والواحد منا يتلمظ من لذتها. يقبلها هذه الأيام ما يتناوله أطفالنا (البدناء) من شبس وتسالي. وعن نفسي أقول: إنني أفضل أكل الجراد على أكل الفقع ماضيًا وحاضرًا. مع ندرة الاثنين هذه الأيام. ولولا الخشية من كون الجراد النادر هذه الأيام (متسممًا) بسبب رشه بالمبيدات. لقمّت بشرائه وأكله، مهما غلا ثمنه. أما الفقع أو الكمأة فيأتي بعد الجراد في اللذة. ويحضرني كاريكاتير عن الفقع للمبدع عبدالسلام الهليل. يصور فيه أبو حمد وقد اشترى فقعة بثمن غال، ووضعه في المطبخ لطبخه وأكله. وعندما قام بالبحث عنه ممنيًا النفس بأكلة كمأة لذيذة. سأل زوجته. لتقوم بسؤال الخادمة التي قالت لهما بدورها: (أنا فيه يشوف بطاطا كربان في مطبخ. أنا يعطي كومار يرمي زباله يا بابا).



سُكَّر

ثمة حقيقة علمية لا يعرفها الكثير من الناس؛ خاصة كبار السن من مرضى السكر؛ والحقيقة العلمية هي أن إغماء انخفاض السكر أخطر على المريض من الإغماء الناتج عن ارتفاع السكر، الذي يشتهي منه مريض السكر بين حين وآخر؛ ذلك أن خلايا المخ لا تتحمل انخفاض السكر الحاد والمفاجئ لأكثر من ثوانٍ قليلة؛ بعدها تموت خلايا المخ، ويدخل المريض في إغماء قد لا يفيق منها؛ ومريض السكر الواعي يجب عليه أن يحتاط لانخفاض السكر بتنظيم أكله، وأخذ ما يصفه له الطبيب من أدوية أو حقن أنسولين؛ وعدم (التخبيص) في الغذاء والدواء، ويحضرني مريض كان يقول عن نفسه: إنه أصبح كالأطفال؛ حيث يحمل في جيبه دائماً بعض الحلويات تحسباً لانخفاض السكر؛ وأشبهه مرض السكر بالضيف الثقيل، الذي إن أحسنت ضيافته وإكرامه وحسن التعامل والتصرف معه عشت بسلام؛ ولي معارف وأقارب شباب وكبار في السن مصابون بداء السكري؛ أجد بوناً واختلافاً شاسعاً بين بعضهم البعض في تعاملهم مع المرض (الخطير والمزعج)، ومن ثم نتائجه على صحتهم، التي تنعكس على نوعية الحياة التي يعيشونها؛ والإنسان العاقل بإمكانه التأقلم مع أي مرض كُتب عليه؛ بل والاستفادة من أي وضع أُجبر عليه نتيجة المرض؛ وأذكر في هذا الخصوص أن رجلاً أُصيب بالسكر أو السكري وهو في سن الشباب؛ قال: إنه أصبح من ممارسي رياضة المشي المفيدة والممتعة، والتي لم يكن يمارسها

قبل إصابته بالمرض؛ وكثير من الناس يربطون بين مرض السكر والثراء؛ وكثيرة هي القصص والنوادر حول هذا الموضوع؛ ومنها حادثة تُروى عن أحد كبار السن أنه اضطر ذات مرة للذهاب إلى المستشفى، برفقة ابنه الشاب بسبب عارض ألم به؛ وبعد الكشف على كبير السن وفحصه قام الطبيب بأخذ الابن (على جنب)، والحديث معه بصوت منخفض، وهو يريد أن لا يسمع الأب المريض؛ قال الطبيب: انتبه لأبيك، ولا تخبره الآن؛ فنتيجة الفحوصات أثبتت أنه مصاب بالسكر؛ إلا أن المريض (الشاب) استمع لما قاله الطبيب؛ فما كان منه إلا أن قال للطبيب وبصوت عال: يا دكتور لماذا تريد من ابني ألا يخبرني؛ فبالعكس إنه خبر سعيد، ويدل على أنني أصبحت من الأثرياء والتجار، (الله يبشرك بالخير).



بيتزا

ثمة حقيقة قد لا يعرفها البعض من الناس عن أكلة أو طبق البيتزا الشهير. وهي أن إيطاليا هي من اخترع، وأول من عرف العالم (بالبيتزا)، إلا أن أمريكا أخذت الفكرة وطورتها. فاشتهر الأمريكيان أكثر بالبيتزا بين دول العالم، وكأنهم هم المخترعون الأوائل. فكل مطاعم البيتزا الشهيرة حول العالم (حتى في إيطاليا) أمريكية. ولم يبق لإيطاليا من أكلة تشتهر وتفتخر بها إلا المكرونة (الساباكتي)، بعد أن أخذ الأمريكيان منها البيتزا. وفي كاريكاتير قديم للمبدع عبدالسلام الهليل يصف فيها (أبو دحيم) البيتزا بأنها خبزة تemis فوقها (مطاريس)، وقد تذكرت هذا الكاريكاتير، وأنا أشاهد تحقيقاً عن البيتزا في قناة العربية قبل عدة أيام، مزوداً بصور للبيتزا تُسِيل اللعاب. وأول ما لفت نظري صورة للجبنة المحمرة المفرودة فوق البيتزا. حيث يقول التقرير: إنها ليست جبنة. بل مادة زلالية ودهون ونكهات صناعية، لا تحتوي على الجبن. ولا حتى أي مادة من مشتقات الألبان. وتسمى تلك المادة (قاسترومكس)، وهي شبيهة للجبن. ومن الصعب التفريق بينها وبين الجبنة الحقيقية. وقام التحقيق بتحليل كل مكونات البيتزا مثبتاً أنها كلها مواد صناعية ونكهات (مطاريس) تصب أو تكرر ثقافة التذوق. وقد قام أحد الباحثين بأخذ ٩٢ عينة من مواد تستخدم في تزيين وجه البيتزا. التي يفترض أن تكون جبنة. فوجد أن قرابة نصف العينة لا يحتوي على جبنة أبداً. ومن الصعب التفريق بين الجبنة

وشبيهة الجبنة. وهو ما يقود إلى الحديث عن (النكهات) الصناعية. التي جاء في التقرير أنها ٢٧٠٠ نكهة صناعية مسموح استخدامها. وأقول إن هناك الكثير مما لا يُسمح استخدامه من نكهات في بعض الأطعمة، ويستخدم (طعمه يهبل)، ومن ضمنها نكهة الفراولة في اللبن الرائب. حيث لا فراولة. بل أصباغ محلاة. فواحد جرام من تلك النكهات (أروما) يساوي ١ كيلوجرام من الفاكهة. وهنا تبرز التكلفة المادية البخسة مقارنة بقيمة المواد الغذائية من أجبان وفواكه ونحوهما. فنحن نعيش ثقافة التذوق. والجبنة المحمرة التي تُزين وجه البيتزا ما هي إلا وهم، له طعم وشكل الجبن والبيتزا. فاحذروا مما تأكلون من بيتزا. فقد تكون مجرد (خبزة تيمس فوقها مطايس).



كاد المريب أن يقول: خذوني

في جريدة الرياض ليوم الخميس ١٩ جمادى الأولى ١٤٣٠، وفي هذه الصفحة (طب) بينت دراسة علمية حديثة: أن هناك طريقة لمنع الحمل تعطى للرجال، قد تكون أكثر فعالية في منع حدوث الحمل من تلك التي تتناولها الإناث. كما تتفوق على الواقيات الذكرية. إلى آخر ما جاء في الخبر. هذا الخبر ذكرني بقصة طريفة أروىها لكم في سوانح، لعلها ترسم ابتسامة على وجه من يقرأها. فقد حدثني من أثق به: أن رجلاً سميناً يحمل كرشاً عظيماً وكأنه امرأة حامل على وشك الوضع. ألم به عارض صحي فذهب للمستشفى وبعد فحصه حوله الطبيب للمختبر لعمل بعض التحاليل. وفي المختبر أعطوه قارورة أو أنبوبة بلاستيكية صغيرة ليملاها بعينة لفحصها. وفي دورة مياه منزله قام بوضع العينة. إلا أنه نسيها على أحد الرفوف. ليعود بعد دقائق لأخذها. وفي هذه الدقائق سر سوانح. أعود لها بعد قليل. وبعد يومين ذهب لأخذ النتيجة من مختبر المستشفى. ولأنه متين وذا كرش هائلة، ويلقبه زملاؤه بالرجل الحامل. وينطبق عليه القول: (كاد المريب يقول خذوني) كاد أن يُصعق ويصدق. عندما قرأ نتيجة التحليل (نتيجة الحمل بوسيتف)، فتذكر وبسرعة تعليق أحد زملاء عندما قال له ذات مرة، وهو يُشير إلى (كرشه) مداعباً: الله يهون عليك ويقومك بالسلامة. ويقول الراوي: إن الرجل ظل مهموماً لعدة أيام بعد نتيجة الفحص الإيجابية. لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، (يتحسس

على بطنه)، ويفكر بجذ هذه المرة متى يقوم بالسلامة، وما هي الطريقة؟ هل هي (نورمل دلفري أم سي سكشن)، وأختم سوانح بفلاش باك، كما يقول كتاب السيناريو والحوار. فبعد أن وضع الزوج (عينة) الفحص على رف في دورة المياه. خرج لأمر طارئ، ليعود بعد دقائق لأخذ العينة والذهاب بها لمختبر المستشفى. وفي أثناء تلك الدقائق القليلة دخلت الزوجة دورة المياه. ومن غير أن تشعر بوجود القارورة البلاستيكية الصغيرة أسقطتها أرضاً، فانسكب ما فيها من سائل أُعد للتحليل على أرضية الحمام. وعرفت بفطرتها ما نوع ذلك السائل. وخافت من زوجها إن هي أخبرته عما حدث. فملأت القارورة البلاستيكية الصغيرة كما كانت تفعل قبل ذلك مرات عدة. عند انقطاع دورتها الشهرية. وأعادتها لمكانها في دورة المياه. وكأن شيئاً لم يحدث.



ليلة (الدُّخْلة)

ثمة خبر شاهده الكثير من الناس في القنوات التلفزيونية والصحف هذه الأيام. عن رجل هندي يبلغ من العمر ٩٦ سنة. رُزق بمولود ثانٍ. حيث إن ولده البكر قدم للحياة في العام ٢٠١٠. وقد أنجبتهما زوجته البالغة من العمر ٥٢ ربيعاً. وللمعلومية فإن العريس عندما تزوج للمرة الأولى كان في بداية التسعينيات من عمره. والعروس البكر كانت في نهاية الأربعينيات من عمرها. فسبحان من وهب الخلفة لعجوزٍ بعلمها شيخ كبير. وعلمياً ومن الذاكرة أقول: إن العجز الجنسي (إيمبوتنسي) يكون أكثر لدى الذكور من الإناث. والعقم (إنفيرتلي) أو عدم إنجاب الذرية يكون أكثر لدى الإناث. ويقل لدى الذكور. والدليل الحاضر للخصوبة المتأخرة. الزوج الهندي. فالرجل قد يصل المئة من العمر وتتدنى فحولته. ومع ذلك بإمكانه الإنجاب. إن تهيأت له الأسباب. أما المرأة فعدد البويضات التي تحملها في رحمها محدود ومعروف عددها. وهي جنين في بطن أمها. ومن ثم خصوبتها محدودة إلى سن معين. والهندية من الحالات النادرة. والنادر لا حكم له. ما علينا. والجنس في عالمنا العربي موضوع (ذكوري)، وكأن المرأة ليست طرفاً فيه. ويُتناول في أحسن الأحوال على استحياء أو أنه يحمل الكثير من قلة الحياء، وكما أن الفضيلة والأخلاق الحميدة هما صفتان لكل عربي وعربية. فقلة الحياء دخيلة على مجتمعنا. استوردنا أيضاً طرق علاج المشكلات الجنسية بطرق فيها الكثير من قلة الحياء،

وكما قلت: المرأة بطبعها يغلب عليها الحياء والخجل. وبالأخص العربية. وللتغلب على حياء الفتاة، وخوفها في ليلة (الدُّخلة) كان الأولون يستعينون بامرأة كبيرة في السن. وتُعرف آنذاك بما يُسمى (الربعية)، التي اختفت هذه الأيام. فبنات هذه الأيام لا يخفن ممن سيتزوجهن. حيث تبدأ تلك العروس (بالرؤية الشرعية) لخطيبها. وسمعت (والعهدة على الراوي) أن بعض الفتيات يقمن بالرقص (في ليلة الدخلة) لزواجهن. وأذكر صورة لا تزال مرتسمة في ذهني عن زواجات (أيام زمان)، يقوم فيها أبو العروس أو أخوها بعد أن يتناول الجميع طعام العشاء. يقوم بمسك العريس من يده مخترقاً صفوف وحشود النساء المدعوات إلى أن يصلا غرفة العروس. ليدخل غرفة فيها فتاة لم يرها من قبل ولم تره. فيكون نصيبه ونصيبها (شختك بختك) تحت أنظار الربعية المستقبلة للعريس. لتخرج مغلقة الباب عليهما. ولا تعود إلا في نهاية (ليلة الدخلة)، عندما تستدعيها العروس. لبعض شؤونها الخاصة جداً. وعندما تُذكر ربعية أيام زمان لا بد أن يتبادر للذهن (الطفاقة الأشهر)، وهي الحجيبا. والتي لا تأتي (للق) إلا في زواجات ميسوري الحال. أما الربعية فمن ضرورات كل زيجة في الماضي. ولكل رجل من جيلي والذين من قبلهم ربعية. عند زواج أمه بأبيه. يعرفنها جيداً أمهات وجدات أيام زمان.



ليلى (أفتح من هيك)

ثمة مستحضر (كريم) تبث الكثير من القنوات الفضائية الدعاية له. يُصورُ ويمنتج بطريقة بارعة. تتحول فيه غانية حسناء تقوم بتمثيل دور ليلى العامرية (حبيبة قيس) من سمراء إلى بيضاء. لأن ليلى الحقيقية، كما تقول الدعاية: (أفتح من هيك). وهي معلومة جديدة عن ألوان بشرة جداتنا ونسائنا العربيات. لم أعرفها إلا الآن. فقد كنت أظن أنهن سمراوات أو قمحيات أو خمريات اللون. كألوان أمهاتنا وزوجاتنا وبناتنا الحاليات. إلى أن جاءت تلك الدعاية في القنوات الفضائية. وهو السبب بياض البشرة، الذي أوقع قيسًا في حب ليلى العامرية وعنترة في حب ابنة عمه عبله بنت مالك آنذاك. وفي الكثير من الصحف، وفي مساحة كبيرة يتكرر نشر إعلان عن دواء أو مركب كيميائي (كريم) أو زيت، لتفتيح البشرة موجه للبنات (السمراوات)، لتغيير بشرتهن من سمراء أو خمرية اللون إلى بيضاء أو شقراء. تتخدع به الكثير من بناتنا ونسائنا. فيقبلن على شرائه، وهن يمتنن أنفسهن ببشرة بيضاء أو شقراء. مع أن بشرة بناتنا العربيات يحسدهن عليها الكثير من بنات ونساء الشعوب الأخرى. إضافة إلى ذلك فإن الكثير مما قيل شعرًا في النسيب والغزل. قيل في السمراء. وأجدني الآن تذكرت: سمراء يا حلم الطفولة. وأغنية الفنان طلال مداح (أسمر حليوه) ما علينا. فمثل تلك الإعلانات الكاذبة تطلب من المستعمل لذلك الكريم أو المركب أن يستخدمه لفترة معينة، شهر مثلاً بعدها تظهر

النتيجة. والنتيجة طبعاً أرباح طائلة للشركة المنتجة أو المصنعة لذلك الكريم أو المستحضر. أما (السمراوات) فبعضهن يصدق قبل الاستعمال وفي أثنائه. والبعض الآخر يقلن: (إن لقحت، وإلا ما ضرها الجمل)، فالمئة أو المئتان وحتى الألف ريال مبلغ بسيط. وبالنسبة للشركة المصنعة لذلك الدواء يكون الألف ريال من ألف سمراء (مخدوعة) يساوي مليون ريال في خزينة تلك الشركة. وبعد انقضاء الشهر يُصن السُمُر (السمراوات) بالإحباط، لأن بشرتهن بقيت كما هي، أو أنها تأذت (كالإصابة بالحساسية والالتهابات) من هذا الزيت أو ذاك الكريم. الذي يوصي به أطباء ذوو بشرة شقراء، كما في الإعلانات، يكلف بعضهن المال الكثير في علاج بشرتهن من الآثار الجانبية لتلك السموم.. وفي الأخير أقول: انتبهن يانساءنا وشاباتنا وبناتنا العربيات من مثل تلك الدعايات، واقنعن بما أعطاك الله من لون بشرة أسمر جميل. وتذكرن عنترة بن شداد وقيس بن الملوح عندما عشقا وهاما حُباً بعبلة بنت مالك وليلى العامرية.



في الكي

في جزيرتنا العربية تجد كبار السن والشباب وقليلًا من صغار السن تتزين أجسادهم بآثار الكي في بطونهم ومؤخرة أعناقهم أو تحت الأذن مباشرة (العلبا) تلقوها في طفولتهم بأسياخ حامية، نتيجة اعتلال طراً على صحتهم في مرحلة الطفولة؛ لم يكن أمام الأهل إلا اللجوء لتلك الطريقة لعلاجهم؛ فالوسائل الطبية العلاجية مع بداية توفرها للبعض لم تكن خياراً مناسباً آنذاك؛ ويفضل الأقدمون علاج كل حالاتهم المرضية بالكي؛ وطالعتنا جريدة الرياض ليوم الثلاثاء الماضي بصور ملونة لرضيع تعرض لـ (٥٥ لسعة كي) من مشعوذة؛ ليفقد بعدها البصر، ويصاب بتسمم في الدم؛ ويدخل بعد ذلك للعناية المركزة في مستشفى اليمامة بالرياض، ويتم إنقاذ حياته بعد عناية الله؛ وجريدة الرياض ذكرت اسم المعالجة بالكي، ولقبتها بالمشعوذة فلانة؛ إلا أنني لا أذكر اسمها في سوانح؛ خشية أن تكويني (مع علباي)، وهذا الخبر أعادني للذاكرة ١٥ سنة مضت؛ لحادثة كي لأحد المشعوذين لسيدة كانت تعاني من الربو؛ وقد كانت رحمها الله شابة في بداية الثلاثينيات من عمرها، وأمًّا لخمسة أطفال؛ كانت تربطها بزوجتي صداقة قوية؛ قالت لها بالهاتف: إن مرض الربو قد أتعبها، وقررت أن تستجيب لمشورة البعض، وبالذات زوجها، بأن تلجأ لآخر العلاج؛ أي الكي؛ فذهبت لأحد المشهورين بالكي في مدينة الرياض؛ فقام بكيها، وطلب منها عدم استعمال البخاخ (فنتولين)، وعندما اشتدت أزمة الربو عليها

(ستيتس أسثمانتيكس) بعد كيها بيومين وتوقفها عن أخذ الأدوية الموسعة للشعب الهوائية؛ قالت لها زوجتي: ارجعي لاستعمال البخاخ (الفتولين). إلا أنها رفضت مستجيبة لتعليمات من كواها، بأن لا تستعمل أي دواء آخر بعد كيها؛ وأن عليها أن تصبر قليلاً، وسوف ترتاح بعد الكي؛ وفعلاً ارتاحت بوفاتها رحمها الله بعد كيها بعدة أيام؛ ومع أن ما حدث قديم نسبياً؛ إلا أنه يتكرر مع الأسف؛ فأين وعي الناس؛ ولماذا يلجؤون لتلك الوسائل والمضرة؛ مع التقدم في العلم وتوفر الوسائل الحديثة في العلاج؛ وأختم سوانح اليوم، مدلاً على انتشار الكي أيام زمان؛ فيُروى عن أحدهم: أنه تعرف على آخر في الخارج، (أظنها لندن)، وعرف أنه سعودي عن طريق العلامة الفارقة: (كوي في العلبا)، عندما خرجا (للهاليد بارك) حاسري الرأس وآثار الكي القديمة (تلق في العلبا).



أخطاء وأمراض

في الغرب تنشط وتكثر الدعاوى التي يقيمها الناس على شركات الأدوية. مع أنهم يطبقون التأمين الصحي بشكل صحيح. وليس هناك استعمال عشوائي للأدوية، كما هو حاصل لدينا. ومع ذلك أو بسبب ذلك تقوم شركات الأدوية بحماية وتأمين نفسها قانونياً ضد التقاضي والشكاوى ضدها. فتُكثر من كتابة الإرشادات والتحذيرات في الورقة المرفقة مع كل دواء، (ليفلت) لتحذر من احتمال تسبب الدواء في أعراض جانبية ما. قد تكون نسبة احتمال حدوثها لا تتعدى الواحد في المليون. والهدف من ذلك كما قلت حماية شركات الأدوية من الدعاوى القضائية لمن يستعمل الدواء. لا إرشاد من يستعمل الدواء والخوف على صحته. كما يعتقد البعض. ومن نافلة القول: إنه رُفعت قضايا كلفت شركات الأدوية مئات الملايين من الدولارات. ولدينا حكمت المحكمة على شركات التبغ بدفع مئات الملايين تعويضاً للمستشفى التخصصي بسبب الأضرار الصحية، التي سببتها سجائر شركة التبغ العالمية (فيليب موريس) منذ سنين عدة. لا أدري ما مصير تنفيذ الحكم. وسبب السكوت عنه إعلامياً. وأقول لمستعملي الأدوية لدينا: لا تلتفتوا لما يُكتب في تلك الورقة الصغيرة المرفقة مع الدواء. واتبعوا تعليمات الطبيب والصيدلي جيداً وطبقوها. فكل دواء أعراض جانبية يعرفها الطبيب (والصيدلي أخص بطبيعة الحال)، والأوراق المرفقة مع الأدوية تُذكرني (مع الفارق) بتحذيرات السجائر. التي أُرأف لحال

من يقرأها، ومع ذلك أضمن على التدخين. إلا أن هذه قضية أخرى. ما علينا. وأعود للحديث عما عنونت به سوانح اليوم. فلكل شيء آفة. فآفة العلم النسيان وآفة الأخبار روايتها. ولكل مجلس فاكهته. وفاكهة الكثير من المجالس لدينا هي الحديث عن أخطاء الأطباء. ولأننا نعيش هذه الأيام انحسار وانتفاء الخوف من كورونا. وبداية الخوف والتوجس من فيروس إيبولا القادم من أفريقيا. أقول: لا تقلقوا واتبعوا إرشادات النظافة الشخصية من غسل لليدين ونحوه، والبعد عن أمكنة الازدحام وتلوث الهواء والاحتكاك بالمصابين. وبمناسبة قرب موسم الحج، أقول: ليطمئن الجميع من موسم حج هذه السنة. فموانئ ومطارات المملكة أخذت كل استعداد ليكون الحج خاليًا من الأمراض الوبائية. ولو سألتهموني رأيي عن أمراض مثل كورونا وإيبولا؟ لقلت: لاتخافوا. واتبعوا إرشادات النظافة العامة والشخصية. وفي مقدمتها الإكثار من غسل اليدين. والذي لأهميته جعل له يوم في السنة (أظنه ٥ مايو)، أطلق عليه اليوم العالمي لغسل اليدين. ويحضرني في هذه اللحظة نصائح وإرشادات توعوية جميلة، تصب كلها في الاهتمام والتأكيد على النظافة الشخصية. قالها الكابتن سامي الجابر قبل بضعة سنين. عندما أصيب بإنفلونزا الخنازير (إتش ون إن ون)، وشُفي منها تمامًا. وبلا علاج. فالشاف في هو الله.



ترعة وفيها (بلهارسيا)

في سوانح ماضية ذكرتُ وأشدتُ بالدور الوقائي لوزارة الداخلية في مشروعه الوطني للقضاء على مرض البلهارسيا في المملكة. باشتراطها على كل من يعمل في مجال الزراعة والفلاحة. حصوله على شهادة فحص البلهارسيا وخلوه منها. ضمن الوثائق المطلوبة عند إصدار أو تجديد الإقامة. وكان التركيز في السوانح الماضية على البلهارسيا البولية (شيسيتوسوما هيما توييم)، التي مات بسببها الفنان عبد الحليم حافظ، كما يعرف محبو عبد الحليم حافظ. وموضوع البلهارسيا كبير جداً ومتشعب. ولو أردت الإلمام به لاحتاج الأمر إلى مقالات عدة. أستعين فيها بمراجع من أمهات الكتب الطبية. وسوف أكون فيها متطفلاً على الزملاء المتخصصين في الأمراض الباطنية والوبائية وطب الأسرة والمجتمع. وهي تخصصات لم يبق لي فيها إلا ذكريات موهلة في القدم. قدم الدراسة الجامعية وما بعدها وسنوات العمل الأولى بعد التخرج. وإشراك القراء في الموضوع سوف يصيبهم بالضجر كتكرار كلمتي سركاريا وسنيل وغيرهما. وكأنني في محاضرة علمية. لذا أبقى اليوم مكتفياً بالإشارة والإيجاز، (مما في ذاكرتي عن البلهارسيا التي أو الذي يذكرني بها دائماً الفنان عبد الحليم حافظ، أو عندما أستمع لأغنية ظلموه أو سواح. والبلهارسيا مرض وثيق الصلة بالمستنقعات والترع والأنهار الموبوءة بسبب تبول وتغوط الفلاحين فيها. وسوانح حديث الذكريات. فها أنا ذا أتذكر مقابلة تلفزيونية قديمة

لعبدالحليم حافظ. وقبل وفاته بقليل. وكيف كان يقول: إنه كان (يزوغ) أي يهرب عندما يحين وقت إعطائه الحقنة العلاجية للبلهارسيا. وكيف كان ندمه شديداً لسببين: الأول: قيامه بالاستحمام في مياه الترع. والآخر عدم الانتظام في أخذه علاج البلهارسيا. وفي أثناء كتابة المقال تذكرت خبراً نشرته جريدة الرياض قبل سنة أو تزيد، يفيد بانتشار قواقع (سنيل) البلهارسيا في المستنقعات في حائل. وقد ازدادت الجريدة بصورة يتضح فيها اللون الأخضر على جوانب المياه الآسنة. وكأنك تشاهد مسبحاً مهماً. ومخاوف الأهالي من انتشار الأوبئة. وبالأخص البلهارسيا. وميزة مرض البلهارسيا أنه إذا قطعت أو أبطلت حلقة من دورة المرض. فلا ينتقل المرض ويصاب به الآخرون. وعندما يُقضى على القواقع. كالتي في مستنقعات حائل وغيرها نكون قد أخللنا بدورة المرض. أو دورة حياته (لايف سايكل)، ومن أهم أعراض البلهارسيا خروج الدم مع البول. ولشدة انتشار البلهارسيا في مصر. يُروى أن أحد المرضى (صعيدي) يشتغل فلاحاً في الغيط مصاب بالبلهارسيا. وعندما سأله الطبيب المعالج: هل لديك دم في البول أو في أثناء التبول. رد قائلاً: طبعاً. ظناً منه أن خروج الدم مع البول شيء طبيعي يحدث لكل الناس. لانتشار البلهارسيا في مصر. وكثرة من يعانون منه من فلاحين يشتغلون في الغيط. كما يسمونها الصعايدة في مصر.



فحص مع الشبكة

في جدة تم إلغاء ٤٠ زيجة بسبب إصابة أحد الزوجين بفيروس التهاب الكبد الوبائي؛ ومن المؤكد أن جهدًا قبل الإلغاء قد بُذل (خطبة ورؤية شرعية وشبكة)، فكان عدم الزواج هو القرار المناسب؛ في الوقت المناسب؛ فالقسمة والنصيب؛ تصارعتا مع الأسباب؛ لعل أهمها فحص ما قبل الزواج الإلزامي؛ الذي لولاه (بعد الله) لتمت تلك الزيجات مخلفة (صبيان وبنات)، والأكد أن فيروس الكبد الوبائي سيعمل عمله في محيط الأربعين أسرة وكافة المجتمع؛ وأين نحن من التوعية والوقاية من مرض أشد خطرًا؛ وهو الإيدز؛ وقد سبق أن كتبت عن هذا الموضوع؛ إلا أن خبر إلغاء الزواجات بعد فحص ما قبل الزواج هو الذي جعلني أطرق الموضوع مرة أخرى؛ ومن نافلة القول: إن فحص ما قبل الزواج إلزامي في إجراءاته قبل الزواج، وينير الطريق ويخبر (ولو جزئيًا) عن صحة من يُراد الاقتران به أو بها؛ وأرى أن إلغاء أي زواج بعد الفحص هو إجراء وقائي بالدرجة الأولى لحماية الناس والأجيال القادمة؛ وموضوع الإيدز جد خطير، ووجوده في كل الدول وانتشاره أكبر مما نتصور؛ وكل إحصائية أيًا كان مصدرها (لك عليها) فأحد المتخصصين في منظمة الصحة العالمية يقول: يجب ضرب أي إحصائية في ١٠ عندما يتعلق الأمر بمرض الإيدز؛ وأقول: إن من أهم ما نحتاجه في مكافحة مرض الإيدز هي التوعية ثم التوعية؛ وكم سيبارك الله في درهم الوقاية لو بُذل في البداية؛ وكم سيوفر من قناطر مقنطرة تُهدر

صحة ومالاً لا حدود لهما؛ وإلى أن يتم إدراج مرض الإيدز ضمن فحص ما قبل الزواج، أقترح على كل من يريد تزويج ابنته أن يطلب من المتقدم أن يرفق (بالشبكة مثلاً) شهادة من مختبر حكومي أو خاص تثبت خلوه من مرض الإيدز؛ فقد تحدث (وحدثت رغم ندرتها، ولله الحمد) أن يكون الزوج مصاباً بمرض الإيدز، ويتكتم (بحسن أو سوء نية)، وقد حدثني من أثق به أن شاباً تقدم لخطبة إحدى الفتيات؛ وتوالت فصول تلك الخطبة كالمتبع؛ وفي أثناء ذلك كان (عم الفتاة) يشك في أمر الخطيب، ويريد من أخيه (أب الفتاة) مهلة في التحقق عن (عريس الغفلة)، وبعد كتب الكتاب (وقبل الدخلة) ثبت للعم أن العريس (إتش آي في بوسيتيف)، فتم تدارك الموضوع ومنع الزواج؛ تماماً كما حصل في منع ٤٠ زيجة في جدة بسبب فيروس الكبد الوبائي؛ كما قلت في بداية المقال؛ فما المانع في أن نحتاط (قبل أن تقع الفأس في الرأس).



في الطب والتقاعد

الأطباء السعوديون زملاء مهنة. هذا صحيح. لكن هناك فروقات (مادية) بين بعضهم البعض، رغم قيام الجميع بالعمل نفسه. فبمجرد إنهاء الطبيب السعودي لسنة الامتياز تبدأ الفروقات والامتيازات المادية بين كل طبيب سعودي وآخر، أو بين مستشفى حكومي وآخر. وزاوية سوانح كان لها صوت مطالب بتطوير الكادر الصحي لمرات عدة. وتوحيد سلم الرواتب بين الأطباء السعوديين في جميع المستشفيات الحكومية. ومكرمة خادم الحرمين الشريفين قبل بضعة شهور، بتحديث وتطوير الكادر الصحي من بدل تفرغ وسلم رواتب الأطباء وزيادتهم زيادة شهرية مجزية، كان لها أثر إيجابي لدى الأطباء. ومن إيجابيات النظام الصحي الجديد أنه ضم بدل التفرغ لأصل الراتب. وبذلك يستفيد الطبيب المتقاعد عند بلوغه السن القانونية أو عجزه لمرض ونحوه. إلا أن النظام الجديد لا يشمل الأطباء العسكريين، كما حدثي أحد الزملاء. والطبيب العسكري (والكلام لزميلي) في غفلة عن التفكير في صروف الدهر. فقد يكون جراحاً أو طبيب أسنان يعتمد كلياً على يديه. كيف سيعيش بربع مخصصاته المادية إذا أحيل للتقاعد بسبب عجز أو إصابة في يديه، التي كانت قبل الإصابة (تتلف بحرير)، وقد طلب زميلي الذي أمضى سنين طويلة في الخدمة، وشمسه على أطراف العسبان، بأن أ طرح الموضوع عبر سوانح. عل لفتة كريمة حانية تشملهم بضم بدل التفرغ لأصل الراتب. وزميلي (الطبيب

العسكري) ذو الراتب الجزل. حيث يتعدى راتبه ثلاثين ألفاً على سبيل المثال عندما يتقاعد لسبب أو لآخر سيهبط راتبه الى الثلث (ثمانية أو تسعة آلاف تقريباً)، والطبيب العسكري (والكلام لزميلي) يجمع بين شيئين يجد أنه قد أُجحف في حقه بسبب النظام وسوء الحظ الذي يرجو أن يُنظر فيه ويُعدل. بحيث يرفع (الغبن) عنه وعن غيره من الأطباء وهم كثر. فالطبيب العسكري لا يتمتع بما يتمتع به زملاؤه الأطباء المدنيون، أو من يعمل في مستشفى حكومي يخضع للتشغيل الذاتي أو المباشر. وأهم ما فيه ربط أو احتساب بدل التفرغ من أساس الراتب. كما ذكرت آنفاً. فلا يستفيد إن هو تقاعد. وهو عسكري سيء الحظ أيضاً، (أي الطبيب) لا يتمتع بما يتمتع به زملاؤه العسكريون (من غير الأطباء)، حيث تحتسب لهم سنوات الدراسة خدمة عند تقاعدهم. أما هو فلا. فمتى تحظى تلك الفئة من الأطباء بلفتة حانية وكرامة، تعطيلهم ما يستحقونه من حقوق.



بينسيلين

ثمة حقيقة علمية أروىها من ذاكرتي. عن التهاب حلق الصغار والكبار. ففي أثناء الكشف على الحلق واللوزتين. وبعد إدخال خافض اللسان في فم المريض. وقول الكلمة الشهيرة: آم. وهي كلمة بالمناسبة كنت أجد صعوبة لسماعها، عندما يكون المريض طفلاً. المهم إن كان الحلق يبدو فيه بؤر صديدية. فهذا يعني أن الالتهاب بكثيرة. ويحتاج علاجه إلى مضاد حيوي. وإذا كان هناك احتقان في الحلق. يميل للاحمرار. فهذا يعني التهاباً فيروسيًا لا يفيد فيه أي مضاد مهما كان قويًا. بل قد يضر استعمال المضاد الحيوي. والعلاج يكون للأعراض فقط. بإعطاء ما يخفف الألم ويخفض الحرارة. كالباراسيتامول و(غرغرة بموية وملح مع ليمون)، ونحو ذلك. إلى أن يأخذ الفيروس دورته في جسم المريض وينتهي. كالكثير من الأمراض الفيروسية. والأطباء وغيرهم في مصر الحبيبة يقولون عن مثل تلك الحالات لكي تُشفى: بالعلاج تاخذ أسبوع. وبدون علاج تاخذ (جمعة) أي سبعة أيام. ما علينا. والتهاب الحلق البكتيري كنتُ وكل طبيب نقوم بأخذ عينة (سواب) من حلق المريض وإرسالها للمختبر، لتحديد نوع البكتيريا والمضاد الحيوي المناسب. والبدء بإعطاء ما يعتقده الطبيب المضاد الحيوي الأفضل لتلك الحالة. إلى أن تطلع نتيجة المختبر. فيتحدد استمرار المضاد نفسه أو تغييره حسب تلك النتيجة. وعلى أرض الواقع كنا ننظر إلى مدى استجابة المريض. من انخفاض لدرجة الحرارة، وتحسن حالته الصحية

من عدمها. وهناك توازن جعله الله لحكمة. بين الكائنات المجهرية البكتيريا والفيروسات. وما يحدث الآن من استعمال عشوائي للمضادات الحيوية أخل بذلك التوازن. بالقضاء على كثير من أنواع البكتيريا (الضار والنافع) في جسم الإنسان. ما أدى بعبارة بسيطة إلى ازدياد الفيروسات والفطريات على حساب البكتيريا. ومن ثم نشوء أمراض جديدة. ومن الذاكرة أيضًا أذكر أن هناك نوعًا من الجراثيم يتكاثر، و(يكيف) بوجود مضادات حيوية معينة. وعالمياً سوف يأتي يوم يكون فيه البنسلين غير فعال في مكافحة الكثير من الأمراض. ومعامل الأدوية تعمل ليل نهار على اختراع مضادات حيوية جديدة أقوى وأنجع من البنسلين. الذي أُكتشف قبل قرابة القرن أو نحوه. فكان فتحًا لعلاج أمراض قاتلة لم يكن لها علاج. كالسيلان والزهري. وإبر البنسلين كانت تؤدي للشفاء من أمراض كثيرة. لا أدري كيف ستكون الحال (صحيًا) عندما تكون غير فعالة. والبنسلين لقوته هناك أناس يكون لديهم حساسية منه. والكل يعرف أن من سيتلقى علاجًا بحقن بنسلين لأول مرة يجب أن يقوم بفحص لمعرفة إن كان لديه حساسية من عدمها. وفي ظني سيأتي يوم يكون فيه البنسلين من أدوية الماضي.



سركاريا وسنيل

في سوانح ماضية أشدت بالدور الوقائي لوزارة الداخلية في المشروع الوطني للقضاء على مرض البلهارسيا في المملكة، باشتراطها حصول كل من يعمل في مجال الزراعة والفلاحة على شهادة فحص البلهارسيا، ضمن الوثائق المطلوبة عند إصدار أو تجديد الإقامة. وكان التركيز في سوانح الماضية على البلهارسيا البولية (شيسيتوسوما هيماتوييم)، التي مات بسببها الفنان عبدالحليم حافظ. وموضوع البلهارسيا كبير جداً ومتشعب. ولو أردت الإمام به لاحتاج الأمر إلى مقالات عدة. أستعين فيها بمراجع من أمهات الكتب الطبية. وسوف أكون فيها متطفلاً على الزملاء المتخصصين في الأمراض الباطنية والوبائية وطب الأسرة والمجتمع. وهي تخصصات لم يبق لي فيها إلا ذكريات موهلة في القدم. قدم الدراسة الجامعية وما بعدها وسنوات العمل الأولى بعد التخرج. وإشارك القراء في الموضوع سوف يصيبهم بالضجر كتكرار كلمتي سركاريا وسنيل وغيرهما. وكأني في محاضرة علمية. لذا أبقى اليوم مكتفياً بالإشارة والإيجاز (مما في ذاكرتي) عن البلهارسيا التي تذكرني دائماً بالفنان عبدالحليم حافظ. وهو مرض وثيق الصلة بالمستنقعات (والترع) والأنهار الموبوءة، كما قلت سابقاً. وسوانح حديث الذكريات. فما أنا ذا أتذكر مقابلة تلفزيونية قديمة لعبدالحليم حافظ وقبل وفاته بقليل. وكيف كان يقول انه كان (يزوغ) أي يهرب عندما يحين وقت إعطائه الحقنة العلاجية للبلهارسيا. وكيف كان

ندمه شديدًا لسببين: الأول: قيامه بالاستحمام في مياه (الترع). والآخر: عدم الانتظام في أخذه علاج البلهارسيا. وفي أثناء كتابة المقال تذكرت خبرًا نشرته جريدة الرياض قبل سنة أو تزيد يفيد بانتشار قواقع (سنيل) البلهارسيا في مستنقعات في حائل. وقد ازدانت الجريدة بصورة يتضح فيها اللون الأخضر على جوانب المياه الآسنة. وكأنك تشاهد مسبحًا مهملاً. ومخاوف الأهالي من انتشار الأوبئة. وبالأخص البلهارسيا. وميزة مرض البلهارسيا أنه إذا قطعت أو أُبطلت حلقة من دورة المرض. فلا ينتقل المرض. فعندما يتوقف المريض عن التبول أو التغوط في الترع والأنهار تنتهي دورة المرض. فلا ينتقل لآخرين.



المشتل واشرح لها!

عند الحديث عن الغناء في سوانح ماضية والآن. لم يكن السبب حب الغناء. ولكنها تداعيات عنت لي عندما رأيت أحد المطربين القدماء في التلفزيون. وأنا أتقل بين القنوات الفضائية بالريموت كنترول أو ريموت (كولسترو) ، كما يسميه الصديق العزيز والكاتب المعروف عبدالعزيز السويد. وهي تسمية جميلة وصادقة، لأن كثرة استعمال الريموت كنترول يُقلل من حركة الإنسان. ومن ثم يزيد وزن من يستعمل (الريموت كولسترو) ما علينا. فقد كنا بسطاء تأسرنا الكلمة الجميلة واللحن الشجي. ونتنسب لقبيلة عُذرة وصاحبي لبنى وعزة في رهافة الإحساس. وقد حثني صديق عزيز ومتابع لسوانح أنه كان يُردد أغاني فهد بلان (واشرح لها) قبل خمسة عقود أو تزيد من الزمان. في البويفية وفي سوق البقر في العسيلة. ولامني لأنني لم أذكر اسم سلامة العبد الله. عندما تحدثت عن أغنية أنا تل قلبي تل. هوا الببال في المشتل. فقلتُ له. إن (أنا تل قلبي تل) تفوق شهرتها (واشرح لها)، فمن يقرأ أنا تل قلبي تل أو يسمعها. لا بد أن يعرف أن المطرب أو المُغني هو سلامة العبد الله رحمه الله. وثمة حقيقة فيما يخص سماعنا للأغاني أيام زمان. وهي أن كلمات الأغنية نُخضعها لتفسيرنا البسيط (والساذج) في بعض الأحيان، وسأروي مثالين على ذلك: الأولى لأغنية محلية مشهورة، والأخرى لمطرب عربي مشهور أيضاً. فعندما كنا نستمع لطارق عبدالحكيم في أغنية: (قلت

يكفي البعد يا آسيني)، وعندما قال، وأنا أسمع صوت عودكم: قلبي يحن. ياناس حرام. نظنه يستمع لرجل كبير في السن (عود) يشتكي من عقوق أولاده. ولم نكن نعرف أن العود هي آلة العزف المعروفة. والأغنية الأخرى هي أغنية عبدالحليم حافظ: (بحلم بيك)، فكنت أظن عبدالحليم بجلن (ن) بحبيبه أي طفشان منه. فلماذا بأشواقه يستنيه (بجلن بيك أنا بجلن بيك وبأشوائي مستيك)، ولم أعرف إلا عندما كبرت أن المعنى والمقصد في الأغنية هو أن عبدالحليم يحلم بحبيبه وبأشواقه ينتظره، وليس (بجلن به).



يا ضايق الصدر!

ثمة رأي في الطب النفسي يفيد بأن معظم الأمراض النفسية سببها يكمن في نقص أو (لخبطة) في بعض الهرمونات في الجسم. فيتم تعديلها بالأدوية والوسائل العلاجية الأخرى. وبعض تلك الحالات تحتاج إلى احتواء وعلاج بالأدوية في منازلهم. وعلاج سلوكي ونحوه في عيادة الطبيب النفسي. وبالإمكان أن يندمجوا في المجتمع ويتفاعلوا معه. وليس صحيحًا أن المريض النفسي مجنون، كما صورته بعض الأفلام المصرية القديمة. ويجب أن ترتقي نظرتنا للمرض النفسي وللطبيب النفسي. وأن تكون هناك مصارحة ومكاشفة، لما قد يعتري الإنسان من (ضيقة) أو وساوس. كالوسواس القهري ونحو ذلك لمن بيده (بعد الله) حل وإجابة على تلك الأمور (الطبيب النفسي)، وعدم ترك الأمور تتراكم إلى أن يصعب علاجها. والطب النفسي كغيره من أنواع الطب الأخرى وفروعه، يتطور ويخترع طرقًا حديثة في العلاج. لعل من تلك الطرق العلاجية ما شاهدته في قناة أجنبية. حيث يقومون في عيادة الطب النفسي (مع المريض نفسه) بإعادة أو تمثيل الحادث الذي كان سببًا في شكوى الإنسان ومرضه. وأقول لمن يتبع تلك الطريقة في العلاج: إن الكثير من الرجال والنساء (في مجتمعنا) كان سبب مرضهم جورًا وسوء معاملة في طفولتهم من أب قاس أو ظلم من زوجة أب بعد حرمان من الأم بسبب تطليقها أو موتها، ونحو ذلك من أسباب التعسف والقهر من الآباء على صغارهم. والشاعر العربي

يقول:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا

على ما كان عوده أبوه

وهذا التعويد يكون في حالات كثيرة عدم تشجيع الطفل في صغره وتحقيره (تدقيق وتهزر) بسبب ودون سبب. فتكون النتيجة - كما قال الشاعر. شاباً أو رجلاً مهزوزاً، يعيش الإحباط والانهازم في كل وقت. وهناك نوعية من المرضى (وهم قلة) يشكلون خطراً على أنفسهم وعلى غيرهم. فيحتاجون إلى تنويم في مستشفى أو مصحة، لأخذ العلاج والمراقبة اللصيقة لحالتهم وتصرفاتهم. وهنا تبرز معاناة أولياء الأمور أو من يعينهم حال هؤلاء المرضى. حيث يصطدمون بالعدر نفسه (لا يوجد سرير). فأين يذهب هؤلاء المرضى وذووهم. فكل مريض يعيش بين إهمال (يتجهمه) ومرض تملك أمره. وقد حدث بالفعل أن قام مريض بقتل قريب له، ثم حاول الانتحار في مدينة الرياض قبل بضع سنين. حينها قام المستشفى بتوفير سرير وإدخال المريض. ولكن بعد أن وقعت الفأس في الرأس. وأحسب أن وجود مرضى تقف وزارة الصحة أمامهم معتذرة وعاجزة. وصمة عار في جبين كل إنجاز وتقدم ونماء وصلنا إليه.



(دجنان) والوسواس القهري

ثمة حقيقة عن الدمامل أو الخُراجات في جسم الإنسان. التي تكثر أو تزداد مع حرارة الجو أي في فصل الصيف. ويقل حدوثها في فصول السنة الأخرى. كأوقاتنا الباردة هذه الأيام. والحقيقة هي أن تلك الدمامل تطلع في أماكن ضيقة وحساسة جدًا. وكان الكثير (من الأولين) يشتكون من دمامل (في الصفاق) تُسبب لهم آلامًا وإزعاجًا. يتعذبون كثيرًا في أثناء علاجها (بفضخها) بكريمزان زان أو بالمرهم الأسود. وقد حدثني من أتق به هذه الأيام أنه كان في الصين، ووجد حبوب دجنان بيضاء اللون، تُباع هناك وبالعبرة أو العلبة نفسها التي كان يشتريها من الديرة وسوق (أشيقر) قبل أربعة عقود من الزمان أو تزيد، مع منتجات صينية أخرى. أشهرها (شروخة أبو ديك) آنذاك. وحدثني آخر عن دجنان (لك على ذاكرته)، فبواذر الزهايمر قد بدت عليه. وإن كان يدعي بأن ذاكرته قوية. حيث يقول بأن دجنان مرهم مثل كريمزان. وليست حبوبًا بيضاء. كان (الأولون) يستعملونه لعلاج العيون من (الرمد الحبيبي)، ويُستعمل (والعهدة على الراوي) لعلاج أمراض الأذن أيضًا. وقد يقصد فطريات الأذن (أوتو مايكوسز)، ويؤيد ذلك (تعدد الاستعمال لدواء واحد) ما ذكرته إحدى القنوات الفضائية قبل عدة أيام بأن علاج السل أو الدرن (تي بي) هو ثلاثة أنواع من المضادات الحيوية، نسيت أسماءها ويعرفها جيدًا أطباء الأمراض الصدرية والرتتين. اكتُشف أخيرًا أن هذا الدواء

مفيد أيضاً (بعد تجربته) في علاج الوسواس القهري والتوحد. وقد يكون اكتشافاً بالصدفة. أو الاستفادة من أعراض الدواء الجانبية. كالاستفادة من أعراض بعض مضادات الاكتئاب الجانبية (أميتريبتايلين) في علاج التبول اللاإرادي عند الأطفال. أو عندما استُفيد من الأعراض الجانبية لدواء الفياجرا. حيث وجد (بالصدفة) أن حبوب الفياجرا تزيد من ضخ وتدفق الدم للعضو التناسلي الذكري. فقامت شركة دوائية عالمية مشهورة (بفايزر) بالاستفادة من ذلك العرض الجانبي (سايد إفكت) وتطويره، كمقوٍ للجنس أكسبها المليارات من الدولارات. والكل يعرف ما أحدثته الفياجرا من ثورة في العالم قبل عقد من الزمان أو يزيد. ما علينا. وأعود إلى دجنان، فمفردة دجنان موغلة في القدم، ويخرج من فم من ينطقها بعض الغبار. إلا أنني أجد فيها بعض الموسيقى والجرس عند نطقها وسماعها، تتناسب مع مفردة كريم زان. وقد تمتد معرفتنا بهما (دجنان وكريم زان) إلى نصف قرن من الزمان أو يزيد. وكانت النية لدي أن أختم بالتنتريون والنوفالجين. فلعلها تكون بداية لسوانح أخرى.



رمضان مع وفرة الرطب

ثمة مصادفة جميلة هذه السنة. هي في الواقع دورة زمنية تتكرر كل ثلاثة عقود أو تزيد. بحيث نعيش بداية شهر رمضان المبارك. وتوفر أو نزول أنواع الرطب في الأسواق. ف(طباخ التمر وقدحة اللونه) قد بدأ في طبخ التمر، (والناس أيضًا)، وثمة حقيقة أكاد أجزم بها، وهي أن العرب هم أكثر الأمم حُبًّا واعتمادًا على النخلة، ومحصولها من الرطب والتمر في غذائهم اليومي. ما دعاني لأن تكون هذه السانحة وسوانح قادمة بإذن الله عن التمر. الذي (نفك الريق عليه) مع أذان المغرب، وصوت مدفع الإفطار في رمضان. علني أرسم ابتسامة رضا أو متعة وفائدة لمن يقرأني. في أثناء سردي لحديث من القلب عن غذاء يفيد المعدة والجسم. وهناك مثلاً أو مقولتان عن التمر: الأولى تمتدح أهمية التمر وفائدته للجسم. فيصفون التمر بأنه: مسامير الركب knee joints nails or nails of the knee joints وهو مثل يعرفه كبار السن جيداً. وبالذات في نجد لارتباط الركب (وقوتها) بأي مجهود بدني يُراد بذله. والمقولة الثانية (عند كبار السن أيضاً) تقول: إن التمر (ما يلحس)، أي أن التمر لا يتأثر بأي شيء يتعرض له. من حشرات وهوام تمر عليه أو تختلط به في النخلة أو بعد خرافه وتخزينه. حتى ولو كانت تحمل وتبثُ السُّمَّ الزُّعاف. فلا يفسد التمر أو يتسمم. كبقية أنواع الأغذية الأخرى. ويحضرني أن أحد كبار السن ذهب لمصر. فوجدهم يأكلون المش (بدوده)،

فتذكر أنه كان يأكل التمر وفيه (سرو يتحرك)، والسرو دودة صغيرة ورفيعة، رأيته بالفعل منذ سنين طويلة. تخرج من ثمرة رديئة النوع، كنت أريد أكلها. بل أكلتها بالفعل بعد رمي (السرو)، ونفخ مكانه من الثمرة بضمي. وإن كان السرو صغير الحجم اكتفينا بنفخه. وأكثر أنواع التمر التي تُخبئ سرّاً هي الصقعية، كما يقال. مع أن الصقعي في رأيي أجود وألذ نوع من التمور. فكم من ثمرة صقعية أكلت (بسروها) وما شفنا شر. وأشبه السرو بدودة (الأسكارس لمبريكويدس)، ووجود (السرو) في التمر سيئ النوع (الحشَف) كان يتناسب مع قلة ذات اليد عند الكثير من (الأولين) فيما مضى. وتواضع المستوى المعيشي، وتدني مستوى النظافة في مطابخ أيام زمان. ما علينا. والحديث عن التمر وكبار السن ومن يسكنهم حب الماضي (مثلي) يقود للحديث عن مكان مهم في المنزل الطيني أيام زمان. يُسمى (الجصة) حيث يتم تخزين التمر. وهو مخزون إستراتيجي. لأن التمر هو الغذاء الأهم لسكان المنزل. والجصة أيام زمان لا يمتلكها إلا من هو ميسور الحال وفي سعة من العيش. فيتمكن بجانب التمر (من الجصة) من تأمين اللبن من شاة أو عنز (أكثر البيوت والعوائل)، يتم تربيتها في حوش المنزل الطيني. وزوجة الثري يكون لديهم في الحوش بقرة حلوب. وقليل ما هم آنذاك. والتمر مع اللبن يعد غذاءً متكاملًا لأفراد العائلة كبارًا وصغارًا. وشهر رمضان مبارك على الجميع. وكل عام وأنتم بخير.



صرحان طبيان

كان لدينا في الزمن القديم (في الرياض) صرحان طبيان شامخان. يذهب إليهما كل من يحتاج لرعاية صحية وعلاج. الأول: مستشفى الشميسي أو المركزي. الذي لا يزيده مرور السنين والقدّم أو التقادم إلا شموخًا وتطورًا. وقد كنا نذهب إلى مستشفى الشميسي مشيًا على الأقدام، لقربه من منزلنا الطيني آنذاك. والثاني مستوصف الفوطة. وكانت لنا أيام (نحن الصغار) مع هذين الصرحين الشامخين. حيث تعمنا الفرحة عندما يمرض أحد الأهل فيضطر للذهاب إلى المستشفى. ونسعد أكثر عندما ينوم أحد الأقارب في مستشفى الشميسي (في الدور الخامس بالذات) فنصر على مرافقة الأهل في أثناء الزيارة. وسر ذلك كله في وجود المصعد أو اللفت (أصنصير)، تلك الغرفة السحرية التي لا نتركها (صعودًا وهبوطًا بضغطة زر)، في أثناء الزيارة. أما الصرح الثاني فهو (مستوصف الفوطة)، الذي لا يزال (ميناه) قائمًا يصارع للبقاء في شارع الخزان، و(جنوب حديقة الفوطة)، وفي جنباته أسرار سنين خوالي مع الممرض الألوسي والممرضة زبيدة والطفل أو المراهق (دحيم الموزي) فعندما ترغب النساء مراجعته (مستوصف الفوطة) بعد العصر. نقوم نحن الأطفال بإحضار (تكسي طلب) لنقلنا مع قريباتنا للمستوصف. وتكسي طلب (أيام زمان) له (حكاية) تستحق أن تُروى. فقيمة المشوار تكون دائمًا ريالين. وعند إحضار التكسي (الطلب) لا ننظر لنظافة

السيارة أو وجود تكييف ونحو ذلك. بل كنا نشترط أن يكون فيه (بكم)،
لنستمع أثناء المشوار بطارق عبد الحكيم وهو يغني: أبكي على ماجرا لي
يا هلي. أو قلت يكفي البعد يا آسيني. أو سعد إبراهيم وهو يغني: أرسل
سلامي مع نسيم الصباح. أو أغنية: يا غايتي يا مرادي. ما علينا. فركوبنا
للتكسي (الطلب) في حد ذاته كان متعة لا يضاهيها أي متعة (آنذاك)
وبعد وصولنا لمستوصف الفوطة نقوم نحن الأطفال باللعب، ومطاردة
بعضنا البعض في الأسياب. فلا وجود لمصعدٍ نتسلى ونعبث فيه، كما في
مستشفى الشميسي. وفي معظم الحالات نجد (دحيم الموزي)، وقد اشتبك
مع الممرضة زبيدة. وفي كل زيارة لمستوصف الفوطة تقوم الممرضة زبيدة
بملاحقتنا في الأسياب، أو طردنا من غرفة الضماد، كي لا نأخذ لفات
الشاش والمكركرون (تنتريون) والإبر (الحقن) واللعب بها. وهي تقول:
(أوعا بأ أو سيب البتاع).



العطايف. الشميسي وعليشة

درست المرحلة المتوسطة في مدرستين: الأولى هي المتوسطة الأولى (في شارع العطايف) قبل خمسة عقود من الزمان أو تزيد. أيام كان مديرها الأستاذ الفاضل ومربي الأجيال: عبدالعزيز الشiche حفظه الله. وقد كان طلبة المتوسطة الأولى يلقبون مديرهم الأستاذ الشiche بالإمبراطور. لشدته وحزمه. وأذكر أنني نجحت من أولى متوسط من الدور الأول بالدف. ولم يكن هناك دور ثان. فينجح الطالب الذي ينقصه درجة واحدة أو درجتان في مادة واحدة فقط. بما يشبه هذه الأيام بحمل المادة. فتم تعويضي في مادة واحدة، وهي مادة كنت أجد صعوبة فيها ولا أحبها. وهي مادة الرسم الهندسي. لأنتقل للسنة الثانية. ولا أدري هل تلك المادة لا تزال مقررة على طلبة المتوسط وبالمسمى نفسه: الرسم الهندسي، أم أُستبدلت وتم تطويرها وتغيير اسمها. ما علينا. فبعدها نقلني الوالد رحمه الله. إلى متوسطة فلسطين في شارع العصارات. وكان يفصل منزلنا الطيني والمستأجر آنذاك عن متوسطة فلسطين باتجاه الشرق (قطعة الشارع)، وفي هذا الشارع كان يوجد مخبز وفوال نشترى منه بعد صلاة الفجر (فول بقرشين) وخبزاً لزوم الفطور لبعضنا. أما البعض الآخر فيفطر على بيض أمليت ودونات وكوفي. وعلى الضفة الغربية من متوسطة فلسطين كان ولا يزال يقع حي عليشة الفاره آنذاك. فكانت تجمعنا والطلبة الساكنين في حي عليشة متوسطة فلسطين. والتعليم أيام زمان كان أقوى من هذه الأيام

بكثير. إلا أن الصحة المدرسية كانت (بالبركة) ، ولم نكن نعرف منها إلا حملات التطعيم في المدارس بين حين وآخر، التي كانت في بدايتها. فكانت متواضعة بطبيعة الحال. وبالنسبة لي لا أظن أنني تلقيت جميع التطعيمات المفروضة ضد الأمراض. الحافظ الله. ففي أثناء قيام ممرض الصحة بتطعيم الطلبة كنت عندما أعرف أو أشعر بمقدمه أرفع أصبعي بأدبٍ جمٍ وخجل شديد، مستأذناً من الأستاذ بأنني أريد الذهاب إلى دورة المياه. فأختبئ في دورة المياه أو أقيس أحد الممرات ذهاباً وحيئةً بقدمي. إلى أن أسمع صفارة انتهاء الحصة. ومن ثم انتهاء (دق الإبر). وبداية الفسحة. فأخرج مسرعاً لألعب مع بقية زملاء، الذين تلقوا التطعيمات في ذلك اليوم. وكل واحد منهم يروي لحظة (دق الإبرة) المؤلمة والمرعبة. وأنا أشاركهم الحديث. مختلقاً رواية شبيهة لإحدى الروايات التي استمعت إليها. أرويها لهم. وللأهل عند عودتي للمنزل، وما سببته لي (الوتانة) في المدرسة من ألم شديد في معصمي الأيمن.



شارعا : مد اللي والمعكرونة!

يستوقفني دائماً كل ما يصدر إعلامياً عن التدخين والمدخنين. لعل آخرها قرار أمير منطقة مكة المكرمة بمنع تدخين الشيشة والمعسل في المقاهي والمطاعم المغلقة، وموضوع الكتابة والتوعية عن خطر التبغ من أكثر الموضوعات التي كتبت عنها. وسبب عودتي اليوم للكتابة عن التدخين هو قرار سمو الأمير الحكيم. فلعل في الإعادة إفادة. وثمة حقيقة، وهي أن من يدخن لا يعرف التغيرات التي تحدث في خلايا جسمه من التدخين. والجهاز التنفسي بالذات. تغيرات في تركيبة الخلايا المجهرية (مورفولوجي)، ولكنها تعود لطبيعتها إن أقلع المدخن عن التدخين. وهي مرحلة مع الأسف لا يقلع كثير من المدخنين عن التدخين في أثنائها. فتفوتهم فرصة ذهبية. لاستمرارهم في التدخين لسنين طويلة. عندها تتحول خلاياهم السليمة إلى خلايا سرطانية (ميتابليزيا)، أو تُصاب الرئة بداء الانتفاخ (إمفايزيما)، وهي مرحلة اللاعودة. حينئذ لا ينفع من أقلع عن التدخين إقلاعه (قدها وزت)، وأنصح كل مدخن بأن يقوم بعمل أشعة لصدره. ليطمئن على رئتيه وأن لا تكون. لا سمح الله. التغيرات نحو انتفاخ الرئة قد بدأت بالفعل (إمفايزيما تشينج)، وصحيح أن سعر السجائر قد ارتفع قليلاً لدينا، ولكنه بقي ثابتاً عند ذلك السعر، ولم يتغير ويرتفع كما في أسعار المواد الأخرى. والتضخم (إنفليشن) يطال كل سلعة إستهلاكية لدينا إلا السجائر. ولنأخذ الشاورما مثلاً. فقد ارتفعت

من ريالين إلى ثلاثة ريالات، وفي بعض الأماكن أربعة ريالات. فليت سعر (بكيت) السجائر يربط بسعر مادة استهلاكية كالشاورما، (مع الفرق طبعًا بين الطيب والخبث)، فإذا ارتفع سعرها ارتفعت أسعار السجائر أيضًا. فالسعر الحالي يظل الأقل، وبكثير عن دول كثيرة مجاورة وبعيدة. وسمعت من أحد الثقات: أن شركات التبغ العالمية والكبيرة تُعفي الموردين للتبغ من أي زيادة في ارتفاع العملات الصعبة والضرائب. المهم أنك استورد وبع تلك السموم على الناس. وأختم بشرح العنوان أعلاه. فمنذ خمسة عقود أو تزيد كان هناك شارع في طريق خريص. وبه مقهى يتردد عليه الرجال والمراهقون لتدخين الشيعة. وقد يجتمع فيه العديد من الشباب على شيشة واحدة فقط. فمن أراد (التشيش) يقول للآخر مد اللي. فعرف ذلك الشارع بشارع مد اللي. مثل شارع المعكرونة في جدة. الذي سُمي بذلك. بسبب وجود أول مصنع للمعكرونة فيه. مع الفارق بين مدلول الشارعين. فشارع المكرونة يدل على غذاء (طيب)، رائحته طيبة ويفيد الجسم ويشبع البطون. والثاني: سم (خبث) يقضي على الصحة بالتدريج في أثناء حرقه واستنشاقه. فما أشبه ما سُمي بسببه الشارعان: مد اللي. والمعكرونة. بنافخ الكير. وبائع المسك.



حدثني من أثق به

حدثني من أثق به (طبيب): أن منشأة طبية خاصة. يعمل فيها أطباء استشاريون سعوديون بشكل جزئي (بارت تايم) يتجاوز عددهم العشرة. ويعملون رسمياً في مستشفى حكومي واحد. وأحد هؤلاء العشرة مدير على البقية في المستشفى الحكومي. وبسبب ندرة تخصص ذلك الطبيب، رغم انشغاله قرر مدير عام المستشفى تعيينه مديراً طبياً وساعداً أيمن له. من باب التكريم والتفيع المادي. وفي العيادات الخاصة هو زميل للتسعة وليس مديراً عليهم. وبذلك يكونون ماسكين عليه زله (ماسكينه من الإيد اللي توجهه)، فلا يستطيع التعامل معهم كمدير صارم في العمل الخاص. كما يفعل في المستشفى الحكومي. بل أصبح حتى في المستشفى الحكومي يفض الطرف عنهم كثيراً. لمعرفته أنهم إن تأخروا أو قصرُوا في عملهم الحكومي. يكون سببه انشغالهم في مكان آخر يعرفه جيداً. وأضاف محدثي الموثوق به أن مدير التسعة يعمل إضافة لعمله الحكومي. يعمل في ثلاثة مواقع طبية خاصة أخرى. فهو لا يكاد (يحك راسه) لرحمة الشغل الشديدة. وبرنامجه اليومي كالتالي: بعد صلاة الفجر ينام لساعة أو ساعتين. ثم يستيقظ (وقد لا يفطر) فيذهب إلى عمله الحكومي الأول ليصل عند السابعة والنصف صباحاً. فيفتح الدكان (أعني عيادته)، ويستقبل مرضاه الواحد تلو الآخر. بعد إلقاء تحية صباحية على المريضة الفلبينية. وقد لا يلقبها. مكتفياً بإشارة منه للمريضة: كول ذا فيرست بيشنت. وعند أذان

الظهر يستعد للصلاة والذهاب للمركز الطبي الخاص الأول. أو الموعد الثاني كما تقول أغنية طلال مداح (خذاك الموعد الثاني) لأربع ساعات أخرى. ولأنه مدير طبي للمستشفى الحكومي يجوز له ما لا يجوز لغيره من الأطباء. يكون عمله الحكومي أربع ساعات فقط. وينتهي عند الثانية عشرة ظهرًا. فالوقت لديه (تايم إز موني)، وبين صلاتي الظهر والعصر هناك أربع ساعات إن قضاها في المستشفى الحكومي ستكون بلا فائدة وهدرًا للوقت، وحرمانًا لمن سيستفيد في العيادات الخاصة من علمه وتخصصه النادر. فبإمكانه العطاء بلا حدود. وما يردده الكُسالى من الناس من راحة بين العمل أو بعده لا وجود لها في قاموسه (تايم إز موني)، وأخيرًا أقول: (وأنا بين مصدق ومكذب) لكلام من أثق به. إن الصلوات الخمس تتخلل أو يبدأ بها العمل. ذلك الطبيب الأريب والمدير الذي ينذر مثل له بين الأطباء. من صلاة الفجر إلى العشاء. التي يحافظ عليها في وقتها. لعلمه بوجوبها عليه. وجهله أو تجاهله بأن الصلاة تنهى عن.



كورتيزون

كم من طبيب أريب يُحسن الاستعانة والتوقيت بعد توفيق الله بحقنة أو إبرة كورتيزون. فينقذ حياة إنسان كادت تتخطفه يد الردى والمنون. إلا أن ثمة حقائق مؤسفة عن هذا الدواء السحري، وهي آثاره الجانبية الخطيرة، إن لم يُحسن استخدامه حسب إرشادات الطبيب والصيدلي. والخطر الآخر الذي بالإمكان تجنبه. هو إمكانية الحصول عليه بسهولة. على شكل حبوب أو مراهم وقطرات. وحتى حقن وريدية لا يعرف دواعي وطريقة استعمالها إلا قلة من الناس. بمجرد إخراج علبة فارغة من الدواء أو كرتون قديم مهترئ، يحمل اسم الدواء يحتفظ به ذلك الجاهل بالكورتيزون في جيبه. ليخرجه لأي صيدلية خاصة. فيقوم الصيدلي بإحضارها في التو والحال، قبل أن يخرج الزبون محفظته لدفع قيمتها البخسة. وكأنه يحضر أي مادة غذائية أو استهلاكية أخرى. وأذكر بالمناسبة وقبل عدة سنوات وفي مستشفى قوى الأمن. أذكر مريضة كانت مقعدة لمدة طويلة بسبب هشاشة العظام. أُجريت لها عملية جراحية تمكنت بعدها من المشي بإذن الله، وكان سبب هشاشة العظام ولزومها الكرسي المتحرك. كان سببه وصفة طبية (لأسبوع فقط) لحبوب (بردنيسيلون ٥مجم)، وهي من مركبات أو الاسم التجاري لدواء الستيرويد (كورتيزون)، وكان من المفترض (كما قالت المريضة): أن تراجع طبيبها المعالج بعد أسبوع وانتهاء الدواء. إلا أنها لم تفعل، واستمرت في أخذ حبوب الكورتيزون.

فكلما أوشك الدواء على الانتهاء ذهبت لأقرب صيدلية لتشتري كرتوناً صغيراً وجديداً يحوي ٢٠ أو ٣٠ حبة كورتيزون. واستمرت في ذلك لمدة طويلة إلى أن (لعب) الكورتيزون في عظامها هشاشة، فأقعدها عن المشي. فأنتت إلى مستشفى قوى الأمن. بعد أن لُزمت الفراش (مقعدة) لسنة أو تزيد. ولا أبرئ الأطباء من بعض مشكلات الكورتيزون. فقد نجد طبيباً في عيادة خاصة يقوم بعلاج حساسية الأنف البسيطة مثلاً، التي يعاني منها الكثير من الناس. يعالجها بحقنة أو إبرة كورتيزون. فيرتاح المريض في البداية. ما يجعل المريض ممتناً لذلك الطبيب، ويدعو له بكل خير. لتعاوده بعد حين حساسية الأنف بشكل أشد. يصعب على أمهر الأطباء علاجها. ما يجعل المريض يدعوه على من وصف له الكورتيزون (طبيب أو صيدلي) بالثبور وعظائم الأمور، بسبب الآثار الجانبية والمعاناة الكبيرة من استعماله الخاطئ للكورتيزون.



في الزواج

ثمة موسم للزواجات والأعراس نعيشه هذه الأيام . ويتزامن مع الإجازة الصيفية كل عام. وفي جدة تم إلغاء ٤٠ زيجة بسبب إصابة أحد الزوجين بفيروس التهاب الكبد الوبائي. ومن المؤكد أن جهداً قد بُذل قبل الإلغاء: (خطبة ورؤية شرعية وشبكة)، فكان عدم الزواج هو القرار المناسب. في الوقت المناسب. والقسمه والنصيب حصلت بعد تصارع مع الأسباب. لعل أهمها فحص ما قبل الزواج الإلزامي. الذي لولاه (بعد الله) لمت تلك الزيجات مخلفة صبياناً وبنات، والأکید أن فيروس الكبد الوبائي سيعمل عمله في محيط أربعين أسرة ستتكون، (وأكبادهم) قد يمتد لبقية أكباد المجتمع. لو لم يكن هناك فحص ما قبل الزواج. فليت فحص ما قبل الزواج الإلزامي يُعمل بعد موافقة الأب أو الولي (المبدئية) على من تقدم للخطبة. وقبل الرؤية الشرعية والشبكة. وتطبيق فحص ما قبل الزواج (بعد الله) مُنع الكثير من الأمراض السارية والوراثية. لعل من أهمها وأخطرها مرض الإيدز. وهو مرض بفضل الله قليل في مجتمعنا مقارنة بالمجتمعات الأخرى. ولو عملت دراسة أو إحصائية للأمراض التي يتم رصدها قبل الزواج في السعودية لأتت الأمراض الوراثية (أنيميا منجلية وثلاسيميا) في المقدمة. ومن نافلة القول: إن فحص ما قبل الزواج إلزامي في إجراءاته قبل الزواج، وينير الطريق، ويخبر (ولو جزئياً) عن صحة من يُراد الاقتران به أو بها. فإذا أُكتشف مرضٌ ما في أحد الطرفين (الزوج

أو الزوجة) يكون الطرف الآخر السليم حرًّا في إلغاء الزواج أو إتمامه. وأرى أن إلغاء أي زواج بسبب نتيجة الفحص هو إجراء وقائي بالدرجة الأولى، لحماية الناس والأجيال القادمة. من أمراض وراثية أفضل سبيل لمكافحتها هو منع حدوثها. كمرض الأنيميا المنجلية (سيكل سيل أنيميا)، المنتشر بالذات في المنطقتين الجنوبية والشرقية. ومن لم يصب بالمرض أو يسمع عنه. فليسأل أي مريض أصيب بمرض الأنيميا المنجلية، الذي ينتقل بالوراثة. كيف تُسبب له آلامًا شديدة مبرحة، وإعاقة في أثناء نوبة المرض، تقتضي غيابه عن العمل، ونقل الدم إليه، وشحوب وإصفرار في الوجه، قبل نوبات المرض وبعدها. تُكلف الدولة الكثير من الجهد والمال.



سبع عجاف

ثمة حقيقة فيما يخص دراسة الطب (بكالوريوس)، وهي أن عدد السنين للحصول عليها سبع سنين. تزيد قليلاً أو كثيراً عند البعض. ولكنها لن تقل بأي حال من الأحوال عن السبع العجاف. مهما كان الطالب ذكياً ومجتهداً. وأخذ تيرمات صيفية. والسبع العجاف يأتي في نهايتها عام يُغاث فيه طالب الطب بعد ما مر عليه من قَحْطٍ. أكل كل سنابله. أي سنة الامتياز. واسألوا أي طبيب عن النقلة النوعية (معنوياً ومادياً)، وما يشعر به من زهو وفخار عندما يكون طبيب امتياز. وعن نفسي أنقل صورة من الماضي: ففي فجر أحد أيام رجب من عام ١٤٠٥ هجرية (دَق البيجر) في غرفة الطبيب المناوب في المستشفى. في أثناء مناوبي في قسم الجراحة. فاستيقظت من نومي المتقطع. وأخذت أردد بيني وبين نفسي: دق البيجر. يا الله عسى خير. يا الله بحالة إسعافية، تحتاج عملية جراحية، لا تحتمل التأخير إلى الصباح. كي أتعلم وأكمل ما يجب علي من متطلبات في قسم الجراحة. وفي أثناء رفعي لسماعة التلفون لأجيب. من الداعي. فإذا بها التوصيلة الخاصة بالطوارئ أو الإي آر. أو شعبة حادثات بلغة السند والهند. وبعد مكالمة قصيرة مع طبيب الإسعاف. عرفت من خلالها أن الحالة لزائدة دودية ملتهبة. أسرع متجها للطوارئ. لأقوم باللازم. وفي ذهني مر شريط بعدد عمليات استئصال الزائدة التي تتجاوز العشرين. كنت أحضرها مراقباً في البداية أو (سيلف ريتنق ريتراكتر)، كما يعلق البعض على طبيب الامتياز في قسم الجراحة. ثم مساعداً. يُسمح لي فقط بتقفيل الجلد في نهاية العملية. ثم مشاركاً في كل

مراحل العملية. وأنا الطبيب الوحيد في القسم. فتكتمت على طبيعة عملي في القسم لذوي المريضة صغيرة السن. وأضمرت في نفسي أمرًا. ألا يعمل العملية إلا أنا فقط. وعندما يبجرت الطبيب المقيم (أعلى مني مباشرة) لم يرد عليّ. ففرحت كثيرًا. وبعد أن قام أبو المريضة بالتوقيع على إقرار إجراء العملية الروتيني. توكلت على الله. فاتصلت أو يبجرت الأخصائي. الذي كان مُشرفًا على عملي وتدريب كطبيب امتياز (انترن)، وواعدته أن نلتقي في غرفة العمليات. وكان الوقت قبل أذان الفجر بقليل. ليكون شاهدًا على مهارتي في استئصال الزائدة الدودية الملتهبة. وطلبت منه ألا يتدخل في سير إجراء العملية، ويكون مساعدًا لي فقط. وأخبرته أن الطبيب المقيم لم يرد على يبجري. فهز الأخصائي رأسه مبتسمًا. وهو يغالب النعاس ويتثائب. ويعرف أنه لو لم يأت. لببجرت الاستشاري ورئيس القسم. ونجحت العملية. لتخرج المريضة في اليوم التالي سالمة معافاة. ولا أخفيكم بأنني كنت الأسعد آنذاك. حتى من المريضة نفسها ووالديها. وأقمت حفلًا في القسم. وأولت للزملاء بهذه المناسبة بكية بلاك فورست. من الركن الفرنسي القريب من المستشفى. حيث كنت أتدرب. وكيف قام رئيس القسم بتقطيع وتقسيم (كية) نجاح العملية على الزملاء. وعينا الطبيب المقيم ونظراته مصوبة نحوي بغضب وحسد، فلم يبارك لي، ولم يأكل من (الكية). أما الغضب. فلأن الأخصائي لفت نظره وعاتبه لعدم رده واستجابته لنداء يبجري المتكرر. وأما الحسد. فلأنني أجريت العملية. (من طقطق لسلام عليكم).



حلا بين الألم والأمل

هذه السانحة أحكيها. وقلبي يعتصر ألماً وحرزاً على ما حدث لطفلة بريئة. لم يتجاوز عمرها السنوات الأربع. واسمها حلا. تعيش الآن منومة بجرعة بنج عام أو تنفس صناعي وتخدير (انتيوبيتد اند سيديتد) بعد عملية معقدة استغرقت ساعات عدة في مستشفى قوى الأمن. تعرض فيها جسمها الصغير لمبضع الجراح. لترميم وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من خلايا فمها الفضة، ولسانها الذي التصق في أرضية فمها. بعد أن قامت بتصرف طفولي. وإدخال مكعبات بيضاء وجدتها في أرضية المطبخ. في فمها. وهي لا تدري أن تلك المكعبات البيضاء تُستعمل فقط في فتح وتفجير مواشير الصرف الصحي المنغلقة والبيارات. بفعل تراكم الزيوت والمخلفات. فانفجرت في فمها. مُلغية معالم وصفات وجهها وفمها الصغيرين. ولا أحد يدري لماذا طلبت منها أمها (أم حلا الصغيرة) بعد أن رأتها تضع الأقراص في فمها. بأن تتناول بعض الماء بعد الأقراص. ما أدى إلى تفاعل تلك الأقراص مع الماء. فحدث ما حدث. فلو أن الأقراص تفاعلت مع لعاب الفم فقط لكانت الإصابة أقل بكثير مما حدث. ولكن ينطبق على الأم المثل القائل (جا يكحلها عماها)، ويقول الدكتور الذي ساعد في العملية الجراحية: إن حلا ستخضع لعدة عمليات أخرى، وستحتاج لتمرارين للنطق وعلاج طبيعي وإعادة تأهيل (ريهاب) طويل وشاق. بعد عدة عمليات تجميل وترميم. وأن معالم وجهها في نهاية الأمر. سيكون من الصعب استعادته

للشكل الطبيعي. وبعد فصل اللسان عن أرضية الفم، الذي التصق به بعد الانفجار. سيتحدد مدى وإمكانية استفادتها من لسانها المصاب. والأمل بالله كبير أن تكون حياتها طبيعية بعد الانتهاء من عمليات الوجه والفكين المقررة لها. وثمة سؤال مُلح لا أجد له إجابة. أوجهه للآباء والأمهات. عن طريقة تخزيننا لأشياء قد لا نستعملها إلا قليلاً أو مرة واحدة فقط. فيجب إحضارها واستعمالها في الحال تحت إشراف رب البيت أو ربه. وعدم إحضاره ووضعه في متناول الصغار. فالذي يبدو لي أن الأقراص المتفجرة أُحضرت ولم تُستعمل في الحال. بل وضعت في مكان قريب من حلا. كأى مادة استهلاكية أخرى. فظنته حلوى. فكان ما كان. من ألم وجراح لحلا الصغيرة. وحسرة ومرارة لأب وأم. ندما كثيراً. كان الله في عونهما. وأسبغ على حلا بُرءاً لا يغادر سقمًا لجراح فمها الغضة. وتوفيق وسداد لإستشاري جراحة الوجه والفكين في مستشفى قوى الأمن. الذي أجرى العملية. الدكتور إبراهيم الرسيني ومساعدته الدكتور وائل بن سعيد.



المومياء الحية

بين حين وآخر تطالعنا الصحف عن مواد تتم مصادرتها من الأسواق لضررها على صحة الإنسان. وقبل سنة أو تزيد كتبت عن مادة الميلامين السامة التي اكتشفت في بعض الحلويات وبودرة الحليب. وقبلها بسنة أيضًا كان حديث الناس في مجالسهم عن الطحينية بالفسق الحلبى الذي يحوي مواد سامة. وما أستغربه هو اكتشاف الناس للمواد السامة بعد السماح لها بدخول البلاد. أي أنها ليست مواد مهربة. بل خضعت واجتازت ممرين مهمين، وهما الجمارك، وهيئة حماية المستهلك. واستهلاك الناس لتلك المواد التي دخلت بطريقة رسمية لا غبار عليها قد يكون كبيرًا، ويتسبب في مرض أو حتى موت البعض. حينها تنشط مختبراتنا وتقوم بالمصادرة والمنع. وهذه الأيام نحن أمام قضية حية اسمها المومياء الحية. فقد نسي الناس مادة الميلامين السامة وطحينية الفستق الحلبى المسمومة. وعادوا لأكلها. لتطالعنا قناة ال إم بي سي التلفزيونية في أخبارها بتقرير قبل عدة أيام عن مادة سامة. اسمها يذكر بتحنيط الفراعنة. وهي المومياء الحية، والتي رُوج لها على أنها علاج لمرض السكري. وهي مادة سامة لها تأثير تراكمي على الكبد والكلى والمخ. والمريض بصفة عامة يتمسك بأي أمل ويطلق كل باب طلبًا للشفاء. وما أكثر مرضى السكري لدينا. تلقى بعضهم خبر المومياء الحية بقبول حسن. وأذكر منذ عقد من الزمان أو يزيد أن إشاعة سرت وتداولها الناس في مجالسهم. تقول الإشاعة: إن زيت

الفرامل المحروق هو علاج جديد وفعّال لمرض البهاق. فما كان من إحدى المريضات بالبهاق إلا أن صدقت. فدهنت جسمها بزيت الفرامل المحروق أي المستعمل. فزيت الفرامل الجديد لا يُفيد، كما قال المروج للإشاعة. ما أدى إلى امتصاصه (الزيت المحروق) عن طريق الجلد، مؤدياً إلى فشل كلوي حاد (أكويوت رينال فيليور)، أدى فيما بعد إلى وفاة المريضة نتيجة للمرض الخطير. وبداية الحكاية دعاية أو كذبة بأن زيت الفرامل المحروق يعالج البهاق. فلا تصدقوا يا مرضى السكري بأن المومياء الحية تعالج مرض السكري. حتى لو سمحت وزارة التجارة وحماية المستهلك بدخولها وبيعها على الناس.



الزئبق الأحمر

في سوانح ماضية كان الحديث عن لعبة الكعابة في الزمن الماضي. وتحديث عمن كان يمولنا ويبيعنا الكعابة، بعد إحضارها بكميات كبيرة من مخلفات (زباله) مستشفى الشميسي. ومع أننا كنا صبية وأطفالاً، إلا أننا كنا نأخذ بالاعتبار الناحية الشكلية والجمالية بما نلعب به أيام زمان كترزين (الدنانة) و(زبرقة) السيكل باللونين الأزرق والأبيض. وبالمناسبة قلة من كان يمتلك سيكل (تك أو بلون) أيام زمان، فنقوم بصنع ما يعوضنا، ويسلينا بمواد أولية موجودة حولنا. فنصنع سيارة (طفولية) نلهو بها من الألف إلى الياء. وهناك عمائر وبيوت يتم تشييدها بالقرب من بيوتنا الطينية آنذاك. فنحضر منها (نستلها ليلاً) في غياب المقاول والعمال ثلاثة أسياخ حديدية واحد طويل (جسم المركبة) واثنان قصيران (دركسون وحامل للكفرات)، ويتم التصنيع كآلاتي. فبعد إحضار أسياخ الحديد نقوم بتجميع غطيان الكولا من مخلفات لعبنا (طاش ما طاش)، التي تملأ محيط (دكان اليماني)، وثقب أغشية الكولا وإدخال مفاط (الأستك) خلال ذلك الثقب، ووضعه أو شده (داير ما دار) حول (مكرة) نفذت خيوطها، وإدخال السيخ الحديدي الصغير والرفيع خلال إحدى فتحتي المكرة، وإخراجه مع الأخرى. وقد كنا نصنع إطارين (كفرين)، لذا يلزمنا مكرتين نحضرهما من منازلنا، التي لا تخلو من مكائن الخياطة من نوع (سنجر)، التي عرفنا حديثاً أنها تحوي زئبقاً أحمر

خطيرًا وغالي الثمن. وقد تستغربون أن البعض منا يصعب عليه تأمين (المغاط)، فقد حدثني أحد الأصدقاء بأنه لم يستطع تأمين قيمة المغاط. فكان يقوم بإحضار ذلك المغاط من ملابسهم الداخلية. وقد كانت أمه تستغرب أين ذهبت (تلك المغايط) في أثناء غسلها لملابس الأب والأولاد الداخلية. ولم يدر بخلدها ان ابنها العزيز هو من يقوم بتخريب وشق تلك الملابس الداخلية لأخذ ما فيها من مغايط. والمرحلة الأخيرة (بعد الزبرقة باللونين الأزرق والأبيض)، هي تركيب (بوري) في الجهة اليمنى من الدركسون (سيخ الحديد القصير) عندها فقط، نقوم بقيادة المركبة سعداء مزهوون أمام الكثير من أقراننا، الذين لم يستطيعوا عمل عملنا.



صورتان

ثمة صورتان لا تبرحان مخيلتي ووجداني عن طفولتنا في الماضي. يعيدهما للواقع ويؤججهما منظر أي طفل وطفلة يلعبان (جنبًا إلى جنب) ببراءة وحبور، كما في أيام العيد. والصورتان متداخلتان لأطفال أيام زمان، حيث كان جميع الأطفال (أولاد وبنات) يلعبون مع بعضهم البعض في تناغم وانسجام. فكل جنس له لعبة تناسبه، من حيث الخشونة أو النعومة. فالأولاد أو الصبية لهم ألعابهم الخاصة التي تكاد تنحصر في الكعابة والكرة في النهار. والنهار هو الوقت المسموح فيه للبنات الصغيرات بالخروج خارج منازلهن واللعب في مكان غير بعيد عن (أولاد الجيران والحارة) وأحياءنا الطينية وأزقتها كانت وادعة، لا يعكر صفوها إلا غبار الأتربة، نتيجة لعب الكرة أو مخلفات حمار، يجر عربة بقيادة (حمار)، وهو ينادي بصوت عال أجش، يُشعرك وأنت تسمعه (قبل أن تراه) أنه يركب على من يحمل صفة أنكر الأصوات (القاز القاز)، أي بائع الكيروسين. ويعكر صفو الأزقة أيضًا وبشكل يومي عودة قطيع غنم الحي (بصحبة الشاوي) عند الغروب، فتخترق وتخرب (وتحوس) ملعب كرة القدم في طريقها لدخول المنازل الطينية (للحلب والمبيت)، ما يضطرنا للتوقف عن لعب الكرة قبل تسجيل (قول المغرب)، الذي يحتسب بعشرة أهداف. والذي أسمىه الآن الهدف الذهبي. وسبب آخر أهم وأوجه للتوقف عن لعب الكرة، حتى لو لم يسجل أحد الفريقين (قول المغرب)، وهو رؤيتنا للمؤذن في أثناء خروجه وتوجهه

للمسجد لرفع أذان المغرب أو سماعنا لصوت (ابن ماجد) الشجي، مخترقاً
حي المعيقلية وغيره من أحياء الرياض، منادياً لصلاة المغرب رحمه الله.
وفيما يخص بنات الجيران والحارة آنذاك، تكاد تكون (لعبة الخروفة)،
وهي بناء منازل صغيرة من رمل أو تراب الأرض التي يلعبن فيها. وكأنهن
بذلك (يحلمن طفولياً) بمنزل الزوجية عندما يكبرن. وعند الغروب أو
عندما يأتي المساء (كما تقول أغنية عبدالوهاب) تتصاعد أصوات النساء
الآتية من داخل البيوت الطينية، وخلف الأبواب المواربة، التي قد يُرى من
خلالها جانب من الوجه أو (الشيلة)، وهن ينادين على بناتهن الصغيرات
بأن الليل قد حل، فعليهن التوقف عن اللعب والدخول في منازلهن. فتقوم
كل طفلة بهدم ما بنته من منازل ترايبية أو رملية (خروفة) بضربة بباطن
اليد على كل منزل، فيتحول إلى تراب مبعثر. يتبعها وبحركة سريعة مسح
لما علق في باطن تلك الأيدي الصغيرة من تراب بأطراف فساتينهن، وكل
طفلة تلتفت إلى باب منزلها حيث صوت الأم المنادي. وأعناقهن مشرّبة
كأعناق الغزلان الصغيرة، عندما تتلفت خائفة من خطر محقق. فلا تسمع
بين البنات الصغيرات إلا كلمة (طيب أو ان شاء الله)، تحت نداء كل أم
وجلة وخائفة على بنتها من البقاء خارج المنزل في الليل.



(حبة صباح حبة مسا)

ثمة مثل للكاتب الساخر برناردشو. أحفظه منذ سنين طويلة. يقول
المثل: إن الله يشفي والطبيب يقبض الأتعاب.

واستهلالي لسوانح بهذا المثل. لأقوله لمن يريد العلاج من الطبيب
مهما كان العارض. ولا يُعطي فرصة للجسم كي يقاوم، ويتغلب على
العارض أو الاعتلال الصحي. بالرغم من أن جسم الانسان زوده الله
سبحانه وتعالى. بوسائل دفاعية وبأجسام مضادة تفرزها أجهزة ذلك
الجسم عند الحاجة. ويبرز تساؤل عن الاختلاف في التشخيص بين طبيب
 وآخر. وهذا الاختلاف قد يكون خلطاً في فهم المريض أو ذويه، فيما يقوم
به الطبيب من علاج صحيح. بعد تشخيص صحيح بطبيعة الحال، أو عدم
إعطاء العلاج وقتاً كافياً لبدأ مفعوله. إلا أن هذه قضية أخرى. مع أن
مثل برناردشو ينطبق عليها. ما علينا. فأبقى اليوم مع مواقف طريفة
يتندر بها البعض عن الأطباء كالذي راجع طبيباً لا يعرف اللغة العربية،
وهو يقول للطبيب (بشتي يوجعني) فما كان من الطبيب الأعجمي إلا
أن وصف لمن يشتكي (من بشته) حبوباً يأخذها حبة صباح. حبة مساء.
وأختم بموقف طريف آخر، أظن أنني ذكرته في مقالة سابقة: حدث لأختين
من الأولين، راجعتا الطبيب في مستوصف الفوطة، بسبب عارض صحي
ألمَ بهما أو بهن. فوصف الطبيب لإحدهن: الأكبر سنّاً بعض الحبوب.
وللأخرى إبرة في العضل تأخذها في غرفة الضماد. وبعد أخذ الحبوب من

الصيدلية توجهتا إلى الممرضة زبيدة في غرفة الضماد. وفي الطريق قالت إحداهما. هالحين أنا يعطيني الدختور حبوب، وإنتي يا الصغيرة (تدقك زبيدة إبرة في العضل)، لماذا التفرقة في العلاج؟ وتفضيلك عليّ مع أنني الأكبر سنًّا؟! فقالت الصغيرة: (لا تزعلين يا خيتي) خذي إنتي الإبرة، وعطيني أنا الحبوب. فاستبدلتا الوصفتين قبل الوصول للممرضة زبيدة، وزميلها الممرض الألوسي في غرفة الضماد. ويقول الراوي: إن الأختين بعد استعمالهما الدواء (إبرة العضل للكبيرة والحبوب للصغيرة) شُفيتا تمامًا بإذن الله، فكم كنت رائعًا وصادقًا يا برناردشو عندما قلت: إن الله يشفي، والطبيب يقبضُ الأتعاب.



فياجرا

أمريكا وأوروبا مشغولتان هذه الأيام، ليس بسبب مشكلاتهما الاجتماعية والبطالة، أو القلاقل والحروب العالمية؛ وتفجير الهند لقبيلتها النووية، والخوف أن تلحقها قنبلة باكستانية؛ بل السبب دواء اسمه فياجرا؛ الذي أسعد الكثير من الرجال هناك وفي جميع أنحاء العالم خبر إنتاجه أو اكتشافه؛ حيث يُعدّ وعدًا لمن أُصيبوا بالعجز الجنسي، بسبب مرض عضوي؛ وحتى كبار السن، (ومن تجاوز السبعين والثمانين)، ومُشكلة العجز الجنسي، يتعلق من يعانيتها (مريضًا أو كبيرًا في السن) بأي أمل؛ ويستغلها (العجز أو الضعف الجنسي) من يُريد الإثراء؛ من دجالين وحتى أطباء؛ فيصفون أشياء قد تكون سامة وقاتلة للسذج، الذين يريدون أن يعيدوا أمجادًا ماضيةً، عندما كانوا في العشرين أو الثلاثين من أعمارهم؛ وقد يتزوج أحدهم شابة صغيرة وهو في السبعين؛ وسلاحه ما وصف له من أدوية من أحد العطارين، مع أن المثل يقول: (لا يُصلح العطار ما أفسد الدهر) وقد يكون دواء فياجرا هو الذي سيصلح ما أفسده الدهر؛ ولكن من المؤكد أن له ثمنه (أعني أعراضًا جانبية)، والمعلومات عن هذا الدواء السحري لا تزال في بداياتها؛ وما نعرفه عنه (عن فياجرا) هو أن هذا الدواء يقوم بزيادة ضخ الدم إلى العضو التناسلي. ما يساعد على الانتصاب. وهناك الكثير من الرجال الذين يعتقدون بجذوى أساليب موجودة؛ التي تُفيد في بعض الأحيان؛ كالفيتامينات؛ وأدوية تركيبها غذائي

كدواء نجد إعلاناته كثيرًا، ويُسمى فايتال فورس؛ رأيت إعلانًا له في إحدى القنوات الفضائية، وبالقرب ممن يستعمله حسناوات متبرجات، يحاولن كسب وده. ليجذبوا السُّدج لبضاعتهن تلك؛ والعامل النفسي مهم جدًّا؛ في قوة الرجل من عدمها، واذكر أحد الأطباء أتاه كهل يشتكي من ضعف في قوته؛ أعطاه حبوبًا تُسمى (بلاسيبو) لا تضر ولا تنفع (شوقار كووتد) أو مجموعة فيتامينات ضعيفة المفعول؛ أتى المريض الكهل بعد عدة أيام يشكر الطبيب على تلك الحبوب المقوية؛ التي أتت بنتيجة إيجابية بعد استعمالها؛ ومنذ أول حبة. وما دام دواء فيا قرا يقوم بزيادة ضخ الدم إلى العضو التناسلي الذكري؛ ومعالجه الضعف أو العجز الجنسي؛ قرأت بحثًا يُحذر الرجال من ركوب الدراجات الهوائية (البسكلت) فعندما يجلس الرجل على سرج الدراجة الهوائية يضع ثقل جسمه كله على الشريان الذي يمد جهازه التناسلي بالدم؛ وأن الضغط المستمر على هذا الشريان المعروف باسم الشريان الأجوف؛ قد يمنع تدفق الدم مؤقتًا. وإذا تكررت عملية ركوب الدراجة الهوائية. قد تكون النتيجة سيئة للغاية؛ ولا ينفع لعلاجها حتى دواء فيا جرا. وأختم بخبر عن بوب دول (وهو مرشح جمهوري سابق تعدى السبعين من عمره؛ خسر الانتخابات الأمريكية أمام بيل كلينتون)، يمتدح دواء فيا جرا؛ ويقول: إنه جيد وفعال؛ مع أنه (بوب دول) مُطلق لزوجته، فكيف جرب دواء فيا جرا؟!



هايجين

في طب الأسرة والمجتمع (كوميونتي مدسن)، التي كنا نطلق عليها مادة الهايجين، هناك باب (شبتري) درسناه في المنهج الدراسي عن الصرف الصحي (سيويج)، وعلاقته بالأمراض التي تصيب الإنسان؛ وكيف أن الكثير من الأمراض لها علاقة وثيقة بصحة البيئة أو الإصحاح البيئي؛ فكلما كان المجتمع نظيفاً كان احتمال تعرضه للأمراض أقل؛ فمخلفات وما يخرج من جسم الإنسان تحتوي على ملايين البكتيريا والمكروبات وغيرها؛ إن أُتيحت لها فرصة العودة لذلك الإنسان أصابته بمختلف العلل والأمراض؛ وعندما يقوم أي إنسان (متوسط النظافة) بالاستحمام يحتوي كل ١ مليلتر ماء ناتج عن ذلك الاستحمام (أو الدوش) على نحو ١٠٠ ألف بكتيريا؛ لذا كان الواجب التخلص من تلك المخلفات بطريقة آمنة؛ وأذكر أنني كتبت عن موضوع الصرف الصحي في هذه الزاوية قبل سنوات عشر تحت عنوان معاناة من (وايتات) في حي العريجاء؛ وهي الوايتات ذات اللون الأصفر التي تجوب الحي (ولا تزال) عندما كان سكان هذا الحي يعانون (الأميرين) من تسرب مياه الصرف الصحي، التي تغمر شوارع وأزقة هذا الحي؛ ويمر عقد من الزمان كأنه قرن على سكان الحي وقبل أيام عدة طالعتنا جريدة الرياض بصور وشكاوى أهل هذا الحي، مزدانة

بصور مياه الصرف الصحي (الطافحة) ، وكأنها أُصيبَت بِأَمطار غزيرة
للتو؛ وعبر سوانح أُطالب مع سكان هذا الحي بأن تصلهم شبكة الصرف
الصحي؛ فالنفس البشرية السوية تُحب النظافة ومجبولة عليها.



عقاقير وأدوية (مضروبة)

ثمة تنافس (رهيب) بين شركات الأدوية. لعل من أشدها شراسة قيام إحداها (في أمريكا) قبل عقد من الزمان أو يزيد بدس سُم زُعاف في عبوات أدوية (حبوب وتحاميل) مخففة أو مهدئة للألم وخافضة للحرارة. يعرف اسم ذلك الدواء الكثير من القراء. ولا أستطيع ذكر اسمه هنا كي لا تُعد دعاية له. المهم أن السم المدسوس في الدواء تسبب في وفيات لبعض المرضى. خصوصًا بين الأطفال الذين يستعملون التحاميل. ما أدى إلى خسائر لتلك الشركة (بمئات ملايين الدولارات) بسبب الخوف بين الناس والإحجام عن شراء منتجات تلك الشركة الدوائية بعد ذلك. وفي خبر ذي صلة قرأته قبل سنين عدة أعلنت منظمة الصحة العالمية أنه تم رصد عقاقير مقلدة في أكثر من ٢٨ دولة خلال العشرين سنة الماضية. وألقت بالمسؤولية عنها في وفاة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ شخص. وبطبيعة الحال فإن هذه العقاقير المقلدة أُنتجت بقصد الربح المادي. واستغلال اسم شركة أو اسم منتج مشهور عالميًا ووضعه اسمًا لتلك المنتجات أو الأدوية المغشوشة. وأذكر في هذا الخصوص (تقليد الماركات العالمية) أنني اشترت سائلًا للتنظيف له شكل منتج عالمي مشهور، تعودت شراءه يحمل الشكل والتصميم نفسهما. ويختلف في حرف واحد فقط في الاسم. اكتشفته، ولكن بعد شرائه ووصولي للمنزل. وفي نهاية التقرير عن العقاقير المقلدة أو المغشوشة أو (المضروبة)، كما يقول الأخوة في مصر. ذكر أن حالات

الوفيات وردت من نيجيريا وبنجلاديش والهند والأرجنتين وهاييتي. ولا أظن أن الدراسة قد شملت أسواقنا. التي تشهد أعلى معدل استهلاك للدواء في العالم. حيث يبلغ استهلاك الشخص الواحد (في السعودية) ٦٩ دولارًا في السنة. بينما نجد الاستهلاك العالمي للدواء لا يزيد على ٢٥ دولارًا في السنة. حسب دراسة تسويقية عن سوق الأدوية في المملكة صدرت قبل سنين. وأتمنى أن دراسة كهذه (العقاقير المقلدة) تشمل أسواقنا. خصوصًا أن المنظمة التابعة للأمم المتحدة في نهاية إحدى ندواتها الأخيرة التي استمرت أعمالها ثلاثة أيام في جنيف. أوصى ٣٠ من خبراءها وحثوا المنظمة على مراقبة العقاقير المقلدة في جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. والمملكة عضو في الأمم المتحدة بطبيعة الحال، وكما يعرف الجميع منذ عقود طويلة. وسوق المملكة أو أسواقها مستهدفة لكل منتجات وعقاقير وأدوية مقلدة أو مضروبة. لا يعلمها إلا الله.



في العيد

عيد (أيام زمان) لا شك يختلف بالنسبة لي عن عيد هذه الأيام بمراحل. يكفي أنني عندما كبرت افتقدت أجمل ما في العيد وما في الطفولة، وهو إحساس الدهشة إزاء كل جديد. والمؤسف أنه حتى أطفال هذه الأيام بسبب الوفرة لكل ما يرغبون، لا يشعر الكثير منهم بالدهشة التي أفقدها في كبري هذه الأيام. وطبياً في الجراحة تقل إحصائيات العمليات الجراحية (المجدولة) في رمضان والأعياد. فلا أحد يرغب في إجراء عملية في العيد بالذات عندما يكون بإمكانه تأجيلها. فكثير من العمليات المجدولة في أيام العيد لا يُجرى منها إلا ٥٠٪ أو أقل في معظم غرف عمليات المستشفيات الحكومية. فتكثر كلمة (دي إن إي) نطقاً وكتابة في ملفات المرضى. أي لم يحضر المريض. وكل جراح لديه قائمة من المرضى المنتظرين قد تكون طويلة في بعض التخصصات. فيتم الاتصال بمن هو على قائمة الانتظار، ويريد أن تعمل له عملية في ذلك الوقت، ليحل محل من تخلف. فيضحي المريض بفرحة العيد واحتفالاته استغلالاً لفرصة منحها له جراحه الأثير. وأذكر أنني وبعض الزملاء في السنوات الأولى بعد التخرج قمنا بإجراء كثير من عمليات اللوز واللحمية المجدولة بإحلال من هم على قائمة الانتظار مكان مرضى لم يحضروا في مواعيدهم. في أثناء عملنا أيام العيد. وكما أن العيد مناسبة لفرح الأطفال واحتفالهم. إلا أن كل عيد لا يخلو من منغصات لتلك المناسبة السعيدة. ولننظر إلى

ما تستقبله أقسام الطوارئ في مستشفياتنا من حوادث لفلذات الأكباد في أثناء لعبهم بالألعاب النارية. تكون خطيرة في بعض الأحيان. وأذكر طفلاً فقد إحدى عينيه في يوم العيد في أثناء إشعاله للعبة نارية لم يحسن استخدامها. وما تبقى في الذاكرة والخاطر من أعياد أيام زمان هو الشعور آنذاك بالغبطة والابتهاج والسرور بقدوم العيد، وأنه يوم يختلف عن بقية الأيام. نلبس له الجديد من ثياب وجزم نفاخر بعضنا البعض بها، وألعاب لا تتعدى (شروخة أبو ديك) وشمس النهار نبتاعها من أسواق وشيقر والديرة. أما الحلويات فهي أبو جنيه وحلاوا حلقوم وأبو عسل وبسكوت أبو ميزان، وشيء من (قريض) قليل. وكل عام وأنتم بخير.



حمص وطع ١٠٠

في أيام الطفولة كانت أفضل وجبة عشاء نأكلها بعد أن يحضرها الوالد من مكان غير بعيد عن بيوتنا الطينية آنذاك. عبارة عن مطبق وفلافل (طع ١٠٠)، وعندما كبرنا قليلاً (بداية التسعينيات الهجرية) أصبحنا نتمرد على وجبة العشاء المنزلية. فنأكلها إما في أبونواس، أو حاتم طي، أو جهينة في شرق الرياض، أو في بوفية لبنان في شارع العصارات في غربها. وإيرادي لأسماء تلك البوفيهات أو أماكن (الفاست فود) أيام زمان لن يعد دعاية أو إعلاناً. لأنه لا وجود لها هذه الأيام، إلا في وجدان وذاكرة من يسكنهم حب الرياض وماضي الرياض الجميل أمثالي، أو من (يصدف له) قراءة سوانحي من رجال ونساء يشعرون بالحنين عندما (يجي طاري) التسعينيات الهجرية. وطبق الحمص (الحمبص) اللذيذ، الذي اكتشفه جيلي، وهم كبار نسبياً، يعرف الجميع أنه من المقبلات. إلا أننا كنا نحن صبية وشباباً أيام زمان نشد الرجال إلى مطعم في الملز، لنتعشى على حمص أيام زمان. وأيام زمان كان من العيب الأكل في المطاعم. وإن اضطر أحد الرجال للأكل في مطعم ما، فلا بد أن (يدق اللطمة) عند دخول المطعم أو الخروج منه، كي لا يراه أحد من معارفه، فيُشهر به، وكأنه اقتترف جُرمًا. والأكل خارج منازلنا في مدينة الرياض مر بنقلات نوعية، من حيث مكان وتنوع الأكل وجودته، وحتى مستوى نظافة من يقدمه. فمن فوال أبو دحدح والكرعان والروس في الحلة، إلى سندوتشات

الشاورما والكوكيتيل في شارع العصارات. فكان البون شاسعاً. أو نقلة نوعية (شارع العصارات) لا يوازيها شهرة وفخامة (بادخة)، إلا مطاعم شارع التحلية هذه الأيام. ومستوى النظافة في جميع مطاعم (الفاست فوود) آنذاك يحددها بياض ونصاعة (الوزرة) من اصفرارها، وكم تحوي من بقع أطعمة أو زيوت. وما علق في ذهني عن البائع ذي الوزرة في عصارة أو كفتيريا لبنان في شارع العصارات، هو إقبالنا على تناول (سندوتشات) الكلاوي واللسانات والمخ. التي بعد أن كبرت ودرست الطب عرفت أنها أكثر الأعضاء احتواءً على الدهون، ومستودعاً لأعنى أنواع البكتيريا والديدان.



في جدة

ثمة مقولة يرددھا سكان وزوار مدينة جدة عروس البحر الأحمر، مقولة لا تخلو من الزهو والفخر بهذه المدينة الجميلة. وهي (جدة أم الرخا والشدة)، وأحياناً وفي أثناء موسم الأمطار تعيش جدة (شدة) بالفعل. والكل يتذكر ما نتج عن كارثة السيول الأخيرة، أو سيل الأربعاء، كما يسميه البعض. من مستنقعات لم يتم ردمها، والتعامل معها بشكل وقائي، لمنع حدوث أمراض تترصد بجدة بعد كارثة السيول. وأتعجب كثيراً من ضالة وحقارة أنثى بعوضة الأنوفليس، وما تسببه من أمراض خطيرة (كالمalaria وحمى الضنك)، وأعجب أكثر عندما أعرف أن مكافحة أمراضها. بل ومنع حدوثها بسيط جداً. وهو وقائي بالدرجة الأولى. أي رش المبيدات وردم المستنقعات لمنع تكون المياه الراكدة والأسنة (ستقننت ووتر) فالمياه الراكدة خطر محقق، كما تعلمناه منذ سنين طويلة في طب المجتمع (كوميونتي مدسن)، ورشها وردمها عمل منوط بالطب الوقائي في وزارة الصحة بالدرجة الأولى، وصحة البيئة التابعة لكل منطقة. أي أن مكافحة مرض كالمalaria يكون قبل وقوعه، ويعتمد على شيئين أساسيين. رش البعوض بالمبيدات أينما وجد. وقبلها أو في أثنائها منع تجمع المستنقعات بدمها إن تكونت نتيجة الأمطار. والردم بحد ذاته سيفنينا عن الرش والعلاج. فلا بعوض سيتواجد، ولا أمراض تحتاج إلى علاج بأقراص الكلوروكين وغيره من أدوية يتم اكتشافها وتطويرها. وتكلف الملايين لمحاربة هذا

المرض العالمي الذي يقتل الملايين سنوياً. وفي بلدنا تشتهر مدينة عزيزة علينا بالمalaria وهي جازان. وأرجو أن لا تتسبب ما تعانيه جدة من شدة هذه الأيام باللاحاق بجيزان في عدد الإصابات بالمalaria. فجدة تعاني من حمى الضنك كلما هطلت الأمطار.. مهما كانت خفيفة. فما بالكم بعدما استقبلته من سيول تسببت في كارثة مفعجة مات فيها الكثير. وهيئت الأسباب لحدوث أمراض ستفتك بمن لم يمت. فجدة -كما بدأت حديثي- تعيش في شدة. كان الله في عونها. ولا أنسى قبل عقد من الزمان، قمنا أنا وبعض الزملاء بالترصد الوبائي عن malaria في جازان. وكيف أن malaria المخية، وهي أخطر أنواع malaria مستوطنة في جازان مع الأسف الشديد. وأنثى بعوض الأنوفلس، التي تسبب malaria (دونية) وتعيش أو تتواجد في المستنقعات الأكثر اتساخاً. بعكس بعوضة حمى الضنك (البرنسيية)، كما يسميها سكان جدة. والذين يقولون عن لدغة بعوضة حمى الضنك إنها أشد من لدغة العقرب. وهو كلام فيه الكثير من الصدق. فقديماً قيل إن البعوضة تدمي مقلة الأسد. رفع الله عن جدة الشدة وأدام رخاءها.



هارفرد المركزي

مايو أو مايو كلينك اسم له (شنة ورنه) في عالم ومجال الخدمات الطبية أو الصحية وجودتها. فلا يذكر إلا ويشاد بجودة خدماته النوعية. وهو اسم مشهور لمجمع عيادات طبية خاصة (برايفت سيكتور) في أمريكا. يعمل فيها قامات طبية كبيرة في مجال الطب والجراحة لجميع التخصصات. ويقصدها الكثير من المرضى من شتى الدول. ومن حيث الشهرة والألق تتساوى عيادات أو مستشفى مايو كلينك مع جامعة هارفرد العريقة في بوسطن. وبوسطن بالمناسبة يُطلق عليها: أنها روح أمريكا spirit of America، وهي جملة أو عبارة تزددان بها لوحات سيارات بوسطن. وبالمناسبة حدثني ابني الذي على وشك التخرج من جامعة الأمير سلطان: أن وفدًا يتكون من أساتذة ودكاترة من جامعة هارفرد الأمريكية يقومون هذه الأيام بزيارة لجامعة الأمير سلطان، لإلقاء بعض المحاضرات على الطلبة الذين على وشك التخرج. وهي محاضرات عدة عن مهارات العمل في سوق العمل بعد التخرج. وهي مرحلة أشبهها بسنة الامتياز للأطباء. عبارة عن برنامج اسمه بالإنجليزي (فُل بريج بروقرام)، وبعد تخرج ابني وزملائه بإذن الله، لا شك أنهم عند تقديمهم للعمل سيضعون في (السي في) أن أساتذة من هارفرد ألقوا عليهم محاضرات، أهلتهم للنجاح والحصول على درجة البكالوريوس. والأهم هو الحصول على عمل. وأن لا ينضموا إلى العاطلين عن العمل. فتزين شهاداتهم صدر مجلس كل خريج،

ومطبخ كل خريجة. هذا إن تزوجت. وإلا فمكان تعليق شهادتها سيكون في مطبخ منزل والديها الكرام. ما علينا. ومن نافلة القول: إنني درست وتعلمت في مستشفى اسمه ليس ببعيد عن محور سوانح. وهو مستشفى ميو هسبنال في لاهور. ويشبه إلى حد كبير مستشفى الشميسي في الرياض، ومستشفى القصر العيني في القاهرة. وهي مستشفيات تعليمية من حيث الطاقة الاستيعابية. ويتعلم فيها طلبة الطب. حيث الحالات المرضية النادرة توجد في تلك المستشفيات وبكثرة. وعدد الأسرة تتجاوز ألف سرير لتتويم المرضى. ومستشفى الشميسي أو المركزي أعده وأسميه (حمال أسية) بين مستشفيات الرياض. فأذكر أنني قبل ثلاثة عقود أو تزيد. وإلى وقت قريب عندما أكون مناوبًا (نوبتية) ويأتي مريض يحتاج عملية جراحية مستعجلة وتتويم. ولا يتوفر سرير في المستشفى أتصل بمستشفى الشميسي. وما هي إلا دقائق ليأتيني الرد: أن أرسل المريض. فطوارئ وغرف التتويم على أهبة الاستعداد دائمًا. فينزاح عن كاهلنا هم كبير. وهو مسؤولية مريض تابع للقطاع، والمستشفى الذي كنت أعمل فيه. كان في حاجة لعملية طارئة بسبب حادث ونحوه. كالتهاب حاد في الزائدة الدودية. ولكن لا يوجد سرير. وفي الأخير أقول: إن المستشفى المركزي صرح شامخ خطى خطوات تطويرية، إلى أن أصبح مدينة طبية تحمل اسم مدينة الملك سعود الطبية. فلتلك المدينة وللعاملين فيها مني تحية تقدير وشكر. وأدعو لمن سميت المدينة والمستشفى باسمه الملك سعود برحمة من الله واسعة وجنات النعيم.



نقاء ومكافحة التدخين

شرفتُ بدعوة كريمة من جمعية نقاء لمكافحة التدخين، لحضور احتفالها بمرور عشر سنوات على مشروع: رياض بلا تدخين. تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض حفظه الله. وقد دشّن صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن عبد الله. الرئيس الفخري لجمعية نقاء. الاحتفال بمرور ١٠ سنوات على مشروع: رياض بلا تدخين. في مركز الملك فهد الثقافي. بوجود أكبر داعم للجمعية ومكافحة التدخين. وغيرها من الأعمال الخيرية. وهو الشيخ سليمان الراجحي. وكانت ندوة مليئة بالفعاليات، التي تصب في إبراز ما تقوم به نقاء في مكافحة التدخين، والتعريف بأضراره. وهي جهود بدأت تؤتي أكلها من الآن. وبعد حين أيضاً. ومن نافلة القول: إنني من أكثر الناس كُرها لعادة التدخين، ولطبيعة عملي كنت قريباً من معرفة أضراره الكثيرة. فكتبت محذراً من تلك العادة السيئة عبر هذا المنبر وغيره مرات كثيرة. ولأنني في سوانح أحن للماضي، وأذكره عفو الخاطر، وبالأخص عندما أتذكر (عهداً مضاً لي) في المعيقلة والعسيلة. فأسترجع في مخيلتي وخاطري ذكريات ذات صلة بالموضوع، حدثت منذ أربعة عقود أو تزيد. وكيف كان المراهقون والصبية يدخنون ما يسمى آنذاك (العروق)، أو عروق الشجر. وكان الأطفال يقلدون المراهقين والصبية، في تتبع من يمشي حاملاً سيجارة. فإذا رماها على الأرض ولم يدسها بقدمه.

أخذوها ليدخنوها مرة ثانية، حتى لو كانت قطعاً صغيراً بالكاد يتكون من الفلتر وجزء صغير مما تبقى من السيجارة. حيث تتركز السموم في بقايا السيجارة وفلترها. ومع ذلك يقول المدخنون: إن ألد ما في السيجارة آخرها.



شَرَحَ وَمَلَّحَ

عندما تنتهي أيام عيد الأضحى الأربعة. وذُبح من الأضاحي ما شاء الله لها أن تُذبح. ممن يرجو ويريد الأجر والثواب من الله. بالرغم من ارتفاع أسعار الخرفان أحياناً. هناك ثمة حركة دؤبة في الماضي القديم، تحدث بعد ذبح الأضاحي في مثل هذه الأيام. على جميع الأصعدة. فالنساء يكن مشغولات بفائض اللحوم (تشريحاً وتعليحاً)، ليتم نشرها على الحبال في غرف جيدة التهوية، مخصصة لعمل (القفر) اللذيذ. والقفر للذي لا يعرفه هو لحم الخراف المملح والمجفف. يُعرف في الحجاز ومصر بالقديد والبسطرمة. وقد ذقت الاثنين. إلا أن القفر يظل الأفضل طعمًا. خاصة مع المرقوق (والرغيد) ما علينا. وطريقة حفظ اللحم بإضافة الملح طريقة معروفة عالمياً وعلمياً من مئات السنين. وقد درسناها في مادة طب المجتمع (كوميونتي مدسن) قبل أربعة عقود من الزمان أو تزيد. وحتى الأطفال والصبية (أيام زمان) يكون لهم عيد الأضحى فرصة ذهبية للحصول على الكثير من (الكعابة)، لزوم لعبة الكعابة المشهورة آنذاك. وفي الحجاز يُسمون لعبة الكعابة (الكَبش)، ولا تخلو بيوتنا الطينية في الماضي من مضاربات (طفولية) إن تصادف وجود كعب في وجبة الغداء أو العشاء. فيترك الولد أو الصبي الأكل مشيرًا إلى الكعب بقوله: (حلي به) إذا كان على السفرة أكثر من ولد يهتم بجمع الكعابة. ولا بأس من ذكر قصة حدثت لي مع ابن الجيران في المعيقلية قبل خمسة عقود من

الزمان أو تزيد. فبعد ذبح أضحيتنا قامت الوالدة رحمها الله بإعطائي رجل الخروف لأعطيها جيراننا الملاصق بيتهم لبيتنا (ذواقة)، وبعد دقائق قليلة خرج ابن الجيران وهو ينادي باسمي قائلاً: سلمان لقينا في لحمتكم (صولة)، وهو كعب كبير، يُستعمل في ضرب وتصويب بقية الكعابة الأصغر، والمصفوفة في الدائرة في أثناء لعب الكعابة. فأمسكت بتلابيه وأنا أقول: رجع الصولة. فالخروف في الأصل خروفاً. وأنا عطيناكم اللحمه فقط. أما الصولة فيجب عليك أن تعيدها لي. وتطور الأمر إلى مضاربة تدخل فيها الكبار. ولا أدري إلى الآن وبعد مرور تلك العقود من السنين. من احتفظ بالصولة. ما علينا. ولي صديق كثير السفر. ويجب إذا سافر أن يأكل مما تأكل الطبقة الشعبية في البلد الذي يزوره. وعندما كان في إندونيسيا، سمعهم يرددون كلمة (الدين دن) على أكلة يحبونها. فطلبها ليأكلها. فلما أحضرت له. وجدها لحمًا ناشفًا مقددًا. طعمه لذيذ يجمع بين القفر والخلع. وأقول: إن القفر عرفه القراء من شرحي عن القفر. أما الخلع. فأقول: إنها قطع صغيرة من إلية الخروف يتم قليها وتشيئها. ونقوم بأكلها متلذذين بطعمها الذي لا يُنسى. وهي تقرر مش (كريسبي)، وكل عام وأنتم بخير.



برسيم و(أمحه والا شعيرة)

لدي صديق عزيز وزميل مهنة (طبيب) يشتكي من السمنة، ويحمل كل الصفات الصحية السيئة والخطيرة (ريسك فاكترورز)، فهو مُدخن شره وأكول نهم. ولا يقوم بأي رياضة أو حتى المشي لأمتار قليلة يوميًا. لذا تراكمت في جسمه الدهون، وقبلها أو معها الكولسترول في شرايينه وقلبه وكبدته. ويُريد أن ينقص وزنه بأي طريقة، ويتخلص من الكولسترول الذي أرقه. باتباع أي نصيحة طبية أو عشبية. مع احتفاظه بمضغ وابتلاع بشرافة كل ما لذ وطاب من لحوم وأرز وحلويات. وفي إحدى المرات سمع أن مضغ البرسيم (طعام الغنم)، واستحلابه في الفم يخفض الكولسترول. فما كان منه إلا أن صدق ذلك. فأضاف البرسيم إلى مشترياته (مقاضي البيت) الأسبوعية. وفي صباح أحد الأيام شاهدته في غرفة استراحة الأطباء في أثناء (الكو في بريك)، ويداه الاثنتان مشغولتان وممدودتان إلى فمه. إحداهما بين السبابة والوسطى تحمل سيجارة مشتعلة. والأخرى الإبهام والسبابة والوسطى تحمل وريقات خضراء ندية، يُدخلها إلى فيه بعد إخراج السيجارة منه، وهو يتبعها بدخان كثيف في أثناء ذلك. ليمضغها (وبجترها) بعد أن اشتراها من سوق العلف، وعندما فاجأته بتحيتي الصباحية. ارتبك وهو يحاول إخراج ما امتلأ به فمه من برسيم، كان يجتره قبل حضوري. وثمة مقولتان أو حكمتان يعرفهما الجميع: الأولى تُقال عندما يأتي الحديث عن جودة أمر ما أو الاستفسار عن خبر ما. تأتي

بصيفة سؤال. قمحة والا شعيرة. باعتبار القمح أجود من الشعير (أمحه والا شعيره). والمقولة الثانية تعبر عن شيء أو شخص يُستفاد منه. بل يُنتهز أو يُستغل. ومع ذلك يُنتقد ويُلام. فيقال عنه بأنه مثل الشعير ماكول (ن) مدموم. وفي النت قرأت ما للشعير من قيمة غذائية، وفوائد كثيرة، أذكر بعضاً منها: أهمها تخفيض الكولسترول. أرجو أن يكون زميلي (راعي الطعام) الذي بدأت به سوانح يقرأ ذلك. علاج أمراض القلب. علاج الاكتئاب. علاج لارتفاع السكر والضغط. يحتوي الشعير على مضادات الأكسدة. ومن ثم يقاوم السرطان. يحتوي الشعير على الحمض الأميني المفيد (تربتوفان). يعد الشعير غنياً بالألياف. ومليئاً ومهدئاً للقولون. وفي الأخير أقول: (يابخت) الإبل وبقية المواشي. فهي تأكل غذاءً يحتوي على كل هذه الفوائد.



ملح وسُكر

ينصح كل طبيب بالإقلال من الملح في الطعام إن كان الأمر يتعلق بضغط الدم وارتفاعه. أو الإقلال من السكر إن كان الأمر متعلقاً بمرض السكري. والبعض يسمي الملح والسكر الأبيضان القاتلان بصمت. وثمة حقيقة علمية، لا يعرفها الكثير من الناس. خاصة كبار السن من مرضى السكر. والحقيقة العلمية هي أن الإغماء الناتج من انخفاض السكر أخطر على المريض من الإغماء الناتج من ارتفاع السكر، الذي يشتكي منه مرضى السكر بين حين وآخر. وطوارئ المستشفيات تستقبل يومياً مرضى كثر يعانون من السكري. وقد أغمي عليهم فجأة. وبفحصهم وتحليل نسبة السكر في دمهم يُعرف السبب إن كان ارتفاعاً أهون أو انخفاضاً أخطر، ذلك أن خلايا المخ لا تتحمل انخفاض السكر الحاد، والمفاجيء لأكثر من ثوان قليلة. بعدها تموت خلايا المخ، ويدخل المريض في إغماء قد لا يفيق منها. ومريض السكر الواعي يجب عليه أن يحتاط لانخفاض السكر بتنظيم أكله، وأخذ ما يصفه له الطبيب من أدوية أو حقن أنسولين. وعدم (التخبيص) في الاثنين: الغذاء والدواء. ويحضرنى مريض كبير في السن، ويعيش مع مرض السكر منذ خمسين سنة. كان يردد حكمة تقول: إن أكرمت مرض السكر أكرمك. ويقصد الانتظام في الدواء والاعتدال في الغذاء، الذي يحتوي سكريات ودهون. والرياضة، يقصد المشي، وكان يقول عن نفسه: إنه أصبح كالأطفال. حيث يحمل في جيبه دائماً بعض الحلويات

تحسباً لانخفاض السكر في أي وقت. وأُشبه مرض السكر بالضعيف الثقيل، الذي إن احسنت ضيافته وإكرامه وحسن التعامل والتصرف معه عشت بسلام. أو كما قال أحدهم بأن مرض السكر هو المرض المحترم، (إن احترمته احترمك)، ولي معارف وأقارب شباب وكبار في السن مصابون بداء السكري. أجد بوناً واختلافاً شاسعاً بين بعضهم البعض في تعاملهم مع المرض (الخطير والمزعج) ومن ثم نتائجه على صحتهم ونوعية الحياة التي يعيشونها. والإنسان العاقل بإمكانه التأقلم مع أي مرض كُتب عليه. بل والاستفادة من أي وضع أُجبر عليه نتيجة المرض. وأذكر في هذا الخصوص أن رجلاً أُصيب بالسكر أو السكري وهو في سن الشباب. قال: انه أصبح من ممارسي رياضة المشي المفيدة والمتعة. والتي لم يكن يمارسها قبل إصابته بالمرض.



في الملح

تُعجبني مفردات وتوصيفات الشاعر حميدان الشويعر عندما يهجو بسخرية، وكان يسمى الملح (دوا الغيرة)، أي التخمة. ووصفه هذا يذكرني بما يفعله بعض العامة من استعمال للملح الإنجليزي بصفة دورية، لتطهير وتنظيف أمعائهم وأجهزتهم الهضمية. وهو عمل خاطيء بطبيعة الحال. وهؤلاء العامة قد أثروا في حميدان الشويعر، أو تأثروا به في تسميته للملح بـ (دوا الغيرة) ما علينا. ففي سوانح ماضية (ملح وسكر) كان الحديث عن مرض السكري. والآن عن ملح الطعام (كلورايد الصوديوم)، والعامة أيضًا في الجزيرة والخليج. تطلق على المرأة أو الفتاة الجميلة (مملوحة)، وهو توصيف لا أدري ما سببه. فما علاقة الجمال بكلورايد الصوديوم، أو ملح الطعام الذي له وظائف مهمة ومحددة في جسم الإنسان. أما إن زاد عن حده، فسينقلب إلى ضده بلا شك. من حبس للماء والسوائل في الجسم، وارتفاع في ضغط الدم. والملح بمعنى الوسامة والجمال والجاذبية، صفة تطلق على الذكر أيضًا (مملوح)، وعلى النقيض تطلق الناس (أيضًا) على الملقوف، أو الذي (يستخف دمه) يتميلح. ما علينا. والملح لونه أبيض مثل السكر، ويطلق عليه: القاتل الصامت. فمرض ارتفاع ضغط الدم عند كثير من الناس يُكتشف بالصدفة، أو عندما يقوم الإنسان بفحص روتيني، يشتمل على قياس ضغط الدم. وأذكر منذ عقدين من الزمان أو يزيد مريضًا كبيرًا في السن راجعني في العيادة، وهو يشكي من إرعاف متكرر

من أنفه. فطلبت من الممرضة على غير العادة أن تقيس ضغط دمه، لأنني ربطت بين شكواه المرضية وكبر سنه، فإذا الضغط لديه يقارب المتئين على المئة. ففتحت ملفه الطبي وتصفحته. فوجدت أنه مريض بارتفاع ضغط الدم منذ سنين، ويراجع عيادة أمراض القلب والضغط. فقلت له: يا عم إن علاجك ليس في عيادة الأنف والأذن والحنجرة. بل لدى الزملاء في عيادة القلب والباطنية. واحمد ربك أن الشريان الذي نزف (للتسييم عن ضغط دمك المرتفع)، الذي تتجاهل أنك مصاب به. كان من الأنف. وليس من أحد شرايين المخ. وفي الختام أقول: إن الأكل مهما كان ملحه قليلاً أفضل بكثير (صحياً) من الأكل المالح، مهما أضاف إليه الملح من لذة. وإن أردتم نصيحتي فابعدوا (الملاحه) عن طعامكم. فالأكل مهما كان ملحه قليلاً (خانس) فيه من الملح (كلورايد الصوديوم) ما يكفي لوظائف الجسم وصحته.



في البعوضة

أتعجبُ كثيرًا من ضالة أنثى بعوضة الأنوفليس، وما تسببه من أمراض خطيرة؛ وأعجب أكثر عندما أعرف أن مكافحة أمراضها؛ بل ومنع حدوثها بسيط جدًا؛ وهو وقائي بالدرجة الأولى؛ أي رش المبيدات وردم المستنقعات؛ لمنع تكون المياه الراكدة (ستقننت ووتر)، وهو عمل منوط بالطب الوقائي في وزارة الصحة بالدرجة الأولى، وصحة البيئة التابعة لكل منطقة؛ أي أن مكافحة مرض كالمالاريا تعتمد على شيئين أساسيين: رش البعوض بالمبيدات أينما وجد؛ وقبلها أو في أثنائها منع تجمع المستنقعات بدمها إن تكونت نتيجة الأمطار؛ والردم بحد ذاته سيفنيها عن الرش والعلاج؛ فلا بعوض سيتواجد، ولا أمراض تحتاج إلى علاج بأقراص الكلوروكوين، وغيره من أدوية يتم اكتشافها وتطويرها، لمحاربة هذا المرض العالمي، الذي يقتل الملايين سنويًا؛ وفي بلدنا تشتهر مدينتان عزيزتان هما جدة وجازان؛ فجدة تعاني من حمى الضنك كلما هطلت الأمطار؛ وجازان لم يتم القضاء على الملاريا فيها؛ فتكثر الحالات كلما هطلت الأمطار؛ وأشدّها خطورة الملاريا المخية المستوطنة في جازان مع الأسف الشديد؛ وأنثى بعوضة الأنوفليس هي المسببة للملاريا، وهي ابنة عم البعوضة المسببة لحمى الضنك؛ وقد تكون نفسها في نقل المرضين؛ الفرق أنها في الملاريا تحمل باراسايت، وفي حمى الضنك تحمل فيروس؛ إلا أن بعوضة الأنوفليس (الذكر والأنثى) أكثر ضالة، وتعيش أو تتواجد في المستنقعات

الأكثر اتساعاً؛ بعكس بعوضة حمى الضنك (البرنسيصة) كما يسميها سكان جدة؛ والتي تعيش وتتكاثر بوضع بويضاتها في المياه الراكدة والمتبقية في الصفايح الفارغة والبراميل والاطارات وعند مكيفات الهواء وحول المسابح؛ وتلدغ ضحاياها نهاراً بعد الشروق وقبل الغروب بساعتين؛ وأرى أن أهم شيء في مكافحة البعوض، كما قلت في البداية: هو زيادة حملات الرش، وردم المستنقعات من الجهات ذات العلاقة؛ للتخلص مما يسببه من أمراض من إنائه ولسعات مزعجة (وتقريص) من الذكور؛ والمعروف أن أنثى البعوض فقط هي التي تمتص الدم في أثناء لسع الإنسان، فتمتص ما بين ١ مجم إلى ٥ مجم لإنضاج البيض، ونقل المرض حسب نوع المرض الذي تنقله؛ وأجزاء فم ذكر البعوض غير ثاقبة لجلد الانسان؛ فتتغذى على رحيق الأزهار وعصارات النباتات؛ والبعوض من سكان جدة يقول: إن لدغة العقرب أهون من لدغة بعوضة حمى الضنك؛ وهذا كلام فيه الكثير من الصدق؛ فقد يمتدح قيل: إن البعوضة تُدمي مقلة الأسد.



عَطَه أَمُوكْسِيل!

لو عُمَلت دراسة وتَقَصَّ (سَرِيْفِي) أُو كَيْس سَتَدِي، (كَمَا فِي الدَّرَاسَاتِ الجامعية والعليا) لأَكْثَرِ الحَالَاتِ المرضية فِي كُلِّ تَخْصِصٍ طَبِيِّ. لَوْجَدُ أَنْ ثَمَّةَ حَقِيقَةٍ. وَهِيَ أَنَّ التَّهَابَ الحَلْقِ واللُّوزَتَيْنِ هِيَ أَكْثَرُ الحَالَاتِ المرضية فِي عِيَادَةِ طَبِيبِ الأنفِ والأذُنِ والحَنَجرَةِ والأَطْفَالِ، وَكَذَلِكَ الطَّبِّ الْعَامِ. وَمرضُ السَّكْرِ فِي عِيَادَةِ البَاطِنِيَّةِ والغَدَدِ. وَالإِكْتَابُ فِي العِيَادَاتِ النَّفْسِيَّةِ. وَتَسْوَسُ الأَسْنَانِ لَدَى زَمَلَانَا أَطْبَاءِ الأَسْنَانِ. وَهَلُمَّ جَرَا. وَعَطُوهُ أَمُوكْسِيلَ. جُمْلَةٌ تَتَكُونُ مِنْ فَعْلٍ أَمْرٍ وَمَفْعُولٍ بِهِ سَيَكُونُ فَاعِلًا. أَصْبَحَتْ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الكَثِيرِ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ عِنْدَ التَّهَابِ حَلْقِ طِفْلِ أَوْ طِفْلَةٍ. وَفِي حَالَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقُومُ الْمَرْأَةُ بِإِعْطَاءِ السَّائِقِ خَمْسِينَ أَوْ مِئَةَ رِيَالٍ، وَتَقُولُ لَهُ: (لَيْنِ وَصَلَتِ الصِّيدَلِيَّةُ عَطَنِي مَسْ كُولَ). وَبَعْدَ رَنِينِ هَاتِفِهَا بِالمَسْ كُولِ تَتَصَلُّ بِالسَّائِقِ وَتَقُولُ لَهُ: عَطَنِي الصِّيدَلِي. خَلَنِي أَكْلَهُ. وَبَلَا مَقْدَمَاتٍ تَقُولُ لِلصِّيدَلِي: أَعْطِ السَّائِقَ أَمُوكْسِيلَ، وَخُذِ الفُلُوسَ مِنْهُ. عَطَنِي السَّوَّاقَ. فَتَقُولُ لَهُ: مَرَّ عَلَى مَطْعَمِ مَامَا (-) الِّي جَنْبَ الصِّيدَلِيَّةِ، وَسَوَّلِي مَسْ كُولَ. وَالمَسْ كُولُ كِي يَحْضُرُ عَشْرَةَ شَاوَرَمَا دِجَاجٍ وَأَرْبَعَ لَحْمٍ وَاثْنَيْنِ حَمَصٍ وَجِيكَ عَصِيرِ كُوكْتِيلٍ. فَإِرسَالُ السَّائِقِ لِلصِّيدَلِيَّةِ وَالمَسْ كُولِ لَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ إِرْسَالِيَّاتِ السَّائِقِ لِلْبِقَالَةِ أَوْ المَطْعَمِ وَغَيْرَهُمَا. لِيَصْبِحَ دَوَاءُ الأَمُوكْسِيلِ كَالْبِنَادُولِ يَسْتَعْدَمُ عِنْدَ اللُّزُومِ (بِي آر إِنْ)، وَلِنَتَحَدَّثُ قَلِيلًا عَنِ إِحْصَائِيَّاتِ المَرْضَى الَّتِي كَانَتْ تَرَاجَعُ عِيَادَتِي أَيَّامَ زَمَانٍ. وَأَذْكَرُ أَنَّني كُنْتُ أَرْفَعُ إِحْصَائِيَّةَ عَدَدِ المَرْضَى

أولاً بأول. وتظل التهابات الحلق واللوز سيدة الموقف. ولا أنسى استغراب المدير من إحصائياتي عندما تكون قليلة. فداعبته في إحدى المرات بإحضار مرضى من البطحاء. وأنا أذكره بسعيد صالح في مدرسة المشاغبين. وكيف أن الحلق واللوز هما من يتربع على الإحصائية في كل سنة. مع اختلاف بسيط زيادة أو نقصانا (في النادر) ما علينا. وأعود لصلب الموضوع. وكما قلت فإن إعراب عَطَ له أموكسيل. ودون وضع خط تحت المطلوب إعرابه دون وصفة طبية. عَطَ فعل أمر (بالعامية) وأموكسيل فاعل. والمفعول به مبني للمجهول. تقديره طفل مريض يزيد مرضاً جهل أبوين ومتاجرة صيدلي بمرضه. في ظل عدم متابعة وتطبيق لنظام سُن منذ سنين طويلة وأكل الدهر عليه وشرب. بلا متابعة وتطبيق. وكأنه وضع فقط من باب ذر الرماد (رفع العتب)، ولكي ترد به علينا وزارة الصحة نحن الكتاب إذا قلنا وكتبنا: لماذا تصرف الأدوية دون وصفة طبية.



الصيف والرجل القوي

في وقت الصيف تكون مقالات كتاب الزوايا خفيفة على القارئ. فحرارة الجو تحتم على الكاتب أن تكون موضوعاته خفيفة للترويح عن القارئ. هذا إن تواجد كاتب ليكتب وقارئ ليقرأ هذه الأيام. فالصيف قد حل والكثير من الناس (كُتّابًا وقراء) قد ارتحل. ولأنني باقٍ ولم أسافر سيكون أسلوب هذه السوانح أقرب ما يكون للدعابة أو هذرًا، كما يقول الكاتب الكبير جهاد الخازن. وفي سوانح ماضية شبعت معاينة البطيخة قبل شرائها. بفحص الطبيب بالضرب الخفيف بالسبابة والوسطى (بركشن) على صدر المريض أو بطنه أو ظهره في أثناء الفحص الإكلينيكي. والصوت الناتج من (البركشن) إما دَل أو ريسوننت، كما يسميها الأطباء الكلاسيكيون أمثالي. ولكل صوت أو صده دلالة، يعني وجود سائل أو غاز على صحة المريض أو اعتلاله. وبالمناسبة (بركشن) أو الضرب الخفيف على صدر وبطن المريض وحتى ظهره بالسبابة والوسطى أصبحت من تاريخ الطب القديم. وأذكر عندما كنا طلبة في السنة النهائية وفي أثناء الاختبارات كيف أن طريقة أداء (البركشن) أمام البروفيسور الممتحن تكون سببًا في نجاح الطالب أو رسوبه. أما الآن فالطب تغير ودراسته أيضًا. ولم يعد الأطباء الحديثون يستعملونها (بركشن) لوجود وسائل أحدث وأسهل للكشف على المريض وتشخيص حالته. فجهاز تشخيصي صغير يُعني عن علم طبيب قديم تعلم وهضم كتبًا ومجلدات طبية كثيرة. وخلال الخمس والعشرين

سنة الماضية بعد تخرجي قفز الطب قفزات كبيرة. أذكر منها استخدام المنظار في العمليات الجراحية. التي أغنت الجراح عن عمل شق جراحي كبير لاستئصال الزائدة الدودية والمرارة والغدة الدرقية وغيرها كثير. والتقدم والتطور من الناحية التشخيصية له نصيب الأسد خلال السنوات الماضية. من أشعة (وسكان وألتراساوند)، وقد حدثني أحد الزملاء أنه قام بالكشف إشعاعياً أو (ألتراساوندياً) على رجل كهل يتمتع بصحة جيدة، وقوة تشع من عينيه، ويؤكد لها عرض منكبیه. وتبين من الفحص أن الرجل ليس لديه زائدة دودية، ولم يقل إنه سبق أن عمل عملية فيما مضى البتة. إلا أن المريض الرجل القوي عندما أخبر بأنه ليس لديه زائدة دودية. والطبيب يُشير إلى مكانها في أسفل الجهة اليمنى من البطن. قال: إنه ومنذ سنين طويلة أحس بألم ووخز في بطنه. وبالذات في الجهة اليمنى إلى الأسفل. ما لبث أن زاد في حدته وانتشر في جميع أنحاء البطن صاحبه استفراغ (وتوعان) مرة أو مرتين. ما لبث أن توقف ونسي الموضوع. وتفسير كلام الرجل القوي وعدم وجود الزائدة الدودية في فحص الألتراساوند أو (الإسكان) أن زائدة ذلك الرجل القوي قد التهبت وانفجرت في بطنه ذات يوم من الأيام، ومنذ سنين طويلة. (وما شاف شر).



ريهام وسوء أفهام

ثمة قضية غربية على مجتمعنا وقعت كالصاعقة. من المؤكد أنكم عرفتُموها من عنوان سوانح. فقضية ريهام البريئة، والمنقول لها دم ملوث بالإيدز، هي حديث الساعة هذه الأيام. وكل يدلو بدلوه. وأغرب وأقوى تعليق جاء من أحد المذيعين. عندما طالب وزير الصحة بالاستقالة. على خلفية حادثة ريهام. إهمالاً أو تعمداً. والجميع في انتظار إيقاع أشد العقوبة بمن تسبب في تلك الحادثة الغريبة. التي تذكرنا بما قام به طبيب عربي وممرضات أوروبيات بحقن أطفال ليبيين بفيروس الإيدز قبل بضع سنين. وهي حالة تعد حالة شاذة واستثنائية. وتدل على سلوك غريب وإجرامي متأصل في جينات من فعلوه. وبالمناسبة (مع الأسف) رأيت في إحدى القنوات الفضائية صور للممرضات الأوروبيات المجرمات، وقد صدر عفو عنهن بعد الاكتفاء بسجنهن لبضع سنين. والأطفال الأبرياء يتربص بمستقبلهم وبراءتهم مرض الإيدز الشرس. لسنين قادمة إن عاشوها. وفي سانحتين ماضيتين تحدثت عن القضاء والقدر، وما قد يحدث للمريض في أثناء علاجه أو إجراء عملية له، من مضاعفات قد تؤدي بحياته. وعنوانت المقاليتين ب: لِكُلِّ أجل كتاب. فالتبس على بعض القراء التقرييق بين الآثار الجانبية أو المضاعفات (كومبليكشنز) والأخطاء الطبية. فتلقيت إيميلا تهاجمني وتحملني المسؤولية عن وفاة المريض، الذي جاء في سوانح ماضية. ليس هذا فحسب بل إن قارئاً اتهمني بالقتل. وأن أحمد

اللّٰه لأن ما حدث قديم قبل ٢٥عاما، فلا إعلام ولا إنترنت (يفضحني ويشرحني) ما علينا. وأنتقل لحديث أختم به سوانح اليوم. فقد لا يعرف البعض عن حساسية بعض الأدوية. كالبنسلين الذي يسبب عند البعض حساسية شديدة (أنا فلكتك شوك)، فقد لا يعرف البعض أنه يجب عمل فحص حساسية من حقن البنسلين قبل البدء في أخذه. ومن ذاكرتي لا أنسى مريضاً كاد يفقد حياته. لأنه قال للطبيب (خطأ): إنه ليس لديه حساسية من البنسلين. فبدأ الطبيب بحقنه بالدواء. معتمداً على ما ذكره المريض. فبدأ مفعول البنسلين سريعاً مهدداً حياة المريض. الذي أوقفه الطبيب بعد ثوان قليلة. ومستعيناً بالأدريناين والكورتيزون والأكسجين. لأن المضاعفات كادت تؤدي بحياة المريض. لولا لطف الله، ثم تصرف الطبيب في الوقت المناسب.



في التدخين

عندما أرى أي مُدخن من الأقارب أو الأصدقاء والمعارف أشعر بالإشفاق عليه؛ ويجول بخاطري أمران: الأول: غفلة المدخن عن خطورة ما يفعل بصحته؛ والأمر الثاني: خبث وإتقان شركات التبغ لوسائل إغرائية، لإيقاع الناس في عادة التدخين؛ بعكس ما كنت أشعر به في الماضي؛ فقديمًا كنت أغضب، وأتهم عقل المدخن بالجهل والحمق؛ فكيف يقوم بعمل يؤدي صحته وصحة غيره؛ وقد يكون هذا الغير أقرب الناس إليه؛ فقد رأيت مرات عدة من يحمل ابنه أو ابنته الصغيرة بيد وفي يده الأخرى سيجارة تشتعل وتبث السموم في ذلك الجسد الغض؛ ولا أنسى في إحدى المرات رضيعة صغيرة كانت تتبّع وتحاول الإمساك بالدخان الخارج من فم أبيها؛ والأب يحتضنها ويضحك (ببلاهة) على ما تقوم به ابنته الصغيرة من حركات بريئة؛ ومع الوقت ومشاهدة الكثيرين ممن يدخنون السجائر والشيشة وسماع حكاياتهم مع تلك العادة السيئة التي ابتدأوها بتجربة شيء جديد للعبث واللعب ليس إلا؛ تأكد لي أنهم أُبتلوا بتلك العادة، ويتمنون الإقلاع فلا يستطيعون (أوله دلع وآخره ولع)، فأصبحت (بينني وبين نفسي) أدعو الله لمن أُبتلي بالتدخين بأن يكون في عونه ليتوقف؛ خاصة إن كان المدخن يتمتع بصفات الصلاح والرجولة والشهامة؛ ويعيبه عند الآخرين وعند نفسه: أنه مُدخن؛ ويستوقفني كثيرًا كل ما يصدر إعلاميًا عن التدخين والمدخنين؛ لعل آخرها اختراع سعودي واعد للإقلاع عن التدخين؛ على

شكل كبسولات لقي صدى عالميًا شاهده في قناة العربية؛ حذر الدكتور عبدالله بن محمد البداح المشرف العام على برنامج مكافحة التدخين بوزارة الصحة من تزايد أخطار تعرض الناشئة لأخطار التدخين؛ وأن ٣٠٪ يتعرضون للتدخين القسري بالمنازل، وغيره من أرقام وإحصائيات مخيفة، جاءت نتيجة استبيان ومسح عالمي عن استعمال التبغ في المملكة؛ والدكتور عبدالله زميل قديم وأعرف فيه كُرهه لعادة التدخين منذ كنا طلبة في سنوات الدراسة الأولى، نهاية السبعينيات الميلادية، ولا غرابة في كونه هذه الأيام مُشرفًا عامًا على برنامج مكافحة التدخين في وزارة الصحة؛ فكان الله في عون الجمعية ومشرفها؛ فهي تخوض حربًا شرسة مع شركات تبغ عالمية، تمكنت من زرع سمومها في العالم الثالث وبقوة؛ بعد أن خسرت الكثير من مواقعها في الدول المتقدمة.



أخطاء وإتش ون إن ون؟!

في الغرب تنشط الدعاوى التي يقيمها الناس على شركات الأدوية وتكثر. مع أنهم يطبقون التأمين الصحي بشكل صحيح. وليس هناك استعمال عشوائي للأدوية، كما هو حاصل لدينا. ومع ذلك أو بسبب ذلك تقوم شركات الأدوية بتأمين نفسها قانونيًا، وتُكثر من كتابة الإرشادات والتحذيرات في الورقة (ليفلت) المرافقة لكل دواء. فتحذر من احتمال تسبب الدواء في أعراض جانبية. نسبة احتمال حدوثها قد لا يتعدى الواحد في المليون. والهدف من ذلك حماية شركات الأدوية من الدعاوى القضائية لمن يستعمل الدواء. لا الخوف على صحة مستعمل الدواء وإرشاده، كما يعتقد البعض. وأقول لمستعملي الدواء المحليين اتبعوا تعليمات الطبيب والصيدلي جيدًا وطبقوها. فلكل دواء أعراض جانبية يعرفها الطبيب والصيدلي (أبخص) بطبيعة الحال. ولا تلتفتوا لما هو مكتوب في تلك الأوراق (ليفلت)، وهي تحذيرات ذكرتني (مع الفارق) بتحذيرات السجائر. التي وبفضل الله أكرهها ولا أتعاطاها. وأرأف لحال من وقعوا ضحايا لها فأدمنوها. إلا أن هذه قضية أخرى. وأعود للحديث عما عنونت به سوانح اليوم. ولكل شيء آفة. فآفة العلم النسيان وآفة الأخبار رواتها. ولكل مجلس فاكهته. وفاكهة الكثير من المجالس هي الحديث عن أخطاء الأطباء. والحديث يجرب بعضه بعضا. ولأننا نعيش هذه الأيام بداية الخريف. ويكثر الحديث عن جائحة (إتش ون إن ون) أو انفلونزا الخنازير

وكل الدول (بمن فيهم المملكة) أعلنت عن استعدادها لمكافحة المرض بالمصل المضاد، الذي تنتجه المصانع المتخصصة حديثاً. سمعت خبراً روته وكالة (آلو لو): إن البعض قد استمع إلى جزء من الخبر. واستاء من تخصيص سكان مكة والمدينة بالأمصال فقط في البداية. ولم يفهموا بقية الحكاية. وأقول: إن تلك الأمصال ستُعطى لمن هم عرضة للتواجد في الأماكن المزدحمة. أما الحجاج القادمون من الخارج فلن يتمكنوا من دخول المملكة والمشاعر المقدسة، إلا إذا كانوا يحملون شهادة تثبت حصولهم على المصل المضاد لانفلونزا الخنازير. ما يعني أن كل حاج لن يكون مصدراً لنقل المرض أو عرضة للإصابة به. فليطمئن الجميع من موسم حج هذه السنة. والشركات المنتجة للأمصال المضادة لمرض (إتش ون إن ون) تقوم بالتحذيرات أيضاً. لتحمي نفسها من الدعاوى القضائية. فأصبحت كثير من الدول ومواطنيها في حيرة من أمرهم بين من يرغب في أخذ المصل المضاد للمرض ورافض له. ولو سألتهم رأيت لقلت: لا تخافوا. واتبعوا إرشادات النظافة العامة التي يعرفها الجميع. ويحضرني في هذه اللحظة إرشادات توعوية جميلة، قالها الكابتن سامي الجابر الذي أصيب بالمرض وشُفي منه بإذن الله وبلا علاج.



التفاته ظبي ووشة أسد؟

ثمة حقيقة وهي أن الظبي أو الغزال أسرع بكثير من صائده الأسد أو النمر. وما يُمكن الأسد والنمر. وحتى الذئب من اللحاق بالظبي واصطياده. هو كثرة تلفت الظبي في أثناء المطاردة. وأذكر فلماً وثائقيًا يصور الغزال وهو يلتفت بعد كل خطوة يثبها ويخطوها. ليتمكن من يطارده من اصطياده وافتراسه. وبعد ذكر حقيقة الظبي والأسد أغوص في ذاكرتي قليلًا. فقبل أربعة عقود أو تزيد. حيث كنت متعودًا على تدوين خواطري منذ سنوات الشباب الأولى. مع أنني توقفت مع الأسف عن ذلك. لا أزال محتفظًا بقصاصة ورق كأنها مخطوطة قديمة. ويخط يدي. الذي كان جميلًا قبل دراسة الطب. فأصبح سيئًا أو كما يقول بعض المتدربين على الأطباء. بأن خط الطبيب لا يقرأه إلا الصيدلي. فحمدًا لله على اختراع الكمبيوتر واللابتوب. وقصاصة الورق مكتوب فيها مثل كان يردده الكثير من الناس: (اللي يمشي ويلتفت ما يقطع الجادة). وبالنسبة للظبي ليته لم يقطع الجادة فقط. بل بسبب التفاتاته المتكررة أتى من يمنعه من الوشب والالتفات بإنهاء حياته. وأعود إلى ذاكرتي قبل أن تشيخ. فأخذت أنبش بين أوراقى القديمة. حيث وجدت ورقة مهترئة وكأنها مخطوطة. وقد كُتب فيها حكمة عدم الالتفات. كما ذكرت. وكأنني بالقائل قد طرق أبوابًا عدة في مجال من مجالات الحياة. من طلب للرزق أو الحصول على النجاح في حقل ما. فكان نصيبه الفشل. وذلك لأنه كان عندما يقدم على خطوة ما

ينظر إلى ما بعدها بصعوبة وثناقل، وإلى ما قبلها باستهانة وعدم رضى. مستكثراً ما قد تبقى ومستقلاً ما قد أنجز. حيث إنه لم يعلم أن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة. وأعود لذكر بقية ما جاء في المخطوطة. مع ملاحظة أن الحقوق محفوظة لي وللناشر. فقد قلت قبل أربعة عقود أو تزيد. بعد نجاح صعب. لأنني ببساطة كنت ألتفت، حيث قلت آنذاك: العبقرية ومنتهى الإرهاق هي أن تقطع الجادة بعد أن تلتفت مرات عدة. وربما التفاته بعد كل خطوة. ويبرز سؤال: هل نجا أي ظبي أو غزال من مطاردة. وهو يلتفت؟ لا أظن ذلك. فليت أي قناة وثائقية تبث لنا ذلك إن حصل وتم تصويره. وفي الختام أقول: (اللي يمشي ويلتفت. ما يقطع الجادة).



(الموذي) ومستوصف الفوطة

كان (الأولون) يطلقون على المستشفيات والمستوصفات تسمية (الصحية)، وذاكرتي مليئة بالكثير من الذكريات عنها، وعن شخوصها (رجال ونساء وأطفال)، أبدأها بذكريات (الطفولة) عن مستشفى الشميسي. عندما نرافق الأهل لزيارة أحد الأقارب المنومين في المستشفى. وكان أكثر شيء يشدنا ويفرحنا نحن الأطفال آنذاك وجود المصعد أو الأئصنصر. نتعجب من هذا الصندوق السحري الذي ينقلنا (بضغطة زر) من الدور الأرضي إلى الدور الخامس في لحظات. وبالمناسبة قام أحد كبار السن عند دخول المصعد لأول مرة بخلع نعليه قبل الدخول. وبطبيعة الحال لم يجدها عند خروجه من المصعد بوصوله للدور الخامس وانفتاح باب المصعد ثانية. ما علينا. فمصعد المستشفى نعهه نقلة نوعية (وتغييراً) لوسائل الترفيه، التي تنحصر آنذاك في لعب الكعابة وطاش ما طاش. وكنا نفرح كثيراً عندما يمرض أحد الأقارب أو القريبات وينوم في مستشفى الشميسي، خاصة في الدور الخامس، فنصر على مرافقة الأهل لزيارته. وهي فرحة لا نجدها عندما نرافق الأهل في مراجعة (صحية) أخرى، وهي مستوصف الفوطة، الذي لا يقل شهرة عن مستشفى الشميسي آنذاك. خاصة لسكان العطايف والظهيرة والغراوية. ومن بيننا طفل كان في قمة الشقاوة وايداء الآخرين. ويُلقب بالموذي من بقية الأطفال وأقرانه الصغار أو نزغة شيطان يطلقها عليه الكبار. وقد نعتة أحد كبار السن بأنه

نزغة شيطان (ما سمي فيه) ، ولم نكن نفهم نحن الصغار ماذا تعني نزغة شيطان أو عبارة (ما سمي فيه) ، عندما يقولها أحد كبار السن، الذي كان يتأذى من شقاوة دحيم (الموذي) ، وشقاوة الموذي أو شروره طالت كل شيء. فمن الناس كان يقوم بضرب الأطفال الآخرين بسبب ودون سبب. ومن الحيوان يقوم بتعذيب القطط والكلاب السائبة. ومن الجماد يقوم بتكسير لمبات الشوارع والأزقة (على قتلها آنذاك) بالنباطة. أو تنسيم كمفات السيارات (على قتلها أيضاً) ، وكان عندما يرافقنا في الدخول لمستشفى الشميسي أو مستوصف الفوطلة (خلسة) ودون أن يشعر الحارس. يقوم بأخطر أعمال (الشقاوة) وهو قيامه باقتحام غرفة الضماد، وأخذ حقنة عضلية والحقن ببقية الأطفال رافعاً الحقنة إلى أعلى بإحدى يديه ومهدداً بأن من يستطيع الإمساك به سيقوم بحقنه بالإبرة. وهو يضغط الإبرة في الهواء باليد الأخرى. وقد تكون فيها بقية من دواء. غير مدرك لخطورة ما يفعله. تحت إنكار واحتجاج وصراخ الممرضة (السمينة) زبيدة. ذات البالطو الأبيض في «مستوصف الفوطه»، وهي تحاول منعه، وتقول له (أوعا ياواد. سيب البتاع).



غول النعمة

قال الشريف الرضي عن الشباب في شطر بيت (نسيت شطره الآخر):

عيب الشبيبة غول سكرتها

ولدينا شباب صغار السن يرفلون في ثوب نعمة وفراغ وصحة. ينطبق عليهم قول الشريف الرضي في الكثير من تصرفاتهم. وفي وطننا هذا وكل وطن آخر تفتخر كل أسرة عندما يكون أحد أبنائها شهيداً. وأذكر منذ سنين طويلة مجلس إحدى الأسر في دولة إسلامية شقيقة. يزدان بصورة شاب يشاهدها أهله ليل نهار. وقد كتب تحتها تاريخ استشهاده، وبالإنجليزي MARTYR أي شهيد.

نحن هنا يموت الشاب لدينا بسبب وثنم بخس ورخيص. فتحاول أن ننسى، والتذكر يكون مصحوباً بلوعة وقهر. لأن موت ذلك الشاب كان بسبب قطع إشارة مرورية، أو سرعة جنونية، أو نتيجة حادث من سائق ليموزين متهور آخر، أو جمل سائب يريد قطع الطريق إلى زميل له (بعير) أو ناقة باركة في جهة الطريق الأخرى، على إسفلت سطعت فيه الشمس. فظننته الخلفة عشباً. وعندما تزدان إحدى جرائدنا بصورة أهل شهيد، قضى نحبه في أثناء تأدية الواجب، نجد ذوي الشهيد سعداء. لمعرفتهم أن ثمن فقدهم لمن أفضى ومضى إلى الله كان غالباً وهي الشهادة. تظل تواسيهم مدى الحياة.

حدثني من أثق به: أن شبابًا صغارًا لديهم الكثير من الصحة والفراغ والجِدَّة. بعد أن ينتهوا من التفحيط بسياراتهم. يقوم اثنان منهم بتحدي بعضهما في لعبة انتحارية. حيث يقوم كل واحد منهما بتوجيه سيارته نحو الآخر على بعد ألف (١٠٠٠) متر تقل أو تزيد، في جهتين متقابلتين من الميدان، أو الشارع الذي يقام فيه التحدي. وبذلك يصوب كل واحد منهما سيارته نحو الآخر، (ويدوس على الأبنص لين يجيب الطبلون) طبعًا هناك جمهور من الشباب يتفرج ويشجع. متمنيًا أن يكون هناك ارتطام بين السيارتين المتحديتين لبعضهما. والذي يتفادى الآخر، وينحرف بسيارته عن الخط المرسوم، يعد جبانًا رعيديًا (مهور ولد أبوه)، ويصفق الجمهور للذي لم ينحرف بسيارته ذات اليمين أو ذات الشمال. ويثبت بذلك أنه (ولد أبوه).

وعودًا على بدء (عيب الشبيبة غول سكرتها)، فأجد في شعرنا الشعبي ما يشبه قول الشريف الرضي، وهو قول حميدان الشويعر:

النعمة خمرن جياش	ما يبزاها كود وثقه
والفقر خديديم أجواد	ودك ياطا كل زنقه

وكثيرًا ما أتمثل، وأردد قول حميدان الشويعر هذا. عندما أرى شابًا مترفًا وهو يخالف أنظمة المرور. لا أعاد الله أيام الفقر الذي امتدحه حميدان الشويعر. والذي (بلا شك) لو عاش في أيامنا هذه، سيقول الكثير، ويهجو الكثير من الناس والظواهر السلبية في مجتمع هذه الأيام.



MS.. اوبوزيتيف

قبل عقد من الزمان أو يزيد أصبت بالتصلب المتعدد أو اللويحي (إم إس)، وعانيت من هجماته كثيرًا. وسلاحي للتصدي له حُقن الكورتيزون والإنترفيرون. وهما سلاحان واهيان. لأعراضهما الجانبية الكثيرة. فالإنترفيرون يسبب آلاما في أثناء حقنه وبعدها. والكورتيزون أو الستيرويد له آثار جانبية لا حصر لها . ويجب أخذه بجرعات كبيرة عند أي هجمة للمرض. وقبل بضع سنين تم إنتاج كبسولات (قلينلا) غالية الثمن، تؤخذ يوميًا بدل حقن الانترفيرون. تكافح وتمنع هجمات التصلب المتعدد. فرحت بها كثيرًا وبدأت في استخدامها (كبسولة واحدة يوميًا) لكن الحاجة للكورتيزون بقيت عند هجوم المرض. وسأذكر بعد قليل كيف سبب لي الكورتيزون قرحة في المعدة هددت حياتي. لولا لطف الله. ومعاناتي الأخيرة مع مرض جديد (قَسَمُ الظهر)، بدأت عندما سقطت على الأرض بعد فقدي للتوازن، وهو من أعراض الإم إس، لتتكسر الفقرة الثانية من عمودي الفقري، وتحركت من مكانها الطبيعي. حيث بدت في الأشعة تسبح في سائل الحبل الشوكي (سي إس إف) المحيط بأهم مركز وأعصاب دقيقة. تتحكم في أجهزة كثيرة ومهمة في الجسم. أشبهها بأسلاك راديو الترانزستر صغير الحجم. ما يستوجب عملية جراحية لإرجاعها لمكانها الطبيعي. وتثبيتها بخمسة أسياخ من الحديد الصلب. أضافت إلى وزني كيلو جرامًا واحدًا أو يزيد. وعمليات الظهر يتردد الكثيرون بإجرائها. فأني خطأ قد يؤدي لما لا تحمد عقباه. لذا نجد البعض يفضل علاجًا تحفظيًا وتمارين أو علاجًا طبيعيًا. قد يخفف الآلام. فتحمل الآلام أهون. لخوفهم

من مبضع جراح (أرقل)، يقترب من الحبل الشوكي وأعصابه. إلا أنني توكلت على الله، وأدخلت مستشفى قوى الأمن لإجراء العملية. وكما قلت في البداية: لدي تصلب متعدد كان هاجعاً وخامداً لم يسبب لي أي عرض مزعج منذ سنين. إلا أنه اختار ليلة ما قبل العملية مهدداً بالهجوم. فقامت بخطوة استباقية مع طبيب الأعصاب بأخذ حقن الكورتيزون الوريدية. فترجع المرض عن الهجوم. وأخذ الجراح يستعد لإجراء العملية في ظهري. إلا أنني بدأت في نرف مفاجئ واستفراغ دم أحمر قاني وبشدة. بسبب قرحة في المعدة بينها منظار المعدة المستعمل وبين أيضاً ثقب في جدار المعدة يصب دمًا في الأحشاء كالحنفية. لينخفض الهيموجلوبين إلى ١٠ جرام أي أنني فقدت ثلث ما في دمي من الهيموجلوبين. وبذلك تسبب الكورتيزون في تأجيل العملية. فالهيموجلوبين أقل من ٧٠٪ من الحد الطبيعي. فتأجلت العملية واستدعي أطباء آخرون للتعامل مع ما استجد في حالتي الصحية. وبديل غرفة العمليات أدخلت في العناية المركزة لإيقاف النزف، وتعويضي عما فقدته من دم. فتم حقني بسبع وحدات دم من الفصيلة الكريمة وهي فصيلتي (أو بوسيتيف)، وأقول فصيلة كريمة لأنها تعطي الأنواع الثلاثة الأخرى، ولا تأخذ إلا من نفسها. وعلى الهامش أقول: إن تلك الفصيلة (أو بوسيتيف) هي أكثر فصيلة مطلوبة في بنوك الدم، وبسبب خاصية دمي الكريمة، فإن ثلث البشر أو أكثر يحمل تلك الفصيلة. أما الفصيلة البخيلة (إي بي) فهي تمثل الثلث أو أقل بين فصائل دم البشر الأخرى. وفصيلتي الإي والبي بين بين. فانظر أيها القارئ العزيز وش أنت من لحيه. وإلى أي فصيلة ترجع. كريم أم بخيل أم أن فصيلة دمك (ألف أو باء) أي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؟!



فهرس الموضوعات

١٢.....	الحجيبا وأيام زمان
١٤.....	الجُرح (١)
١٦.....	الجُرح (٢)
١٨.....	الجُرح (٣)
٢٠.....	الجُرح (٤) الأخيرة
٢٢.....	ويعجبني الفأل
٢٤.....	طَبْلَةٌ مَثْقُوبَةٌ وَرِكَابٌ مَتَاكَل
٢٦.....	أفواه وضيان
٢٨.....	do not smile to a dentist
٣٠.....	إسبرين ونوفلجين
٣٢.....	صبا نجد
٣٤.....	بلهارسيا
٣٦.....	دكتور الحقني
٣٨.....	الطبيب والمفرص
٤٠.....	في الحمى المالطية (١-٢)
٤٢.....	في الحمى المالطية (٢-٢)
٤٤.....	سيليكوسز؟
٤٦.....	في السماعه الطبيه (١-٣)
٤٨.....	في السماعه الطبيه (٢-٣)
٥٠.....	في السماعه الطبيه (٣-٣)
٥٢.....	آه من القلب!
٥٤.....	أذنين بطين ووريد
٥٦.....	العذر والسموحة
٥٨.....	حانا ومانا؟
٦٠.....	الشمطري والثوم؟
٦٢.....	القاز القاز؟
٦٤.....	قُفَازَانِ وَغُدَدٌ لِمَفَاوِيَةٍ



٦٦	كاردياك كول ١٩
٦٨	(وتانه فول ودونات)
٧٠	عالم الضياع ١
٧٢	الدم الملوث
٧٢	إن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم ١
٧٤	تاميفلو ويانسون ١٩
٧٦	إنسولين
٧٨	سُكري لُربع السكان ١
٨٠	قمح أم شعير ١٩
٨٢	أسناننا بين الأمس واليوم ١٩
٨٤	نَبْضُ بلان ١٩
٨٦	الريف الإنجليزي
٨٨	طبّاخ الكرّز
٩٠	العجلية والذكريات صدى السنين الحاكي ١
٩٢	الصوت الشجي
٩٤	أطباء وتفتيش ١
٩٦	(شاطر ومشطور بينهما ستيك) ١٩
٩٨	في تقويم الأسنان ١٩
١٠٠	فيتامين (د) في المشراق
١٠٢	طبيب حكيم أم دكتور ١٩
١٠٤	امتناع لامتناع ١٩
١٠٦	عن همومه وكيدها ١٩
١٠٨	دكتور شنج ١٩
١١٠	يا واش يا واش ١
١١٦	عمشا وجائزة نوبل ١١
١١٩	الحبيب الأول
١٢٢	طبيب (الغفلة) ١
١٢٤	تربية (ابلعها) ١٩
١٢٦	في التدخين والفحولة ١٩
١٢٨	(ديرمة) ١٩

١٣٠.....	الكلية اليمنى ؟
١٣٢.....	قَسَم أبو قراط وبيض الصعو ؟
١٣٤.....	هوكة وجمرة غضا ؟
١٣٦.....	عَفُو الخاطر
١٣٨.....	داوها بالتي كانت هي الداءُ
١٤٠.....	من بعيد لبعيد ؟
١٤٢.....	الصوديوم والحلا
١٤٤.....	في الأسنان والتحلية ؟
١٤٦.....	يا ناس ذاك البيت !
١٤٨.....	إرعارف الأنوف EPISTAXIS
١٥٠.....	بين الفوطة والتخصصي
١٥٢.....	الوعد (قدام)
١٥٤.....	(بخشة) الفوطة ؟
١٥٦.....	جس الطبيب
١٥٨.....	حُقنة بينسيلين
١٦٠.....	روايح الصيف (والخبل) ؟
١٦٢.....	شغب ملاعب وقيلولة ؟
١٦٤.....	(العطايف الشميسي وعليشة) ؟
١٦٦.....	(بلاك فورست كيك) ؟
١٦٨.....	قُفازان وجُرثومةٌ مجهرية
١٧٠.....	(موس وعصيفير)
١٧٢.....	مراقب صحي
١٧٤.....	صيدلي وصامولي بريال
١٧٦.....	لكل أجل كتاب (١-٢)
١٧٨.....	لكل أجل كتاب (٢-٢)
١٨٠.....	بيلس بالسي أوجيه
١٨٢.....	صحة عامة ؟
١٨٤.....	الهدف الذهبي
١٨٦.....	حرارة صيف وسالمونيز
١٨٨.....	ميلا مين



١٩٠.....	الغذاء والصيف
١٩٢.....	(مصاصة) من نار!
١٩٤.....	بوفيه مفتوح
١٩٦.....	أفواه وأوادم ١٩
١٩٨.....	طبيب دون: إن أو سي
٢٠٠.....	(سنون) وأسنان؟
٢٠٢.....	طعمة!
٢٠٤.....	د. مناور أبا الخيل
٢٠٦.....	أيام زمان!
٢٠٨.....	نقش وغوج
٢١٠.....	أطباء وطبيبات
٢١٢.....	شمع الأذن
٢١٤.....	جلدية وإيدز
٢١٦.....	(طاش ما طاش) ١٩ (٢-١)
٢١٨.....	(طاش ما طاش) ١٩ (٢-٢)
٢٢٠.....	عن هذا وذاك
٢٢٢.....	الشهر مبارك
٢٢٤.....	طب وأطباء
٢٢٦.....	أموكسيل وبينزودايازيين ١٩
٢٢٨.....	في الصفير والشخير والمشخرين
٢٣٠.....	غرفة عمليات ومشرحة
٢٣٢.....	مدرسة النجاح لم ينجح منها أحد!
٢٣٤.....	(الحويط) و(حط قمرق) ٩
٢٣٦.....	سوشي ١٩
٢٣٨.....	توجيهية ١٩
٢٤٠.....	في الماضي
٢٤٢.....	في رمضان أيام زمان!
٢٤٤.....	رمضان مهلاً
٢٤٦.....	قاتل بريء
٢٤٨.....	(لَبَّة مكسورة)!

٢٥٠.....	الميدان يا (حميدان) ! (٢-١)
٢٥٢.....	الميدان يا (حميدان) ! (٢-٢)
٢٥٤.....	تيتنوس في الريف الإنجليزي !٩
٢٥٦.....	الأمعاء
٢٥٨.....	الصمام الميتريالي
٢٦٠.....	ملح وسكر
٢٦٢.....	الطبيب ومداواة الجروح
٢٦٤.....	ذكريات
٢٦٦.....	طبيب ومدير بينهما إحصائية
٢٦٨.....	إيدز وأمراض أخرى !٩
٢٧٠.....	أطباء وإحصائيات
٢٧٢.....	وادي حنيفة !
٢٧٤.....	الطبيبة وزامر الحي الذي لا يُطرب !
٢٧٦.....	لوزتان وآيسكريم
٢٧٨.....	إنسولين رؤوس وكراعين !٩
٢٨٠.....	التمر والـ (جنق فوود) !٩
٢٨٢.....	البرحية
٢٨٤.....	في التمر (٣-١)
٢٨٦.....	في التمر (٣-٢) !٩
٢٨٨.....	في التمر (٣-٣)
٢٩٠.....	في التمر المرة الأخيرة
٢٩٢.....	في الفحولة !٩
٢٩٤.....	نتيجة المختبر !٩
٢٩٦.....	قولون وخمسة (أرناق) !
٢٩٨.....	بلهارس في الغيط !٩
٣٠٠.....	قلوب مثقوبة !
٣٠٢.....	كوليسترول وشارع العصارات
٣٠٤.....	سنة المكسيك
٣٠٦.....	مهارات في مستوصف الفوطة
٣٠٨.....	(كباري !)



٣١٠.....	العيد مبارك
٣١٢.....	أشقر وشعره ذهب!
٣١٤.....	زعتربالزيت
٣١٦.....	هل غادر الشعراء؟
٣١٨.....	(بيجر) في رمضان
٣٢٠.....	في الأذن الداخلية
٣٢٢.....	أطباء بيطشريون؟
٣٢٤.....	بروسيلوسز؟
٣٢٦.....	في التدخين
٣٢٨.....	دعوة للحياة
٣٣٠.....	دُخان ومدخنون
٣٣٢.....	السبعينياقرأ؟
٣٣٤.....	عصافير السدرة
٣٣٦.....	تخصصات صحية
٣٣٨.....	الطب قديمه والحديث
٣٤٠.....	زبيدة ودحيم الموزي!
٣٤٢.....	Ventolin فنتولين
٣٤٤.....	شاش في قُمرة القيادة!
٣٤٦.....	شاش وشاشة!
٣٤٨.....	سالبينجايِتس ني ممكن ني!
٣٥٠.....	في محفظة الجيب دائماً
٣٥٢.....	في الإعاقة
٣٥٤.....	(حسوفة نكبة)
٣٥٦.....	البعوضة ومُقلة الأسد!
٣٥٨.....	دكتوراه و(طشوت)!
٣٦٠.....	فراولة
٣٦٢.....	طاسة مالتية
٣٦٤.....	أجسام غريبة
٣٦٦.....	في التدخين والفحولة
٣٦٨.....	لوسي؟

٣٧٠.....	ميلامين أيضاً ١٩
٣٧٢.....	التهاب الحلق
٣٧٤.....	وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
٣٧٦.....	استنساخ ومسح
٣٧٨.....	الصَّحِيَّةُ ١٩ (٢-١)
٣٨٠.....	الصَّحِيَّةُ ١٩ (٢-٢)
٣٨٢.....	فاكهة المجالس
٣٨٤.....	(مشرق) في حي (الدحو)
٣٨٦.....	(صُرِّ) الدواء وتثرده ١٩
٣٨٨.....	سُكَّر
٣٩٠.....	بيتزا
٣٩٢.....	كاد المرِيبُ أن يقول: خذوني
٣٩٤.....	ليلة (الدُّخْلَة)
٣٩٦.....	ليلى (أفتح من هيك)
٣٩٨.....	في الكي
٤٠٠.....	أخطاء وأمراض
٤٠٢.....	ترعة وفيها (بلهارسيا)
٤٠٤.....	فحص مع الشبكة
٤٠٦.....	في الطب والتقاعد
٤٠٨.....	بينسيلين
٤١٠.....	سركاريا وسنيل
٤١٢.....	المشتل واشرح لها!
٤١٤.....	يا ضايق الصدر!
٤١٦.....	(دجنان) والوسواس القهري
٤١٨.....	رمضان مع وفرة الرطب
٤٢٠.....	صرحان طبيان
٤٢٢.....	العطايف. الشميسي وعليشة
٤٢٤.....	شارعا: مد اللي والمعكرونة!
٤٢٦.....	حدثني من أثق به
٤٢٨.....	كورتيزون

٤٣٠.....	في الزواج
٤٣٢.....	سبع عجاف
٤٣٤.....	حَلَا بَيْنَ الْأَثَمِ وَالْأَمَلِ
٤٣٦.....	المومياء الحية
٤٣٨.....	الزئبق الأحمر
٤٤٠.....	صورتان
٤٤٢.....	(حبة صباح حبة مسا)
٤٤٤.....	فياجرا
٤٤٦.....	هايجين
٤٤٨.....	عقاقير وأدوية (مضروبة)
٤٥٠.....	في العيد
٤٥٢.....	حمص وطع ١٠٠
٤٥٤.....	في جدة
٤٥٦.....	هارفرد المركزي
٤٥٨.....	نقاء ومكافحة التدخين
٤٦٠.....	شَرَحَ وَمَلَحَ
٤٦٢.....	برسيم و(أمله والا شعيرة)
٤٦٤.....	ملح وسُكَّر
٤٦٦.....	في الملح
٤٦٨.....	في البعوضة
٤٧٠.....	عَطَهُ أَمُوكْسِيلُ!
٤٧٢.....	الصيف والرجل القوي
٤٧٤.....	ريهام وسوء أفهام
٤٧٦.....	في التدخين
٤٧٨.....	أخطاء وإتش ون إن ون ١٩
٤٨٠.....	التفاته ظبي ووثبة أسد ١٩
٤٨٢.....	(الموذي) ومستوصف الفوطة
٤٨٤.....	غول النعمة
٤٨٦.....	MS..أوبوزيتيف

سيرة ذاتية لمؤلف كتاب (سوانح طبيب) سلمان بن محمد بن عبدالمحسن بن سعيد



من الرياض ولادة وأصلًا. بعد حصوله على الثانوية العامة من ثانوية اليمامة، ابتعث لدراسة الطب في لاهور في كلية الملك إدوارد، التابعة لجامعة الملك إدوارد (جامعة البنجاب سابقا)، التي أنشئت في القرن الثامن عشر في أثناء

الاستعمار الإنجليزي للقارة الهندية. عاد بعدها في نهاية العام ١٩٨٤م، وبعد قضائه سنة الامتياز عمل في مستشفى قوى الأمن لخمس سنوات، ١٩٨٦-١٩٩١م، ألحق بعدها للعمل في كلية الملك فهد الأمنية (عضو هيئة تدريس ومديرًا طبيًا للمركز الصحي التابع للكلية) بين عامي ١٩٩١-١٩٩٩م ثماني سنوات، عاد بعدها للخدمات الطبية في وزارة الداخلية. وبجانب عمله الطبي فله ميول في الكتابة الأدبية والتوعوية، وكان للأستاذ تركي السديري رحمه الله فضلاً في تمييتها وبروزها، لإفراده زاوية أسبوعية في جريدة الرياض منذ العام ١٤١٢هـ (غراييل)، ثم بعدها (سوانح) إلى العام ١٤٣٧م وفي العام ٢٠٠٠م طلبت منه الهيئة السعودية للتخصصات الصحية تطوير مجلتها (الملتقى الصحي) من مجلة فصلية إلى مجلة شهرية. ليكون نائباً لرئيس تحريرها آنذاك الدكتور وليد الطويرقي لسنة أو تزيد. بجانب عمله في الخدمات الطبية والمراكز الصحية التابعة لها طبيباً وإدارياً. كان آخرها مستشاراً في الطب الوقائي برتبة عميد طبيب لبضع سنين. تقاعد بعدها لبلوغه السن النظامية لتقاعد رتبة عميد، وهي سن السابعة والخمسون. مع أنه لم يبلغ السن النظامية لتقاعد الطبيب وهي السبعون. وقد يكون السبب في التقاعد هو الإصابة بالتهلصل اللويحي أو المتعدد. فقد تقاعد بعد خدمة تجاوزت الثلاثة عقود.

ومصدر للمؤلف:

١. إليها (مجموعتان قصصيتان): الجرح. ونورة.

٢. الرياض. ذكريات وسيرة ذات.

هذا الكتاب



يا ترى ما هذه المادة اللزجة في أذني المريضة عمشا؟ هل أنا أمام نوع جديد من الفطريات التي تصيب الأذن oto mycosis؟ فقلت في نفسي: لعلها نوع جديد من الفطريات، أنا الذي اكتشفته، أو أن فطريات عمشا تحورت ونشأ منها أنواع جديدة (نيو سترينز)، كما يحدث للبكتيريا والفطريات. المهم أنا أول من اكتشفه. واحترت في التسمية. هل أسميها (عمشا مايكوسز). نسبة لأول مريض اكتشفت بإصابته به. أم (ابن سعيد مايكوسز)؟ وهذا من حقي، وأنا أفكر ما هو أقرب مؤتمر

أو ندوة علمية أشارك فيها، متحدثاً رئيسياً يقوم بتقديم (ورقة عمل) عن نوع جديد من الفطريات، التي تصيب الأذنين. وكان رئيس القسم من السويد. حيث مقر جائزة نوبل. واسمه على ما أذكر جون هيملي. فسرح بي الخيال، وأضمرت في نفسي ألا أخبره بما وجدت في مريضة راجعت في عيادة هو رئيسها. وتخيلت نفسي وأنا أقدم (اكتشاف) تحت اسم (عمشا أو ابن سعيد مايكوسز)، ومن ثم براءة اكتشاف، لم يسبقني إليه أحد. فخشيت من رئيس القسم السويدي أن ينسبها لنفسه إن أخبرته. ولا يستبعد أن يقوم بتوصية أحد معارفه في ستوكهولم (عاصمة السويد) بترشيحها لجائزة نوبل للطب. وقد يغير اسم الاكتشاف من (عمشا أو ابن سعيد مايكوسز) إلى (جون هيميلي مايكوسز). وخوفٌ هذا له أساس وأسباب. فهناك الكثير من البروفيسورات ورؤساء الأقسام يسرقون مجهودات واكتشافات من هم أقل منهم درجة علمية، ويعملون تحت رئاستهم، وينسبون لها لأنفسهم. فأنا كنت ساعتها طبيباً مقيماً حديث التخرج. في بداية عملي في هذا القسم، وأرغب في التخصص في أمراض الأذن وجراحاتها. فأتت (عمشا) وفطرياتها، لتختصر علي الطريق فيما أريد تحقيقه على طبق من ذهب. فأني مجد ينتظرنني؟ وأي أفاق رحبة وشهرة لاكتشاف هذا؟ وفي طريقي ولم يكن لدي أدنى شك في أن ما وجدته في أذني (عمشا) هو نوع جديد من الفطريات، أنا أول من اكتشفه. ولكن ليطمئن قلبي، ولأقطع الشك باليقين سألت عمشا سؤالاً أخيراً: هل وضعت في أذنك شيئاً بعد مجيئك الأول للمستشفى، وبعد تنظيفي لأذنك، ووضع شاشة الدواء، ومراجعتك لعيادتي الآن بعد ٤٨ ساعة الماضية؟ أجابت قائلة: ١١١١. ١١١١. عمشا وجائزة نوبل.

ISBN: 9786030295470



9

786030 295470

– القصص العربية



لهم المعرفة
Inspiring Knowledge
Obelkan Reader
@ObelkanPub

للنشر
العبدكان
Obelkan
Publishing